

ـ فيصل السامر
ـ الآداب

الدولة الحمدانية

في الموصل وحلب

الجزء الأول

سأدت جامعة بغداد على نشره

الطبعة الأولى

دكتور فيصل السامر
كلية الآداب

الدولة الحمدانية
في الموصل وحلب
الجزء الأول

ساعدت جامعة بغداد على نشره

شبكة كتب الشيعة



الطبعة الاولى

طبعة الايمان في سنة ١٩٧٠

shiabooks.net

رابط بتديل < mktba.net

نطاق البحث

يمتد تأريخ الدولة الحمدانية نحو مائة عام أي منذ قيام إمارتهم في الموصل عام ٢٩٣ هـ (٩٠٥ - ٩٠٦ م) حتى سقوط إمارتهم في حلب عام ٣٩٢ هـ (١٠٠١ م) ، ومعنى ذلك إن الدولة الحمدانية شملت أواخر القرن الثالث وكل القرن الرابع للهجرة تقريباً. إن دراسة الحمدانيين تعني دراسة قطاع من تأريخ الخلافة العباسية من جهة ، ودراسة تأريخ خاص بدولة من الدويلات المستقلة في إقليم من أقاليم الدولة العربية الإسلامية من جهة أخرى : ولعل مصدر أهمية الدولة الحمدانية لا يمكن في كوالها مجرد دولة مستقلة من تلك الدويلات للكثرة التي ظهرت إبان ضعف السلطة المركزية وضباب هبة الخلفاء العباسيين فحسب ، ولا مجرد كوالها مركزاً هاماً من مراكز الإشعاع الثقافي والجذب الفكري في تلك الحقبة الزاهرة حضارياً من تأريخ الدولة العربية الإسلامية ، بل لكونها إحدى الدويلات العربية القلائل بين الدويلات المستقلة التي قامت على حساب الخلافة العباسية ، ولأنها وقفت سداً متيناً في وجه الغزو البيزنطي الذي كان يستهدف بيت المقدس كما سنرى : والحق إن هذا لم يكن بالأمسر المين في عصر شهد سيادة العناصر الأجنبية من الفرس والترك والديلم وغيرهم ، وتضالول نفوذ العنصر العربي في الإدارة والسياسة والجيش ؛ صحيح أن الحمدانيين لم يوفقوا كثيراً إلى إشاعة الاستقرار في الأقاليم التي حكموها - وهي الجزيرة والشام - ولم ينالوا الرضى التام من جانب رعاياهم العرب ، وصحيح أن القبائل العربية أعلنت عصيانها على الحمدانيين في كثير من الحالات ، غير أن هذا الأمر - وهو يرتبط بطبيعة أساليب الحكم في العصور الوسطى - لا يمنعنا من القول بأن الأمراء

الحمدانيين كانوا عرباً في حياتهم الخاصة والعامة ، وكانوا أمراء شعر
وحرب وكرم وفروسية ونار وعصية وبذلك مثلوا بالخصال العربية
القبيلة خير تمثيل :

ويربط قيام الدولة الحمدانية أشد الارتباط بحالة الضعف التي حوت
بها الخلافة العباسية في هذا القرن ، فكما أعلن الصغارون والسامانيون
استقلالهم في الأقاليم الشرقية ، وكما قامت الدولتان الاخشيديّة والفاطمية
في الأقاليم الغربية قدّر لقبيلة تغلب وهي صاحبة النفوذ في الجزيرة أن
تتمتع بسيادة فعلية في هذا الاقليم : والحق أن واجب الحمدانيين في
حكم هذه البلاد كان شاقاً عسيراً بسبب وجود عدة قوى ذات بأس
وخطرة : فاذا استثنينا الحوارج السدين طالما انغلخوا الجزيرة حركراً
لنشاطهم والقرامطة الذين ظلوا يثرون هنا وهناك حتى أيام سيف الدولة
نجد هناك قوتين عظيمتين أولاهما للقبائل العربية وثانيتهما للقبائل الكردية ،
وقد سلك الحمدانيون في سبيل إخضاع العرب مسلك الذين تارة وبالطش
تارة أخرى ، ولجسأوا في جذب الأكراد اليهم إلى سياسة حكيمة ،
فصاهروهم وبذلك ارتبطوا معهم برابطة الحقولة ووقرا غل أنفسهم
قلال هذه العناصر القوية :

وسوف نرى إن الحمدانيين أقاموا دولتهم أول الأمر في الموصل
منذ سنة ٢٩٣ . ثم أخذ لاصر الدولة ببسط نفوذه في إقليم الجزيرة وبمحاول
إعلان إستقلاله : غير أنه لم يوفق في توفير عناصر الاستقرار لدولته
فكالت حياته سلسلة من الصراع المرير مع معز الدولة البويهى وحين
توفي الخصمان إستمر الصراع بين خليفتهما أبي تغلب الحمداني وعضد
الدولة البويهى : وكانت النتيجة ان غقد الحمدانيون سيادتهم على الجزيرة
لهائياً : والحق ان إختلاف كلمة أولاد لاصر الدولة وتنازعهم على

السلطة مكاناً من الأسباب التي أدت إلى هيباع سلاطهم سنة ٣٦٩-٩٧٩م
ويجدر بنا أن نشير هنا إلى حقيقة هامة في تاريخ الأسرة الحمدانية هي أن
الحب والألفة كانا أمراً لا درأ بين أفرادها، وسوف نورد بعض الأمثلة
لتصور هذه الحقيقة :

غير أن سقوط الحمدانيين في الموصل لا يعني إختفاءهم من مسرح
التاريخ فقد ظلت دولتهم قائمة في حلب حتى أواخر للقرن الرابع ؛
ذلك أن سيف الدولة - وهو أعظم أمراء الحمدانيين وأجملهم سيرة -
استطاع بقوة عزيمته ومثابرته أن يقطع أغلب يقاع سورية وقيم فيها
إمارة على حساب الأمحيديين . ولم يلبث هذا الأمير الحمداني أن بسط
نفوذه على العراصم والثغور . وبذلك امتدت سلطته من دمشق جنوباً حتى
حدود الروم شمالاً، غير أن هذه الأقاليم الشاسعة أخذت تنقلص وتتكس
في عهد خلفائه حتى إذا ما توفي سعيد الدولة سنة ٣٩٢ هـ استأثر أوّل
بالحكم وبذلك سقطت الدولة الحمدانية في حلب نظرياً ، وإن كالت قد
سقطت عملياً منذ أيام سعد الدولة الذي خضع للفاطمين تارة وللروم
تارة أخرى :

ولكي يتطهر الباحث تاريخ الحمدانيين جيداً يجب عليه أن يدور
في ضوء علاقاتهم الخارجية . ذلك أن البقعة التي ظمت فيها الدولة
أصبحت في النصف الثاني من القرن الرابع ميداناً لاطاع قوتين عظيمتين
هما البيزنطيون والفاطميون :

أما البيزنطيون فالعداء بينهم وبين المسلمين قديم يرجع في أصوله
إلى أيام الخلفاء الراشدين ، وقد ظل المسلمون منذ ذلك الوقت يقومون
بغزواتهم السنوية على الحدود البيزنطية دون انقطاع تقريباً . غير أن سيف
الدولة أضفى على هذه الغزوات الرتبة روحاً جديداً وأخذ على عاتقه

واجب الجهاد دون هوادة فاستطاع أن يوقف - إلى حين - توسع الروم بل استطاع أن يتوغل في بلادهم مراراً . غير أن جهوده انتهت بتفوق عدوه ، ذلك التفوق الذي ظهرت نتائجه في عهد خلفائه ، حتى أصبح الروم أصحاب السيادة في أملاك الدولة الحمدانية وصاروا يهدفون إلى فتح بيت المقدس أي إعلان حرب صليبية . ومما هو جدير بالذكر أن هذه الحرب التي رفعت من ذكر سيف الدولة كانت - في الحق - وبالأعلى العواصم والثغور فقد عطلت الزراعة وعرقلت التجارة وأودت بالسكان وشردهم من ديارهم حتى أصبحت تلك الأقاليم فقراً يباباً ، ومع ذلك فقد لتجت عن هذه الحرب علاقات تجارية ودينية وحضارية بين المسلمين والبيزنطيين وبخاصة في أوقات الهدنة : ومن جهة أخرى فقد كانت هذه الحروب جهاداً قام به سيف الدولة على أحسن الوجوه فتصدى للخطر البيزنطي تصدياً شجاعاً .

أما العلاقات بين الحمدانيين والفاطميين فقد كانت عدائية منذ البداية مع أن الأمرين كانتا تعتنقان المذهب الشيعي : والحق أن الروابط المذهبية لم تكن العنصر الحامم بحال الاطباع السياسية ، بدليل أن البويهيين الشيعة وقفوا في وجه الحمدانيين والفاطميين وكذلك دعا الحمدانيون للخليفة العباسي رغم وجود خلافة شيعية في مصر وهي الخلافة الفاطمية . وقد هدفت الفاطميون منذ البداية إلى التوسع في بلاد الشام باعتبارها الحدود الطبيعية لمصر واتيح لهم بسط نفوذهم في القسم الجنوبي منها فلما لمسوا ضعف الأمراء الحمدانيين وإستئثار الغلمان بالسلطة أخذوا يتدخلون في شؤون سورية الشمالية حتى تم لهم إعلان سيادتهم فيها منذ عهد سعد الدولة الذي خطب لهم وضرب النقود باسمهم .

يلاحظ الباحث في تاريخ الحمدانيين أنه اصطبح بصيغة عسكرية

منذ بدايته حتى لهائته حتى لممكن القول ان الحروب - الداخلية والخارجية - استنزفت جل جهود الأمراء ووقتهم واموالهم ، وهذا أمر طبيعي في عهد كانت فيه القوة هي الفصيل النهائي. غير ان هناك ناحيتي مجد في تأريخ هذه الأمرة هما : اللذان رفعتا من شأنها في نظر التأريخ اولها العناية بالثقافة : لقد كان غير قليل من الأمراء الحمدانيين شعراء مجيدين وكان الشعر والحرب عند سيف الدولة صنوين لا يفرقان ، ومن هنا فتح باب له لكل عالم واديب حتى اجتمعت في عصره نخبة من المع رجال الفكر في التأريخ العربي. غير ان هناك حقيقة هامة يجب الا تغرب عن بالنا هي ان كثيراً من هؤلاء الأدياء كالأول وسيلة دعابة للحمدالين يتغنون بانتصاراتهم ويبررون هزائمهم ويدعون الناس إلى نصرتهم : لذلك كان أغلب أدب هذا العصر ارسقراطياً عاش على موائد الملوك واغفل تصوير الحياة العامة إلا في النادر القابل. ومع ذلك فيكني سيف الدولة فخرأ انه رمى المتنبي وابا فراس وابن خالويه والفارابي •

وثانيها تصديهم الدائب - وبخاصة في عهد سيف الدولة المجيد - للخطر البيزنطي على حدود الدولة العربية بل والتوغل - في كثير من الحالات - داخل املك الدولة البيزنطية وتهديدها في الصميم : وليس ادل على ذلك من كثرة تردد اسم سيف الدولة في ادبيات البيزنطيين في ذلك العصر واعتباره من الشخصيات الشبيهة بالاسطورية ؛

ادى إنشغال الحمدانيين بالحروب الخارجية والمنازعات الداخلية الى نتيجتين سلبيتين خطرتين هما :-

١- انهم احتاجوا الى كثير من المال للاتفاق على حروبهم وجنودهم فلجأوا الى سياسة مالية واقتصادية قاسية وبخاصة في الجزيرة حتى امتلك ناصر الدولة اكثر الاراضي ، واتبع اسلوباً متشدداً في جباية الخراج

وحدا حدوده ابنه ابو الغلب :

٢- انهم اتصرفوا عن اي اصلاح ايجابي فلم يقدموا لرعاياهم خدمات اجتماعية او اقتصادية ، ومع ذلك فقد ادخلوا زراعة القطن الى الجزيرة وعنوا بالحبوب والفلات مما ادر عليهم ارباحاً طائلة :

وإذا انتقلنا الى طبيعة السلالة الحمدانية وجدناها غير ثابتة الاركان وبخاصة في الموصل ، حيث عصفت البويهيون باستقلالها . اما في حلب فكانت اكثر استقراراً وثباتاً بل وأكثر حضارة ولقداً . وقد تمتع سيف الدولة بسيادة فعالة على سورية الشمالية والشغور ، وكان ذا علاقات ودبة مع العباسيين : واتخذ الحمدانيون لأنفسهم وزراء وكتاباً كانوا أشبه بوزراء التنفيذ من حيث انهم خضعوا خضوعاً تاماً للامراء . ومما يحسن ذكره ان جميع الموظفين كانوا كذلك بما فيهم القضاة بدليل ان أبا حصين كان يستولي على ارث من يموت لمصاحبة سيف الدولة . ومما يؤثر إن هذا لم يعين القضاة من الشيعة لانه راعي مذاهب غالبية السكان السنة وهو دليل على سعة أفق هذا الأمير وعزوفه عن التعصب المذهبي الذي تميز به غيره من معاصريه ، غير ان سعد الدولة اتخذ بعض للقضاة من الشيعة لأن الباع هذا المذهب ازداد عددهم بحلب بعد سنة ٣٥١هـ :

إن نظم الدولة الحمدانية كانت نموذجاً مصغراً لنظم الدولة الاسلامية ايام العباسيين لكنها لم تكن والحة المعالم لأن الأمراء قبضوا على جميع السلطات بأيديهم واتبعوا سياسة مرلة لا تجري على قواعد ثابتة ، غير ان الحمدانيين وجهوا عناية خاصة الى الجيش باعتباره الأداة المنفذة لسياساتهم العسكرية : وكان الجيش الحمداني يتكون من عدة عناصر على احرار الجيوش الاسلامية في القرن الرابع فنجده في العرب والترك والبلد وغيرهم : الا ان القضاة لم تكن سائدة بين الجند وبخاصة

في الجهود المتأخرة، وذلك بسبب ضعف الأعماء وإسهاله الخرب مع البيزنطيين، ومن هنا يمكن القول ان الغلمان الذين كونوا نواة الجيش الحمداني أيام سيف الدولة ولاصر الدولة أصبحوا أداة هدامة في جسم الدولة الحمدانية فيما بعد وكانوا من عوامل ضعفها وسقوطها :

هذا موجز حاولت فيه ان ارسم للقاري صورة حاضرة للبحث الذي اضعه بين يديه ، وسوف يتضح لـه مسبقاً انني لم اكرس بحثي لـواحي النشاط السياسي والحربي للدولة الحمدانية في الموصل وحلب فحسب ، بل خصصت فصولاً لدراسة نواحي الحضارة في مجتمع الدولة الحمدانية كذلك ، وفي الوقت نفسه فاني وجهت عناية خاصة الى اله للاقات الخارجية وبخاصة مع البيزنطيين باعتبار ان الحرب الحمدانية - البيزنطية تمثل صفحة خطيرة من صفحات النزاع بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي ، حتى نستطيع اعتبارها تمهيداً للحروب الصليبية باعتبار ان فتح بيت المقدس كان الهدف في هذه وتلك :

وغتماً فاني اود ان اقدم القاري تبريراً لاختياري لهذا البحث الذي كان في الأساس رسالة نلت بها درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي من جامعة القاهرة عام ١٩٥٣ ، ذلك انني اردت يومذاك ان اخار موضوعاً لم يكتب فيه مرجع جامع بالعربية ، وان يكون ضمن نطاق تاريخ العراق الاسلامي ، فاقترح علي اساتذتي ان اختار موضوع الحمدانيين لان ما كتب فيه لم يزد عن بحوث متفرقة يتناول اغلبها حياة سيف الدولة باعتباره اشهر اعمراء الحمدانيين في نظر الشرقيين والغربيين على الاطلاق، في حين ان تاريخ الحمدانيين في الموصل والجزيرة - بصورة اخص - لم ينل كبير اهتمام من المؤرخين ، فلعلني استطيت ان اساهم في احياء ناحية من تاريخ العراق الاسلامي :

التي اذ الشرح هذا البحث (بعد ادخال تعديلات جوهرية فيه) بعد
انصرام كل هذه السنوات ، اود ان اوضح للآاريء بأن ظروفًا خاصة
فوق طاقتي هي التي منعتني من نشره قبل هذا اليوم. وانني إذ افعل الآن
إنما اشعر بنوع من رضى الضمير لاداء مهمة عالمية ارجوا ان تكون ذات
جدوى في وقت نحن احوج ما نكون فيه الى الجهد العلمي
والله ولي التوفيق ؛

في المصادر

استطيع ان اقيم المصادر التي افدت منها في هذا البحث الى طائفتين ، الاولى تشمل المصادر الخاصة بتاريخ الحمدانيين ، والثانية تشمل المصادر التي تبحث في التاريخ العربي الاسلامي على وجه العموم . ولا اريد هنا ان اقدم بحثاً مهبطاً عن جميع الكتب التي افدت منها ، وهي مجموعة ضخمة ، مخطوطة ومنشورة ، قديمة وحديثة ، عربية واجنبية ، وانا سأؤكد على الكتب التي كانت ذات قيمة اساسية بالنسبة لموضوع بحثي ، خاصة وقد زودت القارئ بثبت كامل لقائمة المصادر في آخر الكتاب يمكنه الرجوع اليها إذا شاء ذلك ،

وتمتبر مخطوطة « كتاب اخبار الزمان في تاريخ بني العباس او كتاب الدول المنقطعة » لجمال الدين بن ظافر من اعظم الوثائق في تاريخ الحمدانيين . وقد عاش هذا المؤرخ في مصر ايام الايوبيين وتوفي سنة ٦٢٣هـ . ويتضمن كتابه القيم هذا اخبار الدويلات الاسلامية المستقلة مرتبة على السنين فبدأ بسنة ٣٢٨ وانتهى الى سنة ٥٧٥ . واريخ للدويلات الحمدانية والساجية بالجلال والطواونية والاشيدية والفاطمية بمصر والصنهاجية بالمغرب والأندلس . ويوجد من هذا الكتاب مجلد واحد في دار الكتب المصرية وهو صورة شمسية عن مخطوطة المتحف البريطاني . وما يميز هذا الكتاب انه امدنا بمعلومات جديدة عن الحمدانيين لم ترد في الكتب الاخرى وبخاصة فيما يتعلق بالوزراء والحجاب والقضاة ، فضلاً عن انه أسهب في علاقات الحمدانيين الخارجية وأحوالهم الداخلية .

ولا يقل كتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » ، لكمال الدين بن

القديم (٥٨٨ - ٦٦٠ هـ) قيمة عن كتاب ابن خلدون : وقد اكتشف العلماء الغربيون قيمة هذا الكتاب ، فتصدى له المستشرق فريتاخ ونشر منه فصولاً عدة ، كما قام بترجمة النص العربي إلى اللاتينية وعاق عليه وذلك في سنة ١٨١٥ م ، ثم أخذ يوالي نشر فصول أخرى عنه في السنوات التالية . وقام المستشرق مولر بترجمة القسم الخاص بحدوث الفترة الواقعة بين سنتي ٣٩٤ - ٤٧٢ هـ . أما تحقيق المخطوطة ولشرها كاملة فعمل قام به المؤرخ السوري الدكتور سامي الدهان معتمداً المخطوطة الاصل الموجودة بباريس مع مقابلتها على النسخة الثانية الموجودة في لينغراد وقد أصدر الدكتور الدهان « الزبدة » في ثلاثة اجزاء بين عامي ١٩٥١ - ١٩٦٨ ، فقدم بهذا العمل الجليل خدمة جليلة للتأريخ العربي ، خاصة وقد بذل جهداً فائقاً في اغناء الاصل بالشروح والتعليقات :

كان عصر ابن العديم - أواخر القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع - عصرًا حافلًا بالمؤرخين الثقات أمثال ياقوت الحموي وابن خلكان وابن شداد ، وكلهم كانوا من أصدقاء ابن العديم الذين لازمهم فأفاد منهم وأفادوا منه : ولما كان ابن العديم متصلاً بالوسطاء للرسمية العليا واتيح له ان يختلط بالملوك والوزراء وان يقوم بسفارات سياسية بينهم ، فانه استطاع أن يطلع على بواطن الامور : ومن ثم يعتبر كتابه وثيقة بالغة الاهمية . وفيما يتعلق بالحمدانيين فالباحث لا يستغني عن هذا المرجع وبخاصة فيما يتعلق بوصف حلب وبالفترة الاخيرة من حكم خلفاء سيف الدولة أي فترة استبداد الغلمان والمالِك ، ويعتبر كتاب « العميون والحدائق » الذي استندت من نسخة مصورة لمخطوطته الوثيقة (١) من الكتب ذات الفائدة المحققة وبخاصة فيما

(١) برلين تحت رقم ٩٤٩١ .

يتعلق بالحمدانيين خلال عصر امرة الامراء وبدايات العصر البويهي ،
وهو الجزء الرابع من هذا الكتاب (١) ويختص بكتاب العيون حسن
مسكويه مثلاً في انه اعتمد على الفرغاني ، وقد أورد معلومات طريفة
عن علاقة ناصر الدولة بالمتقي وأمير الامراء بحكم ، وتعرض لنواحي
جديدة في تاريخ الحمدانيين خلال هذه الفترة بالذات .

وقد أفدت من مخطوطة « الاعلاق الخطيرة » في ذكر اسراء للشام
والجزيرة ، لابن شداد (المتوفى سنة ٦٨٤ هـ) وتوجد منها نسخة
شمسية في جامعة الدول العربية . والجديد الذي أتى به هذا المؤرخ هو
وصف لبنه حلب وبيوتها واسوارها وقصورها ومساجدها ومدارسها
ومشاهدها وأحوالها الاقتصادية والبشرية ، أما فيما عدا ذلك فهو تاريخ
عام ليس فيه جديد اللهم الا بعض الحقائق عن حروب سيف الدولة
مع السرمك (٢) ولا يقلل حسن كتاب ابن شداد أهمية
كتاب « الدر المنتخب » في تاريخ مملكة حلب ، فهو من أوثق
المصادر في تاريخ حلب وآثارها ومآثرها وجوامعها ومدارسها وعن
هذين الكتّابين أخذ المؤرخون المحدثون الذين كتبوا على حاب كالغزي
في كتابه « لهر الذهب في تاريخ حلب » والطباخ في « أعلام النبلاء
بتاريخ حلب الشهباء » وغيرهما .

ولعل من خير المصادر عن تاريخ الموصل مخطوطة ابن زكريا

(١) يقتل على الفترة بين ٢٥٦ - ٣٥١ / ٨٦٩ - ٩٦٢ م . ويسعد ان المؤلف

عاش في القرن السابع الهجري . أما المخطوطة فتوجد الى القرن العاشر .

(٢) لم اتي وجدت كتاباً بهذا حلق المؤلف القيم نشر في أجزاء ثلاثة ضمن شعوره المهد

القمي يدمق للدراسات العربية . وقد هي نشر الجزء الاول منه الأستاذ دومينك

سورديل وصدر في سنة ١٩٥٣ . وقام الدكتور سامي الدعان بنشر وتحقيق الجزء

الثاني والثالث . وبذلك قدما خدمة جليلة للقراء العربي . هذا وقد صدر الجزء الثاني

بتأريخ دمشق في سنة ١٩٥٦ والثالث الخامس بلبنان والأردن طبع في سنة ١٩٦٢ .

الازدي «تأريخ الموصل» وهي مرجع قيم في تأريخ الموصل في العصرين الاموي والعباسي وقد أفدت منه فيما يتعلق بأحوال الموصل الاجتماعية والعمالية وخطوطها وقبائلها . ولا يوجد من هذا الكتاب للأسف سوى الجزء الثاني وهو صورة شمسية بدار الكتب المصرية (١) .

ويمكن إعتبار مخطوطة الذهبي « تأريخ الاسلام من المصادر ذات القيمة بالنسبة لبداية الحمدانيين ، وقد رجعت إلى صورة شمسية لهذا الكتاب بمعهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة صورت عن نسخة المكتبة الاحمدية بحلب (٢) أما مخطوطة ركن السدين السدودار المصري (المتوفي سنة ٥٧٢٥هـ) (زبدة الفكرة في تأريخ الهجرة) فلها قيمة خاصة فيما يتعلق ببداية ظهور الحمدانيين وعلاقتهم بالاكراذ والقرامطة ، وقد وجدت لها صورة شمسية بمكتبة جامعة القاهرة عن مخطوطة جامعة اوبسالا ومكتبة جامعة او كسفورد (٣) :

وتجدر الإشارة الى تأريخ الفارقي أو تأريخ ميافاقرين لـ احمد بن الازرق الفارقي (ولد سنة ٥١٠هـ) الذي حققه الدكتور بدوي عوض ونشر في القاهرة في سنة ١٩٥٩ (١٣٧٩هـ) ، وهو ذو أهمية في دراسة الدولة المروانية التي أعقبت الدولة الحمدانية وشغلت جزء من الاقاليم التي كانت تحت سيطرتها . ويعتبر تأريخ ميافاقرين هذا من الكتب الفريدة في بابها ، فقد كتبه ابن الازرق ليكون تأريخاً لمدينة ميافاقرين في عصره (القرن السادس الهجري) محاكياً أمثال الخطيب البغدادي الذي

(١) تحت رقم ٢٤٧٥ غير ان هذا المؤلف القيم صدر مؤخرأ في القاهرة (١٩٦٧) وقام بتحقيقه تحقيقاً علمياً جيداً الدكتور علي حبيب ، مما أتاح لي أن أفيد من العتبات قائدة أشمل .

(٢) تحت رقم ٦٥ / ٥٨٠ .

(٣) تحت رقم ٢٤٠٢٧ .

كتب تأريخ بغداد وتأريخ الموصل للأزدي وغيرهما . ويعتبر الكتاب موسوعة للعصر الذي هاشم فيه المؤلف حيث تحدث عن الامويين والعباسيين وذكر الوزراء وأرباب المناصب والامراء في الشام والعراق والجزيرة وأرمينية وفارس وعن علاقاتها ببعضها وبالخلافة العباسية وبالروم والفاطميين . ولما كانت مدينة مياقارفين من المدن الرئيسة في الدولة الحمدانية فأن الرجوع إلى هذا الكتاب ضروري لمعرفة تأريخ هذه المدينة وتطورها العمراني وولاتها وحكامها وخطوطها .

إن كتاب ابي علي مسكويه (١) « تجارب الامم وتعاقب المم » من أعظم المصادر وأوفاه عن علاقة الحمدانيين بالخلافة في العصر البويهي بصورة خاصة . ذلك ان هذا المؤرخ إشتغل خازناً لعهد الدولة البويهي وكان شاهد عيان فيما أورده عن تأريخ الحمدانيين في الموصل في عهد ناصر الدولة وأبي تغلب : وقد رافق مسكويه عهد الدولة في حملته على الموصل سنة ٣٦٨هـ واشترك بنفسه في أحداث تلك السنة التي شهدت نهاية أبي تغلب الحمداني : والحق إن كتاب مسكويه هذا ذو أهمية بالغة فيما يتعلق باحوال العراق والجزيرة في تلك الحقبة . ويزيد من قيمة المعلومات التي أوردها مسكويه خبرته الشخصية واطلاعه على الوثائق الرسمية من مصادر الاصلية ودقته العلمية الواضحة في سرد المعلومات وحياده التاريخي الذي يثير الإعجاب : وحين يتصدى مسكويه إلى وصف شخصيات عصره ذات النفوذ نجمه غير ميال إلى المبالغة والتفاق بل على العكس فهو يظهر مزاياهم وعيوبهم على حد سواء . مثال ذلك ان مسكويه لا يغالي كغيره من المؤرخين والشعراء - في وصف بطولات

(١) هناك خلاف في اسم هذا المؤرخ فبعضهم يقول أنه مسكويه على حين يسببه البعض الآخر ابن مسكويه ومن هؤلاء بروكلمان ودائرة المعارف الاسلامية .

صيف الدولة، بل إنه لا يتردد في ذكر أخطائه العسكرية التي أدت إلى هزيمته أحياناً في حروبه مع البيزنطيين. وقد أفدت إلى حد كبير من مؤرخين متأخرين عن مسكويه، تماماً بتكملة تأريخه وهما أبو شجاع (المتوفي سنة ٤٨٨هـ) وابن الفلاس (المتوفي ٥٥٥هـ) فالاول يكمل مسكويه ، حتى سنة ٣٨٨هـ في كتابه الذي اعتبره ذبلاً لتجارب الامم ، وهو ذو قيمة بالنسبة لتأريخ الحمدانيين المتأخرين ، على حين يفيض ابن الفلاس في كتابه « ذيل تاريخ دمشق » في موضوع العلاقات بين الحمدانيين المتأخرين ومصر :

والحق ان كتاب محمد بن يحيى الصولي « الاوراق » (١) مصدر ثمر لتأريخ الحمدانيين أثناء توليهم أمرة الامراء أيام الخليفة المتقي (٣٢٩ - ٣٣٣) ومما يزيد في قيمة هذا الكتاب ان مؤلفه كان مؤدباً للخلفيتين المتقي والراضي (٣٢٢ - ٣٢٩) فجاءت كتاباته عن عصرهما مباشرة ودقيقة. فقد كان كتاب « الاوراق » أحد المراجع الاساسية التي لقل منها مسكويه حين وضع كتابه « تجارب الامم » الذي أثمرنا اليه ، ولا تقتصر قيمة الاوراق على الاخيرة - ار العسكرية والسياسية لتلك الفترة المضطربة - بل تعداها الى المعلومات المالية والاقتصادية :

انه لمن نافذة القول الاشارة إلى أهمية الطبري وابن الاثير بالذات في هذا الصدد. فكتاب الطبري « تاريخ الرسول والملوك » الذي وصل به الى سنة ٣٠٢هـ من أعظم المصادر الاولية عن تاريخ الدولة العربية ، ومن ثم فقد أفدت منه ومن صلتها التي كتبها عريب بن سعد القرطبي والتي

(١) توفي الصولي سنة ٣٣٦ هـ (٩٤٧ م) وقد هي بشره الاستاذ هبوت دن من مجلدين في دار الكتب المصرية أولهما قسم أخبار الشعراء وثانيهما « أخبار الرازي بالله والمتقي بالله » هذا ونشر في القاهرة سنة ١٩٣٥ (١٣٥٤ هـ) .

وحصل بها إلى سنة ١٣٢٠/٩٣٧م. فائدة محققة فيما يتعلق بأحوال الخلافة العباسية الداخلية خلال القرن الثالث وبدايات القرن الرابع للهجرة. أما كتاب ابن الأثير الكامل في التاريخ، فبالإضافة إلى كونه مكتملاً لتأريخ الطبري، فإنه ذو قيمة كبيرة جداً في دراسة تاريخ الحمدانيون في الموصل وحلب، وبالنسبة للتكوين الداخلي في الدول العربية الإسلامية كذلك، وتضافت قيمة ابن الأثير بالنسبة لدراسة الفترة الأخيرة من تاريخ الحمدانيين في الموصل وقيام المروائين، وكذلك في موضوع الحروب البيزنطية. ومادامنا بصدد التأريخ العامة فيمكن الإشارة إلى أهمية المسعودي في كتابه العظيم مروج الذهب وابن خلكان وابن خلدون والمهجم المختلفة وكتب الطبقات والموسوعات، وهي جميعاً مما لا يستطيع بلعدي في التأريخ الإسلامي أن يستغني عنها.

أما عن علاقات الحمدانيين بالأنشيسيين والفاطميين فقد أهدت من المراجع الخاصة بتاريخ مصر كتاب: «الولاة والقضاة» للكندي الذي نشره ردة بن جست و: «المغرب في حلي المغرب» لابن سعيد و: «النجوم الزاهرة في أخبار مصر والفاطمية» لإبي الفحاسن و: «المواظ والاعتبار في ذكر الخطوط والآثار» للمفريزي، وجميعها من المصادر القيمة في علاقات الحمدانيين بمصر. ولا بد لي هنا من أن أؤكد على أهمية «النجوم الزاهرة» بصورة خاصة فيما يتعلق بعلاقات الحمدانيين بالفاطميين، ويمكن إخبار كتاب القرماني «أخبار الدول»، وكتاب ابن القسلاحي «ذيل تاريخ دمشق» من المصادر الهامة في هذا الموضوع كذلك.

ولما كتب قد وجهت عناية خاصة لعلاقات الحمدانيين بالبيزنطيين وأسهمت في دراسة الحروب العربية البيزنطية وبخاصة في عهد سيف

الدولة، فقد إحتجت إلى الرجوع إلى عديد من المصادر العربية والأجنبية في هذا الصدد : ومن الكتب القيمة عن حروب الحمدانيين مع الروم تأريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، وهو مؤرخ عربي مسيحي عاش في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، وقد إهتم الغربيون بالتأريخ السدي وضعه فعرفه شلمبرجر اليهم (١) ونقل مدليكيف مقتطفات منه في كتابه عن العرب والروم، ثم أشرك مع كرانسكوفسكي في نشره سنة ١٩٢٤ ضمن مجموعة Patrologia Orientalis. ويقول مؤلفه انه كتبه ليكمل تأريخ سعيد بن البطريق المسمى « كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » الذي إنتهى به إلى سنة ٣٢٦/٩٣٧م. وقد قلد يحيى سعيداً في منهجه وتحدث عن جميع الخلفاء والأمراء بإيجاز ووجه إهتماماً خاصاً إلى البطارق في الشرق ووصل إلى سنة ٣٥٩/٩٦٩م وكتابه هذا عظيم القيمة في حروب العرب والروم، وقد نشر كذلك في بيروت سنة ١٩٠٩م : وإذا إستثنينا مسكويه وابن الأثير وابن العديم - الذين أشرت إليهم - وجميعهم ممن أولى إهتماماً للحروب بين الحمدانيين والبيزنطيين، نجد طائفة من المراجع الأجنبية أنصبت على العلاقات العربية البيزنطية بصورة عامة وعلاقات الحمدانيين بالبيزنطيين بصورة خاصة، وهذه كتبت بالأغريقية أو بالسريانية وأفاد منها الباحثون المعاصرون من اللغة في مجال الدراسات البيزنطية. وفي مقدمه هـ. ثلث الباحثين الكبار يقف قازيليف الحجة الشهيرة في الدراسات البيزنطية، والذي كرس كثيراً من أبحاثه للعلاقات بين العرب والروم، نذكر منها بحثه الدقيق في « تأريخ كامبرج الوسيط »

(١) في كتابه عن الامبراطور البيزنطي نيقفور مؤكاس

Un Empereur Byzantin au disime siecle Nicephore Phocas (Paris 1840).

وكتابه الشهير « العرب والروم » والفصل القيم عن « بزنطة والاسلام »
الذي ظهر بين مجموعة من الدراسات نشرها للمؤرخان نورمان بينز
وموسى نعى بتراث الامبراطوريتا البيزنطية . خاصة وإن المسيرة الأساسية
لغازيليف إنه إطلع على المصادر اليونانية والعربية معاً .

ويمكن أن نذكر من الأبحاث القيمة عن الحروب بين الحمدانيين
والروم البحث الذي وضعه ليونهارت عن نقلوز فوكاس والحمدانيين ،
وبحث شلمبرجر عن لقفوز نفسه . وقد إهتم المؤرخ رونسيان بالحروب
العربية - البيزنطية في كتابه عن الامبراطور ليكابينوس وفي مؤلفاته
الاخرى في مجال التأريخ البيزنطي : ولقد أفدت كذلك فائدة محققة من
مؤلفات بيوري وأومان وفينلي ودبيل وكلهم من المؤرخين الثقاة
في البيزنطيات .

وسيجد قاري هذا الكتاب إن فصولاً وافية كرسنها للجغرافية
الأقاليم التي حكمها الحمدانيون وهي الجزيرة والشام ، ومنطقة العواصم
والثغور التي تنقلت ملكيتها بين العرب والروم بحسب الأحوال : ومن ثم
فقد رجعت إلى المصادر الجغرافية العربية الشهيرة وهي مؤلفات المقدسي
والاصطخري وابن حوقل وابن خردابه وقدامة والهمداني وابن رسته وابن
الفقيه وبالقوت وغيرهم وبالإضافة إلى الباحثين المعاصرين وفي مقدمتهم لسترانج
وتعد هذه الكتب في الوقت نفسه مراجع هامة عن الأحوال الاقتصادية والعمرانية
وتعد المصادر الأدبية - نثر أو شعراً - مصدراً غنياً لتأريخ الحمدانيين
الذين إزدان بلاطهم بباقية زاهية من الادباء والشعراء والمفكرين : لذلك
فقد أفدت كثيراً من شعر الوأواء والصنوبري في وصف الأديرة والرياض
والقرى بحلب ، وكذلك من ديوان السري الرفاء في وصف الموصل
وأسواقها وحماماتها وحاناتها ، في حين كان ديوان كشاجم كبير القيمة

في وصف سفلات الأكل والشراب وآلات الطرب والمعدات الاجتماعية في ذلك العصر : وغشي عن البيان إن دهواني المتنبي وأبي فراس (١) يعتبران مصدرين تأريخين هامين وبخاصة عن حروب سيف الدولة وغزواته في أرض الروم. ولا تقل عن هذه الأهمية بقيمة الثعالب التي تعتبر مصدراً رئيساً عن الحياة الثقافية في عصر الحمدانيين. وعلى ذكر الكتب الأدبية أود أن أشير إلى كتاب التينيسي «جامع التواريخ» أو «نشوار المحاضرة» بإقسامه المخطوطة منه والمطبوعة الذي يقدم صوراً قصصية زاهية تتعلق بحياة ناصر الدولة الأولى وعلاقته بالله أبي الهيثم وأفراد أسرته، والحق أن هذه النصوص أشبه بالخرافات غير أنها تقدم بعض المعلومات الطريفة عن الحمدانيين :

وأجد لزماً علي أن أشير إلى طائفة من المؤرخين المعاصرين الذين قاموا بمجهودات مشكورة في موضوع الحمدانيين، والسذين إننتعت بمجهوداتهم في كتابة هذا البحث . فمن المؤرخين المعاصرين الأجانب الذين هنوا بتأريخ الحمدانيين الأستاذ ماريوس كانار ، الذي تحطت بمجهوداته العلمية الجلدية التاريخ السياسي لهذا العصر . فقام كذلك بجميع لصوص نادرة من جيساة سيف الدولة . وعني أشد العناية بموضوع العلاقات العربية - البيزنطية . ونشر المؤرخ الهندي صلب الدين كتاباً خاصاً بسيف الدولة وعصره ، وتعتبر دراسات سوفاجية بالغة الأهمية في دراسة الحمدانيين في حلب وكذلك كتاب الأستاذ فريتساح الالماني عن الحمدانيين الذي هو بمثابة لنتخابات من ابن العديم :

(١) كانت فائدتي كبيرة جداً من شرح ابن خالويه لديوان أبي فراس ، وقد قام الدكتور سامي الدعان بشره عن مخطوطات عديدة . ونسلاً عن فائدته في سرد بعض الأحداث التاريخية فإنه ذكر أكثر أفراد آل حمدان وقرنهم بأصلهم من باب المدح .

وأخيراً نجد دراسات قيمة لبعض المؤرخين العرب المعاصرين منها كتاب ابن الشحنة « الدر المنتخب في تاريخ حلب » وكتاب الأستاذ سامي الكيالي عن « سيف الدولة وعصر الحمدانيين » والمؤلف القيم عن « خطط الشام » للمؤرخ محمد كرد علي وكتاب الغزي عن حلب والذي أجمعه « نهر الذهب في تاريخ حلب » ، ومؤلف سليمان صائغ الموصلي في « تاريخ الموصل » الذي يعتبر من الكتب القلائل في هذا الباب :

ولا بد لي من أن أشير إلى استفادتي الأكيدة من المعاجم المختلفة وكتب الطبقات والتراجم والأنساب مثل مؤلف البلاذري القيم في « أنساب الأشراف » ، « النباه والأشراف » للمسعودي وكتاب ابن حزم العظيم الأهمية « جوهرة أنساب العرب » ونهاية الآرب للنويري وأصبح الاعشى للقلقشندي ومؤلف البكري « معجم ما استعجم » ومعجم الأستاذ كحالة عن القبائل العربية ، « ووفيات الأعيان » للمؤرخ الحجة ابن خلكان و « معجم البلدان » و « معجم الأدباء » لياقوت الحموي و « أعيان الشيعة » للعلامة ودوائر المعارف المختلفة وبصورة أخص دائرة المعارف الإسلامية ودائرة المعارف البريطانية :

أما بقية المراجع فسيجد الفاري الكرم ثبناً تفصيلياً بها في آخر هذا البحث :

الباب الأول
ظهور الحمدانيين

الفصل الأول

روح العصر

إذا صح ما يقال من أن القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كان قرن النضج الحضاري في مجتمع الدولة العربية الاسلامية ، بحيث غدت بغداد محط أنظار العالم الوسيط ، وانصبت فيها كل جداول العلم والمعرفة وكذلك كل أفانين البلخ والوان الترف ، فإن هذا القرن شهد في الوقت نفسه قمة الصراع الفكري والاجتماعي والسياسي ، كما شهد زعم الحركات المعارضة ذات الاصول المتباينة التي راجت في الواقع منذ النصف الثاني للقرن الثالث .

وإذا أراد الباحث أن يحمل السمات العامة التي حددت روح العصر فإنه يجد ثلاث سمات بارزة - ميزت النصف الثاني من القرن الثالث والقرن الرابع - هي : أولاً ، ضعف السلطة المركزية - أي الخلافة العباسية - وضيق وحدة الدولة الاسلامية ، واستقلال الأطراف استقلالاً واقعياً ، وثانياً ، حدة التمايز الاجتماعي وسوء أحوال الطبقة العامة ، وتكدس الثروة في أيدي طبقة اجتماعية محدودة العدد . وثالثاً ، إنتشار الحركات الثورية والنزعات الاجتماعية والدعابات الدينية المعارضة للسلطة المركزية :

والحق ان هذه السمات لا يمكن أن تبحث بمعزل عن بعضها البعض فهي مترابطة ترابطاً عضوياً وذات تأثير متبادل : ذلك إن سوء أحوال الطبقات العامة أدى إلى إذكاء الحركات المعارضة ، التي وجد قادتها في هذا التمايز الاجتماعي الحاد غذاء يذكي طموح الجماهير المعتمدة ويدفعها إلى الارتقاء في أحضان أية دعوة سياسية أو إجتماعية أو دينية تدعو إلى تغيير

الأوضاع بوقد زاد في أقاليم العامة على هذه الحركات - مهما كانت دوافع قادتها - إليها تبنت الدعوة الدينية كسبيل إلى تنفيذ برامجها السياسية أو الاجتماعية : إن هذه الحركات التي امتلأت بأخبارها. مراجع القرين الثالث والرابع للهجرة ، وجدت في ضعف السلطة المركزية عاملاً مشجعاً أدى إلى دفع الكثيرين من الخارجيين والطامعين والشائرين - الذين كسبوا الأنصار بسهولة - إلى تهديد الخلافة في عقر دارها ، فضلاً عن تصديهم إلى إقطاع الأجزاء البعيدة من جسم الدولة ، حيث كانت رقابة السلطة المركزية تراخي شيئاً فشيئاً على مر الأيام ، وبذلك استحقوا لقب « المتغلبين » الذي أضفته عليهم مراجع ذلك العصر .

غير أن ضعف السلطة المركزية وإن كان أحد الأسباب في تمادي الحركات الانفصالية أو الانفصالية أو الاجتماعية ، إلا أنه يمكن أن ينظر إليه على أنه نتيجة لتزايد هذه الحركات وإنتشارها . فقد زاد في ضعف السلطة المركزية أنها اضطرت إلى الاحتفاظ بميوش ضخمة من المرتزقة تطلبت مزاية هائلة للصرف على أرزاق الجنود وتوفير سلاحهم وأقواتهم ودوابهم . ولما كان الخارجيون على الخسارة يعتمدون على أعوان يحملونهم من بين الفلاحين بالدرجة الأولى ، فإن النتيجة الحتمية التي تترتب على ذلك هي نقصان المطرد في الأيدي العاملة والمنتجة ، مما أدى بدوره إلى شلل في الزراعة ، وبالتالي إلى نقص في موارد الدولة ، بحيث انعكس الأمر على مراكز الخلفاء المتأخرين بالذات : كما أن مطالبة الجنود وقادتهم بالدرجة الأولى - بأرزاقهم ، وبزيادة هذه الأرزاق كلما تأزم موقف الخلافة واحتاجت إلى خدماتهم ، أظهر الخليفة بمظهر عاجز عن تلبية هذه الطلبات ، مما أدى بدوره إلى تمرد الجنود ، وبالتالي إلى هزل الخليفة والتفكيك به ، وقد اضطر

الحلفاء الضعفاء في سبيل المحافظة على سلطانهم بل وعلى سلامتهم ، إلى اتباع سياسة مالية واقتصادية استنزفت كل مدخرات بيت المال وافقرت للزراع والتجار والصناع بله للفلاحين: فإذا ما وصل إلى الحكم خليفة ذو مزايا ورغبة في الإصلاح ومقاومة فساد القادة العسكريين من الأتراك والديلم ، تألب عليه ذوو المصالح المباصرة في بقاء الفساد وتخلصوا منه بشكل أو بآخر :

ومن جهة أخرى ، فإن كثرة الثورات والحركات الانفصالية وتعدد الفتن أدباً إلى إخلال الأمن وضياح الاستقرار في أرجاء الدولة ، فبجانب التأثيرين ذوي الاهداف المخلصة ظهرت فئات اجتماعية كالت وليدة هذه الأوضاع الشاذة ، منها فئة مارست العنف بل والسطو والسرقة ، وأخرى اتخذت الحيلة إسلوباً لها ، وثالثة رمت لنفسها في احضان السلطة تخدعها وتتملق لها وتعيش على موائدها ، ورابعة آثرت التمرد على كل المواضعات السائدة فتشكرت للقيم والتقاليد والأفكار المحاطة بها من القدسية والاحترام ، وخامسة انسحبت من المجتمع مؤثرة السلامة والبحث عن لقاة الروح ، فاحتجبت سلبياً على الفساد المستشري وراحت تعبر عن نفسها بطريق صوفي.

إن ظاهرة ضعف السلطة المركزية لا تنفصل عن ظاهرة تجزؤ الدولة واستقلال الأطراف ، كما ان هاتين الظاهرتين ترتبطان بظاهرة تزايد الثورات والحركات الاجتماعية وحدة الصراع الفكري والاجتماعي . ويبدو للباحث ان هذه الظواهر كانت نتائج حتمية منسجمة مع طبيعة الأحوال وتطور المجتمع الاسلامي : إن نمو الحركة الفكرية ، وامتزاج الثقافات العالمية القديمة ، وتطور اقتصاد الدولة الذي تحول إلى الزراعة للواسعة القائمة على الانقطاع واستغلال الرقيق وأشباه الرقيق من الفلاحين ، وتركز الاراضي بيد فئة محدودة من القادة العسكريين والتجار الاغنياء

والموظفين الكبار ، والتشعار الدعاية الاجتماعية والدينية ، كل ذلك كان لابد أن يؤدي الى النتائج المتوقعة . فكيف بظل أي مجتمع ساكناً جامداً وهو يشهد كل هذه التحولات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ؟ إن كون الخليفة يتمتع بصفة من القدسية حفظت للخلافة عمراً أطول ، لم يكن كافياً لتفادي انفجار الثورات والحركات الانفصالية التي شهدتها العصر .

والحق ان ظاهرة التجزؤ تبدو طبيعية ولا تثير استغراب المؤرخ العصري ، وهي ليست ظاهرة خاصة بالدولة العربية - الإسلامية ، بل هي لصيقة بكل الدول الكبرى القديمة والحديثة والتي تضم أقاليم واسعة شاسعة متباعدة وشعوباً وقوميات وثقافات متباينة . صحيح ان الاسلام كان رابطة قوية وحدت بين جميع الأقوام التي اعتنقته وعاشت في ظل دولته ، وحلت محل أية رابطة أخرى قبلية أو عنصرية ، الا ان هذا الأمر يصح بالنسبة للعصور الإسلامية الأولى ولا يمكن ان ينطبق على العصور المتأخرة . ولا نريد هنا أن نخوض في التفاصيل ، بل تكفي الإشارة إلى ان تحول الخلافة إلى ملك موروث ، واتباع سياسة مالية واجتماعية ميزت بين الرعية ، وسوء تصرف كثير من الولاة والموظفين الاداريين وجباة الضرائب في الأقاليم ، وبقاء الاتجاهات والنزعات القديمة - دينية وعنصرية - في صلب المجتمعات القديمة التي دأب للإسلام نتيجة الفتح ، وظهور الحركات ذات الاصول المتباينة في اطراف الدولة مستغلة فقدان أمل الكثيرين بالعدالة الاجتماعية ، كل ذلك وجه ضربة ماحقة الى وحدة الدولة الإسلامية والى تصدعها بل وتجزئتها .

وأود هنا أن أورد على ما يقوله كثير من الباحثين ، من ان كثرة الثورات وعدم الاستقرار في العصور العباسية المتأخرة ، انما كان سببه

لمنعك الخلقاء: لهذا العامل وحده لا يشخص الأسباب الأساسية التي
تفسر هذه الظاهرة: لقد استطاع أبو جعفر المنصور مثلا ان يجمع جراح
حوكاته المعارضة ويقضي على الحركات الخطيرة التي شهدتها حكمه ،
إلا ان ثوقا رادته وعزمه لراسخ وزهده في الترف لا تفسر وحدها نجاحه ،
كما انه يقيض صفات المنصور وهي ضعف الارادة والانهماك في الترف لا
تفسر وحدها كذلك تغاير الثورات والحركات الاستقلالية والانفصالية في
عهود الخلفاء المتأخرين. إننا يجب ان نبحث عن الأسباب الأساسية فيما
اصاب المجتمع من تحولات اقتصادية واجتماعية وفكرية اخذت تتبلور حتى
أسفرت عن النتائج التي اشرنا اليها :

ويجب علينا هنا ان نؤكد أمراً هاماً ذا علاقة وطيدة بظاهرة تجزؤ
الدولة ، وهو ان الأقاليم التي ضمت الى الدولة الاسلامية عن طريق
الفتوح السريعة ، لم يتوفر لها الوقت الكافي للدخول في وحدة
عضوية مع مركز الدولة . ان حركة الفتوح السريعة وان غيرت شكل
الارتباط السياسي ، إلا انها لم تكن كافية لتغيير النظام الاجتماعي
والعلاقات بين الطبقات في تلك المجتمعات تغييراً أساسياً : وقد عرقل
الوصول إلى هذا الهدف ، إن الأساليب التي اتبعها السلاطنة والموظفون
الماليون - بعد إنقضاء عصر الخلفاء العاديين والاقوياء - أثارت ردود
فعل سببه لدى أهالي تلك الاقاليم ، الذين كانوا يطمحون إلى العدالة
الاجتماعية التي وجدوها في تعاليم الاسلام وحرص على تحقيقها الخلفاء
الاول : فقد لجأ كثير من الولاة الى استنزاف أكثر ما يمكن استنزافه من
المال من الولايات التي انيطت بهم ، بل اعتبرها بعضهم على انها ملك
شخصي يجب أن يدر عليهم المال والنشب مستعينين بحاشية من الموظفين
والاداريين والماليين أكثر جشعاً : وما دام الخليفة بعيداً عنهم ، ووسائل

الردج كادت أن تكون معدومة لإنشغال الخليفة بشؤله الخاصة وبمشاكل العاصمة وما حولها ، وخفض أخطار الجند المرتقة من الأتراك والدبلماء ، فقد خلا الجو تماماً لكل طماع طامح أو كلت إليه أدلة إقليس من تلك الأقاليم :

يضاف إلى كل ذلك أن المجتمع في الأقاليم التي ورثتها الدولة الإسلامية من الزوج والفرس ، كان مجتمعاً طبقياً وإن أدى دخول الإسلام عليه إلى تخفيف الفوارق الطبقية . وقد ظهر فيما بعد - أي في العصر الأموي - تمايز جديد هو إقامة فروق بين العرب والموالي كان نتيجتها ظهور حركات المعارضة التي اتسمت بطابع العنف ونبى أفكار وعقائد قديمة والتي كان ميدانها الأقاليم الشرقية من بلدان الخلافة . كما أن تعدد الاجناس والعناصر ضمن اقاليم الدولة الإسلامية ، والتي لم تندمج بعضها اندماجاً كلياً ، تحول - فيما بعد - إلى عامل لعب دوره في ذر قرن الخصومة والشحناء . ذلك أن هذه الفروقات اعتقت أول الأمر تحت تأثير العقيدة الدينية ، أما حين تقسّم للزم من فقد نشأت مصيبيات بين الاجناس والاوزان والعناصر تردد صداها في أدبيات القرنين الثالث والرابع . فقد ألف الجاحظ رسالة للمفاخلة بين الأبيض والسود وأخبرى في الرد على النصارى (١) وفي فترة استبداد الأتراك في النصف الثاني من القرن الثالث والثالث الأول من القرن الرابع ، اشتدت كراهية الناس لهم (٢) وخاصة حين عزق - ل شغبهم المستمر أسلوب الحياة المعتاد للناس وأثر على معيشتهم . وحين استبد الدبلم بالامور على عهد البويهيين (٣٣٤ - ٤٤٧ / ٩٤٥ - ١٠٥٥ م)

(١) مجموعة رسائل الجاحظ . مصر .

(٢) انظر ابن الأثير ٧ ص ١٣٩ . مصر .

ضاق الناس بهم ذرعاً^(١) وثار أهل الموصل على الديلم والأتراك^(٢) كما
نجد الناس ولا تقنع إلا بقتل الديلم^(٣) ومن جهة أخرى يشند العلماء
وتحتدم الصراعات العنيفة الدامية بين الأتراك الذين فقدوا مركزهم
وبين الديلم الذين احتلوا هذا المركز^(٤) :

ومن جهة أخرى انقسم الناس في عاصمة الدولة نفسها الى طبقتين
اثنتين ، طبقة عليا تركز في أيديها المال والجاه والنفوذ ، وأخرى - وهي
الغالبية الساحقة - طبقة فقيرة تسعى سعياً دائماً لا هوادة فيه من أجل لقمة
العيش ، فتظل تحيا على الكفاف : وبين هاتين الطبقتين فئات أخرى
عاشت على افضال الطبقة العليا فاحترفت الوظائف او العمل الترفيهي
أو الادبي . ويروي في هذا الصدد عن الفضل بن يحيى البرمكي^(٥) انه
قسم الناس في المجتمع العباسي الى أربع طبقات ، « الاولى : ملوك
قدمهم الاستحقاق ، والثانية : وزراء فضاهم الفطنة والرأي ، والثالثة :
عليه انهمهم اليسار ، والرابعة : أوساط الحقهم بهم التأدب : والناس
بعدهم زبد جفاء وسبل غثاء ، لكع لكاع وربيطة اقضاع ، هم احدهم
طعمه ونومه » . وهذا الوزير المترف يرى في العامة رأي طبقة فيهم ،
وانظر الى ما يقوله وزير آخر هو المؤرخ ابو شجاع^(٦) « لا يستظرف
من الفوضى تنافس الاهواء ولا يستنكر للاراع اختلاف الطباع . وهم
أجراً إلحاق اذا طعموا واختبهم اذا قمعوا » . واليك ما يقوله المثل الشائع

(١) أبو شجاع ، ذيل تجارب الامم ص ١٧٥ .

(٢) نفس المصدر والمكان .

(٣) انظر مثلاً مسكويه ، تجارب الامم ج ٢ ص ١٠٠ .

(٤) ابن الفقيه . مختصر كتاب البلدان (ابدع) ص ١ .

(٥) ذيل تجارب الامم ص ١٧٨ .

يؤكد في العبيد : « ان العبد اذا جاع نام واذا شبع زنى (١) » وهذه الأقوال جميعاً لما تعبر أوضح تعبير عن وجهة نظر الارستقراطية في العامة من جهة، وهي نظرة قائمة على الاحتقار والأزدراء ، وعن الحقد على ابناء هذه الطبقة والدعوة الى اضطهادها بل وتجويعها لأسكات صورتها وابعاد خطر تحرر كانها وثوراتها .

ومن تلك الفئات التي عاشت على موائد الطبقة العليا القصاصون والشعراء وكتبة الرسائل والمتجمعون ، وهم يمثلون من الناحية الاجتماعية انتقالاً بين الطبقة العامة والطبقة العليا ، فمن هؤلاء من كان يعيش وفق الصدف ومنهم من كان يسعده الحظ فيصل بقبلياته الى أوساط البلاط قصور السادة ، ومنهم من كان يعيش منبوذاً مطروداً من المجتمع . كما نجد في قعر السلم الاجتماعي - فوق العبيد وانصاف العبيد - الخوافة والشحاذين وطوائف المشردين والمحتالين والظرفاء من طوائف بني ساسان (٢) :

ونحن نعث في بطون المراجع على فئات اجتماعية منبوذة أخرى رى أسلفت القول انها خرجت على العرف السائد ، ومارست - في سبيل العيش - أسلوباً مستنكراً كالعيارين والشطار الذين يقول ابن الاثير (٣) في حوادث سنة ٣١٥ انهم عاثوا في العاصمة فساداً واكثروا فيها النهب والسلب . ونسمع في سنة ٣٣١ عن لص كبير ببغداد يدعى ابن حمدي يترأس عصابة كبيرة احترفت انتهاب اموال اغنياء بغداد . وقد هجرت الخلافة عن كسر شوكتها ، حتى ان أمير الامراء ابن شيرزاد اتفق معه

(١) آدم متر ، الحضارة الاسلامية ص ٢٧٨ .

(٢) يمكن الرجوع الى مقامات الهمداني وديع الرومان بهذا الصدد .

(٣) ٨ ص ١٧٣ (دار صادر)

هل ان يظل يجبي الأناوات ويؤدي مبلغاً معيناً له . ويبدو ان ابن حمدي ارهب وجهاء البغداديين فهجروا بيوتهم وطلبوا من يستأجرها بالمجان ، واغلقت عدة حمامات وتعطلت اسواق ومساجد (١) . وهو امر يدل في الوقت نفسه على اضطراب حبل الأمن وانعدام الاستقرار في تلك الفترة : ونسح كذلك عن جماعة « العسرة » الذين يردد الطبري (٢) ذكرهم ، ويورد بيتاً من الشعر يصف فيه عمرو الوراق وضعهم الاجنهي :

عريان ليس بلدي قميص يغدو على طلب القميص

كذلك بشير الطبري (٣) في مواضع شتى الى « الغوغاء » و « العسرة » و « السفلة » و « العيارين » واستمع الى ما يقوله ابن الاثير (٤) عن فئات ضريبة من العامة يردد ذكرهم في حوادث الفتنة ببغداد في سنة ٣٦١ هـ . وتحزب الناس وظهر العيارون . وأظهروا الفساد وأخذوا أموال الناس وكثر بين العامة الذين نفروا للخرقة ضد الروم فئات من أصناف البشوية والفتيان والسنية والشيعة والعيارين ، والمهم هنا ان مؤرخينا القدامى وصموا هذه الفئات من العامة بالافساد دون النظر الى دوافعهم . فن الواضح ان « الغوغاء » و « العيارين » وغيرهم انما كان يحركهم الجوع ، كما ان فتنة ٣٦١ المماثلة احتجاجاً على اعمال الجهاد ضد الروم وتعرض حدود الدولة الاسلامية (دار الإسلام) لخطر الغزو الاجنبي :

غير ان المؤرخ الحاذق مسكويه ينصرف الى دراسة النتائج الاجتماعية التي ترتبت على الكساد الاقتصادي الذي ساد أثر دخول البويهيين ببغداد

(١) كتاب الميون ورقة ٢٠٧ أ . كذلك آدم متر نقلا عن المنتظم ص ٧٢ أ

(٢) ص ٦٦ - ٦٨ ، (مطبعة الاستقامة)

(٣) نفس المرجع ص ٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .. الخ (الاستقامة)

(٤) ص ٨٦ - ٦٩ - ٢٠ (دار صادر - بيروت)

سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م فيقول وفي هذه السنة افترط الغلاء حتى عدم الناس الخبز البتة واكل الناس الموتى والحشيش والمبنة والجيف. وكانت الدابة اذا راثت اجتمع على الروث جماعة ففئشوه ولقطوا ما يجدون فيه من شعير واكلوه وكان الرجل والمرأة والصبي يقف على ظهر الطريق وهو تالف ضراً فيصبح الجوع ! الجوع ! الى ان يسقط ويموت : وكان الانسان اذا وجد البشير من الخبز ستره تحت ثيابه : وخرج الضعفى الى البصرة خروجه مفرطاً متابعين لاكل التمر فتلف اكثرهم في الطريق ، ومن وصل منهم مات بعد مديدة : : وكانت الدور والعقارات تباع برغفان واخذ الدلال بحق دلالتيه بعض ذلك الخبز : : وصل الرغم من الصفة الاسطورية والمبالغة الواضحة في هذه الاقوال فهي تدل على سوء الاحوال العامة التي نتجت عن الفوضى السياسية والعسكرية التي شهدتها ذلك العصر .

فهذه النتائج كانت حتمية ولا مفر منها اذا عرف القاري* مقدماتها ، ان قراءة النصوص الكثيرة حول النصف الثاني من القرن الثالث والثلث الاول من القرن الرابع تجيز لنا ان نسمي هذا العصر بعصر الجند الاجال المرتزقة او عصر نفوذ المماليك والغلمان . ان هؤلاء المرتزقة لم يخدموا هدفاً او عقيدة ولا نظاماً معيناً ، انما منحروا ولاءهم الى من كان يدفع لهم اجراً اعلى وارزاقاً اكثر تسربت الى جيوب قادتهم بالدرجة الاولى : وقد لحقت كل فئة من هؤلاء الجند المماليك بسيد لها تسمت باسمه ، ثم ما لبثت ان تحولت فيما بعد الى فئات ذات اثر كبير في الحركات السياسية والعسكرية منذ مقتل التوكل في سنة (٥٢٤٧ / ١٠٦١م) ومن هذه الفئات العسكرية على سبيل المثال لا الحصر (البايقية) نسبة الى بليق (١) والهارولية والمؤنسية (٢) وغلان ام المقندر والحجرية

(١) وترد البليقية نسبة الى بليق * سكبويه ١٠ ص ٢٦٠ .

(٢) نسبة الى مؤنسى الخادم . وسعد ذكره كثيراً .

والساجية (١) وغيرهم . وكانت هذه الفرق العسكرية من الترك والديلم والفرس والمغاربة والسودان وغيرهم دائمي الشكوى من تأخر أرزاقهم ، واختبار تمرداتهم وشغبهم متواترة ومتشابهة تتكرر في جميع مراجع ذلك العصر . وقد لجأ المسؤولون في حالات افلاس الخزينة الى اساليب ملتوية وغير شرعية لدفع أرزاق هؤلاء الجند دنعا لخطرهم وشرهم ، فلجأ الوزراء الى المطالبة مياسر التجار بأموال يعجلواها ، ويكتب لهم بها سلاطج ، وهذا ما يمكن ان يطاق عليه حسب المصطلح المصري القرض الداخلي . فاذا اختفى التجار خوفاً من استنزاف اموالهم الذي لم يقف عنده حد ، لجأت السلطة الى ايقاع العقوبات بهم بل لجأت عند تأزم الاحوال الى مصادرة الوزراء انفسهم ، فصور أبو عبدالله بن عبدوس وعلي بن عيسى واخوه وعلي بن محمد البريدي وعلي بن الفرت ومحمد الخاقاني وحامد بن عباس وابن مقالة ، بل صودر اغلب الوزراء على يد من يخلفهم في الوزارة (٢) والحق ان اغلب هؤلاء الوزراء انما جمعوا بدورهم ثرواتهم بطرق غير مشروعة وباغ بعضهم قبة الثراء :

ان دراسة الوضع الاقتصادي يفسر لنا كثيراً من الاحداث التي ملأت القرنين الثالث والرابع ، كما يفسر حدة الصراع الفكري وانتشارا ركبات ذات الاصول المتباينة وذات المضمون الاجتماعي . ففي هذا العصر نشأ الاقطاع والملكية الواسعة للأراضي الزراعية . وراضي الاقطاع هي التي اقطعها السلطان لشخص ما فتصير له رقبتهما اي تصبح ملكاً له (٣) . وقد

(١) فرق عسكرية من المرتقة نسبت الى القواد مساعدة وينسب الساجية الى يوسف ابن ابي

الساج والي اذربيجان والرمينية في عهد المقتدر « ابن الاثير ج ٨ ص ٩٨ » .

(٢) انظر بهذا الصدد مسكويه ٢٠ في مواضع مختلفة وكذلك الصولي . الاوراق في مواضع مختلفة .

(٣) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ص ٤٠ .

تعددت أنواع الإقطاع فكان هناك إقطاع التملك وهو ما يملكه صاحبه ويورثه ، واقطاع الاستغلال وهو ما يقابل الاقطاعات العسكرية (١) كما منح كبار الموظفين أراضي واسعة بمثابة إقطاع ، فأدى هذا وبخاصة إقطاع التملك إلى نشوء أراضي الملك (٢) . وكانت هناك أراضي بور موات أراد الخلفاء إحياءها فمنحوها إلى الاغنياء الذين إستغلوها لمصلحتهم وجلبوا لها رقيق الأرض ، ولعل خير مثل على ذلك الأراضي المحيطة بالبصرة (٣) .

ويعتبر الخليفة وكبار الموظفين والقواد العسكريين أهم كبار ملاك الأراضي ، لأن صغار الملاك كانوا يلبثون أراضيهم البهم . وبجانب هؤلاء نجد كبار التجار الذين جمعوا ثروات طائلة عن طريق جلب البضائع النادرة وأدوات الترف لتلبية حاجة قصور الخلفاء والأمراء ، حتى بلغت ثروة ابن الجصاص - وهو تاجر عاش في القرن الثالث - عدة ملايين (٤) وامتلك تاجر بصري آخر عشرين مليون دينار (٥) فلذا التفننا إلى غالبية الناس وجدناهم - كما أسلفنا - يمثلون الطبقة العامة ما بين صانع وفلاح وعاطل عن العمل . إلا أن أسوأ أنواع الإقطاع التي شهدتها القرن الرابع هو الإقطاع العسكري . فبعد أن فتح معز الدولة البويهبي بغداد (في سنة ٣٢٤/٩٤٥ م) منح الإقطاعات إلى كبار جنده ليسكنهم ويرضيهم (٦) اكنهم تمسكوا بها حين أخذت تدر عليهم

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية ص ١٨٩ .

(٢) نفس المصدر ص ١٨٩ - ١٨٧ .

(٣) الاسطرني ، سالك المسالك ص ٨٠ .

(٤) سكويه ص ٣٠ .

(٥) جرمي زيدان ، تاريخ التسدين الاسلامي ص ٤٢ .

(٦) سكويه ص ٩٧ .

الأرباح الطائلة ، فإذا وجدوا أن الأرض لا تعود عليهم بآرباح مجزية ردوها فعوضوا عنها بغيرها أحسن منها . وكانت النتيجة الواضحة أن الأراضي المعادة تركت مخربة مهملّة (١) . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى وقع العبء على كاهل الفلاحين ، فأنت عابهم الجوائح وورقت أحوالهم ، فمن بين هارب حال وبين مظلوم صابر لا ينصف ، وبين مستريح إلى تسليم ضيعته إلى المقطع ليأمن شره ويوافق (٢) .

إن العصر الذي ظهر فيه الحمدانيون على مسرح الأحداث هو نهاية القرن الثالث على نحو ما سنرى . وقد مكنت الأوضاع العامة التي أشرنا إليها الحمدانيين وغير الحمدانيين من الأفراد والأسر من ذوي الطموح والثروة والجرأة أن يظهروا بقوة على مسرح التاريخ ليلعبوا دورهم ويفرضوا إرادتهم . وقد رأينا أن المجتمع الإسلامي قد شهد تحولات كبرى سياسية واجتماعية وفكرية واقتصادية . وهذه التحولات - كما أسلفت - ليست ظواهر غريبة وهي ليست مقصورة على مجتمع الدولة العربية الإسلامية ، وإنما هي نتيجة حتمية لتوسع الدولة الهائل وكثرة شعوبها واجناسها وتباين ثقافات وحضاراتها ، وقد شهد العصر العباسي حركات دينية اجتماعية فلسفية سياسية معاً هدّدت كيان الدولة في العصر فحركات الخوارج والقرامطة وغيرها إنما كانت مظاهر لحركة واحدة تمثل الضيق الاجتماعي والأهداف الاجتماعية في ذلك العصر . إن التبدل الذي طرأ على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية أدى إلى قيام كثير من الثورات والفتن في القرنين الثالث والرابع نجد جذورها في القرن الثاني .

(١) نفس المصدر ج ٢ ص ٩٧ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٩٧ .

ان ظهور الثائرين ومؤسسي الدويلات المستقلة والمتمردين على
الخلافة في المشرق والمغرب - بل وفي مركز الدولة كذلك - نجد تفسيره
في التحولات الكبرى التي طرأت على المجتمع الاسلامي والتي المينا الى
خطوطها العريضة . وثمة ملاحظة أخيرة ان هذه المقدمات وحدها هي
التي تنبئ اننا المضي في دراسة التاريخ السياسي للخلافة العباسية
وللمحمدانيين بالذات الذين كانت دولتهم وليدة هذه الظروف .

الفصل الثاني

نسب الحمدانيين

ينتسب الحمدانيون إلى جددهم أبي العباس حمدان بن حمدون وبه تسموا ، وهو أقدم فرد في هذه الأسرة له دور في التاريخ ، فكان الأسرة الحمدانية تبدأ به ، أما من قبله فمغمورون لا نعرف عنهم سوى أسمائهم وبعض قصص الفخار التي ردها ابو فراس في شعره (١) .

و حمدان هذا هو ابن حمدون بن الحارث بن لقمان بن راشد بن المثنى بن رافع بن غطفان بن محربة بن حارثة بن مالك بن عبيد بن عدي بن اسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب (٢) ؛ أما المسعودي فيخالف قليلا سلسلة النسب هذه فيقول (٣) : إنه حمدان بن الحارث بن منصور بن لقمان ، ثم يعود فيفق مع ابن خللكان وغيره في تنمة نسب الحمدانيين . وقد اشارت بعض نسخ ديوان ابي فراس (٤) التي رواها ابن خالويه إلى ان جد الحمدانيين هو احمد بن حمدون ، غير ان اكثرها ذكرته بإسم حمدان . وقد اشار العاملي (٥) إلى نسخة خطية

(١) الديوان - تحقيق الدمان - ص ١٠٩ .

نوله : أما الحارث المختار من نسل حارث إذا لم يند في القوم الا الاخير .. الخ . يقول ابن خالويه - الديوان ص ١٢٤ : أراد حمده الأدنى الحارث بن لقمان بن راشد .. فأتى أصله بين قبيلة بني تغلب وروى قلاصم من ماله وكانوا ستة قتيل .

٢٥ . ابن خللكان - وفيات الاعيان ج ١ ص ١٧٥ .

٣٥ . مروج الذهب ج ٨ ص ١١٧ : طبعة باريس] .

٤٥ . نسخة برلين (مكتبة العاصمة) رقم ٧٥٨٠ .

٥٥ . اعيان الغيبة - ٢٨ ص ٨٧ .

للديوان في حوزته خلق على هامشها نقلا عن ابن خالويه في شرح قول
ابن فراس : وكان له جد من القوم مائر (١) بما يلي : كان جده ابو
العباس احمد بن حمدون أمار (٢) المعتضد وحاشيته وقت إصعاده إلى
حرب الطولونية . ولقد حدث عن أبي العباس حمدان بن حمدون قال :
فكان احمد وحمدان اسمان لمسمى واحد هو جد الحمدانيين اللاحقين ،
خاصة وقد أشار سعيد بن حمدان والد أبي فراس الى ابيه بقوله .

أنا سعيد وأبي أحمد

بالسيف ضري وبه أنفع (٣)

والحق ان الاسرة الحمدانية نسبت الى حمدان وبه عرفت واشتهرت ،
ولم تنسب الى احمد وفي هذا لإجماع المؤرخين . بل ان ابا فراس نفسه
يذكر جده بإسم حمدان فيقول :

حمدان جدي خير من وطى* الثرى

وأبي سعيد في المكارم احمد

وقوله :

فما أنا من حمدان في الشرف الذي

له منزل بين السماكين طالع (٤)

وبنو حمدان حسب أغلب الروايات وأرجحها - بطن من بني
تغلب بن وائل العرب العدنانية ، وقد شد عن هذا الرأي
الهمداني (٥) فاعتبر بني حمدان موالى لبني تغلب . ويقول

١ . في نسبه الرائدة الشهيرة يقول :

أبى التيجان مار الناس حولا جرماً وكان له جد من القوم مائر

(٢) مار وأمار من المدة أي إنه زودهم بالأنعام .

(٣) أحيان القيمة ٢٨ ص ٨٧ .

٤ . الديون ص ٨٨ و ١٨٢ .

٥ . فلسفة جزيرة العرب ص ١٢٢ .

ابن خلدون (١) ان ابن حزم لم يذكر بني حمدان في كتاب الجهمرة واعتبرهم موالى بني أسد غير أني رجعت الى الجهمرة فلم أجد أية إشارة الى هذا الموضوع ، ومن جهة أخرى لم أجد أية إشارة الى بني حمدان علما بأن هذا المرجع يعتبر فذاً في بابهِ ويكاد يأتي بكل شاردة وواردة من انساب العرب . الا ان علم اراد الحمدانيون في بطون تغلب من جانب ابن حزم لا يقف دليلاً على نكران نسبتهم الى تغلب الربيعية . (٢) ويقول ابن خلدون . (٣) عند كلامه على موقف بني تغلب من الفتوحات الإسلامية ايام الخليفة عمر بن الخطاب في العراق - كما سترى فيما بعد - انه اشتهرت ثلاثة بيوت من تغلب في العهد الإسلامي هم : آل عمر بن الخطاب العدوي وآل هرون الممّر وآل حمدان بن خلدون بن الحارث بن لقمان بن أسد . وهكذا نرى ان ابن خلدون يختلف هنا مع النسابة الآخرين فيجعل اسداً أباً للقمان بدل راشد ويستطرذ قائلاً أن هذه البيوت لم يذكرها ابن حزم في الجهمرة . (٤) وهو امر صحيح ويقول : « وقفت على حاشية في هذا الموضع من كتابه - أي الجهمرة - فيها ذكر هؤلاء الثلاثة كالاستلحاق عليه . وقال في بني حمدان : وقبل انهم موالى بني أسد . ثم قال آخر الحاشية انه من خط المصنف يعني ابن حزم ويتضح ان هذا الهامش اضافته شخص وقعت بيده المخطوطة ؛ ان لابن خلدون رأياً واضحاً في موضوع الانساب يستحق الاهتمام فهو يقول : « ان بعضاً من الأنساب يسقط الى

٢ . السير ٤٠ ص ٣٢٨ - مجلد ٤ ص ٤٨٩ طبعة بيروت ١٩٥٨ .

٣ . انظر جهمرة انساب العرب لابن حزم [مصر ١٩٦٢] وقد ذكر بطون تغلب المشهورة

وهم : بنو جشم وبنو مالك ابني بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب .

٤ . السير ٤٠ ص ٣٢٨ .

(٥) مقدمة ابن خلدون ص ١١٤ - ١١٨ .

أهل نسب آخر بقرابة اليهم أو حلف أو ولاء أو لفرار من قومه بجنائنه
 أصابها فيدعي نسب هؤلاء ، فولي القوم منهم وسواء كان مولى رق أو
 اصطناع وحلف . والولاء نعمة كل احد على اهل ولائه وحلفه للألفة
 التي تلحق النفس من اختصاص جارها أو قريبها أو نسيها .. ثم ان
 الصريح في النسب لا يكون الا للمتوحشين ، اما الموجودون في مناطق
 الخصب فاختلطت انسابهم .

ان الادلة على نسبة الحمدانيين الى بني تغلب متوفرة لدينا
 فبالاضافة الى اقوال المؤرخين الثقات (١) في هذا الصدد ، نستطيع ان
 نقدم هذه الشواهد على انهم تحدروا من أصل عربي لا شامية فيه
 ١- لا يستطيع الباحث حين يقرأ تاريخ بني حمدان منذ ظهورهم
 حتى بلغوا أوج مجدهم في القرن الرابع الهجري ، الا ان يقطع بصحة
 نسبهم العربي . ففي عصر كان فيه للأعاجم صولة وجولة ، وكان فيه
 المسكون بأزمة الحكم واعتته من الترك والديلم ، لم يكن هناك ثمة داع
 للتمسك بالأرومة العربية والافتخار بها والتفني بأبجاده . ومع ذلك نجد
الحمدانيين شديدي الفخر بنسبتهم الى تغلب بن وائل بن ربيعة ، والذي
يقرأ شعر ابي فراس الحارث بن سعيد الحمداني ، يمجده يغالي في التفني
بأبجاده تغلب ومكانتها في الجاهلية والإسلام، ويعرض بالأعاجم في أكثر
من موضع في ديوانه (٢) :

(١) الطبري ابن الاثير ، ابن خلدون ، ابن حوقل ، الصولي ، مسكويه ، التنوخي ... الخ
 فهؤلاء وغيرهم . مثل ابن خالفر وابن شداد . لم يوردوا ما يشير بيقين الى نسبة
 الحمدانيين لتغلب .

(٢) منها قوله « الديوان » .
 وقد طبعت ومضة على نزار بأنا الرأس والناس الاناس
 وقوله :

٢- فكما ظهر اعتزال الحمدانيين بنسبهم النفاي في تسمية أنفسهم باسمها ، اذ نجد اثنين من أفراد هذه الأسرة يسميان بتغلب هما ابو وائل تغلب بن داود بن حمدان وابو تغلب ابن ناصر الدولة .

٣- كانت طباع الحمدانيين القبلية البدوية ملازمة لهم دائماً حتى في أوج مجدهم من فروسية وكرم ومروءة وحب للثأر وعصية . بل ان هناك من يذهب الى أنهم التزموا جانب العرب في أغلب الأحيان وانهم مثلوا كفاح العنصر العربي في القرن الرابع ضد سطوة الاجانب الذين استأثروا بالسلطة في الدولة الإسلامية . غير ان في هذا الرأي - كما سنرى - غير قليل من المبالغة ، لأن الحمدانيين وضعوا ايديهم بأيدي الأتراك والأكراد وتصارفوا مع هؤلاء الاخيرين واتخذوهم عوناً لهم وحلفاء .

٤- خاض الحمدانيون - - راعاً مرياً متصلاً مع كثير من القبائل العربية في الجزيرة والشام - كما سنرى - غير ان واحدة من هذه القبائل لم تنهم الحمدانيين او تعبرهم بأنهم كانوا موالي لبني تغلب أو بني أسد .

وما نحن إلا رائل ومهلل	صفا . وإلا مالك وتسم
وقوله :	
وأصامي ريمة وهي صيد	واخوالي باصغر وهي ظب
وقوله :	
سمت بنا وائل وفارت	بالسر اغسوالا نيم
وقوله :	
تبرأت من فرعي سعد كليهما	سكناً اراني كيف تبني الماخر
ويجسنا في وائل عشيرة	ودود وأرسام هناك شواجر
لنا أول في المكرمات وأخر	وباطن نجد تنلبي وظاهر
وقوله :	
اذ العرب الرباء تبني صباء	وسنا له طار على آثار ذاكر
اذاق الدلاء الدلي ودمعه	عراقب ما جرت عليه الجرائر
وسنا الاخر ابن الاخر مهلل	خليلي ان ذم الخليل الماخر

١٠- اشارة ابن خلدون الى ما قاله ورد في جمهرة ابن حزم
لأنها هي متأنية من تعليق أو هامش على نسخة أطلع عليها ، كان كاتبها
ممن وقعت في يده هذه النسخة وهو أمر معروف وشائع في المخطوطات
العربية . يؤكد هذا ان مثل هذه الاشارة لم ترد في المتن المطبوع لكتاب
ابن حزم (١) : ان النسب الذي أورده ابن خلدون والذي يجعل فيه
أسداً جذاً للحمدانيين ، أمر يدعو للمناقشة . فأسد هو ابن ربيعة بن نزار
وولده جديلة وعنزة وعميرة ، ومن جديلة بن أسد تحدر دعي الذي
كان من النسر بن قاسط (٢) . غير اننا نجد - من ناحية ثانية - ان أسداً
أخرى كانت تنسب الى مضر وهي أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياس
بن مضر (٣) . فاي أسد منها كان يعنيه ابن خلدون ؟

١١- لقد هاجم ابن حوقل (٤) الحمدانيين هجوماً عنيفاً وسبهم سباً
مقلحاً وعرض بسياساتهم الداخلية وعلاقاتهم بالقبائل العربية في الجزيرة
وبأجرائهم الاقتصادية ، إلا انه لم يعرض بنسبهم العربي ، بل أيده
وجعلهم من أولاد عمروة بني حبيب التغالبة .

١٢- ويجدر بنا ان نختم هذه الشواهد بالقول بأن المؤرخين والباحثين
للقدامى الثقة في هذا الصدد كادوا يجمعون على نسب الحمدانيين التغالبي ،
ويكفي ان نستشهد بـ ابن خلكان (٥) و ابن خلدون (٦) و المسعودي و ابن
حوقل و ياقوت و القلقشندي و الصولي و مسكويه و ابو شجاع و الفارقي

١ - حق الجهرة وعقل عليها الأستاذ عبدالسلام محمد هارون ونشرها دار المعارف

بمصر [١٣٨٢ / ١٩٦٢] .

٢ - ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ص ٢٩٣ .

٣ - المصدر السابق ص ١١ .

٤ - صورة الأوجح في سوانح متعددة من بيت عن الجزيرة ص ١٨٧ - ٢٠٧ طبع بيروت

٥ - وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٥ [مصر] .

٦ - المسير ج ١ ص ٤٨٩ .

والقلاسي وابن ظافر وابن حوقل وابن الأثير وغيرهم ان لم يؤيدوا نسب الحمدانيين التغلبي - واكثرهم أيده - فأنهم لم يشكوا فيه . وقد سار على منوال المؤرخين القدامى في تأكيد نسب الحمدانيين التغلبي الباحثون المحدثون كوستغيلد وسورنهام وكنار وفريتاخ وغيرهم .

وهكذا نستطيع ان نخلص إلى القول بأن بني حمدان كانوا بطناً من بطون بني تغلب بن وائل من العرب العدنانية ، ووائل هو بن قاسط بن هنب بن افصى بن دغمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (١) وقد تفرعت الأسرة الحمدانية من حمدان بن حمدون هذا الذي انجب ثمانية اولاد هم (ابو اسحاق) ابراهيم و (ابو علي) الحسين وابو السرايا نصر وابو المہجاء عبدالله وابو العلاء سعيد و (ابو سليمان) داود وكان اشهر هؤلاء الأولاد ابو المہجاء الذي انجب ولدين هما الحسن الذي لقب فيما بعد بناصر الدولة ، وهو مؤسس فرع الحمدانيين في الموصل ، وعلي الذي لقب بسيف الدولة وهو رأس الفرع الحمداني في حلب (٢) غير ان هناك ولداً سابعاً لابي العباس حمدان لم يذكره ابن ظافر هو ابو الوليد سليمان الذي سماه ابن خالويه «شيخ بني حمدان» ووصفه بـ «الحرون» (٣) ، وولد ثامن ورد ذكره في شعر أبي فراس هو علي : ومن بين هؤلاء الأولاد الثمانية لحمدان بن حمدون يبرز الحسين وعبدالله بالدرجة الأولى ، ومن نسل عبدالله بالذات المحضر الحسن (ناصر الدولة) وعلي (سيف الدولة) وهما اللذان قدر لهما أن يشيدا

(١) التويري . نهاية الأرب ١٠ ص ١٦٥ و ١٦٩ . السمعاني . الأنساب ص ١٠٧ .

الفتشندي . صبح الأعشى ١ ص ٢٢٧ .

(٢) ابن ظافر . أخبار الدول المتقطعة [مخطوط] ورقة ٢٥ ب .

(٣) ديوان أبي فراس ٢ ص ٢٤٠ و الدعنان ص ١٢٤ وما بعدها .

الدولة الحمدانية . أما الاخوة الستة الآخرون فقد قاموا بأدوار ثانوية فرعية فحسب في تأريخ هذه الفترة (١) ويقرن سوبرنهايم (٢) بروز أبي الميجاء عبد الله في ميدان الطموح السياسي إلى أخلاقه الشريفة وهو حكم بمنسرى . اعتبر النسابون ربيعة من العرب العدنانية التي عاشت في تهامة والمجاص ونجد ، وهي ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (٣) . وكان اخوة ربيعة الآخرون قضاة ومفسرين وربيعة وإباد وانمار (٤) . وإذا أردنا أن نحدد مساكن ربيعة القديمة في شبه جزيرة العرب ، فيمكن القول أنهم أقاموا في مهبط الجبل من غمر ذي كندة ووطن ذات عرق وما صاقبها من بلاد نجد إلى الثور من تهامة (٥) . وبعد نزوح قضاة وانهار وإباد عن مواطنها في تهامة بسبب شحة الموارد الاقتصادية وزيادة السكان والحروب والوقائع الدامية بين القبائل ، ظلت ربيعة تحيا مع اختها مضر ، ثم لم تلبث أن هجرت مساكنها بسبب الحروب التي قامت بين قبائلها ، فترحت عبد القيس إلى البحرين وهجر ، ونزلت قبائل ربيعة أخرى في نجد والحجاز واليمن . أما سائر قبائل ربيعة وهم بكر وتغاب وعنزة وضبيعة فقد أقامت في ظواهر نجد والحجاز . ويدر بالذكر أن ربيعة قد تفرع منها بطنان أسد وضبيعة ، وكانت أسد أكثر انخفاذاً فمنها جديلة التي ينتهي إليها وائل بن قاسط الذي الحدر من صابه بكر

(١) يستطیع القاري . أن يرجع الی شجرة النسب الخاصة بالأسرة الحمدانية الملحقه بهذا الفصل .

(٢) Ency. Islam Vol. 11 P. 78

(٣) ابن حزم . المجمره ص ٢٩٢

(٤) المصدر السابق ص ٩ . يشك ابن حزم في نسب قضاة إلى معد فيقول انه مختلف فيه

فمنهم من يعتبرهم عدنانيين ومنهم من يعتبرهم من القحطانيين (ص ٨) .

(٥) تهامة : هي المنطقة التي توازي امتداد ساحل البحر الأحمر . وهي نهاية الحجاز وتهامة اليمن .

انظر ياقوت ج ٦ ص ٢١١ . الهمداني في عدة مواضع .

وتغلب وهما اعظم قبائل ربيعة شأنًا (١). وقد اشتهر من تغلب هذا كليب ملك بني وائل الذي قتله جساس فهاجت بسبب ذلك حرب الجوس (٢) بين بكر وتغلب التي دامت - كما قيل - اربعين سنة في القرن الخامس الميلادي (٣). وظلت - الأيام - الدامية تتوالى بين بكر وتغلب ومنهما يوم واردات ويوم الذئاب ويوم الحنو ويوم التحالف وغيرها ، والنصر في اكثرها لتغلب ، حتى قدر ليكران فتتصر اخيراً في يوم قصة باليامة (٤). والحق ان بني تغلب كانت قبيلة كثيرة الميل الى الحروب ، فهي لم تكن بصراعها مع اخوتها بكر بل خاضت كذلك حروباً دامية مع بني يربوع التميمية (٥)

(١) يقال ان جد هذه القبيلة (تغلب) كان اسمه دثار (ابن حزم ص ٣٠٢) وان اياه تعني له ان تغلب طلق به هذا الاسم . فبح ان اسم تغلب انما هو صيغة الامر للدؤت القالب . وتدل تغلب من حيث التذكير والتأنيث على أن الاسم اقدم من الاسطورة المتلفعة بعدها . والشعر القديم يجعل تغلب ابنة وائل لا ابنه Ency. Islam Vol. 5 P. 326

(٢) حول اليوس انظر . البكري . مقدم ما استعجم ص ٨١٢ - ٤٣ . الاغانى ج ٤ ص ١٤٣ . ابن الاثير ج ١ ص ٣٨٤ - ٩٧ .

(٣) يجب على القاري ان ينظر الى الارقام هذه - بصورة عامة - نظرة شكة .

(٤) من ايام بكر وتغلب كذلك (سوية) وهي هبة طويلة .. لا يعرف بعد جبل اطول منها . وقد كانت بكر بن وائل وتغلب اقتتلوا عندها (ياقوت ، البلدان ج ٣ ص ١٩٩ لا يبرز ١٨٦٦) . و (الصواب) جبل بين اليامة والبحرين جرى فيه يوم من ايام بكر وتغلب (البلدان ج ٣ ص ٣٨٧) . أما (قصة) فواد كانت فيه وقعة بين بكر وتغلب في قتل كليب . والجاهلية تسميتها حرب اليوس . (ياقوت ج ٤ ص ١٢٩) . ويقول ياقوت (ج ٤ ص ١٢٩) من يوم التحالف ان بكر اقتصرت فيه على تغلب فغزقوا من ذلك اليوم . وانظر ياقوت [ج ٤ ص ٨٨] حول يوم واردات . ومن ايام بكر وتغلب يوم (جدود) اقتصرت فيه تغلب (ياقوت ج ٢ ص ١٠) انظر كذلك البكري ص ٥٦ . المقعد الفريد ج ٣ ص ٦٩ حول يوم التحالف . انظر كذلك حول ايام تغلب - عمر ونا كحالة . معجم قبائل العرب (دمشق ١٩٤٩) ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٥) بنو يربوع من تميم حرموا امام تغلب في عدة وقائع منها وقعة في ثيرة ويوم اداب ويوم اللوى ويوم ذرود (كحالة . ص ١٢١) .

ومع بني شيان (١) ومع سعد بن تميم (٢) .

كانت تغلب اذن من قبائل ربيعة ذات الشأن في الجاهلية ، بحيث آل اليها لواؤها فوليه منهم وائل بن ربيعة وهو كليب الذي أسلفنا ذكره (٣) ، وقد انجب تغلب (دثار) (٤) ثلاثة اولاد ذكور هم غنم والأوس وعمران (٥) . ومن صلب غنم جاء عمرو ووائل (وولد وائل هذا شيان) ، اما عمرو فقد انجب حبيب الذي انجب بدوره ثلاثة اولاد ذكور هم جشم وبكر ومالك . ومن صلب بكر تحدر الاخوة السنة الذين يسمون بالأرقام (٦) وهم جشم ومالك والحارث وعمرو وثعلبة ومعاوية (٧) والذي يهمننا هنا ان بني جشم بن بكر وبني مالك بن بكر كانوا اكبر بطون تغلب ، ومن صلب أسامة بن مالك انحدر حمدان بن حمدون جد الاسرة الحمدانية .

ويبدو ان تغلب ، بعد أن ضاقت بها مواطنها الأصلية في شبه الجزيرة

(١) عاشت تغلب مع بني شيان وقعات معها وقعة في فطبة بالبحرين ظفرت فيها تغلب وقعة

في دير ٥ لي ٥ وروى ٥ ليس ٥ دير قديم حل جانب الفرات الشرقي وهو من منازل بني تغلب ذكره . الاخطل . [ياقوت ج ١٩٢] ويقول ٥ ياقوت ج ٢ ص ١٠٢ ٥ عن فطبة انه موضع بالبحرين كانت به وقعة بين بني شيان وبني طيبة وتغلب .

(٢) من ايام تغلب مع سعد بن تميم يوم ذي هدي ٥ يقول ياقوت ج ٢ ص ٢٠٦ :

الحرهم موضع في ديار بني تغلب قريب من ذي هدا . ومن ايام تغلب يوم الكلاب .

(٣) هو كليب بن ربيعة .

(٤) ابن حزم . جمهرة انساب العرب ص ٢٠٢

(٥) نفس المرجع ص ٢٠٣ .

(٦) نفس المرجع ص ٢٠٤ .

(٧) يلقب ابناء معاوية الاربعة بالهناثين . يذكر المقدس الفريد ابناء بكر بن حبيب ويسمهم

بالأرقام لكنه يهمل ذكر مالك ج ٢ ص ٤٥ . وتشمعل الأرقام في الثالب كتابة من

تغلب Ency. Islam Vol. 2 P. 325

العربية ، اخذت تنتشر في الأرض ، فنزلت مع غيرها من قبائل ربيعة
هضاب لجد والحجاز وتخوم نهامة ، وكانت منازلها في الأحقار
والأزاهب والمونج وعالز وعذارة وكائرة وعينة والنهسى وهذه
الاخيرة كانت من مواقع حـ رب البوس بين البحرين واليمامة ؛
وظلت تغلب تشغل هذه البقاع حتى القرن السادس الميلادي ، غير انها
اخذت توطد اقدمها شيئاً فشيئاً على المجرى الأدنى لنهر الفرات في
ديار ربيعة (١) .

وكانت كبات شمالي الأنبار سوق تغلب ايام الجاهلية (٢) ، وفي
القرن الأول المجري (السابع الميلادي) لم يلبثوا ان تمركزوا في وسط
الجزيرة بين قرقيسيا وسنجار ونصيبين والموصل شمالا وعانة وتكريت
جنوباً ، وهي منطقة اقرب ما تكون الى شبه جزيرة تحدها انهار الخابور
ودجلة والفرات . لقد شغلت تغلب منطقة واسعة امتدت شمالا من
منبج والرصافة حتى عين التمر وجبل الإهـ (لاهة) جنوباً ، كما انهم
عاشوا بين خفان والعذيب وعبرت جماعة منهم الى اذربيجان (٣)
لقد انتشرت تغلب في هذه المناطق الواسعة ، واخذت تستقر فيها منذ
هجرتها التي بدأت في ايام ذي نواس حوالي سنة ٣٨٠م ، والتي استمرت
عدة قرون ولم تنت الا في العهد الاسلامي حيث استقر بهم المطاف في
ديار ربيعة وغيرها من مناطق الجزيرة . (٤) وقد ذكر المؤرخون

١ . مراد الاطلاع ٣ ص ٢٥٥ .

٢ . موضح بالجزيرة لبي تغلب ، كان يقام . فوق في الجاهلية فراء المسلمون أول ايام صدر
[بانوت . معجم البلدان ٤ ص ٣٢] . انظر كذلك مراد الاطلاع ٢ ص ٤٧٥ .

٣ . أخطر حول هذا الموضوع : دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) ص ٣٤ .

فما بعدها نعت عنوان . تغلب . انظر كذلك البكري . معجم ما استعجم ٣ ص ٥٠٠ .

Kindermann E. I Supp. P 223 . ٤ .

والجغرافيون القدماء كثيرًا من الأودية ومراكز الميلاء التي نسبت لبني تغلب ، فمن أوديتها ظبي (على الفرات) ومن مياهها البشر (١) وقباقيب والتنوير . (٢) وبالإضافة الى هذه ذكر ياقوت من منازل تغلب ومواطن مياههم بالجزيرة وادي الثرثار الذي استأثرت بنو تغلب باكثره والثني قرب الرصافة (٣) ودير لبي او لبني على جانب الفرات الشرقي (٤) والرضاب قرب الرصافة (٥) والرميل في ديار بكر (٦) وكبات وهو على حد قول ياقوت (٧) موضع بالجزيرة لبني تغلب كان يقام به سوق في الجاهلية ، والبني وهو ماء بالجزيرة لبني تغلب والمصيخ (٨) الذي يقع بين حوران والقلت والحريم قرب ذي بهلدا (٩) وحزة (١٠)

[١] البحر : بكر البلاء منازل بني تغلب بني واثق ، وقد استمد اسمه من البشر بن هلال بن صبة الذي كان غنماً لقارس قتله خالد بن الوليد حين سار من الرقاق الى الشام له عدة ابي مبيدة (ياقوت معجم البلدان - ٣ ص ٦٣) .

(٢) الثور : ضم الثاء ما ، بالجزيرة من منازل تغلب [ياقوت - ١ ص ٩٤٠] .

(٣) التي : فتح التاء موضع قرب الرصافة تجست فيه بنو تغلب - لحرب خالد بن الوليد - [ياقوت - ١ ص ٩٣٧] .

(٤) دير لبي يضم اللام وتشديد الباء وفتحها ويروى لبني دير نديم على جانب الفرات بالجانب الغربي منها ، وهو من منازل بني تغلب ذكره الأخطل [ياقوت - ٢ ص ٦٩٠] .

(٥) أوفسح خالد يامل البشر في أيام أبي بكر وعطف من البشر الى الرضاب وهو موضع بالرصافة قبل بناء مقام .. فاقسح من بها من بني تغلب (ياقوت - ٢ ص ٧٨٩) .

(٦) الرميل : يضم الراء موضع في ديار بكر شرقي الرصافة أودع فيه خالد بن تغلب [ياقوت - ٢ ص ٩٤٧] .

(٧) معجم البلدان - ٤ ص ٢٣٢ .

(٨) المصيخ : ضم الميم وفتح الصاد وتشديدها بين حوران والقلت وهو مصيخ بني البرشاء الطبري - ٢ ص ٥٨٠ .

(٩) الحريم موضع في ديار بني تغلب قريب من ذي بهلدا - ياقوت - ٢ ص ٢٥٦ .

(١٠) حسرة فتح الحاء وفتح الراء وتشديدها : بين نصيبين ورأس العين على الحايور كانت عنده وقعة بين تغلب وقيس - ياقوت - ٢ ص ٢٦٣ .

والحشاك (١) - والحصيد (٢) وهكذا ترى مدى سعة انتشار بني تغلب في ارض الجزيرة من الناحية الجغرافية ، وهو امر يدل على كثرة عددها وقوة بأسها ويعتقد فريتاخ (٣) ان عمرو بن هند كان هو الذي قدم ببني تغلب من جزيرة العرب وفاق بهم فنيا بين الحيرة والفترات . ويبدو ان بني تغلب تفرعوا بعد ثلاث ثلاث شعب سكنت احداها في الصحراء والثانية في ديار ربيعة وهزار بكر والثالثة في حلب وما حولها (٤) :

اعتنقت بنو تغلب النصرانية في الجاهلية بتأثير اتصالها بالروم وكانت قبل ذلك وثنية - شأنها شأن القبائل العربية الاخرى - تعبد الصنم أو ال اسوة باخنها بكمر بن وائل (٥) . وبعد الإسلام ظلت أكثر تغلب على النصرانية ، على حين أسلمت جماعة منهم منذ السنين الأولى بعد الهجرة (٦) . ولم تكن تغلب وحدها من القبائل التي اعتنقت النصرانية قبل الإسلام فقد فعلت ذلك تلك القبائل التي ارتبطت سياسياً باقتصادياً مع الروم وحاربت المسلحين مع هرقل أسوة بنصارى العرب يومئذ كفسان وايباد وقضاة وزابلة (٧) . ونجد تغلب - من جهة اخرى - تحارب الى جانب الفرس وترتبط معهم في عدة مواقف قبل الإسلام

(١) الحشاك : بفتح الحاء ، والغين وتنديد عارود أو تهر بارض الجزيرة بأحد من الهرماس

ويصوب في دجلة . - ياقوت - ٢ ص ٢٧٢ .

(٢) الحصيد : بفتح الحاء موضع في اطراف العراق من جهة الجزيرة - ياقوت - ٢ ص ٢٨٠ .

(٣) فريتاخ Freytag Z. D. M. G, Vol. x 1 P. 436

(٤) المسعودي التتبع ، والاشرف ص ١٤٨ .

(٥) ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٢٩٥ - أو ال صنم كان لبكر بن وائل وتغلب بن وائل . -

(٦) قدم وفد من تغلب على الرسول في المدينة سنة ٩ هـ .

(٧) ابن خلدون ، المسجم ج ١ ص ٢٢٧ .

وقد أنعم الله على المسلمين بهذه المواقف والصحراء فتمكنوا إذا تمكنوا
 من هزيمة تغلب ومنازلها التي احتلتها نجد أن الظروف وضعتها في
 أقاليم ذات أهمية عسكرية واقتصادية وهي من مناطق الصراع بين القوى
 السياسية الكبرى، المتصارعة يومذاك. ولما كانت تغلب قد ماتت في بعض
 المناطق بقوة حربية ذات خطر على الحدود فأنه مصلحتها إزالتها بهذه
 الدولة أو تلك حفاظاً على بقائها ووجودها :

ولم يتغلغل الإسلام في تغلب في السنين الأولى، لذلك نجدها عند بدء
 حركة الفتوحات في العراق في صراع مع الجيش الإسلامي الفاتح (١).
 ونحن نسمع عن وفد من بني تغلب وصل إلى المدينة عام ٩ للهجرة كان
 بعضهم من المسلمين والبعض الآخر من النصارى، فمن قدم من اللوؤد
 الكثيرة خلال هذا العام والعام الذي تلاه، وذلك بعد أن ثبت الإسلام
 أقدانته في شبه الجزيرة العربية (٢). غير أنه الإسلام لم يتغلغل في بني
 تغلب، لذلك يقول البلاذري (٣): أن مساجد المرتدة التميمية حين
 أخفقت دعوتها وقتل زوجها مسيلة الكلاب صارت إلى أعوامها بني
 تغلب ومات بينهم :

لقد حاربت تغلب في أيام الفتوحات الإسلامية الأولى إلى جانب
 الروم والفرس، ففي عام ١٢ للهجرة كلنت تغلب وأبادوا والنمو مع جيش

Kindermann, Ency. of Islam., Supp., P. 224 . ١ .

٢ . قدمت على الرسول (ص) . - عام ٩ هـ - وفود عربية جديدة أسلمت على يده منها

وفد بني أسد ، ووفد الداربيين من لحم ، ووفد بني تميم ، ووفد يهره ووفد بني فزارة ..

الخ - أنظر الطبري ٢ - القاهرة سنة ١٩٢٩ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

٣ . فتح البلدان ص ١٠٦ .

الفرس في حين التمر ، وكان هؤلاء العرب بقيادة عقبة بن أبي حقة (١) الذي هزم على يد خالد بن الوليد شر هزيمة وعوقب بالقتل لانه أمر على حرب المسلمين وكن للجيش الإسلامي بقيادة خالد (٢). وفي المصباح (٣) استطاع خالد أن يشتت فلول بني تغلب وحلفائها بقيادة المسدليل بن عمران (٤) : وأرادت تغلب أن تثار لمقتل عقبة فتحالفت بقيادة ربيعة بن بجير التغلبي مع القائد الفارسي روزبة وتجمعت في الثني (في سنة ١٢ هـ) لكنها أقيمت هزيمة جديدة على يد خالد (٥) . ويبدو ان تغلب أساءت للمسلمين الى حسد كبير مما دفع خالد إلى أن يقسم : لبيغتن تغلب في دارها (٦) ، واستطاع فعلا ان يامحق بها هزيمة ماحقة في البشر ، وبعد أن صنى خالد الجيوب المعادية في هذه المنطقة سار إلى القراض والقراض تخوم الشام والعراق والجزيرة (٧) ولما إحتشد الجيش الإسلامي الفاتح في هذه المنطقة التي تعتبر حدوداً للروم والفرس معاً ، تحالفت الجيوشان الفارسي والبيزنطي لعصد خطر المسلمين مستهينين كذلك بتغلب وإباد

-
- ١ • عقبة ابن أبي حقة نيس بن البشر بن هلال بن البشر بن نيس بن زعيم بن حقة بن جشم بن هلال بن ربيعة بن التمر بن قاطط - ياقوت - قروح البلدان ١٥ ص ٦٣١ - ٦٣٢ - (وستنك) .
- ٢ • الطبري ٢ - القاهرة ٩٢٩ - ص ٥٧٦ - ٥٧٧ .
- ٣ • المصباح : مصبح بن البرشاء بن حوران والقتل (ياقوت ٤ ص ٥٠٦) .
- أظهر الطبري ٢ ص ٨٠٠ - ٨٠١ .
- ٤ • نفس المصدر والمكان .
- ٥ • نفس المصدر والمكان . ياقوت ١ ص ٩٣٧ .
- ٦ • الطبري ٢ ص ٥٨٢ .
- ٧ • نفس المصدر والجزم ص ٥٨٣ .

والتمز الدين أمذوهم بنجدات لهجمة (١) غير ان جيش المسلمين حقق على يد خالد بن الوليد نصراً مؤزراً في معركة « الفراض » هذه حتى بلغ عدد القتلى - على حد قول الطبري - (٢) مائة الف . وفي أوائل خلافة عمر بن الخطاب هزمت تغلب هزيمة أخرى على يد المنثى بن حارثة في الكباث وهو سوقها العتيد في الجزيرة (٣) .

يبدو ان هذه الهزائم المتتالية التي حلت بتغلب فتت من عزيمتها خاصة بعد إنبهار المواقع الفارسية والبيزنطية في العراق والشام . وفي عهد الخليفة عمر خضعت تغلب للمسلمين ، وروي لنا ابن خلدون (٤) . ان الخليفة أراد أن يفرض الجزية على رجالها إسوة بغيرهم من أهل الذمة فاختدتهم العزة وقالوا له « يا أمير المؤمنين لا تذلنا بين العرب وإجعلها صدقة مضاعفة ففعل » وتفصيل الأمر كما ورد في فتوح البلدان (٥) ان عمر بن سعد كتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه انه أتى شق الفرات الشامي ففتح عالات وسائر حصون الفرات وانه أراد من هناك من بني تغلب على الإسلام فأبوا وهما بالخفاق بأرض الدروم ، وكذلك وقف التغلبيون في الشق الشرقي من الفرات نفس الموقف . فأمر الخليفة قائده أن يضاعف الصدقة التي تؤخذ من المسلمين على بني تغلب ، فإذا أبوا حاربهم حتى يبيدهم أو يسلموا ، فرضي التغلبة بهذا الحل قائلين : « أما إذ لم تكن جزية كجزية الأعلاج فلا نرضى ونحفظ ديننا » . ومن الجدير بالذكر

١ . الطبري - ج ٣ ص ٥٨٣ (القاهرة ١٩٢٩) .

٢ . نفس المصدر والمكان .

٣ . باتوت ، معجم البلدان (وستفلك) ج ٤ ص ٢٢٢ .

٤ . البر - ج ٤ ص ٣٢٧ .

٥ . البلاذري . ص ١٩٠ .

أن الصلح بين المسلمين وبني ثعلب نفس. كذلك، وحل أن لا يفصلوا (١) صيغاً، ولا يكرهه على دينهم (٢). وفي رواية أخرى للأذري (٣) أنه انعم على بني زرة (أو زرة بن النعمان) قال لعمر: «لأنشدك الله في بني تغلب فإنهم قوم من العرب يأفكون من الجزية وهم قوم شديدة لكابتهم فلا يفتن عدوك عليك بهم»، فأرسل عمر في طلبهم فردهم وأضعف عليهم الصدقة (٤). ويبدو أن الخليفة عثمان بن عفان هم بلن يعيد النظر في وضع بني تغلب فأمر أن تؤخذ منهم الجزية ذهباً وفضة، فحصد، إلا أنه تراجع حين ثبت له إن عمراً أخذ منهم الصدقة مضاعفة (٥).

لقد ناصرت تغلب الخليفة علي بن أبي طالب في بداية الأمر، غير أنها لما لبثت أن انحازت إلى الأمويين وحاربت مع معاوية في صفين ومع يزيد في الحيرة ومع مروان بن الحكم في مرج راهط (٥). ولم يلبس أن يحياز بني تغلب إلى معاوية كان بسبب موقف علي الصليب منها لإلها تقضت العهد فصرت أولادها، مما دفع بالخليفة إلى القول ولأن تفرغت لنفي تغلب لتكون في قديم رأي، ولاقتل مقاتلتهم ولاسبن ذريتهم،

(١) أي المصودبة أو التعميد.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ص ١٩٠.

(٣) فتوح البلدان ص ١٨٩.

(٤) نفس المصدر ص ١٩١. يبدو أن مسألة بني تغلب الحاشية اجتماعها الفناء. حالة تستحق المناقشة. حتى نفس الفناء. المسلمون بما فهم مالك وأبو حنيفة وأبو يوسف على أن يؤخذ من التتلي ضمت ما يؤخذ من المسلم في أرضه وما هيته بماله حقلوا صيغاً أن سبل ما يؤخذ من أموال بني تغلب سبل سلك المراجع لأنه جلد. من الجهرية. (البلاذري، نفس المصدر والمكرر).

فقد تغلبوا العهد وورثت منهم اللعنة حين نصرُوا أولادهم (١) .

وقد عاينت تغلب بن العبد الأموي حروباً خيارية ووقائع دليعة مع قبض أشبه تكون بأينامها في الجمالية . وسبب هذه الوقائع ، هو نفس السبب الذي نطّل به أيام القبائل ، فهو لا يخرج عن الصراع حول الاستعمار بالأراضي الغامرة ذات الحصب والماء . وقد غذى نار هذه الحروب روح الثأر والإنتقام لقتل أحرّاء ذهبوا في حرب سلفت . نحن نعلم أن تغلب إستقرت في الجزيرة فيما بين الحابور والفرات ، ودجلة : وينتوا أن بني سليم القيسيين بقيادة حميد بن الحباب هبطت عليهم في منازلهم وأرادت أن تشاركهم فيها ، مما أدى إلى الصدام الحتم بين القبيلتين . وتعدنا المراجع بتفاصيل وافية عن هذه الوقائع الدامية أو (الأيام) التي نالت أجداء المواضع الجغرافية التي جرت فيها أو حولها : وفي هذه الوقائع تشكل البطون والقبائل بدافع العصية وتجاوب بعضها في حية . تذكرنا بأيام الجمالية ذهب ضحيتها الكثير من أبناء الجانبين : والذي يهمنا هو أن كثيراً من بني تغلب ما زالت في هذا الوقت - أيام عبد الملك بن مروان - يدينون بالانصرانية وهو وضع ديني خاص كان يحتم عليهم اتخاذ مواقف معينة من باب الدفء عن النفس إلا أن هذه التكاليف القليلة التي أقاد منها عبد الملك بن مروان وشجعها بشكل واضح (٢) عصفت باستقرار الجزيرة كما عصفت باستقرار

(١) شرح البلدان ص ١٩١ .

(٢) يرى أن عبد الملك سأل الأعطل شاعر بني تغلب بحضور الجعفل بن حكيم بن حاصم بن لحيذ ذيم بن سليم : أنصف هذا يا أعطل ؟ قال نعم . هذا الذي أقول له : إلا سائق الجعفل هل هو نائر ؟ بقل أصيب من سليم ومار إشارة بذلك إلى ما فعلته تغلب بقبائل الجعفل في يوم الحشاك فأنار ذلك

المجتمعات القبلية واخبرت تخضرها وتمدنها، واودت بالتطور الاقتصادي، واحالت تلك المناطق الخصبة ذات المياه الوفيرة الى ساحة حرب داخلية بين القبائل العربية ذاتها . ونحن لا نريد ان ندخل في تفاصيل هذه الأيام بين تغلب وقيس ، لكننا نود ان نشير الى اهمها : ففيها يوم ابي (٣) - بين تكريت والموصل - قرب للثرثار ، ويوم ماكسين (٤) وهي قرية من قرى الحابور - ويوم الثرثار الأول (٥) ويوم الثرثار الثاني (٦) ويوم القدين (٧) ، ويوم السكير (٨) ، ويوم المعارك (٩) ، ويوم بلد (١٠) ، ويوم الشرعية (١١) ، ويوم البليخ (١٢) ، ويوم الحشاك (١٣) ، ويوم الكحيل (١٤) ويوم البشر وحزة .

الجفاف وقاد قبيلة في حرب ضد تغلب عند الرجوب أو البشر وهو ماء لبني جشم بن بكر فأثار ذلك قوم الأتصال قرب الرقة فقتل جماعة عظيمة من بني تغلب . ولكثرة قتل تغلب نصحو الا يدفونهم لكيلا يرى الناس كثرة قتلاهم فيستخفونهم ويدفونهم . [آثار البلاذري : أنساب الأشراف - ج ٥ ص ٣٢٨ - ٣٢٩] ياقوت : سمع البلدان - ج ١ ص ٦٢٢ .

(٣) [استأنت تغلب بالخرادج من قومها في أذربيجان فأنه . دهم بالفتي فارس بقيادة شعب بن مليل الذي عبر دجلة الى بني تكريت والموصل . وأتى الثرثار فوجد قبيلاً مجتمعين عليه وتغلب بازاتهم ولي فوق تكريت وهي من أرض الموصل ، وقد التقى في ديرها الديقان : « انصنوا أي تكلموا » [البلاذري أنساب الأشراف - ج ٥ ص ٣٢٢] ويقول ياقوت [ج ٢ ص ٦٩ طبعه وتنقيح] ان دير لبني وديري لبني دير قديم على جانب الفرات الشرقي . من منازل بني تغلب ذكره الأطل .

(٤) بين قيس وتغلب . وكان على قيس حميد بن الحباب وعلى تغلب شعيب بن مليل فسروا حميد بن تغلب وجماعتهم بماكسين وهي قرية من قرى الحابور بينه وبين رأس عين يوم أو يومان . قتل من بني تغلب خمسمائة وقتل قائدها شعب [البلاذري أنساب الأشراف - ج ٥ ص ٣١٧] .

(٥) يوم الثرثار الأول : نهر ينزع من هرماس نصيبين . وفي هذا اليوم [استمدت تغلب لثار ليوم ماكسين وحشدت أهوانها ومنهم النمر بن قاسط وأنانها المجشر بن الحارث

ولدى تتبع أخبار هذه الوقائع أو الأيام بين تغلب وقيس (وبخاصة سليم) ، نجد لها أخبار مملّة ومتشابهة ، وتمثل صفحات من الصراع القبلي مليئة بالدماء والثأر المتبادل الذي وصل الى حدود غاية في القسوة تعدت قتل الأعداد العديدة من الرجال ، الى بقر بطون النساء . غير اننا نجد - من ناحية اخرى ، ان هذه الوقائع - الشبيهة كل الشبه بأيام العرب في الجاهلية ، التجت ادباً شعرياً دار حول الفخر بالقبيلة والاعتزاز بأعجائها لعله يتمثل خير تمثيل في شعر الأخطل الذي كان خير معبر عن لسان حال بني تغلب : وأود ان أؤكد هنا على أن الامويين لعبوا دوراً في اذكاء نار هذه الحروب بتأييدهم لكلب ووقوفهم ضد القيسية التي نكبت يوم مرج راهط (سنة ٥٦٥) فظلت تطلب الثأر لقتلها . ولما كان بنو تغلب - وهم مروانيون - قد أبدوا قيساً وآزروها في غاراتها ضد كلب (البائية) ، فأنهم زجوا انفسهم في صراع دام استمر طوال

من ولد أبي ربيعة بن ذعل بن شيان [وكان من سادات بني شيان بالجزيرة] وأنانها زمام بني مالك الشيباني في جمع . وفي هذه الموقعة التي تحالفت فيها قبائل ربيعة ضد القيسيين انهزمت قيس وبقر التلييون بطون ثلاثين امرأة من بني سليم [وهو أصل متناهد في هذه الحروب . وامله دلالة دمرية على إتلاف البطون التي تنجب الأعداء] . البلاذري ، أنساب الأشراف ج٥ ص ٣١٨ .

(٦) في يوم القرثار الثاني : نجحت قيس واشتدت واشتدت وكانت برعاسة حميد بن الحباب وانانها زفر بن الحارث دهم القيسية وبطلها في هذا النصر . وكان يتوهم بني تغلب والنسر ومن معهم ابن موير فالتقوا بالقرثار في حرب حامية الوطيس أملت فيها سليم وبنو عامر بلاه حساً . أسفرت عن مريضة تغلب ونفس ابني حميد يسوع بن حرب وعثمان وعبدالحارث من بني الأوس بن تغلب .

باتت معجم البلدان - ١ - ص ٩٢١

البلاذري ، أنساب الأشراف ج٥ ص ٣٢٠

في يوم القدين : القدين قرية تقع على الحايور لها حصن . وتسميها العامة الصور

هذا العصر . فما هي حصيلة هذا الصراع في المستقبل ؟

نحن نجد ان المنطقة التي جرى فيها هذا الصراع - وهي منطقة الجزيرة - كانت من المناطق ذات الاهمية العسكرية والاقتصادية ، وان جميع الحكومات حاولت ان تكسب الى جانبها القبائل ذات القدرة الحربية في هذه المنطقة . وعلى الرغم من جميع الظروف السيئة التي احاطت بتغلب - هزائمها امام القيسيين ونصرانياتها التي جعلتها في موقف المستضعف - فإن هذه القبيلة ظلت قوية عفية كثيرة العدد فائقة النفوذ في المنطقة ، وانها انتشرت في كل مناطق الجزيرة انتشاراً واضحاً . ومن جهة اخرى فإن تغلب اخذت تتخلى عن نصرانياتها بالتدريج ، واخذت تذوب في المجتمع الاسلامي الكبير .

• والخليفة انما قربت ان ينها اربعة فراسخ • ويوم الدين غارة قام بها حور على القرية فقتل عامة اهلها .

البلادي ، أنساب الأشراف • ص ٢٢١

(٨) يوم السكيم : هو سكيم الباس قرية تشرع على الحايور ومنها ناحية تشرع على الفرات النقي فيس بنو سليم بقيادة حور مسح بن تغلب بقيادة ابن حور فانهموت تغلب والحصن .

البلادي ، أنساب الأشراف • ص ٢٢١ .

(٩) يوم المعارك : المعارك موضع على الحضر والمعين من أرض الموصل جرت فيه الواقعة بين قيس وتغلب انهزمت فيها قيس .

أنساب الأشراف • ص ٢٢١

(١٠) يوم بلد : في هذه الموقعة نكأ قيس وتغلب .

أنساب الأشراف • ص ٢٢٢

(١١) الشرعية : (فتح الدين والدين) جرى فيها يوم بين قيس ورملة حور وتغلب وحلفائها ورملة ابن حور . وفي هذه الموقعة حققت تغلب نصراً على قيس ، والشرعية من بلاد بني تغلب ، وبناحية

وعين الهارث السلطنة الاموية - التي أيدها بنو تغلب وحازوا في ظاهها عطفاً ورعاية حتى تولى منهم أفراد مناصب عالية امثال حنظلة بن قيس وعمرو بن بسطام الذي تولى السند (١٥) نجد تاريخ بني تغلب يكتنفه الغموض ، ونجدهم كثيرهم من القبائل يضيعون في شخم الاحداث الكبرى التي تات قيام الحكم العباسي الذي ذوب الصراع القبلي نتيجة استناده الى قوى خارجية وجيوش مدربة جاءت من فارس وخراسان وبلاد ما وراء النهر وتركستان . انا سوف نشهد في الفصول القادمة ان الصراع قد تحول من صراع قبلي الى صراع اجتماعي ، وان القبائل العربية لم تعد سوى عنصر فحسب في الجيوش الضخمة التي تكونت من عناصر عديدة منها الفرس والديلم والترك والمغاربة والفراخنة والزنوج وغيرهم من اجناس العالم الوسيط .

■ منج شرعية اخرى .

أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٢٢

(١٢) يوم البلخ: اجتمعت نعلب برعامة ابن موير وسارت الى البلخ حيث احتشدت القيسية برعامة صم . فهوت نعلب وقتل منها الكثير وغرت بطون نسائهم كما افطوا هم يوم الزنار .. والبلخ نهر بين الرقنين .

أنساب الأشراف ج ٥ ص ٢٢٣

(١٣) يوم الحشاك : الحشاك واد أو نهر بارض الجزيرة بين دجلة والفرات يأخذ من الهرماس « نهر نصيبين ويصب في دجلة » وقال بعضهم الحشاك وتل عبة عند الزنار كانت فيه وقعة لنعلب مع قيس .

ياقوت . معجم البلدان ج ٢ ص ٢٧٢

وفي يوم الحشاك جمعت نعلب حضرها وبدوها وسارت الى الحشاك وهي منطقة فيها نخل « قرب الشريعة » فالتقى الفريقان - قيس وتغلب - عند تل الحشاك واستمر القتال ثلاثة ايام قتل خلالها ابن موير زعيم نعلب فترجمها مراد بن طرفة الزهري

ان النتيجة التي أريد أن اصل اليها من هذه المقدمات ان الحمدانيون، الذين انحدروا من بني تغلب ، أفادوا من هذه القبيلة وانفخوا بها في مجهودهم لبناء دولتهم ، اكننا سنرى انهم - حين حذقوا فنون سياسة العصر - أخذوا أيضاً - أسوة بغيرهم من السدول - يعمدون الى تكوين جيوش نظامية كان عمادها - بل وعمودها الفقري - الممالك الذين يدينون بالطاعة والولاء لمن يدفع لهم أرزاقهم ويوسع لهم في هذه الأرزاق :

صحيح إننا سوف نجد بني تغلب وغيرها من أقربائها مجرد عنصر في جسد الدولة الحمدانية ، لكننا سوف نجد - من ناحية أخرى - ان القبائل العربية سوف لن ترضى بهذا الوضع ، وانها تنور عليه كلما اسعفتها الظروف محاولة أن تجد لنفسها ظلاً من كيائها القديم في مجتمع أخذت تلدب فيه القيم البدوية وتصبح فيه الكيانات القبلية ليست بذات أثر فعال في المجتمع الجديد : غير ان هذه الثورة التي تقوم بها القبائل أيام

الذي بدأ تغلب على ورايتهم وامر كل بني أب ان يصلوا نساءهم فلقا بعضهم
عبد قال لاصحابه : يا معشر قبس ان تغلب هي كثيرة العدد . وفي هذه الحرب قتل
عبد وانتصرت تغلب .

أنساب الأشراف - ص ٢٢٤

(١٤) يوم الكميل : ارادت قبس أن تثار لفتلاً في يوم الحشاك فحشقت كل ثراها وانجدها
زفر بن الحارث فقتلوا بني تغلب التي اجتمعت بالمعيق من أرض الموصل فلقا
أحسب بظنورة الحملة ضدها ارتطمت تريد جوار دجلة . وعند الكميل لحقهم زفر
فوزهم وقتل الكثير وفرق آخرون وبقرت بطون نساء منهم كما ضلوا يوم القتال .

أنساب الأشراف - ص ٢٢٦ ح ٢٧٠

(١٥) وهو اسم كما يبدو لشخص مسلم كان أبوه نصرانياً .

الحمداليين - وهي ثورة مارسها بنو هومة الحمداليين كما سنرى -
لم تكن متأنية عن الثأر أو العصية ، انما عن دوافع اقتصادية واجتماعية
واضحة . ان هذه القبائل وجدت ان هناك سلطة قوية تهدد مصالحها
وتبذر أموالها وتفرض عليها التزامات فادحة وتطالبها بضرائب لا قبل
لها بدفعها ، مما دفعها الى أن تنتفض على هذه السلطة وتثور ضدها ،
وتبحث لها أحيانا عن ارض جديدة في حماية سلطة اخرى :

الفصل الثالث

الحمدانيون والخوارج

١ - الخوارج في الجزيرة .

٢ - تحالف حمدان مع الخوارج .

١- الخوارج في الجزيرة :-

كانت الجزيرة في العصر الأموي الميدان الرئيس لنشاط الخوارج ، حتى ليتمكن إعتبارها بمحلم الحيو في أيام الأمويين الأخيرة : ولعلنا لا نعدو الصواب إذا قلنا أن جميع ثورات الخوارج في هذه للفترة تكساد ان تكون قد خرجت من الموصل ومن آل بكر (١) ويرجع سبب كثرة اضطرابات الخوارج وغيرهم في الجزيرة الى كثرة القبائل وتعدد إئتاثاتها وميولها واهدافها ووجود القبائل البسدية التي عاشت حياة شبه بدوية وعوية ، وأهمها بنو شيان التي كانت اكبر القبائل واشدها بأساً والذين إنتشروا في أطراف الموصل وبخاصة في شرقها (٢) : ففي سنة ١٠٠ هـ - أي في أيام عمر بن عبدالعزيز - خرج شوذب (ويسمى بسطام أيضاً) من بني

(١) قليوذن ، الخوارج والشيعة [الترجمة العربية] ص ١٢٩ .

(٢) سلمان صانغ ، تاريخ الموصل ص ٧٢ .

يشكر ، ولما كان الخليفة يكره سفك الدماء ويميل إلى المسالمة ، فإنه دخل مع شوذب وجماعته في مناظرة أدت إلى إعجاب الوفد الخارجي بعمرو وتصريح هذا بعدم رضاه عن ولاية العهد يزيد ، ويقول ابن الأثير (١) : أن بني أمية خافوا أن تخرج السلطة من أيديهم ، فوضعوا على عمر من سقاء سمّاً ، وبعد وفاة عمر سنة ١٠١ / ٧١٩م الذي دعاه الخارجي شوذب « بالرجل الصالح » ، لشب القتال بين جيوش يزيد بن عبد الملك وأعدائه شوذب من بني شيبان وبشكر أسفر عن هزيمة عدة جيوش أموية لكن شوذب ما لبث أن قتل على يد الجيوش الأموية (٢) . وفي عام ١٥٠ / ٧٣٣ م (أي في أيام يزيد بن عبد الملك) خرج حروري (٣) آخر اسمه عقفان ، كما ظهر مصعب بن محمد الوالبي الذي عسكر في حزة من أعالي الموصل لكنه مني بالهزيمة أيضاً (٤) . وفي خلافة هشام بن عبد الملك خرج بهلول بن بشر الملقب كثارة وهو من الموصل من شيبان وذلك في سنة ١١٩ / ٧٣٧م غير أنه هزم عند الكحيل في الموصل (٥) كما شهدت السنة نفسها خروج الصحاري بن شبيب بناحية جبل (٦) .

إلا أن حركات الخوارج أخذت تشتد وتقوى لما بدأت الخلافة الأموية في التدهار ، فقد أصبحوا بأعداد ضخمة بعد أن كانوا يقاقلون

(١) الكامل ٣٠ ص ٤٥ وما بعدها [طبعة دار صادر ١٩٦٥] .

(٢) ابن الأثير ٥٠ ص ٦٨ - ٧٠ .

(٣) نسبة إلى حروراء وهي قرية بظاهر الكوفة نزل بها الخوارج الذين اعتزلوا الإمام علي بعد صفين فسبوا إليها [انظر الفرق بين الفرق للبندادي ص ٥٧ القاهرة] .

(٤) ابن الأثير ٥٠ ص ١١٩ وما بعدها .

(٥) انظر فلورن ص ١٣٠ .

(٦) ابن الأثير ٥٠ ص ٢١٣ . يذكرها « فلورن » ص ١٣٠ ، جبل بني الهاشم على أنها جبل القديمة في سهل دجلة .

في جماعات صغيرة (١) . فبعد قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٦ / ٧٤٣م خرج بالجزيرة حروري (أي خارجي) يقال له سعيد بن بحدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة فيهم الضحاك بن قيس الشيباني ، وقد أفساد سعيد من إنشغال مروان بن محمد في مشاكل الشام فأعلن الثورة بإرض كفرتوثا ، وسار إلى العراق لكنه مات في الطريق فبايع الشراة (٢) خليفته الضحاك بن قيس الذي اجتمع اليه خوارج أرض الموصل وشهرزور حتى أصبح جيشه من الصفرية (٣) أربعة آلاف . والطريف في الأمر ان أهل الموصل كاتبوا الضحاك يستدعونه اليهم فسار إلى الموصل فعلا وفتح أهلها له أبوابها فدخلها . واستولى الضحاك على الموصل وكورها في سنة ١٢٨ / ٧٤٥م (٤) . وتضخم أنصاره حتى بلغ جيشه الذي حاصر به تصبيح أكثر من مائة ألف (٥) كما انه وجه جيشاً في أربعة آلاف أو خمسة آلاف . الى الرقة . غير ان مروان - حين تفرغ من مشاكله مؤقتاً - سار الى الضحاك فالتقوا في نواحي كفرتوثا من أعمال ماردين - وأسفر القتال عن مقتل الضحاك . وبروي

(١) انظر ابن الأثير ج ٥ ص ٤٥ تجد ان شاذب خرج بشائين رجلاً ، وفي نفس المصدر ص ١٠٩ تجد ان صفان خرج في ثمانين ايضاً .

(٢) المرأة : أي الخوارج باعتبارهم بأمر أنفسهم له واشتروا الجنة . انظر حول هذا الموضوع قلهون ، الخوارج والشيعة ص ٧٤ وما بعدها .

(٣) الصفرية : من فرق الخوارج نسبة الى زياد بن الاسفر او نسبة الى عبدالله بن صفار . قلهون ص ٧٢ . وقد قالو بالتقية في القول دون العمل ولم يكفروا الذين قدوا من الحرب ما داموا متقين في العقيدة . وهم نسبة متدلة بعكس الاشارة الثلاثة (انظر الشهرستاني ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٥) و (قلهون ص ٧٢) .

(٤) انظر حول الضحاك ابن الأثير ص ٢٣٤ - ٢٣٦ و ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٥) ابن الأثير ج ٥ ص ٢٤٩ .

ابن الأثير ان الضحاك قاتل ببسالة حتى وجده في وجهه ورأسه أكثر من عشرين ضربة (١) :

وفي سنة ١٢٩/٧٤٦م تألق نجم شيان بن عبدالعزيز ابرالدلف البشكري الحارجي الذي بايعه الخوارج وبلغ اصحابه نحو اربعين ألفاً . وكانت الموصل تدين له بالولاء ، بحيث إتخذها قاصدة له ، فكانت ميرتهم ومرافقهم منها (٢) بل إن أهلها كانوا يقاتلون معه : وظل مروان بن محمد يحاربهم أشهراً عديدة دون جدوى ، حتى استنجد بيزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قرطيسيا بجميع من معه إلى العراق . وكانت الكوفة تدين بدورها بالولاء للخوارج فكان المثنى بن عمران للعائذي خليفة لهم بها وبالعراق عامة ، حيث كان لهم أعوان ونفسوذ وولاء في واسط والبصرة كذلك (٣) عزيمة مروان وكثرة جيوشه انهيا سلطة شيان فقتل في سنة ١٣٠ / ٧٤٧م •

ويحلل فلهوزن (٤) ثورة الخوارج الاخيرة هذه فيقول انها قرنتهم من السلطان أكثر من اية ثورة سابقة لهم ، وفي هذا القول كثير من الصحة ، فقد أسلفنا القول ان الخوارج حكموا العراق حكماً فعلياً رعينوا فيه عمالا لهم ودانت لهم بالولاء الامصار الكبرى وهي البصرة وواسط والكوفة فضلا عن الجزيرة وقاعدتها الموصل . ويعمل فلهوزن سبب اخفاقهم بدخول عناصر اجنبية في جيوشهم والتحالف مع فرق أخرى ،

(١) نفس المصدر ج ٥ ص ٣٤٩ .

(٢) ابن الأثير ج ٥ ص ٣٥٣ .

(٣) انظر نفس المصدر ج ٥ ص ٣٤٨ - ٣٥٥ .

(٤) الحاراج والشيعة ص ١٢٦ .

وهو تحليل فئسه كثير من الحق ، لكنه لا يفسر وحده اخفاق حركة الخوارج . ففي هذا الصدد يمكن ان نضيف عوامل أخرى مثل طبيعة تنظيم الجيوش وتسايجها وتكوينها والصرف على اعدادها ، وهي شروط توفرت لدى السلطة المركزية اكثر مما توفرت لدى الثوار الخوارج :

والحق ان يحى العباسيين بدعوى ازالة الظلم الأموي وتوفير العدالة لجمهور المسلمين ، لم يوقف حركات المعارضة الا بصورة مؤقتة : والذي يهتمان هنا ان حركات الخوارج بالذات استمرت في الظهور في منطقة الجزيرة (بعد توقف مؤقت في بداية الحكم العباسي) وهددت سلطة العباسيين تهديداً خطيراً . والحق ان ثورات الخوارج عادت فنشبت منذ عهد المهدي ، حيث تغلب خوارج بني تميم على أغلب ديار ربيعة . وفي سنة ١٧١هـ (٧٨٧م) اي في بداية خلافة الرشيد ، خرج الصحصح الخارجي بالجزيرة وسار الى الموصل ثم غلب على ديار ربيعة كلها ، لكنه قتل بدرين (من اعمال الجزيرة) على يد قواد الرشيد (١) . وفي عام ١٧٦هـ خرج بنصيبين الفضل الخارجي وسار الى دارا وآمد وأرزن وخلاط ، وجي من اهلها المال ثم عاد الى قاعدته نصيبين ومنها قصد الموصل وهزم جيشاً عباسياً على الزاب (٢) .

لكن قمة الحركات الخارجية في الجزيرة كانت في سنة ١٧٨/٧٩٤م حيث خرج الوليد بن طريف التغلبي ، فاستولى على نصيبين واتخذها مركزاً له ودخل الى ارمينية وكاد أن يفتح خلاط (بأرمينية) لولا ان

(١) ابن الأثير ٦٠ ص ١١٢ .

(٢) ٨٠ ص ١٦١ ابن الأثير ٦٠ ص ١٢٣ . انظر كذلك أبو الفدا ٢٠ ص ١٦ .

اهلها اتندوا انفسهم بالمال (١). ثم سار الى اذربيجان ، فحلوان وارض
السواد ، ثم عبر الى غرب دجلة وقصد مدينة بكدي حيث افتدى اهلها
انفسهم بمائة الف دينار. لقد هدد الوليد كل اقليم الجزيرة وهدد الخلافة
في الصميم واقلق الخليفة القسوي الرشيد (٢) . والطريف في الامر ان
القائد الذي ارسله الرشيد لقتال طريف ، وهو يزيد بن مزيد الشيباني
اخذ يتلصقاً في حرب خصمه ، بحيث اتهمه البرامكة لدى الرشيد بالتواطؤ
معه باعتبار صلة النسب التي تجمعها وتردهما الى وائل هـ وحين اندفع
يزيد الى القتال واستطاع قتل طريف قال بعض الشعراء :

واقفل بعضهم يقتل بعضاً لا يقل الحديد الا الحديد (٣)

٢- تحالف محمد بن مع الخوارج .

وأول ما نسمع عن الحمدانيين التغالبة في حوادث الخوارج بالموصل
عام ٢٥١/٨٦٨م حين استطاع معاوية بن عبد الحميد البجلي الموصل
الخارجي ان يستولي على اكثر اعمال الموصل فيتصدى له الحسن بن
أبوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي عاملها نيابة عن ابيه

١ - نفس المصدر ج ٦ ص ١٤١ .

٢ - نفس المصدر والمكان .

٣ - بعد مقتل الوليد قادت أخته ليل بنت طريف قومها عليها الدرع فمعلت تحمل على الناس
فمهرها يزيد بانها قد فضحت المشيرة فاستحبت ونصرفت وهي تترى أشخاصاً في
فصيحتها الشهيرة التي تقول فيها :

يا شجر الحارور مالك مورفاً كأنك لم تهرج على ابن طريف
فلا يجب الراد إلا من النقص ولا المال إلا من فناء وسيف

ابن الأثير ج ٦ ص ١٤٣

بجيش ضخم كان أحد قواده حمدان بن حمدون « جد الامراء الحمدالية » ذو النفوذ في الموصل وما حولها من القلاع (١)، غير أن مساوراً هزم هذا الجيش العباسي وانتشرت سلطته في الموصل وحزة (من أعمال أربل) (٢). غير أننا يجب ان نعود قليلا الى الوراء لنلقي بعض الضوء على بدايات حركة مساور البجلي: فقد بدأت هذه الحركة في رجب سنة ٨٦٦/٢٥٢م في الفترة التي تلت قتل المستعين: وتسرعني الانتباه رواية ابن الأثير عن دوافع هذه الحركة فهو يقول: (٣) ان سبب خروج مساور بالبوازيح (٤) ان حسين بن بكر ملتزم شرطة الموصل لبني عمران وامراء المدينة أخذوا إبناً لساور اسمه حوثة فحبسوه بالحدبة، وكان حوثة جميلاً فكان حسين هذا يستغله لاغراض دنيئة، فكتب إلى أبيه يقول « أنا بالنهار محبوس وبالليل عروس » لما أغضب الأب وقلقته فخرج ثائراً وبابعه جماعة فخرج الى الحدبة حيث اطلق سراح ابنه « وكثر جمعه من الاكراد والعرب، وسار إلى الموصل فنزل بالجانب الشرقي » انا اعتقد ان تعديلاً هاماً يجب ان يدخل على رواية ابن الأثير، وهو ان سبب حبس حوثة والامساء اليه إنما كان لكونه خارجياً ابن خارجي، وان هذا العمل انما افتقر نكايته به وبأبيه وإلا فكيف يصح ان يكثر أعوان مساور من الأكراد والعرب لمجرد انه خرج لادلاق سراح ابنه والتأثر لشرفه؟ أو لعسل

١ - ابن الأثير - ص ١٨٨ .

(٢) نفس المصدر والمكان - ابن خلدون ، المعبر م ٤ ص ٨٤٩ - بيروت .

(٣) ابن الأثير ص ١٧٤ .

٤ - أصلها بيت وزاد في وسطه كانت يحوار تكريرت على فم الزواب الأسفل حيث يعصب في دجلة [سليمان صائق ص ٧٩ - الهامش] .

هذه القصة منحولة أصلاً ؟

ومهما يكن فالطبري (١) يتحدث عن إتساع نفوذ محكم (٢) يدعى مساور بن عبد الحميد في سنة ٢٥٣ / ٨٦٧ م و قد حكم البوازيج وهدد السلطة واستطاع ان يهزم جيشاً عباسياً يفوق جيشه عدداً وبعد ذلك نجد مساور يأخذ في توسيع سطوته أيام الخليفة المهدي في سنة ٢٥٥ / ٨٦٨ م حيث استولى على الموصل دون قتال بسبب معارضة أهلها للخلافة ولضعف واليها عبد الله بن سليمان . غير انه غادر الموصل لانه خاف من أهلها . وعاد الى المدينة التي كان انتمى لها دار هجرته (٣) . والحق ان الظروف خدمت مساوراً في هذه الفترة ، فقد كانت الخلافة تتعرض لاضطراب جسيمة لعل من أبرزها قوة الزنج التي بدأت في البصرة وما حولها في هذه الأيام بالذات (٤) وقد اتاحت هذه الظروف لمساور ان يمد نفوذه على مناطق واسعة امتدت ما بين تكريت والحديثة والموصل وسنجار ونصيبين ومنطقة الحابور ، فقد كان يحكمها حكماً فعلياً وينظر في شؤونها وبحسن السيرة في أهلها على حد قول ابن الاثير (٥) . وقد استطاع هزيمة الجيوش العباسية بقيادة مفلح ، ووسع دائرة نفوذه ووطد سلطانه فجبي الخراج

١ . الاسم والمذكور ص ٧٠ ص ٥١٤ - ٥١٦ [طبعة الاستقامة - القاهرة] .

٢ . من أسماء الخوارج وهي معتقة من التحكم إشارة لموقفهم في صفين وبغداد .

(٣) انتقل الخوارج مأسوء بدار الهجرة أي الموضع الذي يقيمون فيه وهاجرون منه احداهم (فلها وزن - الخوارج والبيعة ص ٧٤)

(٤) راجع (ثورة الزنج) للزلب . (بغداد ١٩٥٤) .

(٥) ابن الاثير ص ٧٤ ص ١٨٨ و ٢٠٥ . في سنة ٢٥٨ تباين الأعراب بتكريت مع مساور الفاري (ابن الاثير ص ٧٤ ص ٢٥٧) انظر الطبري ص ٧٤ ص ٢٢١ حول نشاط مساور في سامرا . واتسماره على جيوش الخلافة . كذلك انظر الطبري ص ٨٤ ص ١٨ سوادث سنة ٢٦٩ وابن خلدون ص ٤٨٩ وما بعدها .

١٠ وقوبت شوكته واشتد أمره ٤ (١) غير أن موت مساور سنة ٢٦٣ وهو في مهمة حربية ضد جيوش الخلافة ، أدى إلى حصول خلافات حادة داخل صفوف الخوارج بحيث تنازعوا واقتتلوا على أمر من سيخلف مساوراً (٢) :

وقد اسفر هذا الصراع عن تفوق هارون بن عبدالله البجلي الذي برهن على حذق سياحي ونزعة دنيوية واقعية هزمت صرامة منافسيه وتقصهم ومثالياتهم . فنحن إذا تجاوزنا عن التفاصيل نجد أن قيم هارون الدنيوية الواقعية كان يقابلها قيم منافسه في زعامة الخوارج وهو محمد بن خرزاد (من أهل شهرزور) الذي كان رجلاً كثير العبادة والنسك متقشفاً بلبس الصوف الغليظ ويرقع ثيابه ويجلس على الأرض دون أي فراش (٣) وفي الموصل وما حوله التقى المتنافسان على زعامة الخوارج ، غير أن النصر كان لهارون الذي انفرد بزعامة الخوارج لأسباب يمكن إجمالها فيما يلي :

- ١- استعان هارون ببني تغلب الذين نصره واجتمعوا إليه .
- ٢- اتبع هارون سياسة اللين والصرف على أعوانه وتحسين أوضاعهم المعاشية ، على حين كان ابن خرزاد منشغلاً في نقشه . وفي هذا الصدد يقول ابن الأثير (٤) : ولم يبق مع ابن خرزاد إلا عشيرته من الشعراء بقوهم من أهل شهرزور الأكراد وانما فارق أصحابه لأنه كان خشن العيش ٤ :

(١) الكامل ٧ ج ص ٢٢٧

(٢) الطبري ٨ ج ص ٣٤٠ ابن الأثير ٧ ج ص ٣٠٩ فما بعدها .

(٣) ابن الأثير ٧ ج ص ٢٥٩

(٤) نفس المصدر ٧ ج ص ٣٦٠

٣- يبدو ان اعداء ابن خرزاد كانوا من العرب والاكرد معاً ، وهم اذا تمردوا في الجزيرة على هدف فلا تستطيع قوة ان تقف في وجوههم ،

ومن ثم فإن اعداء ابن خرزاد من الاكراد وقفوا ضده وبخاصة الجلالية الذين لقي حتفه على ايديهم (١) :

والذي يمكن ان نستنتجه مما اسامنا ذكره ، ان الحلف بين بني تغلب والاكرد (وبخاصة الجلالية) هو الذي ادى الى نصره هارون على منافسه ابن خرزاد الكردي الاصل . واذا اردنا ان نبحث عن الدوافع فنحن نجد في المصالح المادية والشخصية ، التي اتاحت لسياسة هارون الواقعية الانتصار على خصمه الذي مثل الصرامة التي اشتهر بها الخوارج الأول . وهكذا استطاع هارون ان ينفرد بالرياسة على الخوارج ، وقوي وكثر اتباعه ، وغلبوا على القرى والرياسات ، وجعلوا على دجاة من يأخذ الزكاة من الأموال المنحدرة والمصعدة ، وبثوا نوابهم في الرياسات يأخذون الاعشار من الغلات (٢) . اي ان سلطة هارون تحولت الى حكمة ذات تنظيمات مالية وادارية .

فأين كان مكان حمدان بن حمدون من هذه الاحداث ؟ علمنا ان حمداناً كان مجرد قائد بسيط في جيش الحسين بن ايوب التغابي الذي كان ينوب عن ابيه في ولاية الموصل ، وهذا يدل على ان حمدان كان في بداية حياته العملية السياسية من جهة ، وعلى انه كان يعيش يومذاك في

(١) نفس المصدر والمكان

(٢) ابن الاثير ٧ ج ٧ ص ٣٦٠

الموصل أو في جهاتها (١) : وفي أحداث سنة ٨٢٩٠ في الموصل لجند حمدان بن حمدون في جيش اسمه - اق بن أيوب التغلبي السليبي عنه اساتكين (٢) عاملاً جديداً بعد أن دار أهل البلد ضد ابنه المستهتر الفاسق أذكوتكين بن اساتكين فطردوه وقتلوه وأمرهم إلى يحيى بن سليمان . ولما بلغت ثورة الموصل اقصاها وطاردوا الوالي الذي هينه اساتكين وهو الهيثم بن عبدالله بن المعمر التغلبي ، أرسل اساتكين اسحاق بن أيوب التغلبي السليبي استعان بـحمدان بن حمدون وعشيرته في احتلال الموصل لكنه أخفق تجاه المقاومة الباسطة التي أبدتها السكان بقيادة يحيى بن سليمان الذي ارتضوا به عاملاً عليهم (٣) . واشترك حمدان كذلك في أحداث سنة ٨٧٩/٢٦٦م إلى جانب اسحاق بن أيوب ضد اسحاق بن كنداج (أو كنداجق) الذي كان جندياً تركياً طموحاً ساهم في جيوش الخلافة ضد الزنج بالبصرة ، ثم وقف ضد السلطة حين اسندت ولاية ديار ربيعة إلى غيره . وقد حشد ابن كنداج جيشاً ضخماً سار به إلى بلد فأوقع بالحوارج من الأكراد البعوية فهزمهم (٤) ، ثم لقي ابن مساور الحارجي فقتله وسار إلى الموصل حيث اتفق مع أهلها على مال يدفعونه له (٥) : وهنا نجد حمدان بن حمدون ينحاز إلى جانب اسحاق بن أيوب (وكلاهما

(١) ابن خلدون ، المعبر ج١ ص ٢٢٨ . القاهرة . م ٤ ص ٤٩٠ . بيروت .

(٢) ابن الأثير ج٧ ص ٢٦٩ . من المجلد بالذكر أن الخلفاء - أيام ضعفهم كانوا يفلدون هؤلاء القواد على طريقة الضمان فيقيمون ببغداد وينتدبون من ينوب عنهم .

(٣) نفس المصدر ج٧ ص ٢٧٠-٢٧١ المعبر م ٤ ص ٤٩٠

(٤) الطبري ج٨ ص ٤٩ وابن الأثير ج٧ ص ٢٢٣ ويصير ابن الأثير إلى : البعوية الفراء .

(٥) ابن الأثير ج٧ ص ٢٢٢ المعبر م ٤ ص ٤٩٠

مَنْ كُتِلِبَ) وتثب خرب بين الطرفين ثلث من هزيمة ابن ايوب
 وحمدان الى نيسابور ، فاستولى ابن كنداج على نصيبين وديار ربيعة .
 واعترف الخليفة المعتمد بسلطة ابن كنداج الواقعية فأرسل اليه عهداً
 بولاية الموصل (١) . غير ان اسحاق بن ايوب وحمدان بن حمدون لم
 يلبثا ان جمعا جيشاً من ربيعة وتغلب وبكر وقصدا ابن كنداجيقي في سنة
 ٢٦٧/٨٨٠ م ، الا انها منيا بالانخفاق فهربا الى نصيبين ثم الى آمد حيث
 تعقبها ابن كنداج وهزمها في عدة مناوشات حول آمد (٢) ؛

في هذه الفترة بالذات (سنة ٢٦٧) كان الخوارج تحت زعامة
 هارون الشاري الذي ساند حمدان وبنو تغلب خلال صراعه على زعامة
 الخوارج في عام ٢٦٣ كما أسلفنا (٣) . ويبدو ان حلف حمدان بن حمدون
 مع هارون الشاري كان متيناً واستمر حتي سنة ٢٧٢ / ٨٨٥ م حيث
 نجدهما يتخللان الموصل سوية ويصلي الشاري بجماعته في المسجد
 الجامع (٤) وحين نزل بنو شيخان - ذوو النفوذ في الجزيرة - بين الزاينين
 من أعمال الموصل سنة ٢٧٢ ، تصدى هارون لهم وكتب الى حمدان
 يستنجد به فاجتمعوا بالموصل وعبروا الى الجانب الشرقي وساروا الى نهر
 الخابور حيث مساكن بني شيلان غير ان هؤلاء حققوا نصراً مؤزرأ

(١) الطبري ج ٨ ص ٥٠ (حوادث سنة ٢٦٦) . ابن خلدون م ٤ ص ٤٩٠

(٢) راجع الفصل الخامس بجزئية الجزيرة .

(٣) انظر ابن الأثير ج ٧ ص ٣٦٠ وبردوي ابن الأثير ج ٧ ص ٥٢٧ شعراً للعراق ذكر
 فيه ان هارون كان غيماً وان أمراءه كانوا « ذط ونوب واكراد واباط » وقد جاء
 الشعر في معرض الهجاء .

• ٤ • ابن الأثير ج ٧ ص ٤١٩ . كذلك انظر ابن خلدون م ٤ ص ٤٩١

على الخوارج وبني حمدان في هذه الموقعة (١) : والحق ان الخوارج
 بزعامة هارون بلغوا من القوة حداً مكن هيبته في نفوس سكان المدن
 - وبخاصة الموصل - الذين لم يجدوا سلطة رسمية تحميهم الحماية اللاتقة .
 لذلك نجد أهل الموصل يعتذرون لهارون ويطلبون منه الأمان حين
 ثارت ثائرتة لقتل أحد أعوانه في مدينتهم سنة ٢٧٦ يسمى نعيماً (٢) .
 ونلاحظ ان هارون كان يقيم في هذه الفترة في حديثة الموصل، ويستطيع
 ان يقصد هذه المدينة متى شاء لضعف السلطة هناك وإنشغال واليها ابن
 كنداج في صراعه مع القواد الأتراك تارة ومع العباسيين تارة
 ومع الطولونيين تارة ثالثة لتوسيع سلطانه في أرض الجزيرة (٣) .
 لقد ارتبط حمدان بالخوارج إرتباطاً وثيقاً كما أشرنا استمر فترة تعتبر
 طويلة نسبياً إذا أخذنا بنظر الإعتبار ان العهد والمواثيق لم تكن لها
 قيمة كبيرة لدى قادة هذا العصر ، وان الارتباطات كانت تقوم على
 مصالح آنية وتزول بمجرد زوالها . والذي يتتبع تفاصيل احداث تلك
 الفترة يكشف ان الساسة والقادة كانوا يتحولون بسهولة وبسرعة من
 معسكر إلى آخر كلما دعته مصالحهم الى ذلك . ومع ذلك نجد حمدان
 مرة أخرى مع جيش الخوارج بزعامة هارون في سنة ٢٧٩ وخلال
 حربه ضد بني شيبان . وتفصيل الأمر ان بني شيبان عبروا الزاب

١٠ . نفس المصدر والمكان المبرم ٤ ص ٤٩١ .

٢٠ . ابن الأثير ٧ ص ٤٢٧ .

٣٠ . راجع حمد اسحق بن كنداج [أو كنداجيل] ابن الأثير [ج ٧ - طبعة بيروت]
 صفحات ١٠٩ - ١١٠ [مسير إلى الشام] وصفحات ١٢٢ - ٢٣٠ (حول علاقته
 بابن أبي الساج) وحين توفي ابن كنداج في سنة ٢٧٨ ولي ما كان إليه من أعمال
 الموصل ودار بيعة إبنه محمد (ابن الأثير ٧ ص ٤٠١) وكذلك ابن غلدون ٤ ص ٤٩١ .

وَقَصِدُوا يَنْتَوِي لِلْإِهْصَارَةِ عَلَى الْمَوْصِلِ ، « فاجتمع هارون الشاري ،
 وحمدان بن حمدون وكثير من المتطوعة المواصلَة وأعيان أهلها على قتالهم
 ودفعهم » (١) . وهنا يجب ان نلاحظ بأن الصراع حول الموصل دار
 في هذه الفترة بين الخوارج وحمدان التغلبي وأنصارهما من جهة وبين محمد
 بن اسحاق بن كنداج والي الموصل وديار ربيعة وبني شيان حلفائه من
 جهة أخرى . وكان ابن كنداج لا يقيم في الموصل بل يرسل نواباً عنه
 يبدو ان أغلبهم كانوا من بني شيان. أما أهل الموصل فيبدو انهم كانوا
 متكئين ضد ابن كنداج وولائه وضد الشيبانيين، اذلك نجدهم يستعينون
 بالخوارج ، على حين يتصدى بتو شيان لإسناد نائب ابن كنداج
 ويسرون لقتال الخوارج وأهل الموصل. وفي هذه الموقعة حقق حمدان
 والخوارج نصراً على بني شيان فطردوهم وملكوا بيوتهم (٢) . غير
 ان إعراب بني شيان عادوا بعد أن بلغوا الزاب و ضربوا مؤخرة الجيش
 الحمداني - الخارجي وقتلوا كثيراً من أهل الموصل (٣) . إلا ان أهل
 الموصل حققوا النصر النهائي من ثورتهم، فقد أقنعوا الخليفة الجديد القوي
 المعتضد بالله بضرورة خلع ابن كنداج عن أمرة الموصل في سنة ٢٧٩/٨٩٢م
 رغم وساطة خمارويه ابن طولون وذلك بسبب « كراهة أهل الموصل
 من عماء - أي عمال ابن كنداج - » (٤) .

كانت أحداث الجزيرة في هذه الفترة توجهها أربع قوى، الخوارج

(١) ابن الأثير ج ٧ ص ٤٥٢ - ٤٥٤ .

(٢) نفس المصدر والمكان .

(٣) نفس المصدر والمكان .

(٤) ابن الأثير ج ٧ ص ٤٥٤ .

وخلقواهم بنو تغلب، وبنو شيبان، والأكراد، والولاء الرميون الذين تعينهم الخلافة. وقد رأينا ان الموصل كانت هدف هذه القوى المتصارعة ومن جهة اخرى وجدنا ان بني تغلب بزعامه حمدان كانوا الى جانب الخوارج، وان بني شيبان كانوا الى جانب ابن كنداج. أما الأكراد فيبدوا انهم لعبو دوراً ثانوياً في هذه الفترة، لكنهم - وبخاصة الأكراد اليعقوبية - مالوا الى الخوارج (١). ان القوضى التي ضربت أطنابها أيام الخليفة المعتمد على الله، والتي نجمت عن انشغال السلطة المركزية بحرب الزنج بالدرجة الأولى حتى سنة ٢٧٠ ثم الإنهياك بصد خطى الصفارين والطلوليين والثورات الداخلية فيما بعد مما ادى الى ضياع الاستقرار في منطقة الجزيرة على النحو الذي رأيناه.

ويظهر في سنة ٢٨٠ هـ خارجي آخر هو محمد بن عبادة المعروف بأبي جوزة وهو رجل معدم من غمار الشعب من بني زهير ومن أهل قبرانا (في البقعاء) وشق عصا الطاعة على هارون وجمع حوله أعواناً من الأعراب واخذ يجمع العشور على الغلات ويقبض الزكاة. وقوي أمر أبي جوزة فدخل معشايًا واستولى على سنجار حيث بنى حصناً حصيناً حمل اليه الامنة والميرة، جعل فيه ابنه ابا هلال في مائة وخمسين رجلاً من بني زهير وغيرهم (٣). غير أن هارون حاصر الحصن مع اعوانه من بني تغلب وغيرهم وفتحهم وقتل ابا هلال، ثم قصد محمد بن عبادة وهو

١ - حين المعتضد على الموصل مائلاً كردياً هو علي بن داود بن دهراد العسكري ابن الأئمة ٧٥ ض ١٢٥. ابن خلدون (م ٤ ض ٤٩١)

٢ - كان ابو جوزة فقيراً وكان هو وابنتان له يلتقطون الكفاة ويبيعونها.

ابن الأئمة ٧٥ ض ١٩٢

بقبرائنا فاقبهم في جيش من أربعة آلاف رجل ، لكنه هزم امسام قوة
هارون الماحقة ولجأ الى أمد حيث سلمه صاحبها - بعد حرب - الى
الخليفة المعتضد ، فسلخ جلده كما يسلخ الشاة . (١)

شمر المعتضد عن مساعد الجدد للقضاء على الفوضى الضاربة أطرافها في
الجزيرة حيث كانت السيادة للخوارج وبني تغلب وبني شيان والأكراد.
ففي سنة ٢٨٠/٨٩٣م قصد الجدد - زيرة ففضى على نفوذ بني شيان الذين
طلبوا منه الامان كما قضى على جماعات من الأعراب كانت تهدد أمن
الخلافة عند السن (٢) . ويبدو ان اهتمام المعتضد كان موجهاً بالدرجة
الاولى الى الخوارج باعتبارهم اخطر القوى المناوئة للسلطة المركزية في
الجزيرة ، فأخذ يقتل ويسجن كل من وقع في يده منهم (٣) . ثم قرر
المعتضد أن يقوم بحملة حاسمة يقودها بنفسه فخرج في سنة ٢٨١/٨٩٤م
الى الموصل وقاصداً لحمدان بن حمدون ، لأنه بلغه ان حمدان مال الى
هارون الشاري ودعا له (٤) . وهنا يستوقفنا هذا النص الذي نستطيع
أن نستنتج منه جملة حقائق : أولاً ان هارون الشاري أصبح يطمع الى
الخلافة أو الإمامة وان تأييد حمدان له لم يقف عند حد التأييد العسكري
بل تعداه الى حد ترويع الدعوة له . ونستنتج كذلك ان حمدان كان
يتأمر على الخلافة سرّاً مع الخوارج لإقامة دولة خارجية . ونستنتج
كذلك ان نقمة المعتضد لإنهبت بالدرجة الاولى على حمدان ، مما يدل

(١) ابن الأثير ٧٠ ص ٤٦٤ .

(٢) الطبري ٨٦ ص ١٦٦ ابن الأثير ٧٠ ص ٤٦٢ .

(٣) الطبري ٨٦ ص ١٦٦ ابن الأثير ٧٠ ص ٤٦٤ .

(٤) الطبري ٨٦ ص ١٦٨ ابن الأثير ٧٠ ص ٤٦٦ .

على أهميته وكثرة أهوانه من بني تغلب ، وعلى ان وقوفه إلى جانب الخوارج يمدهم بالقوة والمنعة ويضعف موقف الخلافة .

ويبدو ان التحالف ضد الخلافة في الجزيرة ألفت بين العرب والأكراد، حتى انهم حين سمعوا بمسير المعتضد وتحالفوا انهم يقاتلون على دم واحد (١) . أكن المعتضد هزمهم وسار الى الموصل يريد قلعة ماردين . وكانت لحمدان بن حمدون - فهرب حمدان وخلف ابنه الحسين بها . وبعد حصار قصير استسلم الحسين بن حمدان فاستولى المعتضد على القلعة وأمر بنقل ما فيها وهدمها (٢) ، وأرسل قوة أخذ تطارد حمدان وتلاحقه بإصرار ومثابرة . ظل المعتضد في الموصل حتى بدايات سنة ٢٨٢ وفي نيته القضاء على خصومه ، وكتب الى حمدان بن حمدون واصحاق بن أيوب يطلب منهما الإستسلام ففعل اسحق في حين رفض حمدان وتحصن في قلاع بياسورين ، لكن جيوش الخليفة بقيادة وصيف موشكير جدت في طلبه فهرب ومعه أمواله في زورق كان أعده في دجلة وعبر الى الجانب الغربي فصار في ديار ربيعة، واختبأ في قلعة له بدير الزعفران فلما أدركته قوات الخليفة ترك أمواله وهرب ، لكن المطارين لم يتوانوا في طلبه ، فاضطر الى أن يلجأ إلى خيمة حليفه القديم اسحق بن ايوب في معسكر المعتضد الذي احضره الى الخليفة فابقاه أسيراً لديه . وتتابع إستسلام رؤساء الأكراد في المحرم من سنة ٨٩٥/٢٨٢ م (٣) .

بقي هارون الشاري وحده في الميدان تواجهه جيوش الخلافة

(١) الطبري ٨ ص ١٦٩ .

(٢) الطبري ٨ ص ١٦٩ . مروج الذهب ٤ ص ١٥٧ . بيروت ٤ .

ابن الأثير ٧ ص ٤٦٦ . ابن خلدون ٤ ص ٤٩١ .

(٣) انظر الطبري ٨ ص ١٧٠ - ١٧١ . ابن الأثير ٧ ص ٤٧٠ .

الضخمة وكانت الخطوة الاولى دعوة هارون الى الإستسلام لكنه رد على دعوة قائد الخليفة نصر القشوري رداً عنيفاً ، رفض فيه الإستسلام وهدد بالحرب قائلاً بثقة عالية : ولعمري الله ما ندعو الى البراز ثقة بانفسنا ، ولا عن ظن ان الحول والقوة انا ، لكن ثقة بربنا .. » (١) . وقد وردت في جواب هارون هذا إشارة إلى حمدان فيما اعتقد حين قال : « وما غرك إلا ما أصبت به صاحبنا ، فظننت أن دمه مطلوب أو ان وتره متروك لك ، كلا ان الله تعالى من ورائك رآخذ بناصيتك » (٢) . وحين اطلع المعتضد على كتاب هارون ثارت ثائثرته ، وولى الحسن بن علي كورة الموصل وأمره بحرب الخوارج والزيم مقسمي الولايات والأعمال بطاعته ، وبعد موسم الحصاد وجمع الغلات ، سار الحسن وعبر الزاب فلقى الخوارج قرب المغلة ، وبعد حرب حامية الوطيس انتصر الجيش العباسي وهزم الخوارج ودخلت فلوطهم الى أذبيجان (٣) . أما هارون فقد وقع في الفخ ، وأخذ يتنقل في البرية ولجأ الى حلفائه بني تغلب ثم عاد الى البرية ثم رجع فعبّر دجلة الى حزه ثم عاد الى البرية عاودا الهرب من مطاويه بعد أن إستسلم أكثر أعوانه للخليفة (٤) .

كان هارون الشاري اخطر أعداء الخلافة في الجزيرة لذلك خرج المعتضد مرة ثالثة للقضاء عليه في المحرم سنة ٢٨٣ . فانتهر الحسين بن حمدان شدة رغبة الخليفة في القبض على الخارجى النار ووافق على القيام بهذه المهمة قائلاً « ان أنا جئت به الى أمير المؤمنين فسلي ثلاث حواتج الى

(١) نفس المصدر ص ٧٠ ص ٤٧١ .

(٢) نفس المصدر والمكاتب .

(٣) انظر البيرم ٩ ص ٤٩٢ ، (بيروت)

(٤) ابن الأثير ٧٣ ص ٤٧٢ ، ابن خلدون ، الديبر - ص ٢٢٩ (مصر) .

أمير المؤمنين فقال: اذكرها . قال أولها اطلاق أبي وحاجتان أسأله
إياهما بعد مجيئي* به اليه . فقال المعتضد لك ذلك فإمض ، (١) .

إنطلق الحسين بن حمدان بثلاثمائة من خيرة الفرسان وأخذ يطارد
هارون في دأب وصبر عجيبين ، ولعله كان مدفوعاً بدافعين أولهما حبه
لابيه ورغبته في تحريره ، وثانيهما طموحه في أن يكون له شأن لدى
الخليقة في ذلك العصر الذي ارتفع فيه ذوو الجسرة من المغامرين .
واستطاع الحسين أن يقبض على حليفه السابق هارون ويأتي به اسيراً الى
المعتضد (سنة ٢٨٣/٨٩٦م) . وقد سر المعتضد بتخلصه من عدوه اللدود
وخلع على الحسين وطوقه بطوق من ذهب كما خلع على جماعته
« وزين الفيل بشباب الدياج واتخذ للشاري على الفيل كالخفة واقعه
فيها والبس دراعة دياج وجعل على راسه برنس حرير طويل » (٢) ،
وهذا اسلوب من اساليب التشهير بالأسرى في ذلك العصر ؛
وصلب هارون وهو بصرخ بأعلى صوته « لا حكم الا لله ولو كره
المشركون (٣) » وهو شعار الخوارج المأثور . ووفى المعتضد بوعده ففك
قيد حمدان واحسن اليه اما المطلبان الاخران اللذان تقدم بهما الحسين الى
المعتضد فقد سكت عنهما المؤرخون ، غير ان ابن خالويه
وحده ذكرهما في شرحه لديوان أبي فراس فقال: (٤) ان الحسين طلب

(١) الطبري ٨٥ ص ١٧٣ . ابن الأثير ٧٥ ص ٤٧٦ .

(٢) الطبري ٨٥ ص ١٧٤ . يقول ابن الأثير (٧٥ ص ٤٧٧) ان هارون رفض أن يلبسوه
ديباجاً معبراً وقال هذا لا يهل غالبوه كرامة .

(٣) ابن الأثير ٧٥ ص ٤٧٧ [دار صادر] . المسعودي . مروج الذهب ٥٥ ص ١٦٦ .

(٤) نفس المصدر ٧٥ ص ٤٧٧ . ابن خلدون المير ٥ ص ٢٢٩ .

(٥) ديوان أبي فراس (تطبيق سامي الدمان) ص ١٢٨ .

إزالة الاتاة على بني تغلب فأزيلت ، واثبات خمسمائة فارس منهم
يضمون اليه فأبثوا . ومن هنا نجد الحسين يفيد من خدمته الكبيرة
للخلافة فائدة ذات جدوى لأمرة وعشيرته :

مالذي نستطيع ان نستنتج من كل هذه التفاصيل التي مر ذكرها؟
الحق ان اقليم الجزيرة كان اقليماً خاصاً في تكوينه للبشري والاجتماعي ،
فقد هاجرت اليه كثير من القبائل العربية - عدنانية وقحطانية - فعاثت
في ربوعه الحصبة العامرة حياة تفاوتت بين البداوة القائمة على التنقل
والرعي ، وبين الاستقرار وممارسة حياة زراعية متحضرة . فن جهة
لجند قبائل مثل بني شيان - اكبر قبائل بكر واقواها - تمارس حياة
طابعها الرعي والغزو فكأنها ظلت محتفظة بنمط حياتها القديم اجتماعياً
واقتصادياً وثقافياً . ومن جهة نجد بني تغلب وقد استأثروا بمنطقة جبلية
القدر عظيمة الثروة والوفرة الانتاج تقع بين جبل سنجار وجبل طور
عابدين - اشبه بجزيرة ترويا الانهار - وتمتد حول برقيع في منطقة
روافد نهر الهرماس (نهر لصيبين) وفي المنطقة الواقعة على ضفة دجلة
اليسرى بين جزيرة ابن عمر والموصل وعند جبل الجودي ، ومن جهة
أخرى من طور عابدين حتى ماردين على الطريق الذي يوصل الموصل
بالشام . لقد كانت ضباغ الحمدانيين وقلاعهم - كقلعة ماردين
وأردشة - تقع بين اراض خصبة غنية : ومن جهة ثالثة نجد الأكراد
الذين عاشوا ما بين حياة زراعية مستقرة وحياة بدوية ، والذين تكونت
بلادهم - كما رأينا - من مناطق جبلية وعرة واخرى سهلية أو على شكل
مراع وسهوب وهضاب .

في مثل هذه البيئة ذات الغنى الوفير والخصب العميم والثروة
الاقتصادية الهائلة ، لابد ان يكون الصراع على الاستئثار بالارض على

أشده . وقد شجع هذا الصراع نزوح القبائل المستمرة بحثاً عن مواطن لها جديدة يتوفر فيها الكلأ والماء . ومن هنا نجد الصراع على أشده بين القبائل البدوية كبنو شيبان وبين إنباهات السقي التي لحا الاستقرار واستأثرت بالأرض الصالحة الخصبة . وهذا يفسر لنا أوضح التفسير ما ذكرناه من موقف قبيلة بني شيبان وغاراتها المستمرة على منطقة الموصل وما حولها ، كما يفسر موقف الحمدانيين التغلابة في العميل على صدغارات الشيبانيين . وقد اتفقت مصالح بني تغلب مع مصالح الأكراد في هذه الفترة ضد الغزو البدوي الذي أشرنا إليه ، لأن الأكراد كانوا بدورهم - وهم عنصر جبلي محارب - يدافعون عن أراضيهم الزراعية والرعوية .

غير أن الأمر الأساسي الذي يستدعي المناقشة هو التكامل الخارجي الذي ضم العرب والأكراد من جهة ، والقبائل المستقرة والبدوية (الأعراب) من جهة أخرى ، والذي فرض نفوذه - أيام هارون الشاري - على مجتمع مدني متحضر هو مجتمع الموصل . فكيف لفسر هذه الظاهرة ؟

كان أهل الموصل بضيقون ذرءاً بولاة العباسيين وقوادهم الذين أساءوا السيرة وارتكبوا الأعمال المنكرة وشددوا في المطالبة بالخراج على الغلات وصادروا الأموال حتى كان اذكو تكيين بن اساتكين (من القواد الاتراك) الذي تولى أمر الموصل في سنة ٢٥٩ (٨٧٢) قد دعا ، وجوه الموصل الى قبة في الميدان ، واحضر الميراث الملاحي ، واكثر الخمر ، وشرب ظاهراً ، وتجاهر اصحابه بالفسوق ، وفعل المنكرات ، واساء السيرة في الناس : (١) وزاد في الطين بلة ان موسم تلك السنة كان رديئاً

بسبب البرد الشديد الذي اهلك الاشجار والثمار والحنطة والشعير ، بحيث
عجز اهل الموصل عن دفع ما طلوبوا به .

وسطررد ابن الاثير قائلا : ان اذ كوتكين فعل كل ذلك واهمل
الموصل صابرون حتى : وثب رجل من اصحابه على امرأة فأغداها في
الطريق فامتعت واستغاثت : فاجتمع وجوه الموصل الى الجامع
وقالوا : قد صبرنا على اخذ الاموال ، وشتم الأمراض ، وابطال السنن
والعصف ، وقد افضى الامر الى اخذ الحرير (١) ، وقد أسلفنا الاشارة
الى ثورة اهل الموصل وطرده الوالي . لقد ابتغى اهل الموصل ولاتهم ،
حتى لبقه دفعهم ذلك الى مساندة الخوارج ، بحيث انهم فنبجوا مدينتهم
لهم اكثر من مرة دون حرب املا في التخلص من حكم غير عادلين
امثال حميد الدين يسلميان بن عمران الأزدي ، واذ كوتكين : غير ان ذلك
لا يعني ان اهل الموصل تحولوا فعلا للديعة الخارجية ، فهناك من الادلة
ما يؤكد ان مساندتهم للخوارج انما كانت بدافع البغض لولايتهم
وحكامهم (٢) ، وقد أدرك المعتمد خطورة ما يجري في الموصل فعين
عليها عاملا من اهلها هو الخضر بن احمد التغلبي الذي استطاع إعادة
المدينة الى المدينة ويث الطمأنينة في نفوس اهلها (٣) ، وهي محاولة لتهدئة
الرأي العام في منطقة ملتهبة .

وعلى صعيد السياسة المركزية نجد هناك صراعا بين ذوي المطامع
والمطامع من الساسة والقواد ، الذين لم يألو جهدا في الحصول على
الحظوة لدى السلطان بغية الوصول الى حكم الموصل والجزيرة : ولعل

(١) نفس المصدر ج ٧ ص ٢٧٠ .

(٢) نفس المصدر ج ٧ ص ١٨١-١٨٢ و ٢٠٠ .

(٣) ابن الاثير ج ٧ ص ٢٨٨ .

القاريء قد فطن الى الدور المعقد العجيب الذي لعبه اسحاق بن كنداج (أو كنداجي) الذي اخذ على عاتقه مهمة القضاء على حركة الخوارج . في سنة ٢٦٧ (٨٨٠) : غير ان ابن كنداج قام بدور ينصف بالتخريب ، لانه كان في الحقيقة يهدف الى النفع الشخصي ويساوم العباسيين واعدائهم الطولونيين ، ومن ثم اخفق في تحقيق أي هدف وترك نشاطه آثاراً سيئة في المنطقة ، وهو انما يكون مثلاً لحالة الادارة العباسية في هذه الفترة ، تلك الإدارة التي شجعت على تفسخ وحدة الدولة وزيادة حركات الانفصال وإذكاء حركات المعارضة .

بقي ان نجيب على سؤال خطير : هل كان حمدان بن حمدون خارجياً مؤتماً بتعاليم الخوارج يدب بملذبههم ، أم انه كان رقيق طريق لهم ، يريد الوصول الى اهدافه عن طريقهم ؟ لعلنا لاحظنا الصلة الوطيدة بين حمدان والخوارج ، وارتباطه بهم مدى سنوات كثيرة حتى تم القبض عليه على يد المعتضد واطلاق سراحه ، بعد ان تطوع ابنه الحسين بالقضاء على حركة هارون الشامي . وهنا استطاع ان يستج ان مساومة جرت بين المعتضد والحسين بن حمدان على ان يطلق المعتضد سراح ابيه مقابل ان يأتي له برأس هارون . ويمكن الاستنتاج ايضاً بأن الحسين بن حمدان كان على اطلاع تام بتحركات هارون ويعلم حق العلم ان ينحني ومن ثم استطاع حقاً ان يفي بوعده وان يحصل بمقابل ذلك على حرية ابيه وعلى مكاسب شخصية . انني اشك ان حمدان كان خارجياً ، فقد اسلفت القول ان اهل الموصل وكثيراً من الاعراب من شق قبائل الجزيرة تعاونوا مع الخوارج في ظروء معينة . ان ما يفسر موقف حمدان وقبائل الجزيرة العربية والكردية في تأييد الخوارج هي النزعة نحو الاستقلال عن السلطة العباسية وتحقيق حكم ذاتي لهذه العناصر في مناطقها

التي تحيا فيها : وأهيب على ذلك أن لقب « الشراة » أطلق على
الأكراد اليعقوبية كما أسلفت وه لما لا يعني ان الأكراد تحواروا
للمذهب الحوارجي ، وإنما هو إشارة الى معارضتهم للسلطة التي عبر
الحوارج تعبيراً حازماً عن عدائهم لها وهدفوا الى ازالتها . يضاف الى
كل ذلك ان الحوارج كانوا حزباً ثورياً صريحاً ومتشداً ، على حين كان
كثير من انضم اليهم لربان قوتهم انما فعلوا ذلك لمصاحبة سياسية أو نكابة
بالخلافة، وربما كان حمدان من اولئك الذين ارادوا ان يحققوا اهدافهم
من وراء حركة الحوارج . وسوف نرى فيما بعد ان الحمدانيين كانوا
من الشيعة ، ومن ثم لم يكن اعتناق حمدان للمذهب الحوارج أمراً ينسجم
مع عقيدته الشيعية : الا ان العصبية القبلية من جهة اخرى كانت مازالت
تفعل مفعولها في ذلك العصر - في منطقة الجزيرة حيث التكتلات القبلية
المعروفة - فقد سادت بطون ربعة حركة الحوارج ايام مساور مثلاً
وطلبت بثأر احد اصحابه ممن قتلهم السلطة (١) ، خاصة وقد لامت
حركة الحوارج المزاج القبلي لانها دعت الى التمرد على السلطة المركزية
وشجعت التركة الاستقلالية .

الفصل الرابع

الحسين بن حمدان

في خدمة الخلافة

- ١ - ضد الخوارج ٢ - في بلاد الجبل ٣ - ضد القرامطة
٤ - ضد الطولونيين ٥ - الحسين ومؤامرات البلاط ٦ - ضد الصفارين
٧ - خاتمة الحسين

١ - ضد الخوارج : بدأ نشاط الحسين بن حمدان يوم كلفه المعتضد بالقضاء على هارون الشاري حليف أبيه حمدان عام ٨٩٦/٧٨٣م كما أشرنا. إننا إذا فحصنا الروايات التأنيجية التي وردت لـ: دى الطبري (١) وابن الأثير (٢) وابن خلدون (٣) مثلا ، نجد أنهم يتفقون على التفاصيل التي تتعلق بالإلتحاق الذي تم بين المعتضد والحسين بن حمدان ويتفصيل الخطة الحربية التي إتبعها الأخير والتي أدت إلى أسر هارون الشاري وتسليمه إلى المعتضد مع إختلاف جزئي في التفاصيل. غير أن ابن خالويه (٤) يضيف أن الذي نصح المعتضد بتكليف الحسين كان (بدر) أحد القواد الأتراك. ويتفق الطبري وابن خالويه على أن (موشكير) التركي هو الذي سار تحت

(١) الاسم والمذكور ٨٣ ص ١٧٣ - ١٧٤ (الاستقامة) .

(٢) الكامل ٧٣ ص ٤٧٦ - ٤٧٧ (سادو) .

(٣) الصبر ٤٣ ص ٤٩٢ .

(٤) ديوان أبي فراس - ٢ ص ١٢٨ .

لأميرة الحسين بن علي بن أبي طالب مع ثلاثمائة فارس ، على حين يقول ابن الأثير
 أنه كان وصيف بن موشكير الذي يسميه في مواضع أخرى (١) وصيف
 موشكير. يسوق بالطبري في مواضع أخرى كذلك (٢) : وواضح من
 ذلك أن جميعهم يتحدثون عن الشخص نفسه وهو أحد المماليك الأتراك
 في جيوش الخلافة. ويتفوق ابن خالويه (٣) على غيره بذكر الجوائز الثلاث
 التي إضطرطها الحسين على المعتضد إن هو جاء بهلدون الحارجي ، على
 حين يذكر الآخرون الحاجة الأولى وحدها وهي إطلاق سراح أبيه همدان.
 وقد أشرنا إلى المطلبين الآخرين هذين وهما إزالة الإتاوة عن بني تغلب،
 وإبلاغ خمائة فارس منهم بضمون إلى الحسين كجند نظامية. وقد
 استجاب الخليفة إلى ذلك فعلا . وواضح أن هؤلاء الفرس هم الذين
 سار بهم لحرب هارون كما يتضح من إشارة الطبري (٤) .

كان الحسين من طراز القادة الواقعيين الذين اتقوا الإفادة من الظروف
 السيئة التي كانت تمر بها الخلافة العباسية آنذاك . فإنه خان حليف أبيه
 وصاحبه إلى الخليفة الذي قتلته بعد أن شهر به ، غير إنه - أي الحسين -
 حقق من ورله ذلك جملة أهداف هي إطلاق سراح أبيه والتغلب عن بني
 تغلب برفع الإتاوة عنهم وتكوين فرقة نظامية من خمائة فارس من
 بني قومه كانوا ذوي نفوذ في المستقبل. وهنا نساءل هل كانت بدوافع
 الحسين لإخلاصه للخلافة أم أنه كان مدفوعاً بمصالحه ومصالح أسرته؟
 إن هناك ما يدعك على أن الحسين كان متعلقاً في القبض على هارون ،

(١) الكامل - ٧ ص ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٥١٣ .

(٢) الاسم والملوك - ص ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٧ .

(٣) دهران أبي فراس - ٢ ص ١٢٨ .

(٤) ٨ ص ١٧٢ .

يقول ابن خالويه (١) : فلما وصلا - الحسين وموشكير - تقدم الحسين وسار الى هارون فأوقع به وقتل رجاله واسره وسار به متوجهاً الى المعتضد ، وخالف موشكير الى الموصل ، فلم ير الحسين بها وكتب الى الملك بسرعه ومطابقته للشاري ، فغلظ ذلك على المعتضد وأمر بقتل أبيه حمدان بن حمدون ، وكان في حبس المعتضد فسأله بدر التوقف ، ووافى الحسين بالشاري فإشتد سرور المعتضد . . . والحسب ان الحسين كان طموحاً ، ونحن لا نعوذنا بالدلائل على طموحه فسرى - بعد قليل - الوسائل التي سلكها في سبيل الوصول الى غاياته . غير اننا نود ان نشير الى حادث يؤيد هذه النزعة لدى الحسين ، فحين حاصر المعتضد قلعة ماردين (٢) وهرب حمدان ، ركب المعتضد فصدد القلعة حتى وصل الى الباب ثم صاح بالامن حمدان ! فأجابه لبيك ! فقال له : إفتح الباب وبلك ! ففتحه (٣) . من هذا يتضح عدم جدية الحسين في حرب المعتضد وإعله حين أدرك عقم المقاومة أمام جيوش الخلافة ، نصح أباه بالفرار وسلم القلعة للخليفة ، الذي لم يبد نحوه أي سخط ، بل - بالعكس - وثق به وكلفه بمهمة القضاء على هارون الشاري وبمهمات أخرى كما سنرى . أصبح الحسين في خدمة الخلافة بعد قضاءه على هارون الشاري سنة ٢٨٣ / ٨٩٠م لفترة محدودة ، وان كان دؤوباً على إنتهاز الفرص للوقوف ضدها كلما أسعفته الظروف كما سنشير الى ذلك . لقد كان الحسين شخصية ذات دهاء ومكر ومرونة بالإضافة الى شجاعته الحارقة

(١) ديوان أبي فراس ٢٣ ص ١٢٨ .

(٢) راجع الفصل الخامس بالجغرافية .

(٣) الطبري ٨٠ ص ١٦٩ . ابن الأثير ٧٠ ص ٤٦٩ . ابن خلدون ٤ ص ٤٩١ - ٤٩٢

وهو من طراز أولئك القادة الذين حفل بهم ذلك العصر ، لمن دفع بهم طموحهم الى ان يركبوا كل مركب خشن في سبيل تحقيق غاياتهم . ولعل تأريخ الاسرة الحمدانية ، كاسرة تريد ان تحكم ، إنما يبدأ بالحسين بن حمدان الذي انتفع بإقامته في بغداد على مقربة من بلاط الخليفة ، وقام بتنفيذ مهمات حربية أسندها اليه المعتضد :

في بلاد الجبل (١) : فبعد النصر الذي أحرزه الحسين على هارون الشاري ، أسند اليه المعتضد في سنة ٢٨٣/٨٩٦م ذتها مهمة جديدة هي المشاركة في الحرب ضد بني دلف بالجبل (١) وهم بيت من بيوت العرب ينتمون الى بكر بن وائل أبناء عمومة الحمدانيين . وصدرنا الوحيد عن دور الحسين بن حمدان في الحرب ضد بني دلف ابن خالويه في شرحه لديوان أبي فراس ، أما المؤرخون فلا يوردون أية إشارة بهذا الصدد . ففي عهد المعتضد ظهر ببلاد الجبل اخوان من بني دلف هما بكر وعمر ابنا عبدالعزيز بن أبي دلف العجلي . وبحسب ما ورد في الطبري (٣) وابن الأثير (٤) نرى ان المعتضد بسند قيادة الجيش الى عباد الله بن سليمان وغلامه بدر اللذين تمكننا من القضاء على عمر فأذعن بالطاعة للخليفة في شعبان (سنة

(١) والجبل أو الجبال هي الاقليم الذي يشتمل على همدان والدينور واحسان ونهاوند والكروج .. الخ . ويحد إقليم الجبال شرقاً مضارة خراسان وقارس وغرباً أديجان وشمالاً بلاد الديلم وفردوس والري وجنوباً العراق وخوزستان
(ابن حنبل ص ٣٠٤ - ٣٠٦)

(٢) الطبري ٨٥ ص ١٧١ . ابن الأثير ٧ ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

(٣) ٨٥ ص ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٤) الكامل ٧ ص ٤٧٩ .

٢٨٨٣/٨٩٦ م) ، وقيل ذلك بقليل استطاع القائلان ان يحملوا بكرأ اليهما ضد أخيه بعد ان ولياه أعماله . فلما تمكنا من القضاء على ثورة عمر خلعا بكزاً ، فهرب في أصحابه من العرب العجاليين الى الأهواز ثم الى أصبهان وجبوش الخلافة لا تستطيع ان تقاؤه . وهذا يسكت المؤرخون ، غير ان أبا فراس يقول في قصيدته الرائية الشهيرة يمدح عمه الحسين :

وصدق في بكر مواعيد ضيفه وثور بابن الغمر والنقع ثائر (١)

وفي شرح هذا البيت يقول ابن خالويه (٢) : يريد - أي ابو فراس - بكر بن عبدالغزيز بن ابي دلف العجلي ، كان له صاحب قد شاهد الحسين بن حمدان في وقائعه ، وكان يكثر ذكره . فلما سار المعتضد ومعه بنو حمدان الى بكر ، وكان ابو جعفر بن الغمر ابن حمدون عم الحسين ، طليعة الجيش فأمر فظن الحسين انه قتل ، فالتقى العسكران ، والحسين منفرد بأصحابه وانهمز جيش السلطان ولم يمهل بكر صاحبه أن قال : « ما أغنى عنهم الحسين ؟ » فلما استولى بكر على العسكر ، خرج الحسين ينادي « يا ثارات ابي جعفر بن الغمر » : حتى وقع على سواد بكر فاحتوى عليه ، ووجد ابا جعفر مقيداً فاستنقذه ابو جعفر (٣) : واشتد القتال وتبارزا ، فكشفه الحسين وتمكن منه ووضع السيف عنه فلم يمهله صاحبه ان ذكر ما كان يصف . وورد الكتاب على المعتضد في صدر النهار ، يخبره بهزيمة عسكره ، فأمر بأخراج مضاربه ، وتلاه في آخر النهار ، كتاب الحسين بالفتح فرد مضاربه

(١) ديوان أبي فراس - ٢ ص ١١١ .

(٢) نفس المصدر ٢٦ ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣) هو ابو جعفر محمد بن النضر بن حمدون

٣٣- محمد القرامطة: وضع الحسين بن محمدان نفسه - كما أسلفتم - في خدمة الخلافة، ومن ثم كان نشاطه التالي مطاردة القرامطة بتكليف من الخلافة ؛ وهنا يجدر بنا ان نتوقف قليلا لنلقي نظرة سريعة على حركة القرامطة وانزياها في احداث العصر. فالحركة القرامطية في أساسها مزيج من اتجاهات اجتماعية وفلسفية نشأت في سواد العراق في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . أما من ناحية آرائها الفلسفية فترتبط باخوان الصفا ، بينما يذكرنا مظهرها الاجتماعي بالبرنامج الاشتراكي السدي لجده في ثورة الزنج (١) . وفي كلتا الحركتين نجد الدعوة الى امة الطويين تتخذ ستاراً يكسب مبادهم صبغة مقبولة لدى العامة ، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون (٣) : هذه الدعوة لم يظهرها أحد من أهل نسب العلوية ولا للظالبيين ، وإنما قام بها دعاة المهدي من أهل البيت على اختلاف عنهم في تعيين هذا المهدي .

إننا لا نريد ان نعرض الجانب العقائدي النظري للقرامطية ، فالذي يهمنا هنا جانبها الاجتماعي . لقد اكدت الحركة القرامطية على نشر دعوتها بين صفوف الفلاحين وأهل القرى والصناع. وقد بدأت الدعوة أول الامر سرية وتطلبت من المنضمين اليها التزامات قاسية سواء في فرضها خمسين صلاة في اليوم (٣) أو في دفع ضرائب مستمرة (٤) كوت بيت المال الذي اعتبر ثروة عامة لجميع الأعضاء . فكان للتأكيد على

(١) « يومين » ، نظم الاسلامية (الترجمة العربية) ص ٥٣

(٢) الجزء ٤ ص ١٨١ .

(٣) ابن الاثير ٧٦ ص ٤٤٥ . وما بعدها . ابن خلدون . الجزء ٤ ص ١٨١

(٤) ابن الاثير ٧٦ ص ٤٤٥ . ابن خلدون م ٤ ص ١٨٢

الصلوات العديدة كان رد فعل لضعف الايمان الذي راج في هذا العصر ، وكان مشاعية الاموال والثروة نوع من التبشير بالاشتراكية بين جمهور من المعدمين والفقراء :

لقد تميزت حركة القرامطة بالثورية والعنف وعدم المهادنة في معاملة الأعداء ، وذلك انهم أباحوا دماء غيرهم حتى ولو كانوا مسيحيين . وساعد في نجاح هذه الحركة التنظيم الدقيق حتى لقد جعل القرامطة العمال والصناع أصنافاً لها مراسيم دقيقة شبيهة بالانماء النقائي ، كما ساعد على رواج دعوتهم انهم دعوا الى المساواة وهو أمر لقي الاستحسان لدى الجماهير المعذمة .

ظهرت حركة القرامطة بسواد الكوفة ، حين قدم هذه المسدنة - ذات التراث العريق في المعارضة ، والتي كانت معقلاً للنشيع - رجل من الامواز أخذ يذكر الناس في أمور الدين ويزهدهم في الدنيا ويفرض عليهم خمسين صلاة في اليوم (١) . وقد أغرم العامة بمذهب الداعية الاهوازي هذا ودفعوا له الصيراث ، ثم خلفه في دعوته كرمبة أو حمدان قرمط الذي نسب اليه القرامطة . ويقول ابن الاثير (٢) ان هذا الرجل كان «يظهر الزهد والتقشف، ويسف الخوص ويأكل من كسب يده ويكثر الصلاة ، فأقام على ذلك مدة : فكان اذا قدم اليه رجل ذاكره امر الدين وزهده في الدنيا ، وأعلمه ان الصلاة المقروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم واياة ، حتى فشا ذلك عنه بموضعه ، ثم أعلمهم انه يدعو الى امام من آل بيت الرسول ، فلم يزل على ذلك حتى استجاب

(١) ابن الاثير ٧٦ ص ٤٤٤ - ٤٤٩ . ابن خلدون ٤ ص ١٨١

(٢) الكامل ٧٥ ص ٤٤٤

له جمع كثير . ويستطرد ابن الاثير ان هذا الرجل اشتهر به المرض فحمله رجل « كان في القرية .. أحر العينين، يحمل على أثوار له، يسمونه كرميته لحمرة عينيه ، وهو بالبطية أحر العينين » (١) . وأقام الداعية الاهوازي عند كرميته حتى برأ ، ودعا اهل تلك الناحية الى مذهبه . فأجابوه : « وكان يأخذ من الرجل الذي ينضم الى الدعوة ديناراً » ويزعم انه للإمام « واتخذ منهم اثني عشر نفياً أمرهم أن يدعوا الناس الى مذهبهم وقال : انتم كحواري عيسى بن مريم . فاشتغل اهل كرر تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الصلوات » :

هذه رواية لابن الاثير ، غير انه يورد رواية اخري (٢) مفادها ان قرمط لقب رجل كان بسواد الكوفة يحمل غلة السواد على أثوار له واسمه حمدان ، « هو الذي ينسب اليه مذهب القرامطة . ويؤيد ابن خلدون هذه الرواية فيقول (٣) ان اول من ظهر بالدعوة القرمطية بسواد الكوفة سنة ٢٨٧/٩٠٠م رجل اظهر الزهد وزعم انه يدعو الى المهدي « ولقب قرمط وأصلها بالكاف . وفشا هذا المذهب في السواد . ويتحدث المؤرخون عن علاقة قرمط بصاحب الزنج ويروي ابن الاثير وابن خلدون (٤) انه اتصل به وقال له : « اني على مذهب وراي ، ومعي مائة الف ضارب سيف ، فاظرفني ، فإن اتفقنا على المذهب ملت اليك بمن معي ، وان تكن الاخرى انصرفت عنك . فتناظرا ، فاختلفت آراؤهما ، فانصرف

(١) ابن الاثير ٧٦ ص ٤٤٥

(٢) انظر الكامل ٧٦ ص ٤٤٤ - ٤٤٩ (صادر)

(٣) المير مجلة ٤ ص ١٨١ - ١٨٢ (بيروت ١٩٥٨)

(٤) الكامل - ٧ ص ٤٤٩ . ابن خلدون ، المير مجلة ٤ ص ١٨٣ .

هنقرمط. ٥. والحق انه لمواتفق القرامطة والزنج المكان في ذلك خطر
 جسم. على الخلافة العباسية. قد كان يودي بها. . ومهما يكن ففي الوقت
 الذي اخفقت فيه ثورة الزنج وقتل زعيمها في سنة ٨٨٣/٢٧٠م، ظلت
 دعوة القرامطة تنتشر بين الجماهير في العراق والأخواز واليمن، حتى اذا
 ما أهل عام ٢٨٦، ظهر ابو سعيد الجنابي في البحرين ونضم اليه الاعراب
 وهدد البصرة، وهاجم المعتدلات الدينية وكنل بقوافل الحجاج (١)
 ويعتبر ابن خلدون (٢) الجنابي - ويسميه ابا سعيد الحسين بن بهرام -
 باناً لدولة قرمطية له ولبنيه وان دعوته اثرت على الاجماع هيلية بالقيروان.
 ثم المعتضد بن ساعد الجند ووجه الى البحرين (في سنة ٢٨٧/٩٠٠)
 جيشاً لقمي هزيمة نكراء (٣)، ومع ان قواد الخليفة استطاعوا في سنة
 ٩٠١/٢٨٩م للقبض على كثير من القرامطة بسواد الكوفة والتنكيل
 بهم (٤)، فإن مبادئ القرامطة ظلت في أيام المكتفي تجذب اليها جماهير
 الناس، وتوفي المعتضد وما زال القرامطة اقوياء في البحرين والجزيرة
 والشام. ولم يكند المكتفي يتولى الخلافة (٢٨٩-٢٩٥/٩٠١-٩٠٧م) (٥)،
 حتى أخذ بطارد القرامطة الذين تزعمهم ذكرويه بن مهرويه داعية قرمط
 في الشام الذي يسميه ابن خلدون (٦) ذكرويه بن مهرويه والفرج بن

(١) ابن الاثير ج٧ ص ٤٩٤

(٢) المعبر ج٤ ص ١٨١

(٣) ابن الاثير ج٧ ص ٤٩٨-٥٠٠. اطر حول قرامطة البحرين ابن خلدون ج٤ ص ١٨٨ وما بعدها.

(٤) ابن الاثير ج٧ ص ٥١٢-٥١٣

(٥) المكتفي بالله هو أبو محمد علي بن المعتضد وتبدأت خلافته في ٨ جمادي الاولى سنة ٢٨٩.

(٦) المعبر ج٤ ص ١٨١ وما بعدها.

عثمان القشاشي في ذات الوقت ، واستطاعت جيوش الخلافة سنة ٢٩١/٩١٣م لانه تقهر قرامطة الشام وأن تقبض على زعيمهم السلي شتي ببغداد (١) .

من الذي يهنا هو دور الحسين بن حمدان في القضاء على حركة القرامطة ، فقد أصبح خلفاء كبري الثقة به ، ومن ثم عهد اليه المكتبي سنة ٢٩١/٩١٣م مع قواد آخرين بمهمة القضاء على الحسين بن زكرويه الفرعطي الذي جنى ٢٠ صاحب الشامة ، والذي كان على حمدان ابن خلدون (٢) احد ثلاثة اولاد لذلك زكرويه (أي زكرويه) ووجوا الدعوة بين بعض بطون كلب بن وبرة المستنصفة حتى انهم آمنوا بدعوة يحيى (لحد الاختزة) وبأجدوه امامهم انه من نسل اسماعيل بن جعفر الصادق وكتبوا بابا القاسم وتقبوه « الشيخ » ولما قتل يحيى انضم انصاره الى اخيه الحسين « صاحب الشامة » .

وقد كملت جهود جيوش الخلافة بالنجاح فحمل القرامطي الى بغداد سنة ٢٩١/٩١٣م حيث شقت وجماعته (٣) كما كانت العادة المألوفة بالنسبة للدعاريين والجارحين على السلطة . ويبدو ان دور الحسين بن حمدان في مقالة « صاحب الشامة » كان بارزاً ومؤثراً بإعتراف المؤرخين بحيث ان محمد بن سليمان القناد الأعلى للجيش كتب يثني عليه وعلى بني شيان « فانهم اصطلوا الحرب وهزموا القرامطة واكثر وقتل فيهم والاسر » (٤) . ويقدم المؤرخون القنادي (٥) وصفاً مسرحياً لموكب « صاحب الشامة »

(١) ابن الاثير ج ٧ ص ٥٣٠-٥٣٢ . ابن خلدون ج ٤ ص ١٨٥-١٨٦ .

(٢) الديلم ج ١ ص ١٨١ .

(٣) الطبري ج ٨ ص ٢٢٥ . ابن الاثير ج ٧ ص ٥٣١ . عريب . الصلة ص ٤ .

(٤) الطبري ج ٨ ص ٢٢٥ . ابن الاثير ج ٧ ص ٥٣١ . ابن خلدون ج ٤ ص ١٨٥ .

(٥) الطبري ج ٨ ص ٢٢٨ . ابن الاثير ج ٧ ص ٥٣١-٥٣٢ . عريب ص ٢ .

وهو في الأسر بعد أن قبض عليه وهو يقاسي الجوع والعطش خلف رابية في مدينة «الدالية» المعروفة بإبن طوق (١) - أي الرحبة - وأدخل إلى مدينة الرقة على جمل ذي سنمين، ثم يسار به إلى بغداد في صحبة جيش المكتفي «وإدخل القرمطي بغداد على فيل واصحابه على الجمل» . وقد أمر المكتفي بقطع يدي صاحب الشامة وكبه فأضحي عليه ، ثم اشعات صفائح من الخشب وضعت في خاصرته ، فجعل يفتح عينه ويغمضها ، فلما خافوا موته ضربوا عنقه ورفعوا رأسه على خشبة فكبر الناس لذلك ، ونصب على الجسر (٢) وهي عادة مألوفة بمذاك :

وقد اشاد القائل محمد بن سايان في الكتاب الذي ارسله بعد النصر إلى الوزير بدور الحسين بن حمدان في قتال القرامطة فذكر (٣) ان القرامطة رموا بثقلهم على الميمنة التي كان يقودها الحسين ، فاستقبلهم الحسين بآرك الله عليه واحسن جزاءه بوجهه وبموضعه من سائر اصحابه برماحهم فكسروها في صدورهم فانقلوا عنهم ، وعاود القرامطة الحمل عليهم ، فأخذوا السيوف واعترضوا ضربا للوجوه فصرع من الكفار الفجيرة ستمائة فارس في اول وقعة ، واخذ اصحاب الحسين خمسمائة فرس واربعمائة طوق فضة واولوا مدبرين مفلولين واتبعهم الحسين فرجعوا عليه فلم يزلوا - حملة وحملة ، وفي خلال ذلك يصرع منهم الجماعة بعد الجماعة حتى افناهم الله عز وجل (٤) .

(١) انظر الفصل الجغرافي .

(٢) الطبري ج ٨ ص ٢٢٠ - ابن الاثير ج ٧ ص ٣١٠

يقول الطبري (ج ٨ ص ٢٢٩) ان صاحب الشامة حاول الانتحار في سجنه بقطع بعض عروق يده

(٣) حلة الطبري ص ٢٢٧

(٤) انظر حول دور الحسين كذلك الدكتور (زبدة الفكرة - مطبوع ج ٥ ورقة ١٢٩) - (١٤٠) ، والمسعودي ، التنبيه والاشراف ص ٣٥٤ .

كذلك وصف ابن خالويه دور الحسين في حرب « صاحب الشامة » فقال : ثم عظم أمر « صاحب الشامة » بالشام والمهجمة (١) معه ، فاجتمعت معه العرب ، فتخلف المكنتي في الرقة وجهاز العسكر ، فسار الحسين بن حمدان حتى قطع عليه السبابة وهزمه وقتل رجله ، وانحس尔 بعدها أمره حتى هرب منفرداً وحده فأخذ في طريق الفرات متخفياً ، وكان دليل الحسين في السبابة جلهمة الكلابي فعدل به عن عصبية عن الماء ، بعد ان هلك خلق كثير من اصحابه . « (٢) وهذا النص ينجم مع ما ذكره المؤرخون (٣) عن دور الحسين في حرب القرامطة .

وبعدنا المؤرخون (٤) بمعلومات أخرى طريقة عن لشاط قرمطي آخر ظهر بعد مقتل « صاحب الشامة » هو عبدالله بن سعيد المكنتي ابا غانم . وكان ابو غانم هذا شأن كثير من زعماء القرامطة رجلاً فقيراً من عامة الشعب يعمل معلماً للصبيان في الرافوفة بالفلوجة ، وتسمى نصراً ، وأخذ يتجول بين أحياء العرب فأنقضت اليه بعض بطون كلب من القواطم وبني العليص بالدرجة الأولى . وقصد الشام واستولى على بعض مدنها ، حتى لقد استسلمت له دمشق ودخل طبرية ونهبها : وقد انتدب الحسين لحرب ابي غانم فالتقى به قرب دمشق وطارده حتى بادية السبابة ، وهنا حدثت له القصة التي رواها ابن خالويه والتي أشرنا إليها ، حيث ضل الحسين الطريق بفعل دليله جلهمة الكلابي وأجهد العيش . ويبدو

(١) المهجمة : من بني كلب (ابن خالويه ، الديوان ج ٢ ص ١٢٩)

(٢) في هذا القول دلالة على ان بعض بطون كلب انضموا الى جيوش القرامطة ، (انظر ابن خلدون م ٤ ص ١٨٤)

(٣) بالاضافة الى الطبري وابن الاثير انظر ابن خلدون م ٤ ص ١٨٥ و ١٨٨

(٤) الطبري ج ٨ ص ٢٢٦ وما بعدها . ابن الاثير ج ٧ ص ٥٤١ - ٥٤٦

ان جلهم كان من أنصار القرامطة أسوة بكثيرين غيره من كلب . ثم قصد القرامطة هيت - على القرات - فنهبوا السفن والأموال ، واورقوا ثلاثة آلاف راحلة من الحنطة ، غير ان الحسين استطاع بعد مشقة بالغة ان يتخلص من ابي غانم (١) . وبعد ان فقد القرامطة الزعامة ظلت بغاياهم تتقاتل فيما بينها حتى سالت بينهم الدماء ومع ذلك ظلت جيوب لهم تارس فرائض المذهب الفرعطي وتعكر صفو الأمن هنا وهناك في اطراف الدولة الاسلامية (٢) ؛

٤- ضد الطولونيين: إذا كان الحسين بن حمدان قد غدا جندياً محترفاً في خدمة الخلافة ، وتحول من المعارضة الى الولاء خلال السنوات الاخيرة ، فقد برهن في الوقت نفسه على ارادة قوية وعزيمة كبيرة . كان من الممكن ان تؤهله الدور اكبر في الحيسة السياسية يومذاك . غير انه - كما يبدو - شغل بالصراع الدائر في بغداد وفي الاقاليم ، وكرس نفسه للمهام التي كلف بها بحيث لم يعد يفكر في مهام أعلى : ولما كان الحسين مجرد آلة في ماكنة الخلافة سخرت للقضاء على المعارضين ، فقد اسندت اليه مهمة أخرى جديدة هي حرب الطولونيين : فمن هم الطولونيون ؟

كان أحمد بن طولون مملوكاً تركياً اهتدي الى المأمون ، ولما كان ذا قابليات غير اعتيادية فقد استطاع أن يرقى بسرعة حتى قدر له ان يكون

(١) المسعودي ، التنبيه والارشاف ص ٣٥٤ . الدبري ج ٨ ص ٢٣٦ - ٢٤٧ . ابن الاثير ج ٧ ص ٥٤٢ . ابن خلدون م ٤ ص ١٨٧

(٢) يبدو ان القرامطة كانوا ذوي نفوذ في سواد العراق . وفي المنطقة الممتدة بين الحسكة ودمشق على طريق بادية السامرة وان بني الدليس - وهم فخذ من كلب - كانوا متحدين لهذه الدعوة . انظر الطبري ج ٨ ص ٢١٤ - ٢١٥ أما ابن خلدون (م ٤ ص ١٨٤) فيسبهم بني القليس بن ضحيم بن علي بن جناب .

نائباً لوالي مصر. ويمكن اعتبار أحمد بن طولون واحداً من بناة الدولات المستقلة على حساب الخلافة . ولم يكتف ابن طولون بمصر، بل استولى على الشام وضمها الى املاكه ، وبذلك حقق نفس الهدف الذي هدف اليه حكام مصر من قبله ومن بعده ، وهو اضافة سورية الى أملاكهم باعتبارها الخط الدفاعي عن مصر من ناحية الشرق (١) . غير ان أحمد بن طولون شأنه شأن كثير من الأفراد العسكريين آنذاك ممن كانت لهم القدرة والمواهب والطموح ، أسلم أملاكه الى ذريته فلم يستطعوا الحفاظ عليها ، وفي سنة ٨٢٩٣ / ٩٠٤ م ، ساءت العلاقة بين الخليفة المكتفي وهارون بن خارويه بن أحمد بن طولون ، فسير جيشاً بقيادة محمد بن سليمان ضم من بني حمدان ابا علي الحسين بن حمدان و ابا سليمان داود بن حمدان المزرفن (٢) و ابا الوليد سليمان بن حمدان « الحرون » (٣) و ابا جعفر محمد بن الغمر بن حمدون . وهنا يجب ان ننتبه الى أنه لأول

(١) كان طولون تركياً أهدها عامل بنساري الى المأمون فولد له أحمد سنة ٢٢٠ من جارية اسمها ناسم . وعاش أحمد في دار الخلافة واشتهر بالتقوى والامانة وحب الجهاد حتى التحق بالمرابطين في الثغور . وحين عاد الى بغداد كان قد تزود بالعلم والدين والخبرة السياسية والعسكرية . وفي سنة ٢٥٤ هـ ولي أحمد مصر ثم شملت ولايته ايام المهدي الاسكندرية والصيد . ولم يلبث أن عد نفوذه الى الشام واعلن استقلالاً والقباً مستقلاً خضع الخلافة .

ابن خلدون ، المعبر م ٤ ص ٦٣٦-٦٥٩ . كذلك انظر الطبري ٨ ص ١٣٥ . ١٣٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٩٤ .. الخ وابن الاثير ٧ ص ١٨٧ ، ٣١٦ وما بعدها .

(٢) يقول أبو فراس (الديوان) ص ٢٠ ص ١١٢

وعمي الذي سته ليس مزرعاً وقد شحرت فيه الرماح الشواجر

(٣) ديوان أبي فراس ص ٢ ص ١٣٤ قال ابن خالويه : كان ابو الوليد سليمان بن حمدان شيخ بني حمدان وصاحب القلب في كل دولة لعل شأنه ليس (الحرون - بالفتح)

مرة نجد أربعة من أسرة بني حمدان ينضمون الى جيش الخلافة كقادة ، وهي دلالة على ارتباط مصالحهم - في هذه الفترة - بمصالح الدولة . ويقول ابن خالويه (١) ان كلا من هؤلاء الأربعة أبلى بلاء حسناً في القتال ، « وضرب الحسين صاحب جيشهم فقتله وهزم الجيش ودخل مصر » . ويستطرد ابن خالويه - بعد ان يشير الى فروسية ابي جعفر محمد بن الغمر بن حمدون - ان الخليفة عرض ولاية مصر على الحسين بن حمدان فرفض العرض ، الا ان ابا جعفر قبل ولاية الصعيد الأعلى ، وانصرف - البها - ومعه الف بقل وجمل تحمسل انقاله ، ، وهي اشارة واضحة الى غناه الواسع (٢) .

وهنا نقسامل : لماذا رفض الحسين ولاية مصر أو « كرهها » على حد تعبير ابن خالويه ؟ لقد كان الحسين بن حمدان ينشد الولاية دون أدنى شك ، غير انه رفض ولاية مصر لسببين ، أولهما انها كانت منطقتهم مضطربة خطيرة ، بحيث انه ما كادت جيوش الخلافة تحقق النصر حتى ظهر ابراهيم الخليلجي الذي ما لبث ان احتل مصر ، والثاني ان الحسين - كما يبدو - كان يطمح الى ان يولى على الموصل وديار ربيعة وهي بلاد آبائه وأجداده ، أو على الأقل ان يكون قريباً من الأحداث في بغداد . ومهما يكن فقد استطاع الحسين أن يكون لنفسه قوة حربية من بني تغلب - كما أسلفنا - يحارب بها هنا وهناك لحساب الخلافة . ويؤيد هذا ما ذكره الطبري وابن خلون (٣) عن وجود بني تغلب في حرب « صاحب

(٢) الديوان ٢٥ ص ١٢٩

(٣) نفس المصدر ٢٥ ص ١٣٠

(٣) ص ٧٥ - ٢٢٨ . البرم ٤ ص ١٨٥ .

الشامة ، الذين أبلوا (مع بني شيان وبني تميم) بلاء حسناً استحقوا عليه شكر الخلافة .

وظل الحسين منغمراً في نشاطه لنصرة الخلافة ضد القرامطة وغيرهم من النازرين هنا وهناك في أطراف الدولة . فنحن نجده يتعقب قلول القرامطة في الشام والطريق المؤدي إليها في منتصف سنة ٢٩٤ / ٩٠٦م أي إثر القضاء على زكرويه ، فيقتل منهم جماعات ، ويأسر جماعات أخرى يبعث بهم إلى بغداد (١) . ويذكر المؤرخون (٢) كذلك ان الحسين قبض على رجل يعرف (بالكيال) في طريق الشام مع ستين رجلاً من أصحابه كانوا في جيش زكرويه ، وقد استسلموا للحسين فأرسلهم إلى بغداد . وفي خلال شهر رمضان من تلك السنة يدخل الحسين في معارك ضارية ضد القبائل العربية في الشام مثل كلب والنمر وأسد وطي وغيرهم ، ممن اجتمعوا عليه فهزموه حتى بلغوا به باب خلب (٣) فهل كانت هذه الجماعات من الأعراب من أنصار القرامطة ؟

لقد اتسع نشاط الحسين خلال السنوات الواقعة بين ٢٨٣ - ٢٩٤ هـ / ٨٩٦ - ٩٠٦ م (أي خلال عهدي المعتضد والمكثفي) ، وأثبت انه كان قائداً حريياً ناجحاً حتى لقد كان في خزائنه نيف وعشرون طوقاً لنيف وعشرين فتحاً بالمشرق والمغرب على حد قول ابن خالويه (٤) ويستشهد

(١) الطبري ٨٥ ص ٢٤٨ ، ابن الأثير ٧٥ ص ٥٥٦ .

(٢) الطبري ٨٥ ص ٢٤٩ .

(٣) غرر القدر ٨٥ ص ٢٤٩ ، ابن الأثير ٧٥ ص ٥٥٣ .

(٤) ديوان أبي فراس ص ١٣٠ .

ابن خالويه (١) على شجاعته وقوته الحارقة بهذه الحادثة و لقد نازل الحسين الأسد ثلاث مرات فقتله ، واحداهن بين يدي المعتضد . فكان احسن ما فعله ، انه قتل الأسد ومسح سيفه في جلده ، وردده في غمده ، وركب وسار في عرض الناس ولم يلتفت الى الخليفة ولا احتفل بمفاعله . ولا ندرى صحة امثال هذه الوقائع التي يرويها ابن خالويه عن الحسين خاصة وهو متعصب للحمدانيين ومن أشد أنصارهم حماساً ، فقد عاش في بلاط سيف الدولة وكان من أقرب المقربين الى بني حمدان .

٥- الحسين ومؤامرات البلاط: بلغت علاقة المكتفي بالحمدانيين حداً ثقة المطلقة ، فبالإضافة الى اعتناؤه الكلي على الحسين بن حمدان وانتدابه لخطر المهات في الداخل والخارج ، ولإخاء ابا الميجاء عبدالله بن حمدان على الموصل واعمالها فوصلها في المحرم سنة ٢٩٣ / ٩٠٥ م . غير ان وفاة المكتفي بن المعتضد (٢) في آواخر سنة ٢٩٥ / ٩٠٨ م وتولي المقتدر بالله الخلافة (٢٩٥ - ٣٢٠ - ٩٠٨ - ٩٣٢ م) اديا الى تغير جذري في موقف الحسين من السلطة فتحول من الولاء الى المعارضة العنيفة . ويبدو ان الحسين كان من اشد المعارضين في مجيء المقتدر (٣) ، وقد سعى للحيلولة دون مجيئه ، فلما غلب على أمره انحاز الى الحزب المعارض للخليفة الجديد ، واشترك في مؤامرة ضخمة لخلعه وتولية عبدالله بن المعتز .

(١) قس المصدر والمكان .

(٢) هو ابو محمد علي بن المعتضد بالله ابي الباس احمد بن الموفق بن المتوكل .

(٣) هو ابو الفضل جعفر بن المعتضد .

انقسم الساسة والقادة إلى وفاء المكثفي إلى حزبين يؤيد أحدهما تولية المقتدر الصغير السن العديم المواهب لكي يكون طموح بناتهم ، ويميل الآخر وهو حزب الأكثرية إلى تولية عبدالله بن المعتز الشاعر المطلع على بواطن الأمور (١). وكان الحسين بن حمدان من أبرز العناصر التي شجبت مجيئ المقتدر وناصرت ابن المعتز ، غير أن الوزير العباس بن الحسن جاء بالمقتدر بناء على نصيحة علي بن محمد بن الفرات (أحد أربعة كبار يتولون الدواوين) غير أنه لم يمض سوى أربعة أشهر حتى حصل اجتماع بين الساسة والقادة - بما فيهم الوزير العباس بن الحسن - على خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز . وكان المتصدي الأول لتنفيذ هذه العملية الحسين بن حمدان . وقد تم خلع المقتدر والبيعة لابن المعتز في سنة ٢٩٦/٩٠٨ م (٢). والذي يهمنا هنا الدور البارز الذي قام به الحسين بن حمدان الذي لم يتردد في قتل الوزير العباس حين رأى منه تردداً وميلاً إلى عدم تنفيذ هذه العملية . ثم أسرع الحسين إلى « الحلبة » على أمل أن يجد المقتدر يلعب الكرة والصولجان فيؤدي بحياته (٣) . غير أن المقتدر - حين أحس بالضجّة - دخل إلى قصره وأغلق دونه الأبواب . ومع ذلك فقد دعا الحسين إلى اجتماع سياسي في قصر سليمان بن وهب بالمحرم حضره القواد والجند وأصحاب الدواوين والقضاة ، وكلهم من حزب ابن المعتز الذي بويص بالخلافة كما أشرنا ولقب المرتضي بالله .

(١) مسكويه ، معارج الأمم - ص ١٠٣ ابن الأثير - ص ٨٠ ص ١٠٩ .

(٢) الطبري - ص ٨٠ وما بعدها ، حرب ، الصلة - ص ٢٠ ، المسعودي التبيين والإشراف ص ٣٢٦ ، ابن الأثير - ص ٨٠ ص ١٤ .

(٣) الطبري - ص ٨٠ ص ٢٥١ ابن الأثير - ص ٨٣ ص ١٥ مسكويه - ص ١٠ ص ٥ .

وهكذا تمتعت بغداد بضعة ايام بخليفتين يستند كلا منهما حزب من المنتفعين. وفي اليوم التالي قاد الحسين فرقة عسكرية حاصرت دار الخلافة طوال النهار ، لكنه حين ادرك ان الامور اخذت تجري في صالح المقتدر - نظراً للمقاومة التي ابدتها حرسه بقيادة مؤنس الخادم - جمع امواله وسار ليلاً مع اهله الى الموصل (١) . وقد انقذه هذا التصرف الذكي من مصير سيء محتم . فقد استطاع حزب المقتدر فعلاً احباط المؤامرة واعيد المقتدر الى كرسي الخلافة ، ونكل بإنصار ابن المعتز بين قتل وسجن ونفي ومصادرة ، وقبض على ابن المعتز - بعد ان اختفى فترة - فإغتيل ابعش إغتيال داخل دار السلطان (٢) .

وهنا نتساءل : لماذا وقف الحسين بن حمدان هذا الموقف الغامض ؟ ان ابن الاثير نفسه يتساءل (٣) : « ان ابن حمدان على شدة تشيعه وميله الى علي ، عليه السلام ، واهل بيته ، يسعى لابن المعتز على انحرافه عن علي وغلوه في النصب الى غير ذلك . » ويزيد من غموض موقف الحسين ، انه اتخذ انصار ابن المعتز - وهم الاغلبية - بفراره الليلي المفاجي* مما ادى الى انهيار معنوياتهم بحيث « اضطربوا وهربوا على وجوههم من قبل ان يصلوا - أي جماعة المقتدر - اليهم » وقال بعضهم لبعض : ان الحسين بن حمدان عرف ما يريد أن يجري ، فهرب من الليل ، وهذه مواطأة بيته وبني المقتدر ، وهذا كان سبب هربه » (٤) . يبدو من كل ذلك ان

(١) مكتوب ١٦ ص ١ ابن الاثير ٨٣ ص ١٥ .

(٢) مكتوب ، ١٥ ص ١ وما بعدها . التنبيه والاشراف ص ٣٢٧ .

(٣) التكميل ٨٣ ص ١٨ .

(٤) ابن الاثير ٨ ص ١٦ .

الحسين بن حمدان خشي من مدة محاولته اغتيال المقتدر ، وعلم ان مصيره سيكون القتل على أقبح صورة اذا وقع بين أيدي حزب المقتدر ، خاصة وقد ظهرت له بوادر انتصار هذا الحزب .

والحق ان المقتدر أخذ يلاحق الحسين ، فأرسل قوة عسكرية بقيادة القاسم بن سبأ فداروا حتى بلغوا قوقسيا والرحبة فلم يظفروا به . فكتب المقتدر الى اخيه ابي الهيجاء والي الموصل يأمره بتسليم الحسين ، وسار ابو الهيجاء مع ابن سبأ والتقوا بالحسين عند تكريت فانهزم امامهما في رواية (١) أو ان ابا الهيجاء تظاهر بالهزيمة في رواية أخرى (٢) . ولعل ذلك كان باتفاق بينه وبين اخيه . ثم ارسل الحسين اخاه الآخر ابراهيم يطلب له الأمان من الخليفة ، فأحبب الى ذلك ودخل بغداد لاجئاً طاللاً «افو» ، فخلع عليه المقتدر وعقد له على قم وقاشان فسار اليها في سنة ٢٩٦ / ٩٠٨ م (٣) ولعل المقتدر كان مدفوعاً الى هذا العمل بمحنة دوافع اولها حاجته للحمدانيين ذوي النفوذ في ديار ربيعة ، وابعاد الحسين عن بغداد كبل لا يشترك في المؤامرات التي حفل بها القصر آنذاك ، أولعله اراد ان يقذف به الى حرب الصفارين ليصطاد عصفورين بحجر .

٦- ضد الصفارين . الصفارون أسرة نقيرة من سجدان نسع عنها أول ما نسمع حين برز فيها أخوان بعملان بصناعة الصفر هما يعقوب بن الليث وعمرو سنة ٢٥٣ (٨٦٧ م) . وقد ارتفع شأن الاخوين - أسرة بكثير من الطموحين والمغامرين وذوي الجرأة - واستطاع يعقوب في سنة ٢٥٣ / ٨٦٧ م ان يفرض نفسه على سجدان بعد أن بسد شمل الخوارج فيها ، واطهر

(١) ابن الاثير - ٨ ص ٥٤ .

(٢) الطبري - ٨ ص ٢٥٢ . صلة الطبري - ص ٢٢ .

(٣) الطبري - ٨ ص ٢٥٢ . صلة ص ٢٢ . ابن الاثير - ٨ ص ٥٤ .

التمسك بطاعة الخليفة وكاتبه ، وملك سجستان ثم ملك ه راة ويوشنج وغير ذلك من الاطراف البعيدة (١) ، مستغلا فترة ضعف الخلافة ابان انشغالها بثورة الزنج (٢) .

وفي سنة ٢٥٥/٨٦٨ م استطاع يعقوب ان يوطد سيطرته في كرمان وفارس (٣) وفي سنة ٢٥٩/٨٧٢ م دخل نيسابور ، وفي السنة التالية دخل طبرستان . وفي سنة ٢٦٢/٨٧٥ م توسعت اطماع يعقوب فاستغل انشغال الخلافة بحرب الزنج وسار من فارس الى الاهواز، الا ان ابا احمد الموفق (٤) السدي كان متجهاً بكلية لدفع خطر الزنج ، استرضى يعقوب الصفار بتوليته رسمياً اعمال خراسان وجرجان وطبرستان والري وفارس والشرطة ببغداد في نفس السنة (٢٦٢) (٥) غير ان يعقوب لم يرعه كل ذلك وهدد بالدخول الى بغداد ، وفعلا سار الى واسط ودخلها في أواخر هذه السنة ، ثم تقدم الى دير العاقول ، غير انه هزم امام الموفق والسحب الى خوزستان فنزل جنديسابور حيث استلم رسالة من صاحب الزنج يحثه على الرجوع الى بغداد ويعدّه بالمساعدة ، الا انه رفض التعاون لاختلاف

- (١) يقول ابن الاثير ص ٧٠ من ١٨٤ - ١٨٥ ان يعقوب بن الليث واخاه عمرو كانا بعدلان الصخر بسجستان ويظهران الزهد والتشفي وكان يومذاك سنة ٢٥٣) رجل متطوع لحرب الخوارج يسمى صالح المتطوعي . فقاتل يعقوب معه ثم ثمانل مع خلفه (درهم) ثم حل محله في محاربة الشراة . (املر ابن خلدون م ٤ ص ٨٦٦-٨٦٧ .
- (٢) ثورة الونج (٢٥٥-٢٧٠/٨٦٨-٨٨٣ م) انظر ثورة الونج . للمؤلف (بنداد ١٩٥٤) .
- (٣) الطبري ص ٨٠ من ٥٢٠ وما بعدها . ابن الاثير ص ٧٠ من ١٩١-١٩٤ . ابن خلدون م ٤ ص ٦٨٧-٨٩ .
- (٤) هو ابو احمد الموفق بنده آخر الخليفة المتتمد وولي مده . وقد اشتهر بشعائه على تسودة الونج .
- (٥) الطبري ص ٨٠ من ٢٣٠ . ابن خلدون م ٤ ص ٦٩٧ .

الأهداف والمبادئ^(١) بل أنه هاجم صاحب الزنج من الخلف لدخل
الاهواز لكنه لقي مقاومة ضاربة من علي بن ابان قائد الزنج هناك واستقر
الأمر بين الطرفين على الهدنة في سنة ٨٧٦/٢٦٣ م (٢) .

وفي سنة ٨٧٨/٢٦٥ م توفي يعقوب الصفار بجند بسابور (من كور
الاهواز) ، فحل محله اخوه عمرو الذي كتب الى الخليفة بطاعته فولاه
الموفق خراسان وفارس وأصبه ان وسجستان والسند وكرمان والشرطة
ببغداد ليأمن شره وينفرغ للحرب الزنج الذين هددوا العاصمة . وفعلًا ،
ما كادت الخلافة تقضي على حركة الزنج سنة ٨٨٣/٢٧٠ م حتى عدت
الى عزل عمرو بن الليث عن ولاية خراسان في سنة ٢٧١ وأمرت بلعنه على
المنابر (٣) . وفي الفترة الواقعة بين سنتي ٢٧١-٢٧٦ ٨٨٤-٨٨٩ م جرى
صراع مجدد بين الموفق وعمرو لم تبرز فيه الخلافة نصراً حقيقياً ،
فاضطرت في سنة ٨٨٩/٢٧٦ م الى الاعتراف بسلطة الصفار فجعلت
له شرطة ببغداد (٤) ، وفي سنة ٨٩٢/٢٧٩ م ولاه المعتضد خراسان ، غير ان
مطامع عمرو كانت اوسع من ذلك فدخل نيسابور سنة ٢٨٠ . وفي ٨٩٨/٢٨٥ م
ولاه الخليفة بلاد ما وراء النهر ، التي كانت واقعيًا في يد اسماعيل بن أحمد
الساماني مما عاد بالحصران على عمرو حيث هزم في حرب عند بلخ وأسر
وارسل الى بغداد سنة ٩٠٠/٢٨٧ م . وارسل المعتضد للمعتصم الجديد
اسماعيل الخلع وللاه ما كان بيد عمرو من الاقاليم التي اضاف اليها
اسماعيل خراسان استيلاء (٥) وبسجرد ان توفي المعتضد وتولى ابنه المكتفي

(١) ابن خلدون م ٤ ص ٦٩٤ .

(٢) نفس المصدر جلد ٤ ص ٦٩٦ .

(٣) ابن الاثير - ٧ ص ٤١٤ ابن خلدون م ٤ ص ٦٩٩ .

(٤) ابن الاثير ج ٨ ص ١٥٤ . ابن خلدون م ٤ ص ٦٩٩-٧٠٠ .

(٥) الطبري ٨ - صفحات ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ابن خلدون م ٤ ص ٧٠٢ .

الحلقة سنة ٢٨٩/٩٠١ م قتل عمرو الصفار ودفن ببغداد (١) :

وفي سنة ٢٩٦/٩٠٨ م نجد شخصاً يدعى سبكري وهو غلام لعمر
الصفار يستولى على فارس بغير أمر الخليفة ويأسر حفيدي عمسرو طاهر
وبهقبوب ويرسلها الى بغداد . ويبدو ان ذلك لم يضع الأمور في نصابها .
بالنسبة لسبكري ، فقد ظهر في السنة التالية فرد آخر من الصفارين هو
الليث بن علي بن الليث السدي سار من سجستان الى فارس فأخضعها
٢٩٧/٩٠٩ م فهرب عنها سبكري الى أرجان ، فلما بلغ الأمر المقتدر مير
جيشاً بقيادة مؤنس الخادم الى فارس نجدة للسبكري فاجتمعا بأرجان ،
وفي الوقت نفسه سار الحسين بن حمدان من قم (وكان يتولاها) الى
البيضاء ليعين مؤنساً . لما كان من الليث لا ان سار في طريق قصر لياغت
الحسين منفرداً ، لكنه ضل الطريق وقاسى جيشه متاعب كثيرة ، وفوجي
اذ وجد نفسه وجهاً لوجه امام جيش مؤنس والسبكري فهزماء واخذاه
أسيراً ، وعاد الحسين بن حمدان الى قم (٢) :

الا ان سبكري لم يلبث ان خرج عن طاعة الخليفة ، وعلى الرغم
من وساطة مؤنس الذي كان يميل الى سبكري ، فإن الخليفة بتحريض
ابن الفرات اعز الى محمد بن جعفر ان يحارب السبكري ويقضي عليه ،
فالتقى الحصان على باب شمران وانهزم السبكري وفر الى بسم حيث
هزم ثانية ثم دخل مفازة خراسان (٣) . الا ان السامانيين كانوا قد
بلغوا ذروة مجدهم آنذاك ، فاستطاع احمد بن اسماعيل ان يستولي على
سجستان ، ويطارد سبكري ويأسره ويسيره هو ومحمد بن علي بن الليث

(١) ابن الاثير ٧ ص ١٦٦ ابن خلدون ٤ ص ٧٠٣ .

(٢) ابن الاثير ٨ ص ٥٦٠ ابن خلدون ٤ ص ٧٠٤ .

(٣) ابن الاثير ٨ ص ٥٨ ابن خلدون ٤ ص ٧٠٥ .

الصغار الى بغداد مشهورين على فياين () (سنة ٢٩٨/٩١٠ م)

ما هو دور الحسين بن حمدان في هذه الاحداث ؟ يبدو ان الخبر الذي اوردّه ابن خالويه (٢) عن فتح الحسين بلاد فارس وقتل سبكري وأسر (القتال) فيه مخالفة لما اتفق عليه المؤرخون الثقات من أن سبكري أسر وارسل الى بغداد رانته لم يقتل في ساحة المعركة من جهة ، واد أسر سبكري. انما كان على يد السامانيين كما أشرنا وليس على يد الحسين بن حمدان . ومن جهة اخرى فن الذي أسر (القتال) ٩٢ ان الروايات مضطربة حول سبكري هذا ، فأبن الاثير (٣) يشير الى أسره وارسله الى بغداد ، والطبري (٤) يذكر انه لجأ الى السامانيين فسجنوه ، على حين يقول ابن خالويه ان الحسين بن حمدان قتله في ساحة المعركة ، وأظن ان رواية عريب (٥) هي التي تلقي ضوء على الحقائق وتفسر لنا التناقض بين الروايات المختلفة ، فهو يقول ان الحسين بن حمدان كان قائداً في جيش وصيف كامه (غلام الموفق) وكان الذي أسره سيمجور غلام احمد بن اسماعيل الساماني ، و قول عريب ان سبكري والقتال (صاحبهِ ورئيس صمكه) والليث بن علي الصغار أدخلوا الى بغداد أسرى مشهورين على قلة ، وهي اقرب الروايات الى ما يبدو انه الواقع وهي التي تفسر دور ابن حمدان كما ذكره ابن خالويه :

(١) ابن الاثير ٨٣ ص ٦١ ، ابن خلدون ٤ ص ٧٠٥ .

(٢) ديوان ابي فراس ٢ ص ١٣٠ .

(٣) ابن الاثير ٨٣ ص ٦١ .

(٤) ٨٣ ص ٢٥٢ .

(٥) صلة الطبري ص ٢٥ .

٧- خاتمة الحسين : مر بنا ان المقتدر قلد الحسين بن حمدان أعمال بلاد الجبل (قم وقاشان) في سنة ٢٩٦ / ٩٠٨ م ، حيث أبلى بلاء حسناً في قتال سيكري خلال سنة ٢٩٧ / ٩٠٩ م من مركز إقامته في قم (١). غير اننا نجد الحسين يعود فجأة الى بغداد في السنة التالية (٢٩٨) فلا يترك يقيم بها ، وانما يخلع عليه ويقلد أعمال ديار ربيعة فيسير اليها . وسوف نرى ان كلا الاخوين الحمدانيين ابي الهيجاء والحسين سيعلنان الثورة على الخلافة ، تلك الثورة التي سطرت مصير الحسين السي . فلماذا عاد الحسين وماذا كانت نواياه ؟ وما هي أسباب ثورة أبي الهيجاء ، ثم ثورة الحسين على الخلافة ؟ كل هذه الأسئلة تحتاج الى ان يتجه الباحث الى ما كان يدور في بغداد . ومن ثم فيجدر بنا أن نلقي نظرة عاجلة على الأحوال العامة في عاصمة الخلفاء العباسيين ، ففي ذلك لإجابة على كل هذه الأسئلة .

تميز عهد المقتدر بالله الذي امتد خمساً وعشرين سنة (٢٩٥ - ٣٢٠ / ٩٠٧ - ٩٣٢ م) بأنه كان عهداً طويلاً مشيناً تمثلت فيه كل عيوب العصر . وبدأت الخلافة إبانها في أبشع صور انحلالها . كان المقتدر في الثالثة عشرة من عمره حين قلده الوزير العباس بن الحسن الخلافة ليكون طوع بنانه . وقد وقع المقتدر فريسة بأيدي النساء والخدم وأسرف في ملذاته وشهواته وفخرت الدنيا في أيامه وخلت بيوت الأموال واختلفت

(١) المسعودي ، التنبيه والأشراف ص ٣٢٧ . ابن الأثير ج ٨ ص ٥٦ - ٥٧ . ابن خالويه (ديوان أبي فراس) ج ٢ ص ١٣٠ . يقول سوبرنهايم ان الحسين أرسل نائباً عنه الى قم قاشان وهذا خطأ E I. Vol 2, P. 247
(٢) العامي ، كتاب الوزراء (ليدن) ص ٧٠

الكلمة (١) ويقول مسكويه (٢) : ان المقتدر ابتعد عن مجالس الرجال وعاشر النساء فغلب على الدولة الحرم والحليم . ويدعي بوين (٣) ان هناك قطعة نقود تصور شخصية المقتدر ، فقد رسم ويده كأس على احد وجهيها ويده عود على الوجه الآخر . وهو أمر يدعو الى الشك ، لأنه لا يمكن أن يمرؤ خليفة للمسلمين ان يعلن للرأي العام انه خدين شراب وطرب ، ولعل هذه القطعة النقدية نسبت الى المقتدر مجرد نسبة فحسب .

وثمة ظاهرة بارزة في عهد المقتدر هي قلق الوزارة وكثرة الوزراء حتى تولى له أربعة عشر وزيراً . وكان أول هؤلاء الوزراء العباس بن الحسن ثم جاء أبو الحسن بن الفرات الذي تولاها ثلاث مرات ثم قتل في سنة ٩٢٤/٣١٢م . وإذا تجاوزنا التفاصيل الكثيرة عن وزارة ابن فرات فاننا نستطيع أن نتخذ من سيرته نموذجاً حياً ليس لمسير الوزراء في ذلك العصر فحسب، بل ولاضطراب الأحوال العامة بالدرجة الأولى . واعيد ابن الفرات الى الوزارة في ٩١٦/٣٠٤م لكنه لم يلبث ان خلع في سنة ٩١٨ / ٣٠٦م بسبب تأخيره صرف أرزاق الفرسان (٤) . وقد حالفه سوء الحظ في وزارته الثالثة التي تسنها في سنة ٩٢٣ / ٣١١م ، والحق به تهمة سياسية دينية لا ندرى نصيبها من الصحة . فقد حصل ان هاجم القرامطة بقيادة أبي طاهر ابن أبي سعيد الجنابي قافلة الحججاج لتلك

(١) ابن الطنطر ، الضري ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٢) معارج الامم ١٣ ص ١٣ .

(٣) Ali Ibn Isa, P. 101

(٤) مسكويه ١٣ ص ٤٤ .

السنة فقتل الكثير وأسر فيمن أسر أبا الهيثماء عبدالله بن حمدان ، الذي كان مسؤولاً يومذاك عن طريق الكوفة وطريق مكة والعناية بالحجاج ، كما أسر عم ام المقتدر وبعض خدام السلطان وحرمه والمقربين الى القصر . وحين وصل الخبر الى العاصمة في صفر سنة ٣١٢ / ٩٢٤م أثار خواطر البغداديين في الجانبين وخرجت النساء حافيات منشراث الشعور مسودات الوجوه يلطمن ويصرخن في الشوارع (١) . ويبدو ان نقمة الرأي العام بلغت حداً يهدد بالثورة حتى ان ابن الفرات أمر قائد الجيش نازوك التركي ان يقضي على الثورة بالقوة . وانصبت نقمة الرأي العام على الوزير فانهجوه بانه «القرمطي الكبير» ، وليس يقنعه الا ائتلاف امة مجد . وحين قبض عليه هتف العامة « قد قبض على القرمطي الكبير ! » (٢) . ولا ندري مدى صحة هذه التهمة ، غير ان مسكويه (٣) أشار الى انه كان للقرمطة أيام ابن الفرات جواسيس داخل قصر السلطان . كما روي عن ابن الفرات انه صرح بانه حلم ذات ليلة بانه سيموت في اليوم الذي قتل فيه الإمام الحسين (٤) . ومهما يكن فإن العامل السياسي لعب دوره الأكبر فقد انتهت حاشية المقتدر ابن الفرات بأنه كان يسعى لبيعة بعض بني هاشم (٥) .

(٢) نفس المصدر - ص ١٢٠ - ١٢١ . انظر حول الجنابي ابن خلدون

ص ١٨٨ - ١٩٢ .

(٢) نفس المصدر والمكان .

(٣) نفس المصدر - ص ١٢٢ .

(٤) نفس المصدر - ص ١٣٨ .

(٥) مسكويه - ص ١٣٧ .

ثم استوزر المقتدر علي بن عيسى الجراح الذي يعتبر من أبرز شخصيات عصره . لقد كان شيخاً فاضلاً ورعاً محسناً بارعاً في الإدارة ، وبالرغم من أنه احتلّ حلو أسلافه في اسناد المناصب الهامة الى المقربين اليه ، لكنه حاول ان يخنسار اكثرهم مقدرة وكفاءة ، وكرس نفسه للاصلاح فلم يفرط في مصادرة اعدائه ونهب بيوتهم كما جرت العادة ، وقد عمل ابن عيسى على توفير الموارد المالية للخزينة الحاوية عن طريق رفع مقدار الوارد وتخفيض النفقات (١) . وكافح هذا الوزير الرشوة ، واصاح النظام المالي ونظم طرق الجباية وبني المستشفيات وعمر المساجد (٢) ، ومن ثم فقد اصطدم هذا الوزير الذي برع في الادارة والكتابة معاً (٣) ، بفساد البلاط والحاشية فسجن واضطهد وصودر سنة ٣٠٤هـ . وفي وزارته الثانية نظر في رواتب الجند ومخصصات الحجاب والحشم والمتطبين والمنجمين والفراشين والطباخين والسواس والخدم في بلاط الخليفة فأمر بالحد منها ، وهو تحد لنفوذ الحاشية الذي لم يكن من السهل تحديده (٤) .

كان المقتدر مبذراً مسرفاً حتى أنه حوى في قصره - كما قيل - أحد عشر ألف عاذم، وكان خاضعاً لآله نعضوياً مطلقاً ، وهي سيدة رومية

(١) Bowen, Ali Ibn Isa, P. 122

Ibid, P. 127 (٢)

Ibid, P. 130 (٣)

(٤) الذهبي، تاريخ الاسلام ١٦٢ ورقة ٥٠ ب . انظر كذلك ابن القطر، القنري ص ٣١٦

مروج الذهب ٢٢ ص ٥٠٩

(٥) حكاية ٩٢ ص ١٤٧

او تركية تدعى (شغب) كانت تحكم بأمرها (١). لقد أصبحت (السيدة) اقوى شخصية في بلاط ولدها ، وكانت كل رغباتها مجابة ، واذا اردنا ان نذكر امثلة اخرى على سوء الاحوال في ايام المقتدر والتبذير المفرط في اموال الدولة فدوننا هذه الامثلة : كانت المخصصات السنوية للرجالة المصافية ورجال مؤنس (من الفرق العسكرية) ٦٨٠٠٠٠ ديناراً (٢) . وقد باغ ما صرفه الوزير احمد الخصبي (سلف علي بن عيسى) خلال ١٤ شهراً ما مجموعه ٤١٠٠٠٠ ديناراً (٣) : وقد رفض علي بن عيسى ان يستلم راتباً او مخصصات أو امتيازات ، ومع ذلك لم يستطع أن يوقف تيار الفساد ، الذي جعل الخزينة العامة خاوية وحال دون رد الاخطار التي هددت الدولة . حتى لقد قال علي بن عيسى للمقتدر : « انما جمع المعتضد والمكتفي في بيت مال الخاصة ما جمعوا لمثل هذه الحوادث » ، والان فلم يبق في بيت مال الخاصة كبير شيء فائق الله يا أمير المؤمنين (٤) :

عاد الحسين بن حمدان - كما هو واضح - في ايام وزارة ابن القرات أي في سنة ٢٩٨/٩١٠م ، ويبدو لي ان الأوضاع في بغداد - كما أشرنا - هي التي شجعت على العودة يضاف الى ذلك ان ضيقه بالعيش بعيداً عن وطنه وعشيرته وحياته المليئة بالصاخبة في بلد ناء مليء بالثورات والحروب كان دافعاً آخر جعله يعود هذه العودة المفاجئة . فالمراجع لا تشير أية

(١) السيوطي . تاريخ الخلفاء . ص ١٥٢

(٢) مسكويه ج ١ ص ١٥٢

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ١٥٥ - ١٥٦

(٤) نفس المصدر ج ١ ص ١٨١ . كذلك انظر ابن الاثير ج ٨ ص ٧٦ (القاهرة)

إشارة إلى أنه عزل أو أنه كان مغضوباً عليه ، بل إن ابن خلدون يقول (١) أن المقتدر رده إلى ديار ربيعة أما بناء على طلبه أو لحاجته إلى خدماته ؛ ويبدو أن الخليفة لم يشأ أن يظل الحسين في بغداد ، خاصة وهو ذو انصار وذو طموح وقد كان له ضلع أي ضلع في المؤامرة التي دبرت لخلع الخليفة وتنصيب ابن المعز كما أسلفنا . وهكذا أرسل ل ابن القرات - حال وصوله - خلعاً وكتاباً بتوليته أعمال ديار ربيعة وغيرها (٢) ؛ وتعبيراً آخر أبعد الحسين عن العاصمة وجعل في منصب الشريك في إدارة ديار ربيعة لأخيه أبي الهيجاء الذي كان يتولى الموصل وأعمالها منذ سنة ٢٩٣/٩٠٥م : إلا إن الحسين ، كما يبدو ، وجه لأعمال عسكرية أكثر منها إدارية فأننا نسمع عنه في سنة ٩١٣/٣٠١م يغزو الصائفة ويفتح كثيراً من الحصون قرب طرسوس ، ويقتل عدداً كبيراً من الروم ، ويبحث بكتاب إلى بغداد بهذا الصدد (٣) .

والذي يسترعي النظر أن أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان يُعزل في صفر من نفس العام (٣٠١ هـ) عن الموصل ، ويقلد بمن الطولوني ، ثم يعزل ويولى لحرب الحسام الصغير (٤) . وهذا أمر ذو دلالة ، فإن الخلافة لا تثق بالحسين ولا بأبي الهيجاء ، ولعل النصر الذي أحرزه الحسين في الثغور ، ونوايا الآخرين في إعلان استقلال الحمدانيين قد حفز الخلافة على اتخاذ هذه الخطوة تجاهها ، فإذا كان رد فعل الآخرين الحمدانيين ؟

(١) العمدة ٤ ص ٤٩٣ (بيروت)

(٢) الصامى ، كتاب الوزراء . (لندن ١٩٠٤) ص ٧٠ .

(٣) الطبري ج ٨ ص ٢٥٥

(٤) ابن الأثير ج ٨ ص ٧٦ وما بعدها .

يدرو انها اتفقا على الثورة ، فأعلن ابو الهيجاء ثورته في الموصل في سنة ٩١٣/٣٠١ م مستنداً الى قوة اخواله الأكراد ، ويقول حبيب (١) بهذا الصدد : « ورد الخبر بوثوب ابي الهيجاء عبدالله بن حمدان بالموصل ومعه جماعة من الأكراد وكانوا اخواله لأن أمة كردية ، واغاث الجند اهل الموصل فقتلت بينهم مقتلة عظيمة وصار ابو الهيجاء الى الأكراد وتأمر عايهم كالحال للطاعة » . وهذه اشارة واضحة جداً الى محاولة الحمدانيين اعلان الاستقلال في الجزيرة مستفيدين من قوتين كبيرتين ، اخوالهم الأكراد وقومهم من بني تغلب . وبدوا ان ضعف السلطنة المركزية كان عاملاً مشجعاً ومحفزاً لاعلان هذا الاستقلال . غير ان محاولة ابي الهيجاء فشلت حين سبر اليه المقننر جيشاً بقيادة مؤنس المظفر وجهاة من القواد ، فلما علم ابو الهيجاء بذلك قصد مؤنساً وطلب الامان وسار معه الى بغداد فخلع المقننر عليه (٢) .

وكان لا بد للحسين بن حمدان ان يفعل شيئاً ، خاصة وهو يعلم بضعف الخلافة ، فأمتنع عن دفع المال المقرر عليه رغم الحاح الوزير علي بن عيسى . فما كان من الخليفة الا ان عاد فقلد أبا الهيجاء عبدالله ولاية الموصل من جديد في سنة ٩١٤/٣٠٢ م . غير ان ذلك لم يرض الحسين فخرج بصورة عنيفة على طاعة الخلافة واعلنها ثورة عارمة بالجزيرة في سنة ٩١٥/٣٠٣ م ذلك ان مطالبه علي بن عيسى له بالاموال وتأخره في ارسالها ، جعل الوزير بأمره بتسليم البلاد الى عمال الخليفة فأمتنع (٣) . لقد حاول الحسين ان يتنفع بظروف انشغال الخلافة بحرب الفاطميين الذين ظهروا الان في افريقية وهددوا الشام ،

(١) حبيب . ص ٢٠ الطري ص ٢٠

(٢) ابن الاثير ٨ ص ٧٦-٧٧ . حبيب ص ٢٠

(٣) ابن الاثير ٨ ص ٩٢ . ابن خلدون ٤ ص ٢٢٠

فجهز جيشاً ضخماً يبلغ نحو عشرين ألف فارس على حين كان جيش الخلافة بقيادة رائق الكبير (من غلمان المعتضد) يبلغ أربعة آلاف فارس (١). ولما كان الحسين ابن المنظقة وخيراً بها وعليها (بطوبوغرافيتها) فإنه حصر الجيش المهاجم في موضع ليس له إلا منفذ واحد سده عليهم بفرسانه الكثيرين، ومنع عنهم الميرة من جميع الجهات فتمرضوا ودوابهم للهلاك جوعاً. فأرسل الجيش المهاجم له رسالة يطلبون منه فك الحصار عنهم على أن يوليه الخليفة كل الأعمال التي كانت في يده لكنه رفض ذلك العرض (٢). غير أن حضور مؤنس الخادم (المظفر) إلى ميدان المعركة، بعد عودته من الشام في جيش ضخم، بدل ميزان القوى، وأدى إلى رفع الروح المعنوية في الجيش المهاصر، ولما هبط معنوية جيش ابن حمدان، فلك الحصار - بعد هجوم ليلي وقع عليه - وعاد إلى ديار ربيعة، وسار جيش الخلافة فدخل الموصل. وحين جسد مؤنس في المسير لحرب الحسين، راسله هذا واعتذر منه، غير أن المراسلة لم تسفر عن نتيجة، ونزل بأزاء جزيرة ابن عمر ورحل الحسين نحو أرمينية مع أمواله وأولاده وجماعته من العرب والأكراد وتبدد جيشه فإلحق كثير من منهم في جيش الخلافة. وجد مؤنس في مطارده فارس فرقة تبعته إلى تل فافان بأرمينية فأوها خائفة بعد أن أحرقها الحسين، لكنهم ظلوا يطاردون حتى أسروه هو وابنه عبد الوهاب وجميع أهله وأكثر من صحبه واستولوا على أمواله (٣).

(١) بقدر حرب (صلة الطبري ص ٣٩) جيش الحسين - ١٥ ألفاً .

(٢) ابن الأثير ٨٦ ص ٩٢ . ابن خلدون ٤٦ ص ٢٢٠ .

(٣) حرب الصلة ص ٣٩ . ٤٠ . ابن خلدون م ٤٦ ص ٤٩٣ - ٤٩٤ .

وعاد الجيش المنتصر وفي موكبه الحسين وآل بيته ، وقد أركب وإبنه على جمل وعليهما البرانس واللبود الطوال ، وقمصان من شعر أحمر وهذه علامات التشهير والتحقير . وحبس إبنه عنلزيidan القهرمانه (١) وبمدنا عريب بصورة زاهية لوصف موكب الأسرى الحمدانيين وهذا النص ذو دلالات هامة . يقول عريب (٢) : وكان الظفر بالحسين بن حمدان يوم الخميس للنصف من شعبان (سنة ٣٠٣) ، ورحل مؤنس يريد بغداد ومعه الحسين بن حمدان واخوته على مثل سبيله وأكثر أهله فصير الحسين على جمل مصلوباً على نقق ونحته كرسي ، ويدبر النقق رجل فيلور الحسين في موقفه يميناً وشمالاً ، وعليه دراعة ديباج سابقة قد غطت الرجل الذي يدبر النقق ما يراه احد وابنه الذي كان هرب من مدينة السلام ابو الصقر (يعني عبد الوهاب) قد حمل بين على جمل وعليه قباء ديباج وبرنس ، وكان قد امتنع عن وضع البرنس على رأسه فقال له الحسين : البسه يا بني فإن أبالك البس البرانس أكثر هؤلاء الذين تراهم وأوماً إلى القتال (٣) وجماعة من الصفارية (أي الصفارين) .. ولما صار الحسين بسوق يحيى قال له رجل من الهاشميين (أي العباسيين) الحمد لله الذي أمكن منك . فقال له الحسين : والله لقد إمتلأت صناديقي من الخلع والألوية وافئبت اعداء الدولة ، وانما اصارني الى هذا الخوف على نفسي ، وما الذي نزل بي الا دون ما سينزل بالسلطان اذا فقد

(١) ابن الأثير ٨٣ من ٩٢ - ٩٣ . انظر صلة الطبري من ٤٠ - ٤١ .

(٢) صلة الطبري من ٤٠ .

(٣) ديوان امي غراس ٢٥ من ١٣٠ .

من اوليائه مثلي ؟؟ ؟

وقبض المقتلر كذلك على ابي الهيجاء واخيه ابراهيم وباقي افراد الأسرة الحمدانية وادعوا السجن . وكان احد اولاد الحسين وهو حمزة قد فر الى امد ، لكن عاملها قتله وارسل رأسه الى بغداد (١) . غير ان عريب (٢) يبدو اكثر دقة فهو يقول : انه بعد اسر الحسين هرب لابنه حمزة وابن اخيه العطريف « ومعهما مال » فقبض عليهما عامل آمد وصادر هذه الأموال . ويستطرد عريب قائلاً ان العطريف مات في الحبس ، وهو الذي ارسل رأسه الى بغداد . أما حمزة فقد أرسله عامل آمد حياً الى بغداد .

وهكذا ظل افراد الأسرة الحمدانية في السجن حيث مات الحسين مينة غامضة في سنة ٣٠٦ / ٩١٨ م دعت المؤرخين (٣) الى الاعتقاد بأنه اغتيل ، وهو أمر يبدو منطقياً .

وهكذا فإن المتبع لحياة الحسين بن حمدان يجدها سلسلة من المجهودات العنيفة والمحاولات الدائمة للوصول إلى المراكز العليا ، والحق ان الحسين كان قائداً عسكرياً شجاعاً أكثر منه سياسياً محنكاً . فقد رأينا كيف ابلى بلاء حسناً في قتال الخوارج والقرامطة ، فضلاً عن ان المقتلر كان يسند اليه بين الحين والحين مهمات عسكرية فرعية لكسر شوكة القبائل العربية من امثال كلب وطي* واليمن واسد (٤) . وقد اشار

(١) الطبري ٨٣ ص ٢٤٩ . ابن الأثير ٧٣ ص ٢١٩ .

(٢) عريب ص ٤٠ .

(٣) ابن خلدون ٤٣ ص ٤٩٤ .

(٤) الطبري ٨٣ ص ٢٤٩ . ابن الأثير ٧٣ ص ١١٩ .

ابن خالويه في شرحه لديوان أبي فراس (١) إلى دور الحسين في القضاء على نفوذ بني تميم في الرحبة واسره اربعمائة رئيس قسراً اودعهم سجون بغداد. وإذا صدقنا ما يقوله ابن خالويه عن بطولة الحسين فإنه يبدو واحداً من اشجع شجعان عصره حتى كان في خزائنه ٥ نيف وعشرين طوقاً لنيف وعشرين فتحاً فتحها بالمشرق والمغرب ٠٠ والحسين نازل الأسد ثلاث مرات فقتله (٢) ٥ ٠ ومهما يكن من امر فنحن نستطيع ان نعتبر الحسين في مقلمة امراء بني حذان في شجاعته وقوة شخصيته وصبره على المتاعب والأهوال ، وإن كانت الظروف لم تسعفه في الوصول إلى أهدافه ، بحيث انتهت حياته هذه النهاية المؤسفة ٠

(١) ٢٥ ص ١٢٧ .

(ديوان أبي فراس ٢٥ ص ١٣٠ .

الباب الثاني

الحمدانيون في الموصل



الفصل الأول

إقليم الجزيرة

أولاً : الجغرافية :

- ١- وصف عام ٢- ديار بكر ٣- ديار مضر ٤- ديار ربيعة
- ٥- الموصل وأعمالها .

ثانياً : السكان .

- ١- العرب ٢- الأكراد ٣- الآراميون .

ثالثاً : الموارد الاقتصادية .

أولاً : الجغرافية :

١ - وصف عام : كان بنو حيدان من أهل ديار ربيعة بالجزيرة وفيها نشأوا وبها أقاموا - أول ما أقاموا - دولتهم . وفي سبيل أن يستطیع القساري* تتبع الأحداث والوقائع التاريخية والحربية ذات العلاقة الوظيفة بالحمدانيين . وجدت من الضروري أن أعقد فصلاً جغرافياً عاماً لوصف أحوال الجزيرة وتحديد مواقع المدن والأماكن التي دارت فيها أو حولها تلك الأحداث . ومن الجدير بالذكر أن أشير إلى أن كثيراً من هذه المدن والأماكن أصبحت مجرد ذكريات تاريخية لا وجود لها على الخارطة الحديثة ، على حين ظل البعض الآخر قائماً محتفظاً بنفس الاسم أو بإسم آخر ، مع تغير في الموضع حسب تغير مجاري الأنهار أو تحول العمران .

وما دام حديثنا يتعلق في الأساس بالجغرافية التاريخية ، فإن الذي يعنينا هنا بالدرجة الأولى تحديد مواضع الأماكن القديمة التي كان لها

وجود في أيام الحمدانيين ، والتي دلت - بشكل أو بآخر - ضمن دائرة نشاطهم السياسي أو الحربي. والحق ان تعبير الجزيرة - الذي ينطبق على الفترة الحمدانية - لم يكن مقصوراً على العراق الاعلى الواقع بين دجلة والفرات (١) ، أو الإقليم الذي أطلق عليه الغربيون الاسم اليوناني Mesopotamia لا أي بلاد ما بين النهرين ، والذي عرفه الجغرافيون القدامى (٢) على انها الأرض التي بين دجلة والفرات وتشتمل على ديار ربعة وديار مضر ، بل انه يمتد ليشمل مناطق أوسع تقع ما بين جبال أرمينية وكردستان شمالاً وشرقاً حتى الحط الوهمي الذي يصل بين عانات وحديثة وتكريت على دجلة جنوباً . ذلك ان هذه الأقاليم الشاسعة والموزعة اليوم ما بين العراق وسورية وتركيا شهدت نشاط الحمدانيين وكان لهم فيها من وقت إلى آخر سيادة كلية او جزئية . وفي هذا الصدد يقول الجغرافيان العربيان الكبيران الأصفهري وابن حوقل (٣) : ان مندناً وقرى على شرقي دجلة وغربي الفرات تنسب الى إقليم الجزيرة وهي خارجة منها وباتنة عنها ، (٤) .

ان إقليم الجزيرة بمعناه الجغرافي التاريخي الواسع الذي نريده هنا والذي أسلفنا أنه يقع ما بين جبال أرمينية وكردستان شمالاً وشرقاً وعانات وتكريت جنوباً ، يمكن ان يعتبر من ناحية التضاريس هضبة ذات أراضي متموجة مرتفعة عن مستوى دجلة والفرات وروافدها .

-
- (١-) الأصفهري ، مسالك الممالك ص ٧١ ابن الفقيه . مختصر كتاب البلدان ص ١٢٨ .
 (٢) ابن حوقل صورة الأرض (انظر الصفحات ص ١٨٩ فما بعدها) . ابن الفقيه ص ١٢٨ .
 (٣) مسالك الممالك ص ٧٢ ، صورة الأرض ص ١٨٩ فما بعدها .
 (٤) ابن حوقل ، نفس المصدر ص ١٨٩ .

غير ان هذه الهضبة لا تخلو من بعض المرتفعات الجبلية في الشمال والشرق حيث تزيد كمية المطر التي تساعد على الزراعة واستقرار المجتمعات البشرية . أما المنطقة الواقعة في غربي دجلة وشرقيها ومنطقة تلل حمرين فتتلب عليها صفة البادية لقلة مياهها . لقد قامت مراكز الحياة المتمدنة المستقرة في الأغلب حول ضفاف الأنهار حيث قامت المدن ونشطت الزراعة والتجارة . وهذه المنطقة - وخاصة كلما توغلنا شمالا - تتميز بأنها منطقة حصينة بما يتخللها من جبال وتلال، لذلك كانت - كما سنرى - ميداناً مستمراً للمعارك وحروب طوال الفترة موضوع البحث . وقد صعب على مهاجميها ان يقتحموها دون بذل تضحيات جسيمة . كما ان كثيراً من مدنها التي شيدت في اعلى التلال او بين المرتفعات تمتعت بقلع وحصون - وفق اسلوب العصور الوسطى - مما جعلها منيعة في وجه اعدائها . بل ان أسماء كثير من من المدن والمواقع التاريخية - والتي ما زال بعضها يحتفظ بنفس الاسم - كانت تقرر بكلمة حصن أو تل : مثال ذلك حصن كيفا، تل فافان، تل نخوم ، حصن عرق الحصن البياني قلعة الخلدث ، حصن زياد ، حصن منيج، حصن منصور وغيرها كثيرة . ان إقليم الجزيرة الذي سمي بهذا الاسم ، لانها تقطع الفرات ودجلة (١) ، يحوي في الحقيقة كل الخصائص الجغرافية، ففيه جبال عالية وهضبات وسهول خصبة وبوادي قليلة المياه واضحة الجفاف . ولعل اهم ما في هذا الإقليم من الجبال جبل سنجار بين الحابور ودجلة (ويبلغ ارتفاعه ٤٨٠٠ قلماً) وجبل ابراهيم (١٧٥٣ قلماً) وجبل مكحول (١٦٠٠) قلماً ، وهذه الجبال الثلاثة تقس غربي دجلة ، أما

(١) ابن النقيب . مختصر كتاب البلدان ص ١٢٨ . وواجه ان قبل تقطع بمدي نجد .

في شرقه - بينه وبين الزاب الكبير - فنجد جبل باعشقة (٢١٧٧ قدماً)
وجبل مقلوب (٣٤٨٣ قدماً) وهناك جبال منفردة أخرى بين الزابين
الكبير والصغير (أو الأعلى والأسفل) وبين هذا الأخير والحدود العراقية
الابرائية الحالية ،

أطلق الجغرافيون العرب القسداى - كما أصلنا - أسم الجزيرة على
أرض ما بين النهرين Mesopotamia أي العراق الأعلى اليوم
باعتباران دجلة والفرات يحصران هذه الأرض بينهما ، غير ان المقدسي (١)
أطلق على الجزيرة اسماً غريباً هو (أقور) فانفرد بهذه التسمية عن غيره ،
على حين اتفق مع غيره من الجغرافيين في سائر اوصاف الاقليم ويعتقد
لسترنج (٢) ان هذه التسمية ربما كانت تطلق في القديم على سهل شمال
ما بين النهرين ، أي الاقليم الواقع بين دجلة والفرات (٣) .

لقد قسم الجغرافيون العرب اقليم الجزيرة الى ثلاث كور حسب
بطون القبائل العربية التي اقامت فيه إبان الحكم الساساني قبل الاسلام ،
وهي : ديار ربيعة ، وديار مضر ، وديار بكر (٤) . غير ان ابن حوقل
والاصطخري ادجا ديار بكر بديار ربيعة (٥) ولا يريد هنا ان نتعرض
لتفاصيل هجرة هذه القبائل واسبابها ، الا اننا نود ان نشير الى ان هذه
القبائل كانت كلها عِدَنَانِيَّة ، وقد انساحت في الارض القريبة والبعيدة

(١) أحسن التقاسيم ص ١٣٦ (طبعه ليدن) .

(٢) بلدان الحلات القرية (الترجمة العربية) الفصل الخامس بالجزيرة .

(٣) يقول ابن حوقل ، صورة الأرض (ص ١٨٩ قدماً) بعداً في الفصل الذي يتكلم فيه عن الجزيرة (أي الأرض التي بين دجلة والفرات) وتشمل على ديار ربيعة ومضر .

(٤) انظر الاصطخري ص ٧١ . المقدسي ص ١٣٧ .

(٥) ابن حوقل ص ١٨٩ قدماً بعداً ، الاصطخري ، مسالك الممالك ص ٧١ .

عن منازلها الأصلية في نهامة فأقامت بطون منها في ارض الجزيرة في فترات زمنية متقاربة او متباعدة . فسميت هذه المناطق بأسمها . وسوف نترك الخوض في تفاصيل هذا الموضوع هنا لانه بجالا آخر عند الحديث على سكان الجزيرة وتكوينها البشري ايام الحمدلين .

ولكي نتعرف على حدود الجزيرة ومناطقها الثلاث ، يجب ان نشير الى ان حدود هذه المناطق كانت تتفق وتوزيع المياه ، فكان دجلة يروي ديار بكر من منبعه حتى الانحاء الكبير السدي يكوله النهر اسفل تل فافان ، مع الارض التي في شمالها والتي تخترقها عدة روافد تنصل بضفة دجلة اليسرى غربي تل فافان (١) : وتقع ديار مضر الى الجنوب الغربي وتشمل جميع الاراضي السهالة التي يرويهما نهر البليخ ورافد الفرات الاتي من حوران من حين الذهبانة (حسب ما يقول ابن خرداذبه والذهبانة حسب ما ورد في ابن رسته) . على حين تقع ديار ريعة شرقي ديار مضر ، وكانت تشمل منطقة الحابور الكبير الاتي من رأس العين (والذي يستمد مياهه من الهرماس ويصب في الفرات عند قرقيسيا)^١ والاراضي الواقعة على ضفتي دجلة من تسل فافان حتى تكريت ، وهي أراضي سهلة كان يرويهما الزابان والحابور الصغير (٢) .

ان كلا دجلة والفرات ينبعان من الشمال الشرقي وتتصل روافدهما بها من الجهة اليسرى . وينبع للفرات من الجبال الواقعة بين بحيرة وان في جبال ارمينية وبين البحر الاسود عند خط العرض ٤٠ شمالا ، او بتعبير

(١) Le Strange ' The Lands of East. P 87

(٢) ابن خرداذبه . المسالك والممالك ص ١٧٥ وابن القتيبة ص ١٣٤-١٣٥ وابن رسته الاطلاق لليلة ص ٩٠ .

القديسي (١) ومن بلاد الزوم، والواقع ان نهر الفرات - على مكس دجلة - يتمتع بياهم رواقه قبل دخوله الحدود العراقية واهمها رافدا البليخ والخابور . ويبدو المسعودي (٢) اكثر دقة حيث يجعل مبدأ الفرات من جبال أرمينية - على نحو يوم من قايلا . شمال ارضروم - والمسعودي كان على حق اذ ان هلهو منبع الفرات الأصلي والسذي يدعي اليوم باسم (قره صو) (٣) .

اما دجلة فينبع من جبال شهرزور فوق آمد على حدود بلاد أرمينية، ويمر بجبال السلسلة ثم يمدن آمد وميفارقين في ديار بكر قبل أن يصل الى الموصل في ديار ربيعة حيث يتصل به رافدا الزاب الكبير والزاب الصغير، ثم يتجه الى تكريت غربي ديار بني شيبان حتى يصل الى بغداد (٤) . ومخرج الزابين من جبال أرمينية ويصبان في دجلة الكبير بالحدثة والتغير بالسن (٥) . ويقول المسعودي (٦) ان دجلة تخرج من بلاد آمد من ديار بكر من أعين بلاد غلاط من أرمينية، ويصب اليها نهر صرير وضائر ما يخرج من بلاد أرزن (٧) وميفارقين وغير ذلك من الانهار كهو الخابور الذي يأتي من بلاد أرمينية ويصب في دجلة في

(١) - مسالك الممالك ص ٧٦ - ابن رستاق ص ٩٢ .

(٢) - المسعودي - مروج الذهب ص ٦١ - ٦٢ .

(٣) - لسترايخ (بالقصة العربية) ص ٤٣٩ . . .

(٤) - المصري - مسالك الابصار ص ٧٩ ابن خردادبه ص ١٧٤ .

(٥) - ابن خردادبه ص ١٧٥ .

(٦) - مروج الذهب ص ١ ص ٦٣ - أنظر ابن خردادبه ص ١٧٤ .

(٧) - أرزن مدينة قرب غلاط من نواحي أرمينية (انظر - ساقوت - مجسم البلدان - ١

ص ٢٠٥) .

منطقة بأسورين وقردي وبازيدي (١) . وهذه الديار - كما يـقـول - هي ديار بني حمدان . ثم يمر دجلة بمدينة الموصل ويصب فيها نهر الزاب وهو من بلاد أرمينية (ويعني المسعودي الزاب الأكبر أو الأعلى الذي ينبع من الجبال الواقعة بين بحيرة وان وبحيرة أورمية ويلتقي بدجلة عند منتصف الطريق بين الموصل وشرقاط) . ويستطرد المسعودي فيقول ان زاباً آخر يصب في دجلة يأتي من بلاد أرمينية واذربيجان ثم ينتهي الى تكريت (وهو يعني الزاب الأسفل أو الصغير الذي يصب في دجلة في نقطة تبعد ٣٦ كيلو متراً جنوبي الشرقاط) .

ان هدفنا الحقيقي من هذه المقدمات الجغرافية انما هو تحديد مواقع المدن والأماكن ذات العلاقة بتاريخ الحمدانيين : وسوف اتبع اسلوباً يسهل على القاري تحقيق هذا الهدف، وهو تصنيفها الى ثلاث مجموعات تتبع كل مجموعة إحدى المناطق الثلاث للجزيرة وفق التقسيمات الكلاسيكية التي اوردتها الجغرافيون العرب القدامى ، مكتفين بالمعلومات الأساسية ومعرضين على التفاصيل الكثيرة التي ازدحمت بها المراجع القديمة والحديثة :

٢- ديار بكر : هي اصغر مناطق الجزيرة الثلاث واقصاها الى الشمال ،

(١) صريط : موضع بأرمينية له نهر يصب في دجلة ما عداه من ظهر . . . أوردن ويخرج من

ارض أرمينية (ياقوت معجم البلدان - ٣ ص ٦٧ - ليدن .)

بأسورين : ناحية من أعمال الموصل في شرقي ديارها لها ذكر في اخبار حمدان (ياقوت

- ١ ص ٤٦٧)

بذكر ياقوت - (معجم البلدان - ١ ص ٤٦٦) بازدي فيقول انما كورة قرب باقردي

من ناحية جورة : ابن صر . وبازيدي في غربي دجلة وبقردي في شرقيه . كورنان متقابلتان وبازيدي

اسم قرية في نيسابور جورة ابن صر سميت الكورة بأسمائها وبالقرب منها جبل الجودي وقرية

ثمانين . يوتره لدى ابن القلقية ص ٢٣٣ قردي وبزدي وقردي وبازيدي لدى ابن رسته ص ١٠٦

ويمكن تعريفها على انها الاراضي الواقعة الى شمال مجرى دجلة الاعلى ،
وعاصمتها آمد ومن مدنها الهامة ميفارقين (بفتح الميم وتشديد الباء)
وأرزن (بفتح الالف وفتح الزاء) وحصن كيفا وتل فافان .

تتمتع مدينة (آمد) وهي أمدا Amida عند الرومان بسمعة
تاريخية مدوية ، اما اليوم فهي بالقبض مدينة ديار بكر في تركيا . ويقول
المقدسي (١) ان آمد كانت بلداً خصيباً على ضفة دجلة الغربية بنيت
بحجارة سود صلبة وكذلك اساسات الدور (٢) . وكان موضع آمد
حصيناً فقد شيدت على جبل غربي دجلة واحيطت بسور هـ من حجارة
سود يدعى ميمونا هـ نادرة وغالية الثمن حتى ان ابن حوقل (٣) يقدر
ثمن الحجارة الواحدة منها بخمسين ديناراً حسب الاسعار السائدة في
العراق حيث استخدمت لصنع الأرحاء . وامتازت هذه المدينة علاوة
على حصانها - كأغلب المدن التي سيأتي ذكرها - بكثرة اشجارها
وزروعها وكثرة طواحينها التي كانت تدور بمياه العيون (٤) ويرثي ابن
حوقل (٥) هذه المدينة (٦) الزاهرة التي آتت فيما بعد الى الروم بقوله

- (١) أحسن التقاسيم ص ١٤٠ . ابن حوقل ص ٢٠١
- (٢) انظر ابن حوقل ص ٢٠١ . يقول الاصطخري ان آمد تقع شرقي دجلة . وهذا خطأ
(انظر سالك المسالك ص ٧٥) .
- (٣) صورة الارض ص ٢٠١
- (٤) نفس المصدر ص ٢٠١
- (٥) نفس المصدر ص ٢٠١
- (٦) ينتمى ابن الفقيه (مختصر كتاب البلدان ص ١٣٤) جبل آمد من أطاليب الدنيا ،
ويقول ان فيه صدها لمن وضع فيه سيفه وأمسك بسقبته اضطرب السيف في يديه وأرعد
الفايض وان كان أشد الناس . وفيه اصهورة اخرى انه هـ متى يحك بذلك الجبل سكن
أو حديد أو سيف حمل ذلك السيف أو السكنى المديد . ويجذب الأبر والصدال بأكثر هـ
يجذب المتناطيس ... هـ
- وجدير بالذكر ان ابن الفقيه يفتي . فيجعل آمد وأرزن وميفارقين من كور ديار ربيعة .

« وكان لها ضياع ورماتيق وقصور ومزارع برممها هلكت لضعفهم - أي المسلمين - وإقتدار الروم عليهم وقلة المغيث الناصر » . وتمتع سور آمد بخمسة ابواب سميت بحسب اتجاهها الجغرافي وهي باب الماء وباب الجبل وباب الروم وباب التل ، اما الباب الخاص فيبدو انه كان سرياً يحتاجون اليه وقت الحروب مع الروم ، وهو باب صغير سمي بباب أنس (١) . لقد تمتعت آمد بوضع اقتصادي حسن للغاية ساعد على ازدهارها إبان الفترة موضوع البحث ، لذلك كانت ميدان صراع بين القوى المتطاحنة كما سنرى فيما بعد . لقد كن دجلة يحيطها من جوانب ثلاث ، وكانت فيها أرحاء وطواحين كثيرة ، ووصف الجغرافيون والسواح القدامى أسواقها بأنها كانت عامرة (٢) .

وتعتبر ميافارقين (التي سماها اليونان مدينة الشهداء Martyropolis) لأنها حوت عظام شهداء النصارى (٣) من أهم مدن ديار بكر وأوسعها شهرة أيام الحمدانيين . وبالرغم من قلة بساتينها ، توفرت فيها بعض عيون المياه (٤) ، وقد أحيطت المدينة بخندق لزيادة حصانتها (٥) . ولعل أوفى معلومات يستطيع الباحث ان يحصل عليها عن تاريخ هذه المدينة هو الكتاب الذي خلفه الفارقي (٦) والذي يمدنا

(١) المقدسي ص ١٤٠

(٢) انظر : ابن حوقل ، المقدسي

(٣) المقدسي ص ١٤٠

(٤) مسجم البلدان ج ٥ ص ٧٠٣-٧٠٦ . المقدسي ص ١٤٠

(٥) المقدسي ص ١٤٠

(٦) تاريخ العارقي . كتبه أحمد بن يوسف بن الأدرقي الفسارقي (حقه الدكتور جدي

عبداللطيف وصدر في القاهرة ١٣٧٩ / ١٩٥٩ م)

بفكرة ناصعة الوضوح عن مجد هذه المدينة واهميتها التاريخية قبل
 الحمدانيين وفي أيامهم وفي العصور التي تلتهم . ومن فيض المعلومات
 التاريخية التي يكدمها المؤلف ارتقى نستنتج ان ميفارقين كانت مدينة ذات
 سور عظيم عني بمارثه جميع القادة والامراء الذين اتيج لهم حكم هذه
 المدينة . ويبدو كذلك ان لهذا السور الجليل أبواباً عدة منها الباب
 الوسطاني وباب قلوخ وباب الرض وباب باقوسى . وكان بين هذه
 الابواب لبراج للدفاع (٦) ويبدو من قراءة تاريخ الفسارقي ان مدينة
 ميفارقين كللت ذات عيون تجري منها قنوات وذلت قصور وعمائر
 وبساتين جميلة (٢) . كانت ميفارقين من اهرق المدن في ديار بكر فقد
 وجدت فيها صافي من لبام الملك ثيودسيوس وكنائس ترجع الى عهد
 المسيح . وكان فيها الى جانب المسيحيين جالية يهودية لها محلة معروفة
 وولغاقي مهي باسم (عقاق اليهود (٣) .

والى الشرق من ميفارقين بقليل مدينة أرزن على نهر سريط ، وقد
 اشتهرت بقلعتها الضخمة الحصينة التي أصبحت مجرد اطلال ابام
 يا قوت (٤) . وقد تعرضت ميفارقين وارزن القرية منها الى غارات
 الروم المستمرة فى القرن الرابع فأتخوها قراها وضياها وعضدوا
 اشجارها وزروعها الى أن جعلت كالخاوية على عروشها (٥) . الا ان

(١) تاريخ الفارقي ص ٨٦-٨٧

(٢) نفس المصدر ص ١٠٧

(٣) لستراخ ص ١١٤

(٤) مسح البلدان ج ١ ص ٢٠٦

(٥) ابن حوقل ص ١٩٢

رواية لاصغر محمسنو الذي زار أروؤ في سنة ٨٤٣٨ (١٠٤٩ م) تناقض
رواية ابن حوقل فهو يصف هذه المدينة على أنها كانت عامرة ، فيها
أسواق وتحف بها بساتين يانعة كثيرة الماء . كما ان المستوفي الذي زارها
في القرن الثامن الهجري يصفها على أنها كانت في أيامه بلداً عامراً ، وهذا
يناقض رواية ياقوت السالفة الذكر (١) ،

وكان حصن كيفا الذي دعاه الروم Kiphas يقع كما يقول
المقدسي (٢) على دجلة مباشرة ، وكذلك جعله المعلق على مخطوطة ابن
حوقل (٣) (الذي عاش في القرن السادس الهجري) على ضفة دجلة
الغربية ، في حين حدد لسترايخ (٤) موقعه على ضفة الفرات
الجنوبية وهذه هفوة . ومما يكتن فقد كان حصن كيفا (وسميها ابن
الغضبية رأس كيفا) (٥) على ايام المقدسي بلداً له قلعة حصينة ومحوي
كتائب كثيرة (٦) . ويصف المعلق على مخطوطة ابن حوقل (٧) هذا
البلد في القرن السادس بقوله : « واما حصن كيفا فهي قلعة حصينة منيعة
ذات شعب متفرقة بين الجبال .. وفيها شعاب وأودية لا يقدر عليها ،
وبين يديها على الدجلة قنطرة عالية حسنة البناء .. وتحتها ريف عامر

(١) لسترايخ (الترجمة العربية) ص ١٤٤

(٢) ص ١٤١

(٣) ص ٢٠٢

(٤) بلدان الحلاة العربية ص ١٤٤ .

(٥) مختصر كتاب البلدان ١٣٣

(٦) أحسن التقاسيم ١٤١

(٧) صورة الأرض ٢٠٢

فيه الأسواق والحمامات كالفنادق والمساكن الحسنة ، وبنائهم بالحجر
والجص ولها زسائق كثيرة وضياح عامرة .»

ولجد على ضفة دجلة اليسرى شرقي حصن كيفا (وعلى بعد خمسين
ميلا) تل فافان وعلى مقربة منه مدينة بهذا الاسم كانت تحيط بها
الساتين . وقد وصفها المقدسي في القرن الرابع بأنها رخيصة الاسعار
و ذات اسواق مغطاة وبيوتها من الطين (١) . وكانت على ضفاف نهر
الرزم شمال تل فافان مدينة سمعت أو سمرد أو أسمرت ، وكانت تعد
من أعمال أرمينية على الأغلب (٢) . وثمة بلدان صغيرتان ذكرهما
المقدسي (٣) عند هذا الموضع دون أن يمدنا بوصف لهما هما الفار
وحاذية .

٣- ديار مضر : تمتد منطقته ديار مضر بمحاذاة ضفتي الفرات ،
وتعتبر الرقة قصبتها . أما حدودها الجغرافية فإنها تقع جنوب غربي
ديار بكر وتحاذي الفرات من سبساط حيث يترك النهر سلاسل الجبال
منحدرًا نحو عانة ، تضاف إلى ذلك سهول نهر البليخ (٤) رافد الفرات
الذي يأتي من حران . وأهم مدن ديار مضر التي تعزينا الرقة والرافقة
وحران والزها وحصن مسلمة وقرقيسياء والرحبة والدالية ورسافة
الشام وهيت وتكريت وعانة (أو عانات) .

(١) أحسن التماسيم ص ١٤١

(٢) لترايح ص ١٤٥

(٣) أحسن التماسيم ص ١٤١

(٤) يذكر ياقوت (ص ١٥٠) تل البليخ ويقول إنها قرية على البليخ نهر الرقة .
ويجعل ابن خرداذبة ص ١٧٥ مخرج البليخ من عين الدعيانة من أرض حران
ويجب في الفرات أسفل الرقة .

وصف المقدسي (١) مدينة الرقة الواقعة على ضفة الفرات الشرقية بإنها كانت كثيرة القرى والبساتين حسنة الأسواق ولها جامع عجيب وحمامات طيبة ، وقد ظللت أسواقها . وهذا كما يرى القاريء وصف ينطبق على أكثر المدن الشرقية يومذاك . وفي سنة ١٥٥ هـ بنى الخليفة العباسي المنصور مدينة الرافقة على مقربة من الرقة لإنجبت المدينتان تقريباً حتى قال ابن حوقل (٢): ان الرقة والرافقة مدينتان كالملاصقتين وكل واحدة بائنة من الأخرى بأذرع كثيرة . وفي القرن الرابع كانت المدينتان في وضع إقتصادي جيد وأسعار المواد الغذائية فيها رخيصة بسبب وفرة الحاصلات (٣) . ثم وسع هارون الرشيد الرافقة وبنى بها قصر السلام ، فخربت الرقة وقامت عمارات جديدة شغلت الفراغ المجاور ، وبذلك حلت الرافقة محل الرقة وأخذت إسمها ، أما اليوم فترى في ذلك الموضع بحيرة ضحلة (٤) . وفي أسفل الرقة يتصل نهر بليخ - رافد الفرات - بالفرات الأصلي ماراً بمدينة حران Carrhae التي كانت موطن الصابئة وبها معابدهم ومدينتهم والتل الذي جعلوا عليه مصلى يعظمونه ويقدسونه (٥) . ولأشتهرت بقلعتها الحجرية وجامعها ، وكانت بها قناة تروي أراضيها (٦) . وينبغي ابن حوقل حران بقوله (٧):

(١) أحسن التقاسيم ص ١٤١ . الإصطخري ص ٧٥ .

(٢) صورة الأرض ٢٠٣ . الإصطخري . المسالك والممالك ص ٧٥ . ابن الفقيه ص ١٣٢ .

(٣) صورة الأرض ص ٢٠٣ . ابن الفقيه ص ١٣٣ .

(٤) Le Strange, P. 102

(٥) الإصطخري . مسالك الممالك ص ٧٦ . ابن حوقل ص ٢٠٤ .

(٦) المقدسي ص ١٤١ .

(٧) صورة الأرض ص ٢٠٤ .

« وكان لها غير رستاق عظيم وكورة جلييلة فافتتح الروم اكسرها
واناخت بنو نمير وبنو عقيل بمعقوتها وبقصبتها، فلم تبقى لها باقية ولا في
رستاقها ناعية ولا راغية » وينسب البلاذري (١) لحران عدة قرى منها
قل عفراء تل مذانا وارض المصلى ومرج عبدالواحد الذي كان حياً
للمسلمين :

وكانت الرها *Edessa* من المدن ذات الشهرة العظيمة أيام
الحمانيين ، وسرى كم دار حولها صراع بينهم وبين الروم بسبب
مكانتها الدينية عند النصارى . فقد ازدهرت الرها بآثارها المسيحية
بحيث كان فيها وحولها اكثر من ثلاثائة دير وصومعة للرهبان ، كما
كانت فيها اعظم كنيسة في بلاد المسلمين حتى عدت من عجائب الدنيا
أو على الاقل من عجائب الجزيرة حسب تعبير ابن الفقيه (٢) . ويقول
ابن حوقل (٣) ان اغلب اهل الرها كانوا من النصارى ، وبها زيادة على
ثلاث مائة بيعة ودير وصوامع فيها رهبانهم ولم فيها بيعة ليس
للمصرانية اعظم ولا ابداع صنعة منها : « وكان بها مندبل عيسى بن
مريم (٤) » . لقد ظلت الرها تعرف بهذا الاسم حتى القرن الخامس

(١) فتوح البلدان ١٨٧ .

(٢) الاسطررخي ، مسالك الممالك ص ٧٦ . المقدسي ، احسن التقاسيم ص ١٤١ . بصل
ابن الفقيه ص ١٢٤ عدد الأميرة (٣٦٠) دبراً

(٣) صورة الارض ص ٣٠٤

(٤) يقول لسرانج (هامش ص ١٣٥) انه احد مندبل كثيرة تدمر *Veronica*
ولا تتفق المصادر الوثيقة على ما اذا كان مندبل اديسا (الرها) هو المندبل المحفوظ في
رومة او في جنوة او غيرها . يذكر البلاذري « فتوح البلدان ص ١٨٨ » بفتح قرى
نابة الرها مثل برأسكيفا ولسوس وكفر خدا

هشـر ء . فانها سميت باسمـهـ (اورفا) السـيـ ربما كان تحريفاً للفظـة
(الرها) (١) :

وتقع بين حران والرقـة (باجروان) (٢) وعلى مقربة منها (حصن
مسلمة) الذي ينسب الى مسلمة بن عبد الملك الاموي الذي اهتم بنزويد
هذا الحصن الحربي بالمياه من نهر بليخ القريب الذي يروي البساتين.
القربة (٣) .

وبانحدار الفرات جنوباً ، وعلى مقربة من التقائه براافده البليخ ، توجد
عدة مدن تنتشر على شفتي النهر تعتبر ضمن منطقة ديار مصر وتسمى
بناحية الفرات او اعمال الفرات أو قرىات الفرات * ولعل اهم هذه
المدن الرحبة على الضفة الفرافة اليسرى : وهذه هي رحبة الشلم او رحبة
مالك بن طوق بن عتاب التغلبي وهو مؤسسها الذي عاش في عصر
المأمون (٤) ، وكانت على حد قول المقدسي (٥) : أعظم مدينة في
نواحي الفرات ، واشتهرت بكثرة اشجارها ومياهها (٦) * وعلى
بعد ستة فراسخ من الرحبة وعلى الضفة الفرات اليسرى عند مصب
الحابور كانت تقع مدينة قرقيسيا (كركيسوم Circesium) التي

E. I. Vol.3 P 302 (١)

(٢) باجروان : قرية من ديار مصر بالمهورة من اصال البليخ (معجم البلدان ج ١ ص ٤٥٤)

ويذكرها المقدسي ص ١٣٧ ويذكر كذلك من مدن ديار مصر خانوقـة والحريش وتل

محوى وترعوز . وناحية سروج كذلك انظر الاصطخري ص ٧٦ : ابن جيب ص ٢٤٦ .

لسراج ص ١٣٥ .

(٣) انظر قدامة ص ٢١٥ ، ياقوت ، ج ٢ ص ٢٧٨

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ١٨٨

(٥) أسنن التماسيم ص ١٤٢ .

(٦) الاصطخري ، مسالك الممالك ٧٧ .

اشتهرت ببساتينها واشجارها وزروعها (١). أما الرحبة والدالية فتقعان قرب نهر يقال له نهر سميد كان يخرج من يمين الفرات فوق قرقيسيا ويعود فيصب فيه فوق الدالية. التي عرفت بدورها بدالية مالك بن طوق. وكانت الدالية مدينة صغيرة تقع على مرتفع يسير الارتفاع على الضفة الغربية من الفرات (٢). وبين الرحبة والرقبة بنى هشام بن عبد الملك مدينة سميت برصافة هشام او رصافة الشام تميزاً لها عن رصافة بغداد وغيرها. وما زالت آثار هذه الرصافة باقية في البادية على أربعة فراسخ جنوب الرقة (٣). ويقول البلاذري (٤) : ان هشام احدث هذه المدينة وكان ينزل قبلها الزيتونة .

ومن مدن ديار مضر التي لا يمكن اغفالها هيت غربي الفرات وقد اشتهرت بخصبها وعمرانها ، وكان فيها حصن وهوي أعمر المدن المتقدم ذكرها (٥). وقامت قبالة هيت مدينة تكريت على ضفة دجلة الغربية على مقربة من فوهة نهر دجيل الذي يتصل بدجلة أسفل هذه المدينة وكان فيها عدد كبير من النصارى (٦) . وتوسط بين بغداد والموصل ولها قلعة حصينة تطل على دجلة (٧) ولم يكن في إقليم الجزيرة أسفل

(١) نفس المصدر والمكان . انظر لسراج (الترجمة العربية) ص ١٣٦ .

(٢) ابن حوقل ص ٢٠٦ .

(٣) لسراج ص ١٣٧ .

(٤) فتح البلدان ص ١٨٧ .

(٥) ابن حوقل ، صور الأرض ص ٢٠٥ .

(٦) الاضطعري ص ٧٧ - ٧٨ .

(٧) مراد الاطلاح ص ١٠٨ يقول بالقوت (١٣ ص ٨٦١) تكريت بين بغداد والموصل ولها قلعة حصينة .. أول من بناها صايور بن اردشير .. وقبل سميت بتكريت بنو وائل .

من قرقبسيا مدينة ذات شأن غير عانة (عانات) وهي Anatho القديمة التي كانت في أيام الاصطخري مدينة صغيرة في وسط الفرات يطوف بها خليج منه (١). ويبدو ان عانة أو (عانات) تمتعت في أيام ياقوت - شأنها شأن أكثر مدن الجزيرة - بقلعة حصينة مشرفة على الفسرات (٢) .

٤- ديار ربابعة : تقع ديار ربابعة شرقي ديار مضر، وتشمل الأراضي الواقعة في شرقي الحابور الكبير (رافد الفرات) والأراضي الواقعة في شرقي نهر همراس (فرع الحابور الكبير) الذي يجري في وادي الثرثار بالإضافة الى الأراضي الممتدة على ضفتي دجلة بإتحداؤه من تل فافان الى تكريت ، أي الأراضي الواقعة في غرب دجلة حتى نصيبين والتي في شريقه ، وهي السهول التي يرويهما الزابان الأعلى والأسفل ونهر الحابور الصغير (أو خابور الحسنية وهو رافد دجلة) (٣).

إن أهم المدن التي كانت ذات علاقة بتاريخ الحمدانيين في ديار ربابعة - بعد الموصل وهي قصبتها - رأس العين وماردين ودينيسر

(١) الاصطخري ص ٧٥ .

(٢) مختصر كتاب البلدان ص ١٢٩ . ويصف ابن الفقيه مدينة الحضر التي تقع بأزاء تكريت ، على برية شجار ، وبينها وبين دجلة خمسة عفر فرساً وبينها وبين الفراهصة عفر فرساً . وهي مبنية بالحجارة البيض وتقع على تل . ولها ستون برجاً كبيراً وبين البعج والبعج تسعة أبراج صغار على رأس كل برج قصر واسفله حمام وقد حبل عليها نهر الثرثار ويصب في المدينة ثم ينسرج وعلى جانبي الثرثار القرى والجنان .

(٣) ياقوت ص ٣٠٤ . ويذكر ياقوت (١٠ ص ٧٥٠) البوازيج وهي قرب تكريت على ضم الراب الأسفل .

وكثرت ثوابت ونصبين وأثرمة وبرقعيد وسنجان وجزيرة ابن هر والحسنية
وبلد والموصل والحديثة (حديثة الموصل) واربيل بالإضافة الى عديد
من الحصون والقلاع والمواقع العسكرية التي انتشرت في هذه المناطق
والتي سيرد ذكرها في خلال السرد التاريخي .

تقع منابع الخابور الكبير (١) شمال رأس العين في المناطق الجبلية
المسماة قروه داغ Qaradja Dagh ويأتي فرعاه الرئيسان من طور عابدين .
واحد فروع الخابور نهر سابا (٢) . (ويسمى اليوم جرجيب) ويأتي
من تل موزن (يسمى اليوم فيران شهر) . ويستقبل الخابور الكبير في
يساره مياه نهر ماردين الآتي من رأس العين ويصب فيه أسفل من ذلك
نهر التهرماس الآتي من نصيبين، على ان أكثر مياه الهرماس كانت تنساب
من سكير العباس (وكان على معلقة يسيرة فوق ملتقى الهرماس بالخابور)
الى وادي الثرثار ، فتجتمع من ذلك في الخابور مياه ثلاثة انهار كبيرة ،
هذا بالإضافة الى ما ينصب فيه من مياه الجداول . ثم ينحدر الخابور
جنوباً الى قرقيسيا على الفرات (وهي من مدن ديار مصر) . وقبل ان
يصل الخابور الى هذه المدينة يمر بمدينة تي عربان وماكسين وهما في
أراضي الخابور من اعمال ديار ربيعة :

كانت رأس العين او رأس عين (Resaina الرومانية) تقع على
بعد خمسين كيلو متراً أسفل تل موزن على لهر خابور رأس وقرب منابع

(١) انظر حول منابع الخابور :

Von M. Oppenheim, Der Tell Halaf (Leipzig 1931)

(٢) بالقرت معجم البلدان ج ٤ ص ٨٤٠ .

لهو الحايور الكبير . وهي مدينة تردد اسمها كثيراً في المراجع الجغرافية والتاريخية العربية ، باعتبارها إحدى المدن الواقعة على طريق الرقة - الموصل (عن طريق نصيبين) ، واشتهرت كذلك بكثرة حيونها حتى قيل انها بلغت اكثر من ثلاثمائة عينا (١) كانت تسمى بساينها وحقوقها الممتدة والتي كانت تبدو كأنها بستان واحد متصل . (وصف ابن حوقل (٢) هذه المدينة بقوله : كانت رأس العين مدينة ذات سور من حجارة نيل ، وكان داخل السور لهم من المزارع والطواحين والبساتين ما كان يقوتهم ، وفيها من العيون ما ليس ببلد من بلدان الاسلام ، وهي اكثر من ثلاثمائة عين ماء جارية كلها صافية بين ماتحت مياهها في قعورها على أراضيها . . . وتجتمع هذه المياه حتى تصير نهراً واحداً ويجري على وجه الأرض فيعرف بالحايور ، ويقع الى نواحي قرقيسيا ويكاد وصف الاصطخري (٣) لرأس العين ان يكون صورة مطابقة لما ذكره ابن حوقل :

وفي منتصف الطريق بين رأس العين ونصيبين قامت قلعة ماردين الصخرية الشهيرة في تاريخ الحمدانيين . وكانت تقع على قمة جبل بنفس الاسم عند الموضع الذي يتسع فيه الحايور بما ينضاف اليه من مياه الجداول الاثني من طيور عابدين ، كانت مدينة ماردين تقع على ارتفاع ١١٩٠ متراً . وتكون من قلعة صخرية ومدينة تقع الى الجنوب في سفح للجبل . واعتبرت ماردين من اهم مدن الجزيرة في تاريخ بني حمدان وكانت معقلاً لامرائهم في القرن الرابع وسميت : (الباز الأشهب) (٤) وفي القرن

(١) الاصطخري ص ١٠٧٤ ابن حوقل ص ٢٠٠ .

(٢) صورة الأرض ص ٢٠٠ .

(٣) مسالك الممالك ص ٢٤ .

(٤) صورة الأرض ص ١٩٤٠ .

السادس بنيت ضاحية لماردين في جهتها الجنوبية قامت فيها الاسواق والخانات والمدارس . وقد وصفها ابن بطوطة (١) بأنها كانت مدينة جميلة غنية بالاحصالات الزراعية ، وعرفت يومئذ بالقلعة الشهية واشتهرت بالحجر الزجاجي (٢) ووصف الاصطخري (٣) جبل ماردين فقال ان ارتفاعه من الارض الى ذروته نحو فرسخين (اكثر من عشرة كياو مترات) وبه قلعة منيعة لا يستطاع فتحها عنوة ... وهو جبل به جواهر الزجاج ٠٠ وكانت ماردين من المواقع الهامة عسكرياً، لذلك عمد جميع حكام اقليم الجزيرة الى وضعها تحت سطوتهم باعتبارها مركزاً دفاعياً حصيناً . فهي تسيطر على المناسطق الواقعة على دجلة والفرات وتكون ممراً هاماً للشمال وطريقاً الى الموصل عبر نصيبين والى آمد. مدينة ديار بكر الهامة والى رأس العين التي أسلفنا وصفها . لقد كانت ماردين فوق ذلك من الديار التي عاش فيها آل حمدان وهي من مواطنهم ذات الشهرة بالاضافة الى برقيعد وميافارقين ونصيبين والموصل . والحق ان المعلق المجهول على مخطوطة ابن حوقل (٤) أوجز اهمية ماردين في عبارة واحدة فهو يقول : « وماردين حصن حصين متين لا يرام ولا يقدر عليه، مبني على قلة جبل شاهق في الهواء وهو مشرف على تلك الجبال شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً لا يدانيه قلة جبل البنة ، وفيه من اللخائر والعدة والأسلحة ما لا يمكن حصره، ومن تحته في ناحية الجنوب ريف عامر

(١) رحلة ابن بطوطة - ١ ص ٧٣ .

(٢) مسالك الممالك ص ٧٣ .

(٣) نفس المصدر ص ٧٣ .

(٤) صورة الأرض ص ٢٠٢ .

منغص بالسكان ضيق الاسواق ، وليس بين ايديهم حائل يمنهم من
النظر الى بركة رأس العين والخابور وصنجار ... » .

وكانت مدينة دنيسر أو « سوق دنيسر » تقع تحت مساردين في
الصحراء على بعد اربعة فراسخ . وهذه المدينة كانت في الاصل قرية
صغيرة يجتمع الناس في فضائها كل يوم أحد (١) للبيع والشراء ، فلم
تلبث بسبب هذه التجارة النشطة ان توسعت وتحولت الى مدينة
عامرة ذات حانات وفنادق وحمامات وأسواق ، تأتينا البضاعة من سائر
البلدان واستقر فيها الناس من كل فج عميق .. فكثر بها الارتفاع
والضمانات (٢) .

وكانت كفرتونا حصناً قديماً فاتخذها ولد ابي رمنة منزلاً فمدنوها
وحصنوها (٣) وتقع الى الجنوب الغربي من ماردين في منبسط من الأرض
حباها الله بانواع الشجر والزرع (٤) . ويصف ابن حوقل (٥) كفرتونا
بأنها تقع بين مدينتي دار ورأس العين : « مدينة جميلة سهلة ، وكان
حفظها من كل خير جزيلاً .. وكانت في مستواة من الأرض ولها شجر
وثمر ومزدور وضياح . اما دارا فكانت تقع الى جنوبي شرقي ماردين
على المجرى الأعلى لفرع من فروع نهر عوج الذي يتصل بنهر
هرماس . وتبعد دارا مسبعة فراسخ (اكثر من ٤٠ كيلو متراً) عن
عن كفرتونا وخمسة فراسخ (اكثر من ٢٨ كيلو متراً) عن نصيبين .
واشتهرت دارا بكثرة محصولاتها الزراعية وحيونها وابنتها ذات الحجارة

(١) يبدو من ذلك ان اكثر اهلها كانوا من النصارى . خاصة وقد كثرت فيها الحانات .

(٢) ابن حوقل ص ٢٠٢

(٣) اللاذقي : تروج البلدان ص ١٨٨ .

(٤) الاسطوري ص ٧٢ - ٧٤ .

(٥) صورة الأرض ص ٢٠٠ .

السود ٥٥ ووصفها ابن حوقل (١) بأنها « كثيرة الغلات والخيرات
والخصب في جميع وجوه الخصب من المأكلة والشارب وما تحويه
كالمجان ». وأنها كانت ذات أهمية استراتيجية بالنسبة للروم في القرن
الرابع الهجري :

ومن المدن الرئيسة ذات الشهرة للدائنة في العصور الوسطى نصيبين
(Nisibis الرومانية) التي ما زالت من مدن الجزيرة الهامة (في تركيا
الحديثة) . وققع نصيبين في أعالي نهر المرماس (٢) ولجند من وصف
الجغرافي والرحالة ابن حوقل (٣) أنها كانت من أعظم مدن الجزيرة
وأكثرها خصباً وغزارة في المياه ووفرة في المحاصيل الزراعية ، وتقع في
سهل منبسط ، تأبها المياه من جبل بالوسا (٤) فتسقي بساتينها ومزارعها
وتزهر البرك في دورها وقصورها . ويقول المقدسي (٥) عن نصيبين أنها
كانت « أزهر وأصغر ٥٥ من الموصل ، كثيرة الفواكه بها حمامات حسنة
وقصور منيعة عليها حصن من حجر وكلس ٥ » واشتهرت نصيبين في
القرن الرابع بمراعبيها الواسعة وغلاتها العظيمة وبحقولها وبساتينها
ومتنزهاتها الجميلة ، وكثرة كنائسها وصوامعها ودياراتها ٥ وكانت على
عهد ابن جبير في القرن السادس الهجري مدينة جميلة محاطة بالبساتين ،
وافرة المياه كثيفة الشجر ، وتمتاز بنهر يحيط بها ويشرب إليها من هين
تنبع من جبل قريب (٦) . وظلت هذه المدينة عامرة حتى عصر ابن

(١) صورة الأرض ١٩٩ . وقد اعتبرها من أعمال نصيبين الشمالية .

(٢) ساء اليونان Saocoras أو مجدونيوس Mygdonius .

(٣) صورة الأرض ص ١٩١-١٩٤ .

(٤) انظر كذلك الأسطوري ص ٧٣ .

(٥) احسن التقاسيم ص ١٤٠ .

(٦) رحلة ابن جبير ص ١٩٢ .

بطوطة (القرن الثامن المجري) (١) .

كانت لصيبين اعظم المدن الواقعة على الطريق الغربي الذي يذهب الى الموصل . وكان غالبية سكان هذه المدينة من بني تغلب ، واشتهرت في العصور الوسطى بكونها مركزاً ثقافياً هاماً من مراكز النساطرة ، بالإضافة الى كونها مركزاً هاماً للمسيحية حيث حفلت بالكنائس والديرة التي اشتهر منها دير الزعفران (أو دير عمرو) الذي كان يقع في جبل شرقي لصيبين (٢) .

وهناك بضعة مواقع يذكرها الجغرافيون العرب بين منطقة الحابور وطريق قرقيسيا - سنجار وهي من الشمال الى الجنوب : عربان وماكسين وسكير العباس . تقع عربان وماكسين في أراضي الحابور الذي يمر بها قبل ان يمر بقرقيسيا (في ديار مضر) واشتهرت هاتان المدينتان بوفرة انتاجهما من القطن الذي كان يزرع على جانبي الحابور (٣) . وعلى مئة ميل تقريباً جنوب نصيبين يقع السد المعروف بسكير العباس الذي يصب في دجلة والذي يقع فوق ملتقى المهراس بالحابور حيث كانت تنساب منه اكثر مياه الحابور الكبير الى وادي الثرثار . وعلى سكير العباس هذا كالت تقوم في القرن الرابع المجري مدينة كبيرة بهذا الاسم يقول عنها ابن حوقل (٤) انها « مدينة لطيفة فيها غلات وبها رجال » . اما الاصطخري (٥) فيجعل سكير العباس مجرد

(١) رحلة ابن بطرقة ص ١٤٨

(٢) انظر التابتي ، الديارات ص ١٣

(٣) انظر ابن حوقل ص ٢٠٠-٢٠١ . والاصطخري ص ٧٤

(٤) صورة الارض ٢٠١

(٥) مسالك الممالك ص ٧٤

قرية في منتصف الطريق بين عرابان وماكسين اللتين يقول عنهما انهما كانتا من مدن الخابور ، على حين اعتبر المقدسي (عرابان) قصبة ناحية الخابور (١) . ويذكر الجغرافيون العرب (٢) بضع مدن صغيرة اخرى في هذه المنطقة مثل طلبان الجمحية وتنينير والبيدية ، في حين يذكر الاصطخري (٣) اسماء قرى اخرى مثل المطرية والسخيمية . كذلك يذكر ابن الفقيه (٤) عند حديثه على كور الخابور الصور والغدير وماكسين والشمسانية والسكبر وعربان وطابان وتنينير العاليا وتنينير السفلى وشاعا وجميعها على الخابور .

ان المنطقة بين نصيبين ودجلة من جهة وبين طور عابدين (أو طور هبدن) وسلسلة جبل سنجار من جهة ثانية تدعى بأعرابايا واسمها القديم بيت عرابايا (أي بلاد العرب Arabia) كما سماها المؤرخون الكلاسيكيون وبخاصة الرومان الذين ذكروا انها كانت ذات اهمية تجارية فائقة وان العرب استقروا فيها منذ أمد طويل . ويبدو ان السهل الذي يقع في المنطقة السني يتصل فيها بنهر هرماس جداول ونهيرات عديدة جنوبي نصيبين ، كان في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كثيف للسكان وافر الزراعة تنتثر فيه مواضع عديدة على طول الطريق من نصيبين الى الموصل وصفها الجغرافيون العرب القدامى والباحثون

(١) أحسن التباسم ص ١٣٩

(٢) ابن حوقل ص ٢٠١ ، الاصطخري ص ٧٤

(٣) طليان نزه لدى الاصطخري باسم طابان ولعل الجمحية هي السخيمية لدى الاصطخري ص ٧٤

(٤) مختصر كتاب البلدان ص ١٣٣

للغربيون المعاصرون (١) . ومن هذه المواضع الهامة مدينة أذمة التي تقع في منتصف المسافة بين نصيبين وبرقعيد وهي من كورة تـمـرـف بين الهرين . وقد وصفها احمد بن الطيب السرخسي الذي مر بها يوم كان في خدمة الخليفة المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) فقال انه كان بها قصر حسن ونهر يشقها وعليه في وسط المدينة قنطرة معقودة بالصخر والجص ، وعليها سوران احدهما دون الآخر ومن خارج السور خندق يحيط بالمدينة (٢) . ووصفها المقدسي (٣) في القرن الرابع بأنها: مدينة صغيرة في البرية ، شربهم من آبار وبنيانهم قباب . ويقول ابن حوقل (٤) ان اذمة تبعد عن برقعيد ستة فراسخ وكانت مدينة صالحة كثيرة الغلات . وقال عنها البلاذري (٥) بأنها كانت قرية قديمة فاخذها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي من صاحبها وبنى بها قصراً وحصنها .

وتعتبر برقعيد مدينة تجارية ذات أهمية على طريق نصيبين تمر بها

(١) انظر A. Moret, Histoire de L' Orient I p. 302
Honigmann Ency. Islam (Orfa) Vol.
III p. 1062

يقول ابن الفقيه ص ١٢٥ : قال الأصمعي : كانت قرية تـسـال في الجاهلية عن غصب ياهربايا وهي الموصل لقدروها عندهم ولم ينلهم في غصبها شيء قط ومن ريف الجزيرة وما يليها لأنها تعدل في الغصب ياهربايا .

(٢) انظر ياقوت ج ١ ص ١٧٧ يضيف : ان بين برقعيد واذمة خمسة فراسخ وبينها وبين السميرية فرسخ مرعا وبينها وبين سنجار في الرض عشرة فراسخ

(٣) أحسن التفاضيم ١٣٩ - ١٤٠

(٤) صورة الارض ١٩٩

(٥) فتوح البلدان ١٨٨ . ياقوت ج ١ ص ١٧٧

القوافل وتجري فيها عمليات البيع والشراء . وفي القرن الثالث الهجري كانت مدينة عامرة ذات سور له ثلاثة ابواب (١) ، ويحمد ياقوت (٢) موقع برقعيد « في طرف بقضاء الموصل من جهة نصيبين مقابل باشري » ، واعتبرها المرغمي من أعمال الموصل من كورة البقعة . ويبدو انها كانت مدينة كبيرة بل اكبر من أذمة (٣) ، بحيث كان في سوقها مائتا حانوت . وهذا الوصف ينطبق على برقعيد في سنة ١٣٠٠ هـ ، حيث كانت ممر القوافل من الموصل الى نصيبين : أما في ايام ياقوت (في القرن السابع) فقد أصبحت خراباً وقرية صغيرة حقيرة (٤) يضرب المثل بأهلها في اللصوصية بحيث قيل « لص برقعيد » (٥) ، وكانت القوافل اذا زلت بها لقيت من أهلها الأمرين ، حتى اضطر التجار بسبب ذلك الى تغيير طريقهم فجعلوا طريق قوافلهم على باشري التي ازدهرت واحتلت مكان برقعيد . وهكذا نجد ان ياقوت وكذلك ابن حوقل (٦) يعزوان سبب اضمحلال هذه المدينة الى لصوبة أهلها وهو تحليل غير علمي كما هو واضح ، ذلك ان لشوء المسدن وزوالها انما ارتبطا بعوامل جغرافية وتاريخية معروفة كتحول طرق التجارة ومجاري الانهار او الحروب المبيدة والكوارث الطبيعية المدمرة .

(١) ياقوت . معجم البلدان ج ٦ ص ٧١ .

(٢) معجم البلدان ج ١ ص ٧١ . يقول ياقوت (ج ١ ص ٧٢) « وكذلك ابن حوقل

(ج ١ ص ٧٢) ان برقعيد كانت موطن آل حمدان

(٣) المقدسي . أحسن التقاسيم ص ١١٠

(٤) ياقوت ج ١ ص ٧١ .

(٥) نفس المصدر والمكان

(٦) صورة الأرض ج ١ ص ٢٢٠

وكانت منجار - السني لبعده عن بلد بلصة فراسخ - تقع في مفارة ذات لخل كثير ، وهي مدينة مسورة في القسرن الرابع مشهورة بخلق اما كفتها وبروبها نهر حلبي (١) ، بالإضافة الى عيونها الكثيرة (٢) . وكان موقع منجار حصيناً فهي تقع في وسط البرية وفي سه فح جبل خصب ، يحيطها سور حجري يصد عنها هجمات المغيرين (٣) . ويقول ياقوت (٤) ان منجار كانت تقع في ه لحف جبل عال ويقال انها سميت باسم بالها . وكان على مقربة من منجار - من ناحية الشمال والغرب - وادي من أودية ديار ربيعة كثير الخصب استقرت فيه بعض بطسون القبائل العربية (٥) .

ومن مدن ديار ربيعة ذات الشأن جزيرة ابن عمر نسبة الى الحسن بن عمر التغلبي ، ولعل تسميتها بالجزيرة كانت بسبب احاطة دجلة بها من ثلاث جهات (٦) . وقد وصفها الاصطخري (٧) بانها كانت مدينة صغيرة على غربي دجلة لها اشجار ومياه . اما ابن حوقل (٨) فقد افاض في وصفها فقال : ان بينها وبين الموصل ثلاثين فرسخاً ، وكانت على أيامه مدينة ذات تجارة ، وهي ه فرضة لأرمينية وبلاد الروم وأواحي

(١) . المقدسي ص ١٤٠ . الاصطخري ص ٧٣

(٢) . ابن حوقل ص ١٩٩ . المقدسي ص ١٤٠

(٣) . ابن حوقل ص ١٩٩

(٤) . معجم البلدان ٣ ص ١٠٨

(٥) . ابن حوقل ص ١٩٩

(٦) . ياقوت ٢ ص ٧٩

(٧) . ص ٧٥

(٨) . صورة الأرض ص ٢٠٢ - ٢٠٣

ميا فارقين وارذل، وتصل منها الى الموصل المراكب مشحولة بالتجارة ٥٥
وهي أحسن تلك الماحية عمارة وارجاها سلامة لوفور أهلها وكثرة
خصبها ٥ . ويستطرد ابن حوقل قائلا : ان الجزيرة متصلة بمدن ثمانين
وباسورين وفيشاور ٥ وجميعها في الجبل الذي منه جبل الجودي متصل
بآمد من جهة الثغور وأعلى البلد بأعمال مرعش واللكام وبأسافلها ٥ :
وجبل الجودي الذي يقع شرقي جزيرة ابن عمر هو الذي تحدده
النصوص القرآنية (١) كموضع استقرت عليه سفينة نوح ٥ أما قرية
الثمانين فسميت بهذا الاسم نسبة الى ما قبل من ان ثمانين من رجال نوح
بنوا قرية هناك سميت ثمانين بعددهم (٢) :

وتقع الحسنية على نهر خابور الحسنية الذي يصب في دجلة شمال
مدينة فيشاور ، والذي ينبع من الجبال القريبة من العمادية . وما زالت
بقايا الحسنية قرب قرية حسن أغا ، ولعلها - كما يقول لسترانج- (٣). تمثل
البلدة القديمة، أولعلها زاخو ، خاصة وان هناك قرية باسم حسنة تقوم
اليوم بأزاء زاخو في الجانب الاخر من الخابور قرب معلثايا .

وفي المنطقة الجبلية على ضفة دجلة اليسرى (بين الخابور والزاب
الكبير) تقع منطقة باهدرا التي تحدث عنها المسعودي لدى تتبعه لمجرى
نهر دجلة فقال (٤) ، انها تقع على مقربة من قردى وبازبدى : اما ابن

(١) سورة هود ١١ الآية ٤٦

(٢) ابن حوقل ، صورة الارض ص ٢٠٦

(٣) بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٣ .

(٤) مروج الذهب ١ ص ٦٣ (مصر) .

حوقل (١) : فيجعل حدود بأهدرا من المغينة حتى الحبابور ومن معلثايا
حتى فيشابور (فيروز سابور) : والمغينة كانت كما يقول المقدسي (٢) :
أحدى مدن كورة جزيرة ابن عمر الهامة :

ويرد ذكر باقردي وبازبدي سوية في المراجع العربية ، غير انها
كورتان منفصلتان تقعان في منطقة جبل الجودي ويفصل بينهما نهر دوشا .
ويقول ياقوت (٣) : ان بازبدي قرية سميت كورتها بها وهي في غربي
دجلة ، وباقردى كورة اخرى في شرقيه . وقد سبق ان اشرنا الى رأي
ابن حوقل (٤) ، في ان قردي (أي باقردي) هي جزيرة ابن عمر وجبل
باسورين الى حدود باعينا ، وان حدود بازبدي من ضيعة المقلبة
والاحمدي وباعوسا والبضاء الى حدود جزيرة ابن عمر . واذا رجعنا الى
اقوال ياقوت وابن خرداذبه وقدامة (٥) . (بالاضافة الى ابن حوقل)
نجد ان مركز قردي كانت باسورين التي احتلت مكان قردي القديمة
وطمست شهرتها ، على حين اندمجت بازبدي في جزيرة ابن عمر . ومهما
يكن فقد ظلت لهاتين الكورتين شهرة عطرة في ادبيات ذلك العصر (٦) .

(١) صورة الأرض ص ١٤٧ .

(٢) احسن التفسير ص ٥١ . ١٣٧ . ١٤٩ . ياقوت ص ٤٠ ص ٨٥ .

(٣) معجم البلدان ١ ص ٤٦٦ .

(٤) صورة الأرض ص ١٩٧ .

(٥) كتاب الحراج ص ٢٤٥ .

(٦) قال احد الشعراء :

بقردي وبازبدي مصيف ومربع

وعذب يهاكي السلسل برود

انظر مروج الذهب ج ١ ص ٦٣ .

كان جبل الجودي (ارتفاعه ٢٤٦٠ م) ذا أهمية في تاريخ هذه الفترة بالإضافة الى أهميته الدينية حيث حدده القرآن الكريم كوضع رست فيه سفينة النبي نوح بعد الطوفان (١) ، وان ثمانين من اهل هذه السفينة أشادوا قرية هناك سميت (ثمانين) (٢) . وفي شرقي جبل الجودي كانت تقع قرية النهر وان التي اعتبرت من أملاك بني حمدان وضياعهم (٣) .

ويقع جبل التين (تين داغ) شرقي جبل الجودي يفصل بينهما (قزل صو) فرع الخابور . وهنا تقوم (عقبة التين) التي يمكن اعتبارها الحد الفاصل بين أرض زوزان الأرمنية ، واقليم الجزيرة الإسلامي ، وسكان هذه المنطقة خليط من الأرمن والأكراد . ويعتبر الجغرافيون العرب زوزان كورة بين جبال أرمنية واذربيجان وديار بكر والموصل ، واهلها أرمن وفيها طوائف من الأكراد (٤) ...

وحين نترك أرض الزوزان متجهين جنوباً ندخل في الأراضي الاسلامية التي يكون الأكراد اغلب سكانها . ان هذه المنطقة الحصينة المليئة بالحصون والقلاع الحربية لعبت دوراً كبيراً أيام الحمدانيين وكانت موضع صراع بين القوى المختلفة التي كانت تهدف الى السيطرة عليها ، ومن ثم تداولتها - وقلاعها - أيدي الاقوياء المرة تلو المرة . ولعل من أشهر القلاع التي امتلكها الحمدانيون في هذه المنطقة وكانت لها شهرة ذائعة قلعة (أردمشت) قرب جزيرة ابن عمر في شرقي دجلة

(١) السورة ١١ الآية ٤٣ . انظر مقدمة ص ٢٤٠ .

(٢) انظر المقدسي ص ١٣٩ . ابن حوقل ص ١٠٣ و ١٠٧ . ياقوت ص ٩٢٤ و ٢٠ ص ١٤٤ .

(٣) التنوخي ، نشرار المعاصرة ص ٨٠ ص ١٨٠ .

(٤) مرآة الاصلاح ص ٦٧٦ .

على جبل الجودي ، والتي تقع في أسفلها قلعة الزعفران أو (دير الزعفران) التي سميت بقلعة كواشي ايضاً ، وهي التي اشرنا اليها عند حديثنا على نشاط حمدان بن حمدون . ويقول ياقوت في هذا الصدد (١) ان قلعة أردمشت قلعة حصينة قرب جزيرة ابن عمر في شرقي دجلة على جبل الجودي ، وتحتها دير الزعفران وهي قلعة ايضاً ، وهي التي عرفت فيما بعد بقلعة كواشي ، وهي من أعمال الموصل . ويسلدو ان قلعة اردمشت عرفت باسماء أخرى كذلك فقد سميت باسم الصوارة كما عرفت باسم قلعة السلامة (٢) . ومهما يكن فقد اقترنت هذه القلعة اقتراناً وطيداً بتاريخ الحمدانيين ، ففيها اعتقل أولاد ناصر الحلوة أباهم كما سرى . اما قلعة دير الزعفران فقد حدد البلدانيون القداى (٣) موضعها على انها قرب جزيرة ابن عمر تحت قلعة اردمشت وهو في جبل والقلعة مطلة عليه . ودير الزعفران (السدي سمي كذلك لانه اشتهر بزراعة الزعفران) (٤) ايضاً بقربه على الجبل المحاذي لتحصين . وعلا هاتين القلعتين وقلعة مساردين (التي سبق ان اشرنا اليها) امتلك الحمدانيون قلاعاً أخرى اقترنت بتاريخهم كما سرى مثل حصن الشحاني وبرقي (٥) وغيرها .

وقبل ان انتقل الى الحديث عن الموصل ، أود ان أتحدث عن أحد المواضع الهامة في ديار ربيعة - وهي إربل - خصوصاً مني الضرورات

(١) معجم البلدان ١ ج ١ ص ١٩٩ ، ٢ ج ٢ ص ٦٦٢ .

(٢) مروج الذهب ٨ ج ٨ ص ١٤٥ (الطبعة الأوربية) . قلعة صوارة .

(٣) ياقوت ٢ ج ٢ ص ٦٦٢ . مراد الاطلاق ٢ ج ٢ ص ٥٦١ .

(٤) مراد الاطلاق ٢ ج ٢ ص ٥٦١ .

(٥) انظر ياقوت ٥ ج ٥ ص ٩٥٧ ، مسكويه ٢ ج ٢ ص ٢٩٢ .

البحث ، مع علمي بأن بحثها يجب ان يأتي بعد الحديث على الموصل اذا
اخذنا بنظر الاعتبار التسلسل الجغرافي .

إن لاربيل (أربيل اليوم) هي اربيل القديمة التي ترقى الى ايام
الاشوريين والتي سموها بمدينة الالهة الأربعة (أربا - ايلو) (١) ، وتقع
بين الزابين وتميز بقلعتها الحصينة التي شيدت على قمة تل ترابي . وتحدها
ابن خرداذبه (٢) عن اربيل باعتبارها احد الطاسيج الخمسة التي
كونت كورة حلوان (أو شاذ فيروز) ، وكذلك فعل قدامة بن
جعفر (٣) . ويقول عنها ياقوت (٤) : انها قلعة حصينة ومدينة كبيرة في
فضاء من الأرض واسع بسيط ، ولقلعتها خندق عميق ... وهي على تل
عال من التراب عظيم ... وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية ... وهي
بين الزابين وتعد من أعمال الموصل ... ان اربيل من مواطن الأكراد
القديمة بحيث قال ياقوت (٥) « ان أكثر أهلها أكراد قد استعربوا ،
وجميع رسائيقها وفلاحيتها وما ينضاف إليها أكراد ، وينضم الى ولايتها
عدة قلاع ، وشربهم من أبار عذبة » . وفي المصور العباسية المتأخرة
اعتبرت اربيل من أعمال الموصل . وقد اشتهرت منذ القديم بأهميتها
التجارية باعتبارها ملتقى طرق القوافل (٦) .

لقد اطلق الجغرافيون العرب على المنطقة التي كانت اربيل قصبتها

(١) لسانج ص ١٢٢ . شرك . دائرة المعارف الاسلامية ١٠ ص ٥٧١ .

(٢) المسالك والممالك ص ٦ (طبعة بريل ١٨٨٩) .

(٣) الحراج وسنة الكتابة ص ٢٣٥ (بريل ١٨٨٩) .

(٤) معجم البلدان ص ١٨٦-١٨٧ .

(٥) ياقوت . معجم البلدان ١٣ ص ١٨٦ . مراد الاصلاح ١٣ ص ٥١ .

(٦) شرك دائرة المعارف الاسلامية ١٠ ص ٥٧١ .

أسم (أرض حزة) . والواقع ان حزة هي المنطقة التي كانت تشمل اماره حدياب الواقعة بين الزابين والتي امتدت الى آشور (شقاط) والى نصيبين وكانت قاعدتها أربيل (١) . ويتحدث ابن حوقل (٢) عن (أرض حزة) ويعتبرها من رساتيق الموصل و بينه وبين اعمال المرج الزاب الكبير .

٥- الموصل واعمالها

تقع الموصل - قصبة ديار ربيعة - على الضفة الغربية (اليمنى) لدجلة ، الذي يجري الى شرقها في شبه قوس من الشمال الى الجنوب . وتقع المدينة على أرض تعلو قليلا عن مستوى سطح البحر ، مقابل نينوى او نونوى (٣) عاصمة الاشوريين التي ما زالت خرائثها تبدو على الضفة الشرقية للنهر . ولم تكن الموصل قبل الفتح العربي الاسلامي ذات شأن ، انما كانت مجرد حصن صغير يقوم على تل قلعيات مقابل نينوى ليصد عنها غارات المغيرين من الغرب . وبعد سقوط نينوى في سنة ٦١٢ ق.م لجأ اليها بعض الناجين . وفي القرن الرابع قبل الميلاد أورد زنفون في رحلة العشرة آلاف ذكرها بأسم *Muspile* وحدد موضعها في الجانب الشرقي لدجلة (٤) . لقد تحولت نينوى الى مدينة من مدن اماره حدياب (التي سماها العرب حزة) (٥) ، وهي إحدى الامارات الكلدانية

(١) سليمان صائغ . تاريخ الموصل - ١٠ ص ١٩ .

(٢) صورة الارض ص ١٩٦ .

(٣) المدس ص ١٣٩ . بافوت ص ٤ ص ٦٨٣

(٤) E. I. Vol. 3 P. 609

(٥) ابن حوقل ص ١٩٧ .

الآرامية التي خضعت تارة للفرثيين وطوراً للرومان ابان القرن الثاني للميلاد (١) . ولما استولى الفرس على هذه البلاد وحولوها الى ميدان الحروبهم مع الرومان نقلوا اليها جماعات من العرب والفرس مكنوهم من الاستقرار هناك وأطلقوا على المنطقة اسم نواردشير أو بوذاردشير (٢).

والحق ان الاقوال تختلف حول تأسيس مدينة الموصل ، فيقول هونيجمان (٣) انه في الوقت الذي بدأت فيه المسيحية تنفتح تلك الاصقاع في بداية القرن الثاني الميلادي ، كانت الموصل قد اتخذت تحت مكان نينوى . وقد أسس الراهب يشوعيا ب حوالي سنة ٥٧٠ م على الضفة الغربية لدجلة قبالة نينوى ديراً ما زال يدعى بدير مار اشعيا ، بنى حوله كسرى الثاني عدة ابنية . وربما كانت هذه المستوطنة هي الحصن الذي ذكرته التواريخ السريانية التي نشرها جويدي باسم Hesna Ebhraya وهو التعبير الذي ترجمه هيرز فيلد الى « الحصن على الضفة المقابلة » .

وقد أورد القس سليمان صائغ هذا النص من كتاب خطي (٤) « ان يشوعيا ب القسري الذي كان معاصراً لكسرى انوشروان ... رجع الى بلدته نينوى . وكان في الناحية الغربية من دجلة الواقعة قبالة نينوى جنينة رائقة لم يكن حولها الا قليل من البيوت والعمران ، فأختار يشوعيا ب هذا الموقع وبني فيه ديراً وهيكل كبيراً ثم انضوى اليه الرهبان يتعلمون منه ... وكانت نينوى بمنزلة عامسة واهلها يدينون بالنصرانية فشرع

(١) سليمان صائغ . تاريخ الموصل ج ١ ص ١٧ - ١٨

(٢) لسقاج ص ١١٥ أو Budh-Ardashiran انظر E.I. Vol. 3. P609 - Shah

(٣) E.I. vol. 3. P. 609

(٤) سماه (١٥ ص ٤٣) بالتاريخ اليسرى المحفوظ في مكتبة مار يثيون للكلدان في ديار بكر ٢٣ ص ١٣

الناس بتقلطرون الى ذلك الدير ... ولما ملك كسرى ابروز بن هرمزد بنى حول تلك الجنة دوراً كثيرة وأتى بخلق من بلاده واعطاهم تلك الدور بما نال يسكنوا فيها ويزيدوا في عمرانها وبنائها حتى أصبحت مدينة صغيرة أو قسبة كانت تدعى الحصن العبوري ، ولما استولى عليها العرب بعد الاسلام زادوا في توسيعها على ما أقامه كسرى الثاني وصموها الموصل .

لقد وردت اشارات كثيرة في المراجع العربية الى ان الفرس هم الذين أسسوا الموصل (نوارديشير أو بوذ اردشير) . ويقول ياقوت (١) . وابن الفقيه (٢) بهذا الصدد : ان الموصل أنشئت على عهد راوند بن مايو راسف الأزدهاق ، وانها كانت تسمى آنذاك نوارديشير . وورد كذلك في كتاب خطي سرياني انه قام في فارس ومدينة ملك يدعى أطوران امتدت مملكته حتى شملت نهر دجلة فبنى على ضفته الغربية عاصمة سماها باسمه . ويرجع القس سليمان صائغ (٣) الذي نقل عن هذه المخطوطة ان أطوران قد يكون هو أرتبان الثالث ملك الفرثيين .

غير ان هذه الروايات التي تنسب تأسيس الموصل الى اقوام اجنبية يغتهاها القس سليمان صائغ فيقول (٤) أما مدينة الموصل فلم يؤسسها الرومانيون ولا اليونان ولا الفرس الفرثيون أو الساسانيون بل هي مدينة عربية بنيت شيدها العرب . لكنه يستدرك فيقول ان العرب انما شيدوها ليس في الخراج كما جعلوا في البصرة او الكوفة انما على مدينة صغيرة كانت قائمة هي (حسنا - حبرابا) أي القلعة على الضفة الاخرى قبالة نينوى .

(١) . معجم البلدان ٦ - ٤ ص ٦٨٢ - ٦٨٣

(٢) . مختصر كتاب البلدان ١٠ ص ١٢٨ (بن يوراسف)

(٣) . تاريخ الموصل ١٠ ص ٤٢

(٤) . نفس المصدر ١٠ ص ٣٩ - ٤٠

وكما تختلف الاقوال في تأسيس الموصل ، فهي تختلف كذلك في سبب تسميتها . ف قيل سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق او بين العراق والشام ، وقيل لأنها وصلت بين دجلة والفرات ، او لأنها وصلت بآسد وسنجان والحديثة ، وقيل : ان الملك الذي أحدثها كان يسمى الموصل (١) . وما دمننا لا نجد في التواريخ ماكفا بهذا الاسم فان هذا القول مردود ولا يقوم على مسند تاريخي . ويبدو واضحاً ان لفظة الموصل جاءت من فعل « وصل » لتدل على الموضع الذي يصل مكاناً بأخر ، فهي اذن لفظة عربية استعملت في اواخر القرن الثامن الميلادي من جانب المؤرخين العرب ، اما قبل ذلك فكالت ندعى « الحصن العبوري » . ويعتقد لسترانج ان الموصل انها هي نقطة الوصل (٢) ، في حين يرى هونيجمان (٣) انها سميت بهذا الاسم لان عدداً من فروع دجلة تتحد عند موقع الموصل لتكون مجرى واحداً . اما المقدسي فيقول (٤) ان الموصل كانت تسمى (خولان) فلما وصل العرب بها عمارتهم ومصروها سميت الموصل ، ولحن لا تدري أصل لفظة خولان كما ان تفسير لفظة الموصل يبدو مغرماً في الاجتهاد وان كان طريقاً .

فتح المسلمون الموصل ابان الفتوحات الكبرى في عهد عمر بن الخطاب . ففي سنة ١٣/٦٣٤م أرسل ابو بكر خالد بن الوليد الى العراق

(١) يافوت . ج ٨ ص ١٩٦ . مراد الاطلاع ج ٣ ص ١٣٢٢ . ابن الفقيه ص ١٢٨

(٢) The Lands. p. 87

(٣) E.I., Vol. 3, p. 611 كذلك يفرض لسترانج هذا الافتراض ص ١١٥

(٤) أحسن التقاسيم ص ١٣٩

ثم أنجده بعباض بن غنم ، وفي سنة ١٦/٦٣٧م كتب عمر الى سعد بن ابي وقاص أن ينتدب عبدالله بن الميثم الى تكريت لحرب الانطاك - قائد السروم - السدي سار الى تلك المنطقة في جيش كثيف كان يضم بعض القبائل العربية كأباد ونغلب والنمر - الشهاجرة - (١) (أي النصاري) . غير ان هذه القبائل انضمت الى الجيش الاسلامي حين رجعت كفته ودخلت في الاسلام فهزم الانطاك وكثر القتل في جيشه (٢) . وأرسل عبدالله زبي بن الأفكل الى الحصنين نينوى والموصل ، اللذين سميا بالحصنين الشرقي والغربي فصالحه اهلهما (٣) . وفي سنة ٢٠/٦٤٠م ول عمر عتبة بن فرقند السلمي الموصل فاستولى على نينوى عنوة وعبر دجلة فصالحه أهل حصن الموصل ودفنوا الجزية ثم استولى على حصون الأكراد ومعاقهم ، كما فتح المرج والقرى المنتشرة فيه (٤) ثم عزل الخليفة عمر عتبة عن الموصل وولاهها هرثمة بن عرفة الباري الذي أكمل الفتح وانزل بها العرب وانشأ أول مسجد جامع فيها ، لذلك نستطيع اعتباره أول من اختط الموصل كعصر إسلامي (٥) :

وبجانب الموصل استطاع عتبة بن فرقند ان يفتح أعمالها وقراها وهي بانهذرا (أو بيت نوهدرا وهي قضاء زاخو ودهوك) ، والمرج

(١) ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ٥ ص ٢٥٧

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٥٨

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٥٨

(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ص ٣٣١

(٥) نفس المصدر ص ٣٣٢

(وهو العقر والزيار) وباعذرا (أوبيت عذرا) وحبتون (١) وداسان (٢) وقردي وبازيدي (٣).

اما أعمال الموصل فقد استخدمنا تعبيراً مرنأً للدلالة عليها ، لأنها - من الناحية الجغرافية والادارية - اختلفت باختلاف المصور واختلاف مفاهيم الجغرافيين القدماء . يقول ابن حوقل (٤) : للموصل نواح عديدة ورساتيق عظيمة وكور كثيرة غزيرة الامل والقرى ... مثل رستاق المرج وفيه مدينة تعرف بسوق الأحد . ثم يحدد ابن حوقل لنواحي الموصل ورساتيقها فيذكر من النواحي نينوى والمرج وحزة وباهر بابا التي تصاقب بازيدي وتمتد من باهيناثا الى لهرسريا . وذكر الحديثة (حديثة الموصل) باعتبارها تابعة مالياً وادارياً الى الموصل لأن اموالها تجبى بالموصل التي تبعد عنها تسعة فراسخ . (٥) . ويذكر بلد التي تبعد عن الموصل سبعة فراسخ لحسب .

ويقول قدامة (٦) تحت عنوان الموصل وأعمالها انها تشمل شهرزور والصامغان ودرا باذ التي كانت من أعمال الموصل ثم أفردت عنها . ويذكر من أعمال الموصل في الجانب الغربي من دجلة كورة الجزيرة وكورة نيزرى وكورة المرج واقليم بعذرى (وترد باعذرا) (٧) وفي

(١) في الجبل عل الزاب الأكيد .

(٢) أوبيت داسان واقعة غربي الزاب في جنوبي العمادية .

(٣) قردي هي بستان في شمالي جزيرة ابن عمر . وبازيدي أوبيت زبدي وهي جزيرة ابن عمر .

(٤) صورة الأرض ص ١٩٦

(٥) ابن حوقل ص ١٩٨ .

(٦) كتاب الفرج (طبعة بريل) ص ٢٤٥

(٧) ياقوت ص ٤٧٢ .

الجناب الشرقي يذكر الحديثة وحزة وبهدرا والمغلة وحبتون والحناية
والسا والديبور وداسن (١) . ومن جهة اخرى يجعل قدامة قردى وبازيدى
(أوبزيدى) - حيث جبل الجودي - وجزيرة ابن عمر وباسورين خارجة
عن أعمال الموصل وليست ضمنها من الناحية الادارية . ويعدد ياقوت
أعمال الموصل فيذكر : باعلدا وباهر بايا وباعشيقا وبافخارى (من
أعمال نينوى وبافكى (من ارض لبنوى) وبامر دنى وبادشنا باوتل وخوسا (٢) .
أما ابن الفقيه فيذكر من أعمال الموصل المرج وارض بانههدرا وداسن
(جبل داسن) وهو من معاقل الأكرد ، والحديثة والطيرهان وتكرت
وباجرمق ومرج جهينة ولبنوى وباجلى وباعلدا وبانقل وحزة وبانماس
والمغلة ورامين والحناية وباجرمى وبابغيش والداسن وكفر عزي . وفي
العصور العباسية اعتبرت إربل (أربيل) من المناطق الماحقة بالموصل .

لقد اشتهرت من أعمال الموصل برطلى وكرمليس الواقعتان على
بعد بضعة اميال شرقها ، كما اشتهرت باعشيقا التي تقع الى شمالها
بمسافة قليلة والتي تعتبر هي وبرطلى من أعمال نينوى ، وكانت كرمليس
التي تقع قليلا الى الجنوب قرية كبيرة كالمدينة ذات سوق عامر . وعلى
ضفة دجلة الغربية على مقربة من هذه المواضع مرجهينه أو مرج جهينة
على طريق الموصل الداهب الى بغداد (٣) . وجدير بالذكر ان نينوى
اشتهرت في التاريخ الاسلامي بتل توبة الذي يقوم عليه قبر النبي يونس
والذي ما يزال حتى الآن مزاراً مقدساً لدى المسلمين . وقد اشاد ناصر
الدولة الحمداني (وقيل ابنته جميلة) دور استراحة للزائرين والمجاورين

(١) قدالة ٢٤٥ .

(٢) معجم للبلدان ج ١ صفحات ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٨١ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ .

(٣) لسانج ١١٩ .

تحيط بالجامع الذي يسمى باسم النبي بونس، وإلى جواره شجرة البقطين التي تنسب إليه (١) .

ترعرعت الموصل على عهد الأمويين فأقام بها حكامهم وبنوا قصورا كثيرة درست آثارها كما فعل هشام بن عبد الملك الذي بنى بها قصرا في موضع قطائع بني وائل (٢) ، والحر بن يوسف الذي تولاهما من قبل هشام سنة ١٠٥ هـ وبنى بها قصر المنقوشة بين سوق القنابين وسوق الحشيش، وسميت بالمنقوشة لأنها نقشت بالساج والقشاقش واتخذت دار أمانة (٣) . ومن آثار الحر نهر المكشوف الذي شق وسط المدينة سنة ١٠٧ هـ ولم يفرغ الأمويون من حفر هذا النهر إلا في سنة ١٢١ هـ وكنف خزينتهم ٨ ثمانية ألف ألف درهم وجعل عليه ثمانية عشر حجرا تطحن (٤) ٤٤

وفي عهد مروان بن محمد ألحقت الموصل بالامصار وأفرد لها ديواناً وبنى له فيها قصرا وأقام سورها وأشاد جسرهما على دجلة (٥) . وضمت الموصل في القرن الثاني كثيرا من الأسواق أشهرها سوق الأربعاء وسوق الحشيش وسوق القنابين وسوق الدواب وسوق الداخل وسوق البزازين

= راجع حول هذه المراجع ابن خردادبة ٩٤ .

قدمه ص ٢٤٥ . ابن الفقيه ص ١٣١ - ١٣٢ - وكذلك ياقوت . معجم

البلدان الاطلاع و مرصد تحت هذه الاسماء ..

(١) المقدسي ص ١٤٦ . ابن حوقل ص ١٤٥ . ياقوت ج ١ ص ٨٦٦ . ٢ / ٧١٠

(٢) الأزدي . تاريخ الموصل (غنوط) ج ٢ ورقة ١٧

(٣) نفس المصدر ج ٢ ورقة ١٧-١٩

(٤) نفس المصدر ج ٢ ورقة ٣٧

(٥) ياقوت . معجم البلدان ج ٤ ص ٦٨٢

وسوق السراجين(١). وهو التقسيم التقايدي للأسواق الإسلامية حسب
الأصناف والمهن ٥

وفي العهد العباسي ازدهرت الموصل بعد أن هدأت الفتن واستأصل
العباسيون نفوذ الأمويين وانصارهم هناك. ففي عهد المنصور قام وبها
اسماعيل بن علي بإصلاحات عمرانية هامة فقد كانت أسواق الموصل
ملاصقة للمسجد الجامع فنقلها إلى المقبرة وابتعد هذه إلى الصحراء وبني
المسجد المعروف بابي حاضر. ووسع المهدي الجامع، فقد كانت هناك
حورانيات وسوق للبرازين وأخرى للسراجين ومطابخ للعمامة فأمر الخليفة
بهدم كل ذلك وأدخله في الجامع. ويقول الأزدى أنه قرأ حجرا عثر
عليه في باب الجامع يفيد أن هذه الإصلاحات تمت على يد عامل الموصل
موسى بن مصعب سنة ١٦٧هـ (٢) ٥

حين دخلت الموصل تحت حكم الحمدانيين كانت مدينة عامرة
زاهرة حوت كورا وأعمالا كثيرة منها نكريت وسنجار والطبرهان
والسن والحديثة مرج جهمية والمحلية ونيشوى وبارطلى وياهلدا
وباعندرا وداقوقا (٣) والكرخ وخانجسار وشهرزور حتى امتدت إلى
حدود أذربيجان. وهذه الكور الأربع الأخيرة تحمل أسماء آرامية
ويبدو أنها كانت من مواطن النصارى الآراميين هناك. وقد نالت
الموصل أهميتها من موقعها الحربي والتجاري الممتاز فهي المنفذ الرئيسي؛

(١) الأزدى. تاريخ الموصل (مخطوط) ج ٢ ورقة ١٧ و ٢٤ و ٢١٥

(٢) تاريخ الموصل ج ٢ ورقة ٢١٥

(٣) ياقوت. معجم البلدان ج ٤ ص ٦٨٢. الأزدى. تاريخ الموصل (مخطوط) ج ٢
ورقة ٢٤. (والنسخة المنشورة ص ٢٣)

الى العراق وخراسان واذربيجان (١) . وقد ازدهرت ايما ازدهار ايام الحمدانيين وكثر بها ازرع من نخيل وشجر (٢) كما امتازت باسواقها وفنادقها التي اتخذها التجار مثابة لهم (٣) . واشاد ابن جبير (٤) بابراجها وبورتها وقلعتها وسورها وكثرة مساجدها وحماماتها وخواناتها واسواقها ومدارسها ومشاهدها المقدسة . ولما زارها ابن بطوطة (٥) في القرن الثامن وجدها مدينة حصينة عامرة كما كانت ايام ابن جبير .

ثانياً : السكان

كان سكان الجزيرة ايام الحمدانيين - شأن سكان سواد العراق - خليطاً من العرب القاطنين فيها قبل الفتح والفانجين ، ومن جماعات بشرية أخرى غير عربية وغير مسامة من أهل البلاد الأصليين . وإذا شئنا ان نحدد عناصر سكان الجزيرة فيمكن القول انهم تكونوا من العرب والأكرد والأراميين بالإضافة الى الأرمن الذين سكنوا في أرمينية في المنطقة الواقعة الى شمال دجلة والفرات .

١ - العرب : كون العرب أغاب سكان الجزيرة وكانوا القوة الرئيسة المحركة للأحداث السياسية . ولعل خير دليل على نفوذ العرب هناك انهم استطاعوا إقامة دويلات مستقلة عملياً وان كانت تعترف - من الناحية النظرية - بسلطة الخليفة العباسي ، أهمها الدولة الحمدانية التي أقامتها قبيلة

(١) ياقوت . معجم البلدان ٦٨٣/٤ .

(٢) ابن حوقل . صورة الأرض ٢١٤ .

(٣) المقدسي . أحسن التقاسيم ص ١٣٨-١٣٩ .

(٤) رحلة ابن جبير ص ١٨٧ .

(٥) رحلة ابن بطوطة ١٤٨/١ .

لقلب الربيعة ، والدولة العقيلية التي أقامها بنو عقيل المغمريون (٣٨٦هـ - ٤٨٩) بعد زوال النفوذ الحمداني من الجزيرة . ومن الواضح ان قيام هاتين الدولتين على أيدي العرب العدنانيين انما يقف دليلا ليس على نفوذ العرب وقوتهم فحسب ، بل وعلى ضخامة اعدادهم التي أتاحت لهم تكوين جيوش قوية (من العرب وغير العرب) سيطرت على تلك الأصفاع الوعرة وحت الحدود ودفعت خطر الروم وجابهت الحركات الخجاية العديدة ، وبخاصة حركات الأكراد ذوي القوة والبأس والقدرة على خوض الحروب الجبلية ، وكذلك حركات القبائل العربية المعادية لهم :

كان عرب الجزيرة مزيجاً من قبائل مضر وربيعه العدنانيين ومجموعات قبلية أخرى - عدنانية وقحطانية - استقرت هناك نتيجة هجرات متتابة في فترات زمنية مختلفة قبل الاسلام بعدة قرون (١) . لقد أطلقت المراجع الفارسية على منطقة نصيبين وما حولها أسم (عربستان) أي بلاد العرب ، على حين أطلق سترابو أسم بلاد العرب على منطقة الجزيرة الواقعة جنوبي المنطقة الكردية والتي تمتد حتى للصحراء . ويبدو ان سمعة هؤلاء العرب التجارية كانت عالية بدليل انهم احتكروا تسير القوافل من سورية الى العراق تحت حماية أمراء منهم من ذوي السطوة والبأس فرضوا نفوذهم وهيبتهم على طول

(١) يقول المسعودي (مروج الذهب ١ / ١٤٥) طبع مصر سنة ١٣٤٩ : كانت ملوك العرب - أيام الاسكندر المقدوني - من مضر بن نوار بن سد وديعة بن نزار وانصار بن نزار والنضرية بن بني نضر من البدين وغيرهم من قسطن أهم ملوك . وقد نصبت كل طائفة لها ملكاً .

الطريق الهادي لدجلة (١) »

ويبدو من تتبع تاريخ اماره الحضر Hatra (حطرا أو حطارا) التي ما زالت آثارها مخصصة في منخفض من بادية جزيرة العراق على مقربة من الضفة الغربية لوادي الثرثار بين تكريت والموصل ، ان العرب عاشوا هناك منذ سقوط دولة الآشوريين في سنة ٦١٢ قبل الميلاد وأنهم أقاموا سلالة حاكمة . ان وجود آلهة عربية عبادت في الحضرة أيام الآشوريين الى جانب الآلهة الآشورية أتى بها العرب من جزيرتهم كالات وشمش بقف دليلا على وجود العرب في المنطقة قبل الميلاد بقرون . لقد حكمت في الحضرة سلالة عربية مدة ثلاثة قرون وكان أول حكامها أميراً عربياً اسمه سنطروق ورد ذكره في كتابة اكتشفت هناك نصت على ان اياه يدعى نصر وان لقبه (ملك العرب) (٢) ، ويبدو ان حكام هذه الامارة كانوا من قبيلة فضاة (٣) ، ثم اعقبوها في أيام الغربيين اماره آرامية حكمت تحت حماية الرومان خلال القرنين الثاني والثالث للميلاد تنقب امرؤها بلقب (فيلارك) الروماني وتدل اسماؤهم على انهم من العرب (٤) . واذا رجعنا الى المراجع العربية نجد ذكر الحضرة وحكامها العرب يرد في اكثر من مرجع ثقة ، على الرغم من ان اخبارها

(١) Moret, His. de L'orient Vol. I, p, 302

لشواج « بالعربية » ص ١٢٩ .

(٢) انظر Cteiphon and Htra (Bachdad) 1965

سليمان صالح ص ٣٠ . الحضرة (نشرة لجمعية الآثار العامة) بغداد

(٣) الطبري ١/ ٤٨٤ . ابن خلدون ١/ ١٧١ و ٢/ ٢٤٩

(٤) Honigmann, E.I Vol. 3, p. 1062

لختاط بالأسطورة : يقول ياقوت(١) : « ان بني قضاة لما افترقوا سارت قبيلة منهم - ولعل المقصود هنا بنو ضجعم - الى أرض الجزيرة وعليهم ملك يقال له الضيزن بن جلهمه أحد الاحلاف فنزوا مدينة الحضر » . ويقول الطبري(٢) : ان الضيزن كان يلقب بالساطرون وهو من الجرامقة ، وان العرب تسميه الضيزن من أهل باجرمي . ثم يروي الطبري عن هشام بن الكابي ان الضيزن من العرب من قضاة(٣) وانه ملك أرض الجزيرة وامتد لفوذه الى الشام . وظل الضيزن على عرشه حتى نشب عداء بينه وبين سابور بن اردشير ملك الساسانيين أسفر عن مقتل الضيزن وسقوط امارة الحضرة العربية بيد الساسانيين وتشتت قضاة . وبني حلوان ممن كانوا في الحضر(٤) . والمهم في النص الذي أورده الطبري وجود رأيين متعارضين يجعل احدهما الضيزن من الجرامقة اي الأراميين وانه من اهل باجرمي اي بيت كرمي(٥) ، ويجعل ثانيهما الضيزن من عرب قضاة . واذا شئنا ان نناقش هذين الرأيين على ضوء المعاوامات التاريخية المتوفرة بين ايدينا نجد ان الطبري خاطئ بين أصل الضيزن وهو من قضاة العرب وبين لقبه الذي اخفاه عايه الأراميون فسموا بالساطرون ، ومن هنا يكون ابن خلدون اكثر دقة حين قال(٦)

(١) معجم البلدان ٣٧/٢

(٢) الامم والملوك ٤٨٣/١ مصر .

(٣) نفس المصدر والمكان .

(٤) نفس المصدر ٤٨١/١ - ٤٨٠ .

(٥) اي كركوك وما يهاورها .

(٦) البر ٢٤٩/٢

ان الضيّن كان معروفاً عند الجرامله بالساطرون . ولا يهمننا الباث
نسب الضيّن بقدر ما يهمننا تأكيد حقيقة أساسية هي وجود قبائل
قضاة وبني حلوان مع الضيّن في الحضرة يوم حاصرها سابور الأول
(٢٤٩ - ٢٧٢ م) . ومن جهة اخرى فلعل المؤرخين - وفيهم الطبري -
قد خلطوا بين بني الأجرام العرب القضاعيين الذين هاجروا الى الحضرة
ابان النصف الاول من القرن الثالث وبين الجرامله وهم من الأراميين .
وقد ذكر المؤرخون العرب « بني حبيد بن الأجرام » وقبائل قضاة مع
الضيّن اثناء صراعه مع الفرس (١) .

غير ان اخضع هجرة عربية الى الجزيرة العراقية هي تلك التي حدثت
في القرن السابع الميلادي ، على اثر الحروب والوقائع الطاحنة المبررة
بين المجموعات القبلية العدنانية في شمالي جزيرة العرب ذاتها وهي الوقائع
التي تدعى بأيام العسرب . وتفصيل الأمر ان ربيعة العدنالية - واكبر
قبائلها بكر وتغلب - بعد أن خرجت على سلطة اليمن في اواخر القرن
الخامس الميلادي وخلعت طاعتها ، وبدا انهم أصبحت زعيمة قائمة
لقبائل معد من قضاة ومضر وأباد وزار بدأت بينها وبين حلفائها من
القبائل الاخرى ، وبين بطونهم هي نفسها وقائع وحروب أدت الى كثير
من المآسي (٢) . اما الذي يهمننا هنا فهو ما أعقب ذلك من هجرات قبلية
ضخمة الى الجزيرة هي التي اعطتها تكوينها البشري النهائي وأسماء
مناطقها الجغرافية (٣) . فالحروب السني جرت بين بكر وتغلب (من

(١) الطبري ١٨٤/١ ، الاغانى ٣٧/٢ ، ١٦٢/١١ .

(٢) انظر ابن الاثير ٢٩٥/١ و ٢٣٧ و ٢٤٢ الاغانى ٣/٣ العقد القويّد ٢٤٢/٣

(٣) ديار ربيعة ، وديار مضر ، وديار بكر (انظر الفصل الجغرافي) .

قبائل ربيعة) - وانهاها : حرب البسوس (١) - . ولقوا فتح النبي جرث بن
شيبان وتغلب (من ربيعة) ، والقي جرث بن قبائل ربيعة ومضر ، وبين
قبائل مضر ذاتها - وبخاصة حرب داحس والغبراء بين عيس وذبيان -
كل ذلك ادى الى هجرات متتالية الى الاراضي المجاورة ومنها الجزيرة
- أي بلاد ما بين النهرين - بسبب البحث عن أرض جديدة وعيش أكثر
رخاء . ومن ثم فإن السبب الأساسي في قدوم هذه الموجات البشرية
العربية الى الأراضي الخصبة المجاورة ، انما كان زيادة السكان في شبه
الجزيرة العربية - مع شحة مواردنا ورزقها - وهذه هي الدوافع التي
دفعت بالكتل البشرية الزائدة الى الهجرة بحثاً عن أرض جديدة تضمن
لهم البقاء .

وإذا أردنا ان نتعقب هجرة هذه القبائل العدنانية فأننا نجد انها
تحركت أول الأمر من مواضعها في شبه الجزيرة العربية على النحو
التالي : نجدان ثلاث بطون من ربيعة ترك مواضعها في تهامة والمحجاز
ونجد وهي تغلب بن وائل ونمير بن قاسط وشيبان بن بكر بن وائل
اخ تغلب (أي انهم من البكرين) . واستقر هؤلاء جميعاً على حدود
مملكة اللخميين في الحيرة ، حيث جرت وقائع الفتح الاسلامي أول
ما جرت ، على حين استوطنت جماعات منهم بين الكوفة والبصرة .
ونجد ان تهامة تضيق عن أنهار (٢) . بعد حرب بينها وبين مضر فتنزح
عن مواطنها ، ثم نزحت إباد (٣) . بعد حرب مع ربيعة ومضر فنزل

(١) حرب البسوس من أيام العرب بين بكر وتغلب .

(٢) . ولد نزار بن معد بن عدنان هم مضر وديعة وإباد . وقيل وانساره . حيرة انساب

العرب ص ١٠ .

(٣) إباد بن معد بن عدنان (بن حرم ، المجهرة ص ٩)

بعضهم ثكريث وبعضهم الجزيرة وأرض الموصل (١)، حيث سبّهم
 اقريسائهم من بكر بن وائل وغيرهم . ولم يبق من بني معد في تهامة
 من القبائل الكبرى إلا ربيعة ومضر فنزحت ربيعة بسبب وقائع بين
 قبائلها (٢). فتفرقت في ظواهر نجد والحجاز والبحرين وهجر وبلاد
 اليمن . وبعدها حرب حاسمة بين بكر وتغلب هزمت هذه الاخيرة التي طالما
 كانت متزعة على قبائل ربيعة ويدها لواؤها ، فتفرقت في الاصقاع
 فانحازت النمر وغفيلة الى اطراف الجزيرة وعانات ومادونها الى بلاد
 بكر بن وائل وماخلفها من بلاد قضاة (٣). على حين انتشرت بكر بن
 وائل في مناطق كثيرة واستقرت بعض بطونها في الجزيرة . وبعد
 خروج ربيعة ظلت مضر وحدها في منازلها بتهامة حتى كثرت اعدادها
 وضاق بهم مساكنهم فخرجوا يبحثون عن أرض جديدة والقتال في اثناء
 ذلك يزداد حدة بين قبائلها وبطونها . والذي يهمنا ان بعض قبائل مضر
 استقرت في الجزيرة العراقية ومنها نمير وعقيل وقشير وتميم وعمرو بن
 مالك وسليم وغيرهم (٤) .

ولدى تتبع اخبار الفتوح الإسلامية في العراق نسمع عن بني شيان
 بن بكر بن وائل الذين قادهم المثنى بن حارثة الشيباني ضد الفرس بعد أن

(١) البكري ص ٧ .

(٢) بغضه بين بكر وتغلب .

(٣) بلاد قضاة : كانت مساكن لقضاة ومراعي اغنامهم جدة من شاطئ البحر الاحمر فما
 دونها شرقاً الى منتهى ذات عرق وهي الحد بين نجد وتهامة الى حيز الحرم من
 السهل والجبل .

(٤) مضر بن معد بن عدنان وقد اقامت في حيز الحرم الى السروات ومادونها من التنوير
 وماولاهم من البلاد . على حين اقامت ربيعة في ميط الجبل من غسر ذي حكمة
 [بينه وبين مكة مسيرة يومين] ووطن ذات عرق وماصالحها من بلاد نجد الى التنوير
 من تهامة (انظر الهمداني والبكري وكفاية حول هذه المواضع) .

دخلوا الأسلام (١) ، هل حين كانت جماعة أخرى من بكر بن وائل في البصرة أيام الفتح في عهد أبي بكر (٢) . ويذكر البلاذري (٣) ، كذلك الأزدي (البغدادية) ، وبني شيان وطبي (البغدادية) والعلميين (من كلب) في الحيرة . ونجد في الفترة نفسها قوماً من كلب وبكر بن وائل وطوائف من قضاة فوق الأنبار (٤) . وخلال وقائع الفتح الأولى نجد بني تغلب تعيش قرب عين التمر على ماء سمي باسمها ، حيث أرسل القائد خالد بن الوليد سرية طرقتهم ليلاً (٥) . والطريف في الأمر هنا أن أسيراً من بني تغلب دل المسلمين على حي لربيعة دمه المسلمون (٦) . ونستدل من بيت من الشعر أورده البلاذري (٧) ، أنه كانت لبكر وقضاة أحياء وبالسوق الذي فوق الأنبار غير بعيد عن مساكن بني تغلب .

صبحنا بالكتاب حي بكر وحياً من قضاة غير ميل

كما أننا نجد مجموعات مضرية وبصورة خاصة من القيسيين عند الفرات على حدود بادية الشام .

لقد تم فتح الجزيرة العراقية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد القائد عياض بن غنم الذي فتح الرقة وحران والرها ونصيبين وأرزن

(١) البلاذري . فتح البلدان ص ٢٥٠ وما بعدها .

(٢) نفس المصدر ص ٢٥٠ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٥٢ .

(٤) يقول البلاذري ص ٢٥٥ أنها سببت بالأنبار لأن أمراء السجم [المغان] كانت بها .

(٥) البلاذري ص ٢٥٧ .

(٦) نفس المصدر والمكان .

(٧) نفس المصدر ص ٢٥٨ .

وسنجار وميافارقين وقرقيسيا وكسرى الفرات ومدائنهما وطور هابدين وكفر ثونا وماردين ودارا وقردي وبازيدي في سنة ١٩ هجرية . وقد افتتح عياض الجزيرة ومدائنهما صلحا واراضها عنوة (١) . والذي يهمنا هو الحالة البشرية عند فتح الجزيرة على أيدي المسلمين . اننا نجد عن طريق البلاذري (٢) ان اهل الرها كانوا من النصارى على وجه العموم ، وكان حول الرقة العرب وفي داخلها جالية كبيرة من النصارى . أما حران فكانت مدينة الصابئين منذ القدم وقد صولحو عند الفتح بها صواح عليه نصارى الرها . اما سنجار فيقول البلاذري (٣) انها كانت في أيدي الروم ثم ان كسرى ابرويز نقل اليها مجموعة من الفرس ساهمت في فتحها على عهده واقامت هناك وتناسلت ، وحين فتحها عياض أسكن بها جماعة من العرب .

وشهدت الجزيرة هجرة عربية أخرى واسعة بعد تولد الدولة العربية الاسلامية وبخاصة منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان حيث انتقل الى الموصل اقوام من الأزد وطبي وكنده وعبد القيس (٤) ، على حين قام معاوية إبان ولايته الشام في عهد عثمان باسكان مجموعات ضخمة من القبائل العربية هنا وهناك في انحاء الجزيرة والشام ، فأنزل المازحين والمدير أخلاطا من قيس وأسد وغيرهم وفعل ذلك في جميع نواحي

(١) نفس المصدر ص ١٨٣ .

(٢) نفس المصدر ١٨٠ - ١٨٩ .

(٣) نفس المصدر ص ١٨٥ .

(٤) سليمان صانغ ، تاريخ الموصل ص ٥١ وما بعدها .

ديار مضر ، ورتب ربيعة في ديارها على ذلك (١) وفي أيام ولاية مروان بن محمد الموصل (١٠٢ هـ = ٧٢٠ م) زادت هجرة القبائل العربية الى هذه المدينة وما حولها فاستقر بها الأزد وشيخان وسلول وخررج والامويون وغيرهم (٢) .

نستطيع القول ان الجزيرة تمتعت أيام الحمدانيين بغالبية من السكان العرب تأتي في مقلمتهم تغلب . وقد هاجرت تغلب من بلاد العرب كما أشرنا واستقرت بعد تجوال طويل في أرض الجزيرة ، على حين استقر فرع آخر منها في الشام (٣) . ويقال أن عمرو بن هند هو الذي قلم بني تغلب من جزيرة العرب وأمر أن يضرب رواقه فيها بين الحيرة والفرات (٤) . وظلت تغلب تقوم بدور كبير في تاريخ الجزيرة ، حتى أتيح لبني حمدان - وهم بيت من بيوتها - أن ينشئوا دولتهم هناك خلال القرن الرابع الهجري . والحق ان تغلب كانت تسكن في ديار ربيعة وتنتشر بعض بطونها في منطقة الحجابور ، على حين كانت نصيبين دار آل حمدان كما يقول الهمداني (٥) .

ومن القبائل ذات الشأن في تاريخ الجزيرة بنو شيخان ، الذين ساهموا

(١) البلاذري ، فتح البلدان ١٨٥ .

(٢) انظر الأزدى (مواضع متعلمة) .

(٣) Kindermuann E I. Supp. P 228

(٤) Freytag Zdmg. Vol. X I p. 436

(٥) سنة حيرة العرب ١٢٢ .

في الاحداث السياسية بصورة فعالة في اواخر القرن الثالث وحالفوا العباسيين ضد الخوارج تارة ، وظهر فيهم خوارج ذوو بأس تارة أخرى : ويقول ابن حوقل (١) : ان بني شيان اتخذوا من المنطقة التي تقع بين الزابين مصايف لهم في الشتاء ، خاصة وان هذه المنطقة اشتهرت بمراعيها الصالحة الكثيرة وضياعها العامرة واستوطن بنو شيان كذلك في البوازيج التي تبعد اربعة فراسخ عن مدينة السن (على الزاب الأسفل) اما الهمداني (٢) فقد وسع دائرة سكنى بني شيان فجعلها تمتد من أول ديار بسكر - أي من جبل طور عابدين - حتى حدود ولاية خراسان ولا يشاركهم في سكنها الا الأكراد .

لقد وزع الهمداني (٣) القبائل العربية في إقليم الجزيرة ابان القرن الرابع على هذا النحو : الرافقة على الفرات يسكنها أخلاط من مضر وحران للصائبة وحولها يقيم بنو تميم ومن يخالطها من بني سليم ، وهؤلاء (أي بنو سليم) أقاموا كذلك في الرها التي اشتهرت - كما أسلفنا - بأنها موطن نصراني عريق . أما منطقة الحابور فكانت لبني عقيل أعلاه لبني مالك وبني حبيب وبطلون تغلب الباقي ، أي أن قبيلة تغلب شغلت الجزء من الاوسط والادنى على حين شغلت الجزء الأعلى منه بنو عقيل وأما مدينة رأس العين - وهي آخر ديار مضر - فكانت مساكن

(١) صورة الأرض ٢٠٥

(٢) صفة جزيرة العرب ١٣٣

(٣) نفس المصدر والمكان .

للنمر بن قاسط . وأقامت جشم في كفر ثوثا في ديار ربيعة ، على حين كانت نصيبين و دار آل حمدان ابن حمدون موالي تغلب (١) . وكان جبل سنجار لشرأة بني تغلب وهم بنو زهير و نو عمرو ، و برقعيد ديار بني صيد من تغلب . وفي المنطقة الممتدة من برقعيد حتى بلد عاش الشرأة وغيره . م حتى الموصل . أما عن الموصل فيقول الهمداني (٢) ان أكثر اهلها مدجع وهي من ربيعة ، وهذا خطأ فالواقع ان مدجع (أو مدجع) من القبائل القحطانية البائية . ويستطرد الهمداني قائلا (٣) : ان جبل الجودي الى يسار الموصل كانت فيه مساكن لربيعة ، وخلفه يعيش الأكراد وخلف الأكراد يقيم الأرمن . والى يمين الموصل باتجاه بغداد تقع الحديثة (أي حديثة الموصل) وجبل بارما (حمرين) ثم السن والبوازيج وهي بلاد الشرأة من ربيعة . وكان بنو شيبان . كما أسلفنا - في جبل طور عابدين يحيون جنبا الى جنب مع الأكراد .

واذا رجعنا الى ابن حوقل (٤) . الذي كتب مؤلفه في القرن الرابع الهجري أي في عصر بني حمدان نجده يحدد مواضع القبائل في الجزيرة على هذا النحو : كانت الموصل تحنوي على أحباء كثيرة لقبائل ربيعة ومضر واليمن ، و ببت لذوي اليسار من بني فهد وبني عمران من وجوه الأزد وأشراف اليمن وبني شخاج وبني اود وبني زبيد وبني الجارود وبني إبي خدش وأنصداميين والعمريين وبني هشام وغيرهم . وكانت

(١) صفة جزيرة العرب ١٣٣ .

(٢) نفس المصدر والمكان .

(٣) نفس المصدر والمكان .

(٤) صورة الأرض ١٩٥ .

مكفر عزي - وهي في أرض حزة من رساتيق الموصل - مثابة للأعراب
الرحل يمتارون منها وينزل في نواحيها الأكراد (١) .

اما براري الجزيرة فكانت مراعي لقبائل ربيعة ومضرية و أهل
خيل وغنم وأبل (٢) . يبدو أنهم كانوا مزيجاً من البدو والحضر
وكانت لهم صلات وطيدة مع بطون من قيس عيلان مثل بني قشير
ونمير و كلاب (٣) . الذين لم يلبثوا أن ازاحوهم عن أكثر ديارهم
فملكوا حران وجسر منبج والخابور والخانوقة وعرابان وقرقيسيا
والرحبة (٤) . وقد أسلفنا القول ان منطقة ما بين الزابن اتخذ منها
بنو شيان مصائف لهم على حين اتخذها الأكراد الهذليّة مشافي
لهم (٥) . وفي المنطقة التي تقع قرب سنجار بين شماليها وغربيها نجد
وادي الحبال من أودية ديار ربيعة الشهيرة بخصبها ، وقد عاش فيه
بنو قشير ونمير وعقيل و كلاب . أما برتعيد فقد سكنها بنو حبيب
وهم قوم من تغلب يمتون بصلة القرابة الى بني حمدان (٦) .

لقد يكون العرب كما أسلفنا غالبية سكان الموصل ، فقد كان الفاتحون
من تغلب وأباد والنمر ، ثم نزحت اليها بعد الفتح الحزرج والأزد
وتميم وتغلب وشيخان وسليعي . وازدادت هجرة القبائل الى تلك

(١) نفس المصدر ١٩٦ .

(٢) نفس المصدر ٢٠٥ .

(٣) نفس المصدر والمكان .

(٤) نفس المصدر والمكان .

(٥) نفس المصدر والمكان .

(٦) نفس المصدر ١٩٩ .

المدينة وتعاظمت منذ خلافة عثمان فجاءت الأزدي وطىء وعبد القيس وكندة وغيرها على نحو أصبحت معه الموصل ذات اقلية عربية وأهلها عرب ولهم بها خطط واكثرهم ناقلة البصرة والكوفة (١). وفي اواخر العصر الاموي زادت هجرة القبائل الى هذه المدينة واستقر بها الأزدي وسلول والخزرج والامويون وغيرهم . وهكذا نجد ان سكان الموصل العرب كانوا مزيجاً من القبائل العدنانية والقحطانية . وجدير بالذكر ان هذه القبائل - بالإضافة الى تلك التي استقرت في الموصل قبل الفتح - انما جاءت على شكل هجرات متتالية ، فوصلت المجموعة الاولى في سنة ١٦هـ (٦٣٧م) مكونة جيش الفتح ، ثم وصل الخزرج في سنة ٢٠هـ وتلاحم الأزدي الذين سكنوا قرب الجامع الاموي (٢)، وتبعهم التي تركت لهجتها في امة أهل الموصل (٣) . ثم بطون اخرى جديدة من تغلب التي سكنت قرب باب العراق في محلة التغالبة (٤) . وشيخان الذين استقروا في الربض الأعلى . والحق ان هذه الهجرات كانت قد جاءت الى الموصل من مناطق الجزيرة الاخرى او من المناطق الاخرى غير البعيدة (٥) .

وقد زودنا ابو زكريا الأزدي (٦) ، بمعلومات قيمة للغاية عن

(١) ابن حوقل ١٩٠

(٢) انظر سليمان صائغ ، تاريخ الموصل ١ وما بعدها . سعيد الديوبهجي ، الموصل ٦٠٥

(٣) تاريخ الموصل ٥١

(٤) نفس المصدر ٥٢

(٥) انظر ابن الاثير ٢٠٨/٢ حول اليهود والمجوس في الموصل

(٦) تاريخ الموصل . مخطوط . المجلد ٢ ورقة ٨٠-٨٧ ومواضع مختلفة . وقد نشر الكتاب بتحفيل الدكتور حبيبة سنة ١٩٦٧ .

خُطط الموصل في القرن الثاني الهجري وعدد قبائلها وبيوتها بعد أن استقر تركزها بالبصرة - يري أيام العباسيين : فنجد سايي - أو سايحة - ومنازلهم باب سنجار حيث مسجدهم وخططهم (١) . وسليحة هو بن مالك بن فهم وله - أي سايحة - من الولد - كما قيل - خمسة عشر واداً منهم كلاب وغنم ومحاسن (٢) . ومحاسن بن مالك بن فهم كان من ولده بنو جابر ومنهم بنو عمران الموصليون . ويبدو أن جابر بن جبلة هو أول من أقام في الموصل من سايحة وكان له في السكة الكبيرة - على حد قول الأزدي - (٣) مسجد وزقاق باسمه .

وإذا رجعنا إلى الأزدي نجد أن عديداً من القبائل والبطون العربية استقرت في الموصل ، في الوقت الذي وضع فيه مؤلفه إبان القرن الرابع الهجري . فهناك بنو وائل (بن الشخاج الأزدي) الذين كانت لهم قطائع في الرض الأسفل من المدينة . ووائل بن الشخاج الأزدي هذا من أنصار العباسيين الأول فأقطعه القليعة التي سميت باسمه في الموصل (٤) . ومن هؤلاء السلميين نسمع عن جباع بن أحمد السليبي صاحب سكة جباع بالموصل والذي كان له موالى هم بنو أبي السرداج . وبالموصل من سايحة كذلك بنو الحشاش من ولد عبد بن سليمة الذين أقاموا في السكة الكبيرة كذلك . وعاش في الموصل من أخوة سليمة معن بن مالك الذين شاركوا

(١) الأزدي . تاريخ الموصل (تحقيق د . علي حبيبة . القاهرة) ص ٨٧

(٢) المصدر السابق ١٠١

(٣) المصدر السابق ١١٣

(٤) نفس المصدر ٢٤

بني سليمة مساكنهم في باب سنجار (١) ويبدو ان نفوذ آل معن بن مالك امتد من الموصل حتى بلغ وادي الثرثار - بين سنجار وتكريت - فكانت لهم هناك خطط وضياع منها تل خوسا التي تقع قرب الزاب بين اربل (أربيل) والموصل (٢) .

ومن سليمة في الموصل آل الرواد الذين دفعت بهم مطامعهم إلى اذريجان حتى استولوا على كورة من كورها . ومن اخوتهم كذلك فراهيد بن مالك الذين قدموا الموصل وحاش بها منهم رهط ، وعمر بن مالك الذين يقول عنهم الأزدي (٣) انهم عاشوا في الموصل ثم انقرضوا . ونحن لا نملك في تفسير سبب هذا الانقراض الا القول بانهم أبعدوا في المعارك والحروب التي ملأت تاريخ تلك الحقبة ، أو انهم كانوا جماعة صغيرة رحلت عن الموصل لسبب من الأسباب أو اندمجت في عصبية أقوى منها وأقدر على الدفاع عن نفسها وتأمين اسباب بقائها ، ونجد من ولد مالك بن فهم وولد عدي بن عمرو بن مالك بني ثوبان ، الذين قدموا من البصرة فنزلوا حول الموصل في ثرثار وسفطا وبحوانا والعروبة من اقليم الديبور (٤) . ومن بني مالك بن فهم في الموصل العقاب الحارث بن مالك بن فهم الذين سكنوا في قرى الزاب ، واخوتهم الاشقر ، والحمام من ولد مالك بن فهم الذين قدموا اليها من عمان ، في حين اقامت جماعة منهم في البصرة ، وكانت لهم في الموصل ضيعة تعرف بالحبيمة (٥) .

(١) نفس المصدر ٩١-٩٢

(٢) ياقوت ٢/ ٤٠٥

(٣) تاريخ الموصل ٩٢-٩٣

(٤) الديبور : كورة نائية للموصل . فداحة ٢٤٥ .

(٥) الأزدي ٩٥

وهكذا يمكن إيجاز التكوين البشري للموصل العربية على هذا النحو:
كانت أولى القبائل التي وصلت إلى الموصل عند الفتح الإسلامي واستقرت
فيها تغلب وأباد والنمر (من القبائل العدنانية) ثم وصاتها الأزدي وطى
وكندة (من القبائل القحطانية أو البليانية) وعبد القيس (من القبائل
العدنانية) . وفي العهد الأموي زادت هجرة القبائل فاجاء المزيد من الأزد
وبني شيبان وسلول والحزرج (من الأزد) (١) ، فضلا عن بني تميم
ذوي التأثير الواضح في تاريخ الجزيرة .

غير ان تغلب ذات الأصول والجلوة في أحداث الجاهلية في شبه جزيرة
العرب ظلت تلعب دورها في تاريخ الجزيرة والموصل وتؤثر تأثيرها
العميق في أحداث العصر حتى أتت لها ان تقيم دولة الحمدانيين . لم
تقتصر سكتى تغلب على الموصل بل ان بطونها وفروعها انتشرت في
اصقاع الجزيرة ، فنجدها في نصيبين وبقعيد وفي المناطق المحيطة بالموصل
وفي كثير من مدن الجزيرة .

ومن الجدير بالذكر ان هذه القبائل التي نقلت مساكنها من موطنها
الاصلي في شبه الجزيرة العربية الى أرض الجزيرة العراقية ، نقلت معها كل
تراثها من تقاليد وعادات وثقافة وظلت هذه التقاليد الموروثة تلعب
دورها في المجتمع الجسدي ، بحيث نجد العصبية القبلية تظل تصاحب
القبائل وتؤجج نيران الثأر فيها كلما دعاها داع الى الاحتكاك . ففي
عام ١٩٨ هـ كانت وقعة معروفة بين البليانية والنزارية (أي بين عرب
الشمال وعرب الجنوب) ، فضلا عن ان بعض السولاة كانوا يتمصبون
لهؤلاء دون اولئك والعكس يصح (٢) .

(١) انظر الازدي ، تاريخ الموصل مواضع مختلفة .

(٢) المصدر السابق ٢٥٢ و ٢٦٨ ومواضع اخرى .

٢- الأكراد

كانت الجزيرة موطن الأكراد منذ القدم ، وقد كونوا عنصراً بشرياً هاماً من عناصر سكانها اشتهروا بقوة ابدانهم وشدة بأسهم وقدرتهم الحربية التي اكتسبوها من طبيعة بلادهم الجبلية الوعرة . وتقع بلاد الأكراد أو « كور دوئين » بين منابع الزاب الكبير ودجلة . وفي العهد الإسلامية كانت هذه البلاد تعني اقاليم متفرقة تنتشر في الجزيرة وحلوان والجبال وأرمينية وبلاد الروم (١) . وقد استقر في هذه الاقاليم منذ عصور صهيبة افروام جاءت من جبـال زاجروس اعتبرهم مينوـركي (٢) من الأيرانيين القدماء . ثم نزحت اليها افروام هندو ـ أوربية تغلبت عليها فأصبح سكانها جميعهم من الأريين (٣) . وكان الأكراد قبل ظهور الإسلام يدينون بالعقيدة الزرادشتية التي ظهرت في فارس وميديا ، فاما ظهور الإسلام وانتشر في تلك الأصفاغ بتأثير الفتح احتنقه الأكراد وأخلصوا له واندمجوا في المجتمع الإسلامي الكبير الذي ضم عديداً من الأجناس والأقوام . وقد قسم الأكراد بدور فعال في جميع الثورات والأحداث الكبرى التي شهدتها تلك المنطقة وبخاصة في القرون الخمسة الأولى بعد الهجرة (٤) .

تذكر المراجع العربية أسماء القبائل الكردية ذات الاهمية في احداث العصر الحمداني ومنهم الاكراد المديانية والحميدية واللارية الذين كانوا

(١) محمد أمين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد والكردستان ٦٤

(٢) E . I . VoL. 2 , p . 1196 (طبعة باريس بالفرنسية ١٩٢٧) .

(٣) محمد أمين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد والكردستان ٦٤

(٤) E . I . VoL. 2 , p 1198 (الطبعة الفرنسية)

يعيشون في منطقة الموصل وما حولها حيث كانت لهم في المدينة احبساء وفي خارجها مناجع للرعي (١). ويذكر ابن حوقل (٢) ايضاً ان الاكراد كانوا ينزلون في نواحي كفر عزي - في أرض حزة من أعمال الموصل . وكانت المناطق الواقعة بين الزابين تتميز بمراعيها الكثيرة وضباعها العامة وقد اتخذها الاكراد الهذليانية مشاتي لهم في فصل الشتاء (٣). ويذكر الحمداني (٤) ان الاكراد سكنوا خاف جبل الجودي الذي يقع الى يسار الموصل ، وامتدت بلادهم الى حدود أرمينية .

اختلف المؤرخون في أصل الاكراد فنسبهم المؤرخون العرب الى أصل عربي . يقول المسعودي (٥) : « فالاشهر عند الناس والاصح في انسابهم - أي الاكراد - أنهم من ربيعة بن زرار . فأما لوع من الاكراد وهم الشومجان ببلاد ماهي الكوفة والبصرة وفي أرض الدينور وهمدان ولا تناكر بينهم أنهم من ربيعة بن زرار بن معد والماسجردان وهم من الكسور ببلاد اذربيجان والهابانية والسرارة ومن حوى بلاد الجبال من الشادنجان والزرية والمادنجان والمزدنكان والبارسان والحالبية والجابارقية والجاوانية والمستكان ومن حل ببلاد الشام من الدباباة وغيرهم فالاشهر فيهم أنهم من مضر بن زرار ومنهم اليعقوبية والجورقان وهم نصارى وديارهم مما يلي بلاد الموصل وجبل الجودي » . وقبل ان نناقش رأي المسعودي في أصل الاكراد ، نود ان نلفت نظر القاري* الى المعلومات

(١) ابن حوقل . صورة الأرض ١٩٥ .

(٢) نفس المصدر ١٩٦ .

(٣) نفس المصدر ٢٠٥ .

(٤) حفة جزيرة العرب ١٢٢ (مصر ١٩٥٣) .

(٥) مروج الذهب ٢/٣-٢٥١ (طبعة باريس) .

القيمة التي تضمنها هذا النص فيما يتعلق بتمدد القبائل الكردية وتوزيع مواضعها ومساكنها جغرافياً . وفي نص آخر يتحدث المسعودي (١) عن الاكراد فيقول « فأما اجناس الاكراد وانواعهم فقد تنساق الناس في بدلتهم ، فمنهم من رأى انهم من ربيعة بن زرار بن معد بن عدنان بن بكر بن وائل انفردوا في قديم الزمان وانضافوا الى الجبال والادوية الاحوال دعيتهم الى ذلك وجاوروا من هناك من الامم الساكنة المتمدن والعائرين الاعاجم والفرس فحالوا عن ايمانهم وصارت لغتهم اعجمية... ولكل نوع من الاكراد لهم لغة بالكردية ومن الناس من رأى انهم من مضر بن زرار وانهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن ، وانهم انفردوا في قديم الزمان لوقائع كانت بينهم وبين غسان ومنهم من رأى انهم من ربيعة ومضر اعتصموا بالجبال طلباً للحياة والمراحمي فحالوا عن اللغة العربية لمن جاورهم من الامم » . هذان النصان للمسعودي يردان أصل الاكراد الى العرب ، اما ابو الفدا (٢) فيقول عن الاكراد انهم طائفة من الفرس ومنازلهم جبال شهرزور « وقيل ان الكرد من العرب ثم تنبطوا (٣) وقيل انهم اعراب المعجم » .

غير ان السردامات الحديثة تذهب الى ان الاكراد - على الرغم من غموض أصلهم الجنسي - ينتمون الى الشعوب الهندو - أوروبية . وقد اطلق اسم الكرد على الاقوام التي قطنت عبر جبال زاغروس والامتداد الشرقي لجبال طوروس (٤) وذكر بوليبيوس (٢٠٠ - ١٢٠ ق . م) ومن

(١) مردج الذهب ٢/٢٤٩ - ٢٥٠ (طبعة باريس) .

(٢) المختصر في أخبار البشر ١/١٠٤ (بيروت)

(٣) تنبطوا أي أصبحوا من النبط .

(٤) Encyclo . Brit vol . 13 P . 514

بصدده سترابو وليني ش.جاً باسم kurtioi او Cyrtii الذي قد يعني
 الاكراد . وربما كان الـ Kardoooucho الذين هاجموا زنفون
 والعشرة آلاف (٤٠١ ق . م) فدر ب زانخو الحالية هم اسلاف
 الاكراد (١) . لقد حثت السجلات التي وصلتنا من ايام الامبراطوريات
 القديمة في بلاد ما بين النهرين اشارات كثيرة للغروب التي جرت على
 حدودها الشرقية والشمالية مع قبائل جنية اطلقت عليها اسماء تشابه اسم
 الاكراد (Kurd) . وتشير الوثائق الى عناصر هندو - اوربية في بلاد
 ما بين النهرين في القرن السادس عشر قبل الميلاد (٢) .

ان المنطقة التي عاش فيها الاكراد - والتي سميت بكرمستان منذ
 العصر الساجوي (٣) ، توالى على حكمها امپراطوريات قديمة قوية ، فنذ
 القرن الثامن قبل الميلاد اخذ الميديون يندفعون غرباً وجنوباً حتى استطاعوا
 ان يسيطروا على زاجروس وما وراءها في سنة ٦٥٠ ق . م (٤) . وفي
 عام ٥٥٠ ق . م حلت الامبراطورية الفارسية محل الميديّة في هذه المناطق ،
 حتى عام ٣٣١ ق . م حين استطاع الاسكندر الكبير ان يحنّنها بهزيمة
 ما حققه في معركة جرت بين الماوسل واربيل . لقد كونت هذه المنطقة
 بعد موت الاسكندر المقدوني جزء من الامبراطوريات السلوقية (٣٣١ -
 ١٢٩ ق . م) والفريسية (٢١٧ ق . م - ٢٢٦ م) والفارسية الساسانية
 (٢٢٦ - ٦٢٦ م) ، ثم الدولة الاسلامية (٣٣٦ - ١٢٥٨ م) والمنغول
 والتركان (١٢٥٨ - ١٥٠١ م) . وفي خلال القرن السادس عشر ثبتت

Ibid vol . 13 . P.514 (١)

Ibid VoL . 13 , p. 514 (٢)

ibid , VoL . 13 p. 513 (٣)

ibid VoL . 13 , p. 514 (٤)

الحدود بين العماليين والاهفوين فأصبح الثلاثة أقاليم ٥٦٠ مكرمي ضمن ولايات الدولة العثمانية والباقي في إيران (١).

كانت بلاد الأكراد ضمن الأقاليم التي اجتاحتها جيوش الفتح الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد القائد عياض بن غنم فاتح الجزيرة واربينية. وحين سار القائد حبيب بن مسلمة الفهري عام ٨٢٦ م إلى (قالقلا) لاقضاء على حركة تمرد قامت في بلاد ديار بكر - حيث يعيش الأرمن - استعان هؤلاء بالروم، فوجه الخليفة عمر سلمان بن ربيعة الباهلي (الذي يسمى سلمان الخليل) لمعونه، وتوجه القائدان - بعد الانتصار على الأرمن (٢) - لفتح بلاد القوقاس الجنوبية، ففتح سلمان البلقان صلحاً ودعاً أكراد (البوشنجان) إلى الإسلام فجاربوه، غير أنه انتصر عليهم ففرض على بعضهم الجزية وعلى الذين دخلوا الإسلام الصدقة (٣). والجهات التي يرد ذكرها في أخبار حملة حبيب على (قالقلا) هي التي تقع على حدود الأقاليم التي كان يسكنها الأرمن مثل الميرك ودمت الورك ومكس من نواحي البسفرجان (٤). وظل الأكراد يحبون ضمن هذه الأقاليم غير المستقرة في أرمينية والجزيرة واذربيجان وغيرها حتى أتيح لهم في العصور العباسية المتأخرة أن يلعبوا دوراً سياسياً بارزاً ويؤسسوا دويلات أسوة بغيرهم من «المتغلبين» على الأطراف. ويجدر بالذكر أن الأكراد دخل جميعهم في الإسلام، وكان أغلبهم

(١) Ibid, Vol. 13 P. 514

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) نفس المصدر ٢١٠-٢١١ (وردت في البلاذري - القاهرة) البلاطون.

(٤) نفس المصدر ٢٠٧-٢٠٨ بنسب البلاذري (٢٠٢) البسفرجان أسدي كور أرمينية

الثالثة.

على المذهب الشافعي ، وظلوا يعيشون على نفس أسلوب المعيشة الذي يعيشه جيرانهم من المجتمعات النصرانية مثل الأرمن في هضبة الانضول والكلدانين في مرتفعات حكاري وسهل أورمية (١) .

أدرك الحمدانيون قوة الأكراد وخطرهم فحالفوهم ، وتزوج حمدان - جد الأسرة الحمدانية - امرأة كردية وحذا حذوه حفيده ناصر الدولة فتزوج من فاطمة بنت أحمد الكردية (٢) التي كان لها تأثير كبير عليه . ويرى بعض المؤرخين ان سيف الدولة كان من أم كردية (٣) ، وليس هذا بمستبعد في عصر فشا فيه الزواج بالنساء غير العربيات ، حتى لقد كان كثير من أمهات الخلفاء والأمراء وأمهات ولده أي غير عربيات . ومهما يكن من أمر فإن سيف الدولة كسب تأييد الأكراد حتى خطب له ابو سالم ديسم الكردي صاحب اذربيجان (٤) . ومما يدل على خطر الأكراد انهم استطاعوا ابتداء من سنة ٣٨٠ هـ مستغلين انقراض الدولة الحمدانية - أن يحتلوا ميسافارقين وأرزن وديار بكر ويكonnوا اماراة ذات بلاط زاهر (٥) . وأصبحوا ابتداء من القرن الرابع الهجري قوة هائلة ، فاستغلوا ضعف السلطة المركزية واسسوا امارات مستقلة منها الامارة الشدادية التي قامت في شمال اذربيجان وجنوبي غربي القوقاس (٣٤٠-٥٩٥-٩٥١-١١٩٨ م) ، ومنها حكومة حسنويه - برزيكاني في بلاد الجبال التي دامت طوال القرن الخامس الهجري (٦) .

(١) انظر ارمينية في . encY^٤ Brit . ومحمد امين ذكي .

(٢) مسكويه . تجارب الامم ٢/ ٣٩٢ .

(٣) Hitti , History Of Syria , P . 565

(٤) مسكويه . تجارب الامم ٢/ ١٦١ .

(٥) انظر ابن الاثير . الكامل ٩/ ٣٠ .

(٦) محمد امين ذكي ، خلاصة تاريخ الكرد والكردستان ١٤٠

٣- الآراميون : هم مجموعة من القبائل السامية التي عاشت في

الحقبة الممتدة بين القرنين ١١-٨ ق . م في منطقة آرام التي تشمل مساحات واسعة في شمال سورية ، والتي استولت - في نفس الحقبة - على مناطق أخرى واسعة في ارض الجزيرة العربية . ويسلدو ان موطن الآراميين الأصلي كان الصحراء السورية (بادية الشام) ، ومنها انتقلت - شأنها شأن غيرها من القبائل - الى الاراضي الزراعية المجاورة حيث اختلطت بالشعوب الاخرى المقيمة هناك . لقد وردت اخبار الآراميين في النصوص الآشورية التي يتضح منها- انهم أي الآراميون - كانوا يعيشون عند نهر الخابور وفي منطقة الفرات الاوسط . وذكرهم الملك الاشوري تجلات بلاصر الاول (١١١٦-١٠٧٦ ق . م) حيث قال انه شن عليهم ثمانى وعشرين حملة في جبهة تمتد من تدمر الى عانات (١) .

وفي نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد كون الآراميون دولة Bit - Adin على ضفتي الفرات أسفل كركيش ، كما أقاموا في وادي الخابور مشيخات عديدة ، واستولت بعض قبائلهم على نصيبين وعلى المنطقة الواقعة جنوب غربي ماردين ، بل انهم بلغوا منطقة جبل طور عابدين غرب الفرات . وفي الجنوب وصل نفوذهم حتى دمشق (٢) . وقد أوسع نفوذ الآراميين خلال القرن الحادي عشر فاحتلوا سورية وانتشروا على طول نهر الفرات الاوسط والاسفل ودجلة لاوسط ، وفرضوا نفوذهم السياسي على بابل ذاتها ، بحيث أصبحت البقعة الممتدة بين بابل والبحر الابيض تحت سطوة القبائل الآرامية المعروفة بالكلدانيين في التوراة (٣) .

Ency . Brit Vol . 2 p . 207 - 208 (١)

Ibid Vol . 2 p . 207 - 208 (٢)

ibid VoL . 2 p . 207 - 208 (٣)

وقد ظل الصراع قائما بين الاشوريين والاراميين حتى قيام
الامبراطورية البابلية الجديدة المعروفة بالكلدانية ، حيث اندمجت العناصر
الكلدانية والآرامية والبابلية ببعضها (١) .

والمهم في الامر هنا ان الآراميين قاموا بدور بارز جداً في الحياة
الثقافية والتجارية لمنطقة الجزيرة ، فمن الناحية الثقافية نجد ان اللغة الارامية
- وهي لغة سامية لها شبه باللغة العربية - تصبح منذ القرن التاسع قبل
الميلاد لغة ادبية ثقافية ، ثم تصبح فيما بعد لغة التجارة والثقافة في بلاد
ما بين النهرين خلال حكم الاشوريين المتساخر والبابليين والكلدانيين
(بابل الجديدة) حتى اذا ما وقعت هذه الاقاليم ضمن الامبراطورية
الفارسية (٥٣٩-٣٣٢ ق . م) كانت اللغة الارامية لغة مستعملة ما بين
مصر والمهند . غير ان فتوحات الاسكندر المقدوني أحلت اللغة اليونانية
محل الارمنية كلغة رسمية في الشرق ، ومع ذلك ظلت لهجات آرامية نحية
خلال المهود الرومانية ، بل ان هذه اللغة ما زالت توجد في بعض قرى
سورية والجزيرة العرفية واذربيجان وطور عابدين وبحيرة اورمية (٢).

لقد كون الآراميون في المهود الاسلامية - كما أسلفنا - مجموعة
بشرية ذات أهمية في اقليم الجزيرة ، بل انهم كونوا قاعدة السكان
النصارى في المدن ، وبخاصة في ديار مضر وديار ربيعة ، بدائل الأسماء
الآرامية للقرى والمواقع من جهة وللأشخاص الذين لعبوا دورا ما
في أحداث ذلك العصر . وقد سكن اغلب الاراميين في منطقة طور
عابدين ، واحتفظوا بهجتهم وكونوا مجموعة غير صغيرة في البلاد

(١) Ibid Vol. 2 p. 207 - 208

(٢) Ibid. Vol. 2 p. 207 - 208

الواقعة شرقي دجلة على حافة المناطق التي سكنها الاكراد والارمن ، وعلى الرغم من ان الجغرافيين والمؤرخين العرب لم يستخدموا لفظة « آراميين » للدلالة على هذا الشعب ، الا اننا نفهم جيداً عن طريق استخدامهم لفظة « نصارى » ، مثلاً بأنهم انما كانوا يشيرون الى الاراميين الذين عاشوا منذ قرون عديدة قبل الاسلام في اقليم الجزيرة ، ونعثر كثيراً على لفظة « الجرافقة » للدلالة على النصارى في الجزيرة بصورة خاصة . ويستخدم ابن حوقل (١) لفظة « الشهاجرة » عند حديثه عن كفر عزي السني تقع في ارض حزة فية ول انه سكنها « قوم من الشهاجرة نصارى ذوو يسار » .

وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين العرب (٢) في اصل ومدلول « الجرامقة » حتى جمعها اكثرهم نعتي قوماً من الفرس او العجم ، فقد ثبت - نتيجة التحقيقات التاريخية الحديثة - ان الجرامقة انما هم الاراميون الذين عاشوا في الجزيرة منذ قرون عديدة قبل الاسلام . وقد اورد المؤرخ القس سايمان صائغ في كتابه عن الموصل ملاحظاً كرسه للجرامقة انتهى منه - بعد استعراض طائفة من النصوص والاراء - الى ان الجرامقة هم الاراميون وان لغتهم كانت لغة السريان الشرقيين ، وان اصل كلمة الجرامقاني (مفرد الجرامقة) معربة عن اصلها الارامي (جرمقاي) أي من كان اصاه من (بيت كرماني) (٣) . واستشهد بدراسات المؤرخ

(١) صورة الارض ١٩٦

(٢) انظر سليمان صائغ ، تاريخ الموصل ٤٥ فما بعدها .

(٣) بيت كرماني : يسرها العرب باجرمى تقع شرقي دجلة بينه وبين الزاب الاوسط وجبال حميرين ونهر دبال .

لولدكه (١) الذي توصل منها الى ان الجرامقة هم من الأصل الآرامي او النبطي . وعلى الرغم من ان المؤرخين العرب استخدموا لفظة النبط للدلالة على أخطاط الفلاحين في العراق ، الا انهم ارادوا بهم - على وجه الدقة - الآراميين :

لقد كون النصارى جماعة نشيطة في الجزيرة والشام وكان لهم دور بارز في الحياة الثقافية والاقتصادية ، ويمكن القول ان النصارى تركزوا في عدة مدن اهمها ميفارقين « مدينة الشهداء » التي حوت عظام شهدائهم ، وكانت تزخر بالكنائس والأديرة (٢) . وكانت انطاكية كرسي اليعاقبة وكرسيهم الثاني في مصر (٣) . وكان أغلب سكان السن من النصارى ، لذلك حوت كثيراً من الكنائس (٤) . وتعتبر الرها اعظم مواطن النصارى فقد حوت اكثر من ثلثائة دير وصومعة للربان ، كما كانت فيها أعظم كنيسة في الدولة الاسلامية حتى عدت من عجائب الدنيا (٥) . كذلك كان غالبية سكان تكريت من النصارى (٦) . وعاش النصارى في حصن كيفا على ضفة دجلة الشرقية وشيدوا بها كثيراً من الكنائس (٧) . اما الموصل وبخاصة القرى التي حولها فظالما كانت موطناً للنصارى ، ولما فتحها المسلمون وجدوا بها عدداً كبيراً منهم الى جانب

(١) سليمان صانع نقلا عن مجلة لغة العرب ١٧٢ من السنة الثالثة « ١٩١٣-١٩١٤ » .

(٢) ياقوت . معجم البلدان ٧٠٥/٤ .

(٣) المسعودي . التنبيه والاشراف ١٥١ .

(٤) المقدسي . احسن التقاسيم ١٣٩ .

(٥) ياقوت . معجم البلدان ٨٧٦/١-٨٧٧ .

٦٠ . الاسطرخري . مسالك المسالك ٧٧ .

٧٠ . المقدسي . احسن التقاسيم ١٤١ .

أفلية من اليهود والمجوس (١) *

ويبدو ان النصارى تمنعوا بكثير من الحرية الدينية والتسامح فقد اتخذ كثير من الخلفاء والامراء كتابا من النصارى لبراعتهم في الامور الادارية وكانوا يلقبون الاحترام من المسلمين . وقد حدث في سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) ان آلت الرياسة في بلدة داقوقا من اعمال الموصل الى اثنين من النصارى (٢) ، وهذا مثل من عشرات الامثلة التي تدل على تمتع النصارى بمركز اجتماعي حسن . ومما هو جدير بالملاحظة ان كثيرا من الادميين اعتنقوا الاسلام ، واهل من اسباب ذلك اغراء الحكام لهم باعفائهم من الضرائب (٣) . ومن ادلة التسامح السذي لقيه النصارى العدد الهائل من الكنائس والاديرة والصوامع المنتشرة في بقاع الجزيرة . واستطاعوا ان يشتغلوا بالتجارة والصناعة والمهن المالية حتى جنوا من وراء ذلك ثروات طائلة . وكذلك وصل بعضهم الى مناصب عالية في السدولة الحمدانية فتولى ابو موسى النصراني وزارة أبي تغلب (٤) ونجد في عهد سعيد الدولة نصرانيا اخر هو ملكون السرباني الذي كان يوفده الحمدانيون رسولا الى ملك الروم (٥) . وقد اقام النصارى الاحتفالات باعيادهم بحتهى الحرية ، بل شاركهم المسلمون في السرور والتسلية (٦) ، فقد كان ابناهم الملتين يلتقون في الكنائس على مودة . وقد اسلفنا ذكر الاهتمام الشديد الذي حظيت به الاديرة في الجزيرة والشام ، كما افيت كنائس النصارى كل

١ . البلاذري ، فتح البلدان ٢٢٢

٢ . ثرون اهل القبة في الاسلام ٢٨

٣ . نفس المصدر ٢٨

٤ . ابن طاهر ، الدول المقتطعة (مخطوط) ورقة ١٥ أ .

٥ . ابو الحسن ، النجوم الزاهرة ٢ / ٥٠٠ .

٦ . المقدسي . احسن التقاليم ١٨٣ .

دفن کذا بنام عمومی حضرت آیت الله العظمیٰ مرتضیٰ نجفی داماد
مقام پنجم، ۱۳۵۲ هجری

حتى قبل ان مدينة رأس عين حوت أكثر من ثلاثمائة مينا^(١) وكانت نصيبين تقع على نهر يستمد ماءه من عين تنبع من جبل قريب منها ^(٢). وقامت على الفرات مدن ديار مصر كالرقبة وقرقيسيا فأفادت مزارعها من مياه النهر القريبة التي كانت تروبوها بسهولة ويسر لانخفاض ضفاف هذه النهر . ويجمل القول ان المدن والاراضي البعيدة عن مجاري الانهار اعتمدت على الأمطار والعيون والآبار . وكانت أهم آلات السري الدولاب والدالية والناعورة والدولاب وهو الاسم الفارسي للآلة المساه عند اليونان منجنون ، أما الدالية فكانت آلة ترفع الماء وتديرها الأبقار ، وأما الناعورة فكانت تتركب على الانهار وتديرها الماء ^(٣). ويذكر ابن حوقل ^(٤) بأعجاب «عروب» الموصل الكثيرة في وسط دجلة وهي المطاحن القائمة في مجرى النهر الشديد الجريان وموثقة بالسلاسل الحديدية في كل عربة منها أربعة احجار يطحن كل حجرين في اليوم والليلتين وقرأ ، وهذه العروب من الخشب والحديد ، وربما دخل بها شي من الساج ، ويشير كذلك ^(٥) الى عروب بلد الرقة وقلعة جعفر وتكرت وعداد الحديثة التي كانت قائمة في وسط دجلة ، والتي كانت تجهز العراق بما يحتاج اليه من الطحين .

كانت أغلب مدن الجزيرة محاطة بالأراضي الزراعية ، فقد كانت الموصل

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ٢ / ٢٧٨ • بيروت .

(٢) رحلة ابن جبر ١٩٢

(٣) آدم منزو الحضارة الإسلامية ٢ / ٢٤٨

(٤) ص ١٩٨

(٥) صورة الأرض ١٩٨

- قصبة ديار ربيعة - ذات نواح عريضة ورساتيق (١) عظيمة ومكور كثيرة ، غزيرة الاهل والقرى والقصور والمواشي الى غير ذلك من اسباب التناج والسائمة من الاغنام والكراع (٢) ويعدد ابن حوقل (٣) موارد المنطقة فيقول ان المرج اشتهر بسوق الاحد الذي زخر بالامتنعة وقردي وبازبدى كانا تنتجان القمح والشعير والحبوب الأخرى، بحيث ان كل ضيعة من ضياعها كانت تنتج الف كر من الحنطة والشعير ، ويشير ابن حوقل الى انها اشتهرت بانتاج النبل الذي در موارد على الدولة تعادل ما كانت تدره الواردات الزراعية ، وضرائب الخمر هي التي تدعى باموال اللطف (٤) . واشتهرت منطقة الخابور بكثرة الغلات والفواكه اليابسة والرطبة ، على حين انتجت منطقة الموصل كميات هائلة من الحنطة والشعير حتى لقد بلغ ارتفاعها من الحاصل سنة ١٣٨ هـ دون قسمة المزارعين بيننوى والمرج وكورة حزة ستة الاف كر (٥) حنطة وشعيراً قيمتها من الورق (٦) ثلاثة الاف الف درهم (٧) ومن الحبوب والقطاني ثلاثمائة كر قيمتها من العين عشرة آلاف دينار ومن الورق (مائة وخمسين الف درهم) (٨) وزرع القمح والشعير بكميات

(١) نفس المصدر ١٩٦

(٢) الكراع هي الدواب

(٣) صورة الأرض ١٩٦

(٤) ابن حوقل ١٩٦

(٥) الكر (يضم الواو) كيل . وهو ستون قفياً واثنتان مائة مكابك والمكوك صاع ونصف

(المصباح المنير ٧٢٧/٢)

(٦) الورق (يفتح الواو وكسر الراء) المال من الدراهم (المصباح المنير ١٠٣/٧)

(٧) ابن حوقل ١٩٧

(٨) نفس المصدر والمكان

هائلة في باعربايا المصابقة لبازبدى وفي برقعيد وباهمداء وبازبدى وقردى (١). كانت الموصل محاطة بمناطق زراعية خصبة للغاية ولها كور ورساتيق كثيرة (٢)، وانه وان كانت المدينة نفسها قليلة البساتين، الا ان نواحيها التي امتدت على ضفتي دجلة شمالا وجنوبا كانت جنات يانعة وحقولاً خصبة. واشتهرت باعشيقا (٣) من نواحي الموصل بحقولها المثمرة بالزيتون والنخيل وال نارنج التي ترويه عدة جداول (٤). وكانت الحديقة محاطة ببساتين كثيرة وسهول فسيحة، واشتهرت هي وبلد بالعداد - أي الطواحين - التي كانت في وسط دجلة (٥)، وعرفت نصيبين ببساتينها وكثرة اشجارها المثمرة ونتاجها أجود انواع الرز والقمح والشعير الكروم « الرائعة الزائدة عن حد الرخص » فضلا عن مراعيها التي كثرت فيها الأغنام والمواشي. وبفضل جودة كرومها انتجت انواعاً من الشراب (٦). ويضاف الى هذه المنتجات ما أخرجه حقول نصيبين واقليم ابنين المجاور لطور عابدين والذي يعتبر تابعا لنصيبين من بقول وفواكه اخرى. وكان يحيط بسنجار سهول فسيحة خصبة ومزارع انتجت الاثمار كالجوز واللوز والزيتون والأترج. السمس والمان الكبير الذي صدر حبه المجفف الى العراق والنواحي فضلا عن وفرة النخيل في سنجان وهي ميزة امتازت بها على سائر مدن الجزيرة

(١) ابن حوقل ١٩٦

(٢) نفس المصدر ١٩٦ . يقول ابن رست (الأء لاق النصب ١٠٦) : « من كور الموصل الموصل (يعني المدينة) وتكريت وطهران والسن والحديثة والمرج وسنجار وباجل وباجر »

(٣) ابن حوقل ١٩٨

(٤) نفس المصدر والمكان

(٥) نفس المصدر والمكان

(٦) نفس المصدر ١٩١

عدا نواحي الفرات وهيت والانبار (١) . أنتجت ديار بكر مختلف الحاصلات الزراعية والقواكه وزخرت بأشجار البلوط . ونجد في نصيبين الحبوب كالقمح والشعير والرز والكروم الوفيرة كما نجد المراعي الواسعة التي تربي فيها الاغنام والمواشي (٢) . على حين اشتهرت ماردين بالاضافة الى فواكهها وكرومها بجوهر الزجاج الذي كان يصدر الى سائر بلدان الجزيرة والعراق وبلاذ الروم ، فيفضل على ما سواه بجوهرية فيه (٣) . وطارت شهرة حجر الأرحبة الذي كان يستخرج من آمد ، حتى كان الحجر الواحد الذي يستخدم للطحن بالعراق يساوي نحو خمسين ديناراً (٤) . وكانت جزيرة ابن عمر تصدر بالسفن الى الموصل العسل والسمن والمن والجبن والجوز واللوز والبندق والزبيب والتين (٥) .

وكانت ضواحي بلد المعروفة بالأوسل كثيرة الشجر والشمر والخضر والقواكه والكروم . واشتهرت اذمة بكثرة غلاتها ، ودارا بوفرة خبزها وخصبها حتى كان « الماء كالماء المشرب » - أو اسعار المواد الغذائية بتعبير أوضح - كالجمان (٦) . واشتهرت كفرنونا بكثرة اشجارها واثمارها وزروعها وبساتينها (٧) : اما عرابان فكانت كثيرة الاقطان ،

(١) نفس المصدر ١٩٩

(٢) ابن حوقل ١٩١

(٣) نفس المصدر ١٩١

(٤) نفس المصدر ٢٠١

(٥) نفس المصدر ٢٠٣

(٦) نفس المصدر ١٩٩

(٧) نفس المصدر ١٩٩

ومن ثم فإن منسوجاتها من الثياب القطنية كانت تصدر إلى الشام وغيرها (١). وكانت طليان والجحشية وتبنير والعبيدية مدناً صغيرة ذات أشجار مشمرة وبخاصة الكروم والسفرجل (٢) : واشتهرت رأس العين بالإضافة إلى حاصلاتها الزراعية ومنتجاتها الوفيرة من الفاكهة بالقطن الذي كان ينتج بمقادير كبيرة (٣). كذلك كانت حران من مراكز إنتاج القطن بالإضافة إلى كونها ذات شهرة دائمة في صناعة المسوازين الدقيقة (٤) :

كانت الجزيرة إقليماً خصباً وفير الحاصلات عظيم الغلات كثير الخيرات ، حتى قال فيه الأصمعي : كانت قریش تسأل في الجاهلية عن خصب بأعربيا . وهي الموصل لقدرها عندهم فلم ينالهم في خصبها شيء قطعوا عن ريف الجزيرة . وما يليها لانها تعدل في الحصب ، عندهم بأعربيا (٥) . لقد تعددت الحاصلات الزراعية في هذا الأقليم السحي استعملت لأغراض غذائية كالقمح والشعير والسرز وأشجار الفواكه المتعددة الأصناف كالنخيل (٦) . والتارنج والزيتون والكمثرى والكروم والسفرجل والرمضان والتوت وغيرها من صنوف الأنمار الطرية والجافة (٧) . كما أننا نجد زراعات قامت لأجل أغراض صناعية وفي

(١) المقدسي ١٤١ ، الاصطغري ٧٤ .

(٢) ابن خوقل ٢٠١ .

(٣) نفس المصدر ٢٠٠ .

(٤) المقدسي ١٤١ .

(٥) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ١٣٥ .

(٦) كان رطب لقفور - مثلاً - يصدر إلى الموصل يلقون ٨٦٣/١ .

(٧) ابن خوقل ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ .

مقدمتها القطن الذي زرعه بوفرة في إقليم الجزيرة بشجيع من
 الحمدانيين. ويشير الجغرافيون القدامى الى عدة مدن نالت شهرة خاصة
 في انبات القطن الجيد مثل رأس العين وحران وعرابان وماكسين
 وغيرها (١). ونستطيع ان نقول بثقة ان زراعة القطن كانت تستهدف
 تربية دود القز لانتاج الحرير الذي اشتهرت به غير واحدة من مدن
 الجزيرة كالموصل مثلا ، وكذلك اشتهر سوق باعشيقا من لواحي نينوى
 ببيع البز (٢) :

وكان في باجرمي من نواحي الموصل جبل يسمى شعران لكثرة
 اشجاره وهو جبل قندبل . وبالإضافة الى اشجار الكمثرى والعنب ،
 اشتهر بانواع الطيور وبالأشجار الضخمة التي كانت تقطع جذوعها
 وترسل الى العراق (٣) . وواضح ان هذه الأخشاب كانت تستخدم
 لأغراض البناء وصناعة السفن والآلات . ولما كانت منطقة الجزيرة
 منطقة لصراية آرامية قبل الفتح الاسلامي ، وان المجتمع النصراني ظل
 قائما فيها ، فإن تقاليد صنع الأنبذة والخمور بقيت سائدة رائجة في
 عديد من المدن وكانت زراعة الكروم على نطاق واسع تبرر سعة هذه
 للصناعة : ونحن نعتز بهذا الصدد على اشارات لقرى ومدن كان فيها
 حازات أو جيت منها ضرائب اللطف ، وهي الضرائب التي فرضت
 على الخمور (٤) : واستخدم زيت الزيتون الذي زرعه بوفرة لصناعة
 الصابون (٥) ، واشتهرت مراعي الجزيرة شهرة دائمة مما أدى الى كثرة

(١) المقدسي ١٤١ . الاسطخري ٧٤

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ٤٧٢/١ .

(٣) ابن القتيبي ، مختصر كتاب البلدان ١٣٢

٤٥ . انظر مثلا ابن حوقل ١٩٦

٥٥ . يقول المقدسي ١٤١ عن الرقة انها « مدن الصابون الجيد والريون » ،

الجلود التي استغلت لصناعة الاحذية والسروج وغيرها بحيث اختصت
سنتجار بالمهارة في صناعة الاحذية واشتهرت بكثرة اماكنها (١) .

وبجانب الثروة الزراعية الهائلة كانت الجزيرة منطقة مراعي شهيرة ،
وهذا لا يحتاج الى اثبات فهي منطقة سهوب وهضاب ووديان غزيرة
الامطار نسبياً وما زالت اليوم من اغنى مناطق الشرق الادنى في تربية
الاعنام والمواشي حتى قال ابن حوقل (٢) عن نصيبين انها كثيرة السائمة
والكراع ، وعن الموصل (٣) انها اشتهرت بتربية اللغن والبقر . واشتهرت
الجزيرة بـ « الافراس الجزيرة » (٤) * واشتهرت حسنة
الموصل بكثرة الصيود (٥) * واشتهرت جزيرة ابن عمر بصناعة العمل
والجن والمن (٦) *

اما للثروة المعدنية فلا بد انها كانت وفيرة وقد اشرنا الى الاختشاب
التي كانت تقطع وتصدر لاستخدامها لاغراض صناعية والزيت
والحمور والصابون ، وكان بالرقعة على حد قول ابن الفقيه (٧) - دهن
الحظارة « وفيه اعجوبة ، وذلك انه لا يتخذ الا في حاوت بها معروف ،
فان اتخذ في غيره من الحوانيت فسد * وخاصته انه نافع للرياح

(١) المقدسي ١٤٠

(٢) ١٩١ -

(٣) ١٩٣

(٤) ابن الفقيه ١٣٥

(٥) ابن حوقل ١٥٨

٦ * تم المصدر ٢٥١

٧ * مختصر كتاب البلدان ١٣٤

والثغرس» ، فهو اذن مرهم طبي شديد الفاعلية ويحتاج الى رعاية وعناية وحفظ في جو معين كي لا يفسد . ونجد اشارات كثيرة الى الملاح الذي كان يصدر الى العراق (١) والحديد الذي لعب دوراً خطيراً في صناعة الاسلحة وفي العمران ، حتى لقد صنعت منه ابواب المدن (٢) . اما الحجارة المتعددة الاصناف والكلس والجص فقد حفلت بهما مدن الجزيرة وساعدت على ان تقوم فيها ابنية ملونة ونهضة عمرانية عظيمة ، حتى لنجد الحجارة البيضاء والسوداء والكلس والجص من مواد البناء المعتادة في بناء الاسوار والبيوت (٣) .

ولا بد ان الثروة المعدنية كانت وفيرة وان لم يستطع ابناء ذلك العصر ان يكتشفوها ويستغلوا منافعها . يقول ابن الفقيه (٤) . ان الجبل الذي بآمد ... فيه صدى ، فمن انتضى سيفه فأولجه فيه وقبض على قبضته بجميع يديه اضطرب السيف في يديه وأرعد القابض وان كان أشد الناس . وفيه اعجوبة اخرى انه متى يحك بذلك الجبل سكين او حديد او سيف حمل ذلك السيف او السكين الحديد وجذب الأبر والمسال بأكثر من جذب المغناطيس ... ان هذه الحماضية الكهربائية والمغناطيسية كانت تدل على وجود ثروة معدنية كامنة في صخور جبل آمد لم يتح لذلك العصر استغلالها ولعلها لا زالت مطمورة حتى هذا اليوم .

لقد كانت استعمالات الثروة المعدنية محدودة بروح حضارة ذلك العصر ، وهي حضارة غير صناعية قطعاً وذات طابع زراعي اقطاعي .

(١) اشتهرت برادي الجزيرة وسفادوما بالملاح والأشنان ابن حنبل ٢٠٥

(٢) ياقوت ١٧٧/١

(٣) المقدسي ١٤٠ و ١٤١

(٤) مختصر كتاب البلدان ١٣٣

للك استخلفت المعادن لثلية الحاجات الحربية والعمرائة (أسوار المدن وابوابها وقصور الخاصة) . وبهذا الصدد نجد بعض الامثلة على استخدام الثروة المعدنية لأغراض الانتاج . مثال ذلك تلك الحجارة النادرة الغالية الثمن التي اشتهرت بها آمد ايضاً بحيث كانت تباع القطعة الواحدة منها في العراق بخمسين ديناراً ، والتي استخلفت لصنع الأرحاء (١) (أي الرحي لأغراض طحن الحبوب) : ومن هذه الامثلة استثمار براري الجزيرة ومقاوئها لجمع الملح والأشنان والقلبي وهي مهمة قام بها ابناء ربيعة ومضر من البدو الذين اشتهروا بتربية الخيل والغنم والأبل ، والذين كانوا على علاقة وطيدة بأهل المسند حتى نستطيع ان نحسبهم بلواً متحضرين (٢) . كذلك اشتهرت بأسورين بصناعة الملح الذي كان يصدر الى العراق (٣) . ويبدو ان حجر الزجاج او « جواهر الزجاج » كما كان يدعى استثمر بصورة جيدة فكان يستخرج من الجبال كجبل ساردين مثلاً - ويصير الى مدن الجزيرة والعراق بل وإلى الدولة البيزنطية (٤) .

وهكذا يمكن القول ان الجزيرة كانت اقليماً واسع الغنى وفير الثروة عظيم الانتاج في مجالات الثروة الزراعية والحيوانية والصناعية ، وهو الأمر الذي يبرر ويفسر الصراع السياسي الحاد الذي دار بين القوى السياسية يومذاك للاستئثار به وامتلاكه .

(١) ابن حوقل ٢٠١

(٢) نفس المصدر ٢٠٥

(٣) لقاء ٢٤٥

(٤) ابن حوقل ١٩٤

الفصل الثاني

عهد ناصر الدولة

- ١- تمهيد ٢- شخصية ناصر الدولة ٣- الصراع مع مؤنس
- ٤- الحمدانيون وإمرة الأمراء ١- عصر إمرة الأمراء ب- ناصر الدولة أميراً للأمراء ٥- ناصر الدولة والبويهيون

١- تمهيد

لجأ العباسيون في دور ضعفهم الى طريقة الضمان أو الالتزام في جباية الضرائب من الاقاليم وفي ادارتها ، فكان العامل يحمل في كل سنة مبلغاً مقررأ الى بيت المال في بغداد ، ويتولى هو جباية الضرائب وفق هواه . ومن الواضح ان العامل كان يعتمد الى الحصول - بشئ الطرق - على أكبر مبلغ ممكن لفائدته الشخصية ، ما دامت السلطة المركزية تغض النظر عن الظلم الذي كان يلحقه الجباة بالرعية . وهذا النظام الذي اتبع في طول البلاد وعرضها أدى الى نتيجة حتمية هي انفصال الولايات عن جسم الدولة بالتدرج ، خاصة اذا كان الخليفة ضعيفاً والوالي قوياً جريشاً . وبفضل هذا النظام اتبع الحمدانيون أن يستولوا على الجزيرة ويجنوا ثروة طائلة من جمع الضرائب ، وبالتالي ان يعلنوا استقلالهم كلما ساءت الاحوال في بغداد .

كان الحمدانيون يادى الأمر عمالا للعباسيين على الموصل واعمالها فلما ضعفت الخلافة اخذوا يمتنعون حتى عن دفع مبلغ الضمان المفروض

عليهم ونقصوه شيئاً فشيئاً في الوقت الذي حلوا سلطنتهم إلى أجزاء
جديدة من ذلك الاقليم . ففي سنة ٩٢٧/٣١٤ م ضمن ابو الهيجاء عبدالله
اعمال الحراج والضياع بالموصل وقردي وبازبدي وغيرها (١) ، وفي
عام ٩٤٨/٣٣٧ م بلغ مبلغ الضمان او المقاطعة من الولايات التي كانت
في يد ناصر الدولة ثمانية ملايين درهم سنوياً (٢) .

٢- شخصية ناصر الدولة

تبدأ ولاية الحمدانيين على الموصل عام ٩٠٥/٢٩٣ م حين ولى عليها
المكتفي ابا الهيجاء عبدالله بن حمدان في اواخر سنة ٢٩٢ فوصلها في بداية
٢٩٣/٣ (٣) . لذلك نستطيع ان نجعل هذه السنة بداية قيام الحكم الحمداني
هناك . وفي عهد المقتدر ظل ابو الهيجاء يتولى هذه الاعمال حتى سنة
٩٢٧/٣١٧ م حين اشترك في المؤامرة التي دبزت لخلع المقتدر فكان
مصابرة الغنل (٤) . ولما كان المقتدر يعلم ان الحمدانيين وجددهم يستطيعون
السيطرة على القبائل المتناحرة في الجزيرة وعلى ثورات الخوارج وتحرركات
الأكرداء فإنه باقر الحسن بن ابي الهيجاء على ما بيد ابيه من اعمال قردي
وبازبدي وعلى اقطاع ابيه وضياعه ، ثم ولاءه في المحرم سنة ٩٣٠/٣١٨ م
بعد هوث تحرير الصغرى والى الموصل اعمال هذه المدينة (٥) . ويقول ابن
خلكان ان هذا لم يكن أول عهد ناصر الدولة الحسن بالولاية ومستولياتها ،

(١) ابن الاثم ٥٢/٨ (سمر)

(٢) سكرية ١١٥/٢

(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ١٧٥/١ . ابن خلدون ، المع ٢٩٦/٢

(٤) ابر الحاسن ، النجوم الزاهرة ٢٢٢/٣

(٥) ابن الاثم ، الكامل ٦٧/٨

الحمد كان لاياً لا يسجل الموصل منذ سنة ٣٠٨/٩٢٠ م (١). وهذا يوصلنا في مشكلة تاريخية. وقال الذهبي (٢) يحتمل ميلاد ناصر الدولة في سنة ٢٩٨/٩١٠ م وابن خلكان يقول انه نازب عن ابيه في ولاية الموصل في سنة ٣٠٨. فهل يبدو منطقياً ان يتولى الحسن مثل هذه المناطق الشائرة المضطربة وعمره عشر سنوات فقط ؟ ان هذا يبدو أمراً من الصعب تصديقه ، لكن ما هو وجه الصواب بين اقوال هذين المؤرخين الكبيرين ؟ انا اشخصياً اميل الى تصديق ابن خلكان ، اذ يبدو ان مولد الحسن لناصر الدولة كان اقدم من سنة ٢٩٨ لسببين اولهما ما ذكرناه من صغر سنه في سنة ٣٠٨ بحيث لم يكن من المعقول ان يتوب عن ابيه في ولاية الموصل وثانيهما ان طبيعة الاحترام الذي طالما ابداه سيف الدولة لاختيه ناصر الدولة - كما ترى - تجعلنا نجزم بان هذا كان اكبر بكثير من سيف الدولة وليس بست سنوات فقط كما ذكر المؤرخون الذي جعلوا ولادة سيف الدولة في سنة ٣٠٣/٩١٥ م (٣).

ولد الحسن بن عبدالله بن حمدان كما يقول الذهبي في سنة ٢٩٨ هـ - وهو أمر معرض للشك كما اسلفنا - في أسرة غنية جليلة القدر ذات محمد كريم . ويبدو ان ابا الهيجاء كان ثالث الاخوة اولاد حمدان بن حمدون ، فقد كان الحسين وابو الوايد سليمان (٤) يكبرانه سناً ، وبوفاتها أصبح هو عبيد الاسرة الحمدانية . ومن صلب ابي الهيجاء ومن ذرية ولديه الحسن (ناصر الدولة) وعلي (سيف الدولة) تحدر جميع الامراء الحمدانيين في الموصل وحلب . ورغم غنى ابي الهيجاء والاسرة الحمدانية

(١) ابن خلكان ١٧٥/١ . ابو الفدا . المختصر في تاريخ البشر ٨٣/٢

(٢) دول الاسلام ١٥٣/٢

(٣) ابن الاثير . الكامل ٢٢٩/٨

(٤) انظر ديوان ابي فراس (شرح ابن خالويه) ١٢٤/٢ توفي في ٣٢٧ هـ . الصولي . الاوراق

كلها ، يبدو ان لها المجهلاء لم يمنح الحسن من الدلائل والمطاف الشسي^١
الكثير . لقد اخذ ابو المجهلاء ابنة الأكبر بالصرامة والجهامة وتجاهاه
ولمسلط يده حنه وهاماه باستصغار (١) .

ان ابن ايدينا نصاً ذا قيمة كبيرة يروي فيه ناصر الدولة قصة حياته
الاولى وعلاقته بابيه والظروف التي هيات له سبيل الظهور . وهذا النص
الذي أورده التنوخي في نشوار المحاضرة (٢) في بضع صفحات يدل على
خصتين ظاهرتين من خصال ناصر الدولة ، أولاها طموحه الشديد
والأخرى تفعيته التي بنطبق عليها القول «ان الغاية تبرر الوسيلة» . والذي
يقرأ النص المذكور يرى ان العلاقة بين ناصر الدولة وابيه لم تكن كما
يجب ان تكون العلاقة بين الابناء والآباء ، بل يجد الحقد والبغض
والخوف في ثنايا حديث ناصر الدولة عن ابيه . واليك بعض فقراته «ولي
- يعني أباه - طريق خرامسان (ولاية اباه المقتدر في سنة ٣٠٨) فجلس
يمرض دوابه ، فبقى منها خمسون دابة ما بين زمن واعجف الى غير ذلك .
ثم قال « يا حسن أريد ان اخراج بعد شهرين الى العمل وهذه الدواب
مسلمة اليك وقد رددت امرها اليك لاجربك في الأمور الكبار ، فان
قلت بها حتى تصح وتبرأ وتضمن وكان فيك فضل لذلك قلت انك
تصلح لما فوقه ، وان لم تصلح على يدك فهو اول عمل رددته من امري
وأخبره (اليك) ... فقلت : السمع والطاعة . واخذت الدواب وأفردت
لها اصطبلًا وجعلت لنفسى فيه دكة واستأجرت لها سواماً وأدرت
ارزاقهم وطالبتهم بأشد الخدمة ... وأفردت بياطرة غيرها لذلك فما مضى

(١) التنوخي : جامع التواريخ (نغوار المحاضرة ١٤ / ١٧٨ - ١٨٢)

(٢) : المصنف السليبي ١ / ١٧٨ - ١٨٢

عليها الأشهر وأيام حتى صحت وممّنت وصارت على غاية الحسن .
ثم رأى أبوه تلك الدواب فسر من ولده وأحبه وأسدى إليه النصيح .
وأراد ناصر الدولة أن يستغل الفرصة فطلب إلى أبيه ضيعة النهر وان
قرب الموصل . فغضب الأب وشتّم ابنه قائلا « يا كلب سمّت بك نفسك
إلى أن تملك النهر وان ؟ » وضربه على وجهه بالسوط فشجه من أواه
إلى آخره . وأحسّت بالنار في وجهي . وتألّم ناصر الدولة لهذه المعاملة
القاسية فمهد بغداد خلسة بحمل ثيابه وحاجاته على بغلين . واستطرد
ناصر الدولة قائلا « وكان الوزير إذا ذاك علي بن عيسى وهو في غاية العناية
باني وهو قلده العمل . وكان يحبني ويكرمني ويختصني فكفرت أن ادخل
إليه ! ودخل ناصر الدولة على الوزير فسأله عن الجرح الذي في وجهه ،
فأبت كبر باؤه أن يروي الواقعة وادعى أنه كان يلعب بالكرة والصولجان
فأصابته الكرة . وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان فقد دخل أبو الهيثم
وهو مغضب وعاتب علي بن عيسى على إسناعه لشكوى ابنه قائلا « تسكن
هذا الكلب من ذكرّي بخضرتك والتبسط في ؟ » غير أنه أدرك أن ابنه لم
يذكره بسوء ، وتوسط الوزير بين الأب وابنه فسلمه الضيعة . ويقول
لناصر الدولة أن قبوله لوصية أبيه هي التي أدت إلى هذه النتائج الحسنة .
وقد أورد ابن راعي حلة الوصية وملخصها : ألا يحسد ناصر الدولة أحدا
من أهله رفعة السلطان بل يخدمه وبصافيه الود ويكون عوناً له .

ماذا نستنتج من نص التنوخي هذا ؟ قبل كل شيء أن هذه القصة أو
الحكاية إذا صحت أصلاً . فهي مبالغة من ناصر الدولة في مدح نفسه
وذم أبيه . فهو يبدو وكأنه ذو مواهب ويصلح لكل مهمة . ومن جهة
أخرى فهو يلمص بابيه كل صفات الفسادة والحشولة ويضفي على نفسه
للطاعة والصبر واحترام والده . فكأنما يريد أن يصل إلى التنصيص التي

نحتم بها قصته وهي أن لا يحسده احد من أهله ، بل يتحتم عليهم أن يقوموا بخدمته والقناعة بطاعته . ومن جهة أخرى يظهر ناصر الدولة نفسه بمظهر الأبن الحريص على مهمة أبيه والمتميز بكرامته بحيث يخفي عن الوزير علي بن عيسى سبب الجرح في وجهه ، ويدهي بأن الجرح إنما نجم عن لعبة الكرة والصولجان ، وهي لعبة كان يمارسها الخاصة والأمراء ، وليس سببها التراع على تربية قطيع من الدواب ، وهي مهمة يبدو انه كان يأنف من التحدث عنها أمام وزير اشتهر بالدكاء والفطنة والرفع . ثم نستنتج ان ناصر الدولة الحسن انما قدم بغداد ليسعى لدى الوزير في ان يجد له مكاناً في الامارة او الولاية في عصر تميز بالمساومات والمزايدات ، ولا بد ان حضور ابي الهيجاء المفاسجي* الى مجلس الوزير كان متأثراً من شك الأب بأبنه وصورة ظنه فيه .

واذا شئنا ان نضرب مثلاً آخر يلقي الضوء على خلق ناصر الدولة فهو النص الذي أورده التنوخي (١) والذي يدل على أثره وشراسته طبعه من جهة وعلى علاقته بأفراد أسرته من جهة أخرى . كان سيف الدولة يتولى نصيبين من أعمال اخيه . ويبدو ان مواردنا (وان كانت وفيرة) لم تكن تأتي مطامح سيف الدولة ، خاصة وقد بلغته انباء الاحوال السياسية السيئة في الشمام التي كان يتولاها امراء ضعاف عن الاخشيديين جزاء مال يحماونه اليهم . ومن ثم اراد سيف الدولة ان يضع يده على هذه البلاد الغنية الهامة . ولما كان لا يملك المال والجيش لتخقيق هذا الهدف فكر أن يستعين بأخيه فقصده الى الموصل . وهنا ترك الحديث لسيف الدولة نفسه : « فوصلت الى الموصل ... ودخلت

(٢) نقول المباشرة مجلة المجمع العلمي دمشق سنة ١٩٣٢ ص ٢٠

الى أخي وسلمت عليه فقال : ما أقدمك ؟ فقلت أمر اذكركه بعد ٥٥٥
 وشرح له فأظهر من المنع القبيح والرد الشديد غير قليل . ثم شافهته
 فكان أشد امتناعاً ، وطرح عليه جميع من كان يتجاسر على خطابه
 في مثل هذا فيردهم .. ولم يبق في نفسي من يجوز أن اطرحه عليه وأقدر
 ان يحيه إلا أمر أنه الكردي .. فقصدتها وخاطبتها في حاجتي وسألتها
 مسألته فقالت : انت تعلم حقيقة خلفه وقد ردك ، وان سألته عقيب ذلك
 ردني ايضاً فأخرق جاهي عنده ، ولم يقض الحاجة . وفي اثناء اقامة
 سيف الدولة هذه لدى أخيه في الموصل ورد كتاب من بغداد ينبي
 عن قتل أبي عبدالله البريدي اخاه ابا يوسف (سنة ٣٣٢) واستيلائه على
 البصرة (١) . فلما قرأت ذلك مع ما سمعته من كلامه مت جزعاً وفزعاً
 ولم أشك انه يعتقدني كأني ابو عبدالله البريدي في الاخلاق التي وصفه
 بها ويعتقد في نفسه انه كأبي يوسف وقد جثته في أمر جيش ومال . ولم
 أشك ان ذلك ضيول له أمراً في القبض علي وحبسي . وهرب سيف
 الدولة مع غلمانه من الموصل دون ان يودع اخاه أو يشعره برجله ؟
 وقد كنت منذ وردت وعسكري ظاهر البلد ولم أنزل داراً .. » .

واذا عرفنا ان ابا الهيجاء انهلك في الدسائس السياسية ببغداد وفي
 المعارك الحربية في مختلف الجبهات ، وقضى اكثر وقته خارج ديار
 ربيعة ، استطعنا ان نستنتج أن ناصر الدولة كان قد تدرب على الادارة
 والسياسة وفنون الحرب منذ صباه وانه أصبح الحاكم الفعلي لتلك الاقاليم
 في حياة ابيه . ففي سنة ٣١٤ أحدث العرب والاكراد اضطرابات في
 منطقة الموصل وطريق خراسان ، وكان ناصر الدولة ينوب عن ابيه
 بالموصل فكتب اليه ابوه يأمره بجمع الرجال والانحدار الى تكريت ،

لفعل وسار إليها ، فوصل إليها في رمضان واجتمع بأبيه واحضر العرب وطالبهم بما أحدثوا في عمله بعد أن قتل منهم ولكل بينهم ، فردوا على الناس شيئاً كثيراً (١) . فهذه العملية تدل على خبرة بالقتال وفعالية كبيرة هيأتا للحسن ناصر الدولة ان يشق طريقه في الحكم . وفي السنة ذاتها ضمن أبو الهيجاء أعمال الخراج والضياع بالموصل وقردى وبازبدي واقاليهما (٢) ، ولا بد ان ابنه الحسن كان المسؤول المباشر عن هذه الاعمال . غير أن تقدم الحسن في هذه المرحلة المبكرة من حياته العامة كان مرتبطاً كل الارتباط بمركز والده في بغداد ، ففي سنة ٣١٦ قلد المقتدر مؤنساً المؤنسي الموصل واعمالها ، وفي سنة ٣١٧ انجاز أبو الهيجاء الى مؤنس المظفر ضد المقتدر وحزبه ، وكان عنصراً أساسياً في خلع المقتدر ثم مقتل أبي الهيجاء في خلال تلك الازمة على النحو الذي مر بنا .

تمكنت هذه الاوضاع على الحسن بطبيعة الحال فعزل في سنة ٣١٨ (في ربيع الاول) عن الموصل ووايها عماء سعيد ونصر . لكنه تولى ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والحلب ورأس عين وميافارقين وارزن (من ديار بكر) مقابل مال يدفعه للخلافة على سبيل الضمان فاستقر في منطقة نفوذه الجديدة في ربيع الآخر ، كما استقر عماء سعيد ونصر في الموصل (٣) . واعتقد ان المقتدر كان يدرك مدى حاجته

(١) ابن الاثير ، الكامل ١٦٣/٨

(٢) نفس المصدر ١٦٧/٨

(٣) نفس المصدر ٢١٧/٨ (بروج) ٦٨/٨ (القاهرة)

للحمدانيين ذوي النفوذ في الجزيرة ، فكان لا يستطيع الاستغناء عنهم رغم شكه فيهم وريبتهم ، بعد أن جرب العلاقة مع الذين من أمة آل حمدان هما الحسين و ابو الميجاء ، اللذان قتلوا كلاهما إبان حكمه .
ومما يؤيد حاجة المقتدر للحمدانيين ان منطقة الجزيرة شهدت في ذلك العام بالذات (٣١٨) حركة خوارج جديدة عنيفة هددت املاك الخلافة وزادت طينها بلة . فقد ظهر خارجي من بجيلة من أهل مدينة البوازيج يدعى صالح بن محمود سار بأعوانه من بني مالك الى سنجار فجبي الأموال من أهلها ، وفرض العشور على القوافل التجارية ، ووصل الشجاعة من أرض الموصل وانحدر الى الحديثة (أسفل الموصل) فطالب المسلمين بالزكاة والنصارى بالجزية . وهنا يبرز دور الحمدانيين ، فقد تصدى للخوارج نصر بن حمدان (اصغر الاخوة) وهو أمير الموصل (يشاركه في إمارتها اخوه سعيد) واستطاع أن يأسر ابناً لصالح اسمه محمد ويعتقله في الموصل . ثم اخذ يطارده صالِحاً نفسه حتى البوازيج ، حيث جرت بينهما معركة حامية الوطيس قتل فيها كثير من الخوارج وأسر زعيمهم مع ابنين له حملهم نصر الى الموصل ثم أرسلهم الى بغداد مشهورين (١) :

ثم ظهر خارجي آخر بأرض الموصل في نفس السنة - هو الأغر بن مطر الثعلبي - راجت دعوته في نواحي رأس العين وكفرتونا واجتمع معه نحو ألفي رجل ، وتصدى لنصبيين وهزم جيش والبها وأسر منهم ألف رجل ، فباعهم نفوسهم (٢) ، وصالحه أهل نصبيين على اربعمائة

(١) ابن الأثير ٢٢٠/٨ - ٢٢١

(٢) نفس المصدر ٢٢١/٨

الف درهم . ولم يستطع القضاء على الأغر سوى الحسن ناصر الدولة
أمير ديار ربيعة فقد استطاع أن يأسره ويبعث به الى بغداد (١) .

ولم تكن فائدة آل حمدان للخلافة تتجلى في تصديهم للحركات
الداخلية وحدها ، فقد لعبوا منذ هذا الوقت - بل وقبله - دوراً بارزاً في
صد خطر الروم ، وهي مهمة قاموا بها على أحسن الوجوه . والحق أن
المقتدر حين ولي سعيداً بن حمدان وإخاه نصرأ الموصل وديار ربيعة
اشترط عليها غزو الروم ، وإن استرجعاً ملطية التي انهضت مقاومة
أهلها أمام الروم فسلموهم مفتاحها . وفي سنة ٣١٩/٩٣١م تقدم الروم
الى سيمساط فحاصروها ، فاستنجد أهلها بسعيد بن حمدان ، فتجهز وسار
اليهم على عجل فهزم الروم ، وتقدم الى ملطية ففارقها الروم وحلفاؤهم
الأرمن حين رأوا كثافة جيش سعيد بن حمدان وثورة أهل المدينة
عليهم . وهكذا دخلها سعيد ونصب عليها أميراً مسلماً ، ثم توغل غازیاً
في أرض الروم (٢) :

٣- الصراع مع مؤنس

يبدو أن الحمدانيين هجروا بغداد كلهم بعد النكبات التي أصابتهم
فأودت بعميدينهم الحسين وأبي الهيجاء . ففي هذه الفترة (أي منذ سنة
٣١٨) نجد في الموصل سعيداً ونصرأ وداود وناصر الدولة الحسن بن
أبي الهيجاء وغيرهم من أفراد الاسرة . غير أن اللعائن السياسية
والصراع على السلطة في بلاط الخلافة انعكس عليهم بصورة مباشرة في

(١) نفس المصدر والمكان .

(٢) ابن الاثير ٢٥٣/٨

سنة ٣٢٠ ، فقد ساءت العلاقات بين المقتدر ومؤنس المظفر خلال هذا العام فسار الى الموصل بفرقة العسكرية بعد أن أعلن خصومته السافرة للخليفة :

كانت الدساس قد بلغت اشدها في بلاط المقتدر في سنة ٣٢٠ ، وأصبح الصراع مكشوفاً وعنيفاً بين الخليفة وقائده العجوز مؤنس الذي غدا الآن مريضاً بالنقرس حتى انه أوكل شؤون الجند الى غلامه يلى السدي كان ينوب عنه في لقاء الخليفة . وبدأ مؤنس ان الحاشية وعلى رأسها الوزير الحسين بن القاسم وهارون بن الحمال ومفلح وياقوت الحاجب وابنا رائق (١) وغيرهم ، أوعزوا صدر المقتدر عليه بحيث أخذ يجرده وجماعته من السلطات ، بل بدا واضحاً انهم يريدون ان يوقعوا به . ومن ثم خرج مؤنس من بغداد نحو الموصل في خمسمائة من مماليكه البيض والسود ونحو سبعين من القرامطة الأشداء (وهذا أمر يلفت النظر) يستند ظهره جيش من الف وخمسمائة بقيادة يلى (٢) . وحين ضاقت الحيل بمؤنس فكر في ان خير ما يفعله ان يلجأ الى بني حمدان لانه كما يقول عريب : لم يجد في نفسه أوثق عنده ولا اشكر ليده من بني حمدان فإنه كان عند ذكره اياهم يقول هم أولادي وانا اظهرتهم : وكانت له عند الحسين بن حمدان (٣) ودبة فأراد ان يحتاز به ويأخذها

(١) كان ابنا رائق (من الأتراك) من حزب مؤنس وقد وقع مكانهما في بلاط المقتدر ثم تحرلا عنه .

(٢) نسب الى يلى فرقة من المالك اليلقية (مسكويه ٢٦٠/١)

(٣) حلة الطبري (١١٨ - ١٢٠) الحسين بن حمدان . هو أبو عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان (ديوان امي فراس ص ١٣٣)

ويسير بها الى الرقة ، وقد كان بلغه تجمع بني حمدان وحشدتهم لمحاربتهم فلم يصدق ذلك ثقة منه بهم (١) . ويضيف ابن الاثير (٢) ما يؤيد أقوال عريب ، فقد قال مؤنس حين بلغه استعداد الحمدانيين لحربه وان داود بن حمدان عازم على قتله : « كيف يقاتلني وقد اخذته طفلاً وربيتة في حجرى » . والحق ان بغداد أمرت بني حمدان بقتال مؤنس وأجمع اقطاب الاسرة على ذلك عدا داود الذي رفض ان يقف هذا الموقف ، فقد كان مؤنس قد تبناه بعد موت ابيه حمدان ورباه في حجره وأحسن إليه إحساناً عظيماً ، مما يلقي اضواء على العلاقة المتينة بين مؤنس وبين حمدان .

ماذا كانت نوايا مؤنس ؟ يقول ابن الاثير (٣) انه كتب وهو في طريقه الى الموصل الى رؤساء القبائل العربية يستلعيهم ويدل لهم الاموال ويزعم لهم ان الخليفة ولاء الموصل وديار ربيعة . في حين يذكر عريب (٤) - كما أسلفنا - انه كان يريد ان يأخذ ودائعه لدى الحسين بن حمدان (٥) ويلهب الى الرقة . ومهما يكن من أمر فان الحمدانيين

(١) عريب ، حلة الطبري ص ١١٨

(٢) ابن الاثير ص ٢٢٩

(٣) ٨٣ ص ٢٢٩

(٤) ص ١١٨

(٥) ذكر ابن خالويه (شرح ديوان ابي فراس ١٣٢) سيرة الحسين بن سعيد بن حمدان ، وقال انه كان يشارك في ادارة الموصل مع عمه نصر . وكانت له وقعة مع ابي يوسف الشامي ، وكان الحسين يمارس الحرب ونصر يخطط الامور الادارية للجيش . واتصر الحمدانيون واسروا الخارجي الذي اشار قبل الحرب الى ضخامة جيش الحمدانيين وطلب مجازاة الحسين وابي السرايا بقوله :

دعني من اليهم وعاف الجلة ابا السرايا و ابا عبدالله

استجابوا لطلب الخلافة في التصدي لقتال مؤنس وجعلوا الفضل العميم الذي اسداه ال افراد اسرتهم . وربما كان للشايات أثر في موقف الحمدانيين من مؤنس ، فقد يكمن قد وصل الى علمهم ما قاله لشيخ القبائل في طريقه الى الموصل من ان الخليفة ولاء الموصل وديار ربيعة ، فأشفقوا على مركزهم وانبروا للدفاع عن وطنهم . ثم نستطيع ان نصيف الى ذلك عدم الثقة بين الحمدانيين ومؤنس وغيره من الازراك والاجانب الذين كان لهم الامر في هذا العصر ، وقد يكونون مدفوعين بالاطماع والمطامح التي يستطيعون ان يحققوها بوقوفهم الى جانب الخلافة . يؤيد كل ذلك الرسالة التي وافى بها مؤنساً بشري النصراني كاتب ابي سليمان داود بن حمدان في آخر محرم ، « وأدى اليه رسالة صاحبه ورسالة الحسين بن حمدان وابي العلاء وابي السرايا بأنهم على شكره ومعرفة حق يده ولكنهم لا يدرون كيف الخلاص مما وقعوا فيه ، فأن اطاعوا سلطانهم كانوا قد كفروا نعمة مؤنس اليهم وان اطاعوا مؤنساً وعصوا سلطانهم نسبوا الى الخلعان وسأوه ان يعدل عن بلدهم لئلا يلتقوا به ولا يمتحنوا بحربه » . فقال له مؤنس : « قل لهم عني قد ظننت بكم غير هذا وما اخذت نحوكم الا لثقتي بكم وطمعي في شكركم ، فاذا خالفتهم الظن فليس الى العدول عنكم سبيل ونحن سائرون نحوكم بالغد كائن ما كان منكم وارجو ان احساني اليكم سيكون من انصاري عليكم وخذ لانكم لي غير صارف لفضل الله عني » (١) .

وصل مؤنس فعسكر في قصور مرج جهينة ، على حين عسكر

الحمدانيون بمحسباء الموصلي : وروي الفرغاني عن شاهد عيان شهيد المعركة وكان ضمن جيش مؤنس (١) . ان القتال جرى يوم الاحد ٣ صفر سنة ٣٢٠ . وكان جيش مؤنس قليل العدد يتكون من ثمانمائة وثلاثة وأربعين فارساً ومائة وثلاثين راجلاً (بين اسود وابيض) (٢) ، على حين كان بنو حمدان في جيش ضخم من العرب والمجسم والقبائل الاعراب (اما ابن الاثير (٣) فقد قلر جيش الحمدانيين بثلاثين ألفاً كان منهم جماعات من مصر والشام وبغداد) : وفي بداية الحرب أصابت نيلة داود بن حمدان دخلت من كم درعه فصرعته (٤) : وحلت

(١) هو احمد بن الحسن زهران الذي نقل عنه الفرغاني (حريب ، ص ١١٩ الطبري)

(٢) ص ١١٩ الطبري . ابن الاثير ٢٣٨/٨ (ثمانمائة رجل) .

(٣) الكامل ٢٤٠/٨ .

(٤) يقول ابن خالويه (ديوان ابي فراس ١٣٢) في شرح قول ابي فراس « وصي الذي سمته قيس موزناً » : كان ابو سليمان (داود) مع اخيه ابي الهيجاء يوم النبية .. وكان يشرق الرياح تشرع اليه فلا لطفه لمسي يوسخ بالمردفن ، ووجد في يده اربع وعشرون طنة وطنة عبدالله بن مودوع الصياحي طنة في صدره كادت تقتله . وسألت بعض من شهد الواقعة من شيوخ العرب عن موقف ابي الهيجاء . وابي سليمان فقال لابي سليمان ... المردفن اول النهار ولاي الهيجاء آخره . وكانت تحت ابي سليمان فرس يرشاه صيرت على الطراد والمجراج كصيرة فطلبها المقتدر فتأدما اليه فبطنى انه كان يركبها ويكره على الحقد ويقول : انا المردفن .

ويقول ابن الاثير (٢٤٠/٨) ان داود سمي بالمجسط وفيه يقول الشاعر :

لو كنت في الف الف كلهم بطل مثل المجسط داود بن حمدان ... الخ

يقول ابن الاثير « ٢٣٩/٨ » رفض داود ان يقاتل مؤناً . فلم يزل به اعنوه حتى وافق . وذكروا له اساءة الحسين وابي الهيجاء الى المقتدر وانهم يريدون غسل هذه السيئات . وقال لهم : والله انكم لتصلوني على النبي وكفران الاحسان . وما آمن ان يعينني سهم طائر فيقع في نحرى فيقتلني .

ميمنة يلبق على ميسرة بني حمدان ، فقلعتها وطحنتها وهرق أكثرهم في دجلة ثم حل يلبق بنفسه ورجاله الذين كانوا في القلب على قلب عسكر بني حمدان فهزموا من كان فيه وانصل القتل فيهم وأسر ابن لأبي السرايا ابن حمدان .. ودخل مؤنس الموصل لأربع خلون من صفر (١) .

كان انتصار مؤنس حاسماً وغير متوقع ، وقد التحق بجيشه بعد النصر كثير من انصار الحمدانيين : وحاول بنو حمدان انقاذ ما يمكن انقاذه فتوجه ابو العلاء بن حمدان واخوه ابو السرايا نصر الى بغداد طالبين نجدة الخليفة (٢) . وتحصن الحسن (ناصر الدولة) في جبال معلثايا مع جماعة من غلمان الحمدانيين ، لكن يلبق هزمه ففر الحسن الى الجانب الغربي هارباً (٣) . وخسر الحمدانيون نفوذهم في المنطقة - مؤقتاً - فقد عزل ولاتهم وعالمهم وقلد يلبق (بالنيابة عن مؤنس) اقرباءه وانصاره اعمال نصيين وجزيرة ابن عمر والحديثة وغيرها من اعمال الجزيرة : وارتفعت سمعة مؤنس في بغداد فعاد اليه كثير من انصاره القدامى ، كما عاد اليه بنو بن نليس من بلاد الروم في قومه (٤) ، وبدر الحرشي من أرزن في ثلاثانة وجل وطريف السبكري من حلب في اربعمائة فارس (وهؤلاء من القادة الأتراك) . والتحق بعسكر مؤنس كذلك كثير من انصاره القدامى في بغداد امثال بالدوا (غلام ابن ابي الساج)

(١) الصلة ١٢٩ . كذلك الكامل ٢٤٠/٨

(٢) الصلة ١١٩

(٣) نفس المصدر ١٢٠

(٤) يقول ابن الأثير ٢٣٥/٨ ان بني (بشم الباء) ولعديد التون) بن نليس صاحب المقدر وكان قد تنصر والتحق بالروم

في عاتق فارس . بل ان الحسن ناصر الدولة لم يلبث ان طلب اللجوء الى مؤنس بعد ان ضاقت به الارض وانقطع امله في ان تصله نجدة من الخليفة ، فامته مؤنس وفرح بقدمه وقال له : « نحن في ضيافتك منذ سبعة اشهر على كره منك . فشكره الحسن ولم يزل واقفاً بين يدي مؤنس في ذراعة وعمامة بغير سيف (دلالة على الاستسلام والخنوع) مدة مقام مؤنس بالموصل » (١) . وهكذا تنجل لنا قدرة ناصر الدولة على التغلب الشباسي مددوعاً بطموحه .

أصبح مؤنس سيد الموقف ، وبخاصة بعد ان ساءت الاحوال في بغداد وثار العامة على المقتدر واتهموه بأنه اخضاع النفوز وابطل الجهاد وانقطع عن النظر في أمور المسلمين ولا اشتغل بالغنائم والزلازل النظر في أمور الحرمين والنفوز . يفريق مال الله في اعداء الله ولا يخافنا خفائاً ولا ينتظر معاداً (٢) . انتهز مؤنس هذه الأوضاع فسار الى بغداد بعد ان قلد من يثق بهم أعمال الموصل ونصيبين وبعربايا وغيرها من أعمال الجزيرة . ومن الطريق راسل مؤنس المقتدر مظهراً أنه ليس بعاص ولا يريد احداث الفتن وازاقة الدماء ، وطلب الى الخليفة ان لا يتصدى لحربه في ذلك الشئ والفرقة وذهاب القدد وحذوث البلاء وفناء الرجال (٣) . غير ان الحاشية التي تكرر مؤساً وتخشاها اكرهت المقتدر على القتال ، وانتهى الامر بقتله وبجبي القاهر الى الخلافة في يوم الخميس للبلتين بقينا من شوال سنة ٢٢٠/٢٢٢ م . والدي بهمننا هنا . اننا نجد في جيش المقتدر ابا القلايد

(١) حلة الطبري ١٢٠ . ابن الاثير ٢٤٠ / ٨

(٢) حلة الطبري ١٢١

(٣) حلة الطبري ١٢٢ يقول ابن الاثير ٢٤٣ / ٨ ان المقتدر بدر وضع سبعين مليون دينار

سليمان بن حمدان (شيخ بني حمدان) (١) الذي أسره عسكر مؤنس ، كما نجد
أيضاً أبا العلاء سعيد بن حمدان الذي نصح القنندر ان لا ينسحب من
المعركة لئلا ينهزم جيشه .

كان الحسن ناصر الدولة يسمى سعباً حثيثاً لتكوين مجده للشخصي
ورسائه دعائم إمارة واسعة في الجزيرة تكون الموصل حاضرتها ويكون
هو أميرها غير المتنازع . والحق ان لناصر الدولة كان ممكناً له أن
يقوم بمثل هذا الدور . لقد عاش ناصر الدولة طوال حياته عيشة عسكرية
خشنة اشبه بعيشة الجنود منها بالأمراء ، وقد مثل الخصال البدوية خير
تمثيل حتى في أوج مجده . فقد كانت حياته خشنة وبسيطة حتى في عهد
توليّه امرة الامراء ، وبخاصة اذا قورلت بحياة الخاصة في ذلك
العصر :

أخذ ناصر للدولة منذ ان تولى أعمال ابيه يسعى الى غاياته بدون كلل ،
وقد سلك في سبيل الوصول اليها طرقاً ملتوية كالت تدمغه في كثير من
الحالات بالعقوق لاسرته وبالخروج على السلوك السوي . ومن هذه
المواقف التي لا تبرر خلقياً جره عمه داود الى معركة ضد مؤنس خسر
فيها حياته ، ثم لنحيازه هو الى مؤنس بصورة مكشوفة . اصلاً الحادثة
الآخري فهي اغتيال عمه ابي العلاء سعيد في سنة ٩٣٤/٣٢٣ م لأنه ضمن
أعمال ابن اخيه (لناصر الدولة) سرّاً بمال يحمله الى ديوان الخليفة

الراحمي ببغداد (١) . وتفصيل الأمر ان سعيد أذهب الى بغداد سرّاً فضمّن الموصل وديار ربيعة دون علم ابن اخيه الذي كان أميراً بها بصورة رسمية . وخرج سعيد من بغداد في خمسين رجلاً ، بحجة انه متوجه ليطلب مال الخليفة من ابن اخيه ، فلما وصل الى الموصل خرج ابن اخيه للقاءه لكنه . تعمد ان يذهب من طريق آخر ، وربما كان انصاره وأهواله في بغداد قد وافوه بالاختبار فأراد ان يأخذ عمه على حين غرة . ووصل ابو العلاء سعيد الى الموصل فدخل دار ابن اخيه وسأل عنه فقبيل : انه خرج الى لقائك . وجلس ينتظره ، فلما علم ناصر الدولة بوجوده في داره أرسل جماعة من غلمانة فقبضوا عليه ثم انفذ جماعة آخرين قتلوه (٢) . فأني خلقي عجيب في هذا المرقف ؟ ان بعض اللوم بطبيعة الحال ينصب على ابي العلاء سعيد ، فما كان يجب ان يسلك هذا السلوك ضد ابن اخيه ، غير ان تصدي ناصر الدولة الى قتل عمه وهو ضيفه وفي داره أمر لا ينسجم مع قيم الضيافة وصلة الرحم .

كان أبو العلاء سعيد أحد أولاد عديدين ذكور الحمدان بن حمدون ، واستطيع ان اجزم بأنه كان من أم اخرى غير أم ابي الهيجاء عبدالله والد الحسن ناصر الدولة . ذلك ان حمدان - كما يبدو - تزوج عدة زوجات ربما كان بينهن زوجة كردية . وسعيد هذا هو ابو الشاعر الحمداني ابي فراس الحارث ، الذي ولد في سنة ٩٣٢/٣٢٠ م وكان عمره ثلاث سنوات فقط حين اغتيل ابوه (٣) وكان ابو العلاء مقرباً لدى المقتدر ائماً عنده

(١) الذهبي ١٦ / ورقة ٤٢ ب : ابن الاثير الكامل ٢٠٩/٨ . بيروت . و ص ٩٨ مصر .

(٢) الذهبي ، تاريخ الاسلام ١٦ / ورقة ٤٢ ب

(٣) يقول ابن خلكان ، وفيات الاعيان ١/٣٠٢ مصر . ، كان مولد ابي فراس في سنة ٣٢٠

وقبل ٣٢١

مثنى قال ابن خلدويه (١) : « كان أبو العلاء سعيد بن حمدان ملازماً جفيرة المقتدر مكيناً عنده وكان أكثر موافقه بين يديه وعلى بابه ، ولما عظم أمر الرجال وساروا الى باب المقتدر في اربعين ألفاً فهزموا ابن باقوت الحاجب والحجرية والساجية معهم ، وكان أبو العلاء في دار الخليفة ، عن غير أهبة فأمره بالخروج اليهم ودفع اليه جيوش المعتضد وخرج فبعين خراج معه من غلنامه وضرب فيهم فغشوه في كل ناحية واثخنوه بالجراح وثبت حتى هزمهم . ونحن نجد سعيداً فعلاً في جيش المقتدر في المعركة الحاسمة التي قتل فيها الخليفة من جانب جيش مؤنس ، فقد روى عرب (٢) ان المقتدر - حين رأى رجحان كفة مؤنس - « اراد العدول الى المضرب أو الى الحراسة (٣) فلقبه سعيد بن حمدان فقال له : يا أمير المؤمنين قد وقعت العين على العين فأن رأك من حولك قد زلت انهزموا وانقلوا » .

ان اغتيال ناصر الدولة عمه سعيداً اوغر صدر الخليفة الراضي الذي انكر هذا العمل واعتبره تحدياً له . ذلك ان الخليفة فيما يبدو كان ينوي عزل ناصر الدولة عن الموصل التي نالها جزاء انحيازه الى مؤنس (٤) . ولا بد ان ناصر الدولة كان يؤخر الاموال المقررة عليه او ينقطع عن ارسالها في وقت كانت السلطة المركزية فيه في اشد الحاجة الى المال ، فاستغل سعيد حاجة البلاط هذه ، وربما وعد بأرسال مبالغ مغرية . ومهما يكن من شيء فنحن لا نستطيع نغفر لناصر الدولة هذه القفلة

(١) ديوان ابي فراس ، الفرج ، ١٣٤ .

(٢) سلة الطبري ١٢٤ .

(٣) الحراسة نوع من السن

(٤) الذهبي ، تاريخ الاسلام ١٦ / ورقة ٤٣ ب

التي تدل على الغدر ولا يمكن تبررها بان عمه هو الذي بدأه بالحياة ،
فقد كان يستطيع ان يعتقله ويسجنه مثلاً . لكن مزاج ناصر الدولة
انتضح ويتضح في مواقف اخرى مشابهة ، ولم يكن لاعتبار من الاعتبارات
- بما في ذلك القرابة - ان يقف في طريق طموحه : وعبر الراضي عن
غضبه بأرسال جيش بقيادة الوزير ابن مقله لقتل ناصر الدولة ، الذي
رحل عن الموصل الى (الزوزان) فلما تبعه الوزير الى جبل (التنين) لم
يستطع ان يظفر به فعاد الى الموصل بجي اموالها . ولما بدا ان الوزير
اطال البقاء بالموصل لجأ بعض اصحاب ناصر الدولة في بغداد الى الحيلة
ورشوا ابن الوزير فكتب اليه ان يعود الى العاصمة لان شؤونها قد اختلت ،
فعاد ابن مقله بعد ان عين على الموصل عاملاً ينشئ بها مما علي بن خلف
بن طياب وما كرد الديلمي ، ومن ثم عاد ناصر الدولة فخاض حرباً مع
ما كرد هزم فيها ، ثم عاد فجمع جيشاً جديداً هزم ما كرد عند نصيبين
في ذي الحجة سنة ٣٤٣ . وحين عجز العاملان عن تحقيق اي نصر عادا
الى بغداد ، فاستولى الحسن ناصر الدولة على الموصل وديار ربعة ، وراسل
الراضي يطلب الصفح وأن يضمن البلاد فأجيب الى طلبه (١) ،

وفي بدايات سنة ٩٣٥/٣٢٤ م ازداد نفوذ ناصر الدولة وامتد سلطانه
فتولى المنطقة الشاسعة المستدة من تكريت الى آمد وفق نظام الضمان ، وحاول
ان يثبت مركزه باسترضاء الرأي العام في بغداد وسامراء فكان يرسل
الدقيق والأقوات الى هاتين المدينتين كلما حصلت مجاعة ، وهو أمر قام
به عدة مرات في السنوات ٣٢٤ و ٣٢٩ و ٣٣٤ (٢) . أي ان نفوذ لناصر

(١) الذهبي . تاريخ الاسلام / ١٦ / ورقة ١٤١ أ . ابن الاثير ٩٨/٨

(٢) سلكية : مصادر الأمم ٨٧/٢

الدولة اتسع وازداد ايام الفوضى خلال فترة إمرة الأمراء (٣٢٤-٣٣٤ / ٩٣٥-٩٤٥ م) . وفي هذا الصدد يقول الصولي (١) في حوادث سنة ٣٣٠ :
 عز الدقيق بمدينة السلام فلم يوجد فبعث المتقي لله بأبي الفرج المالكي
 القاضى الى الحسن بن عبدالله بأمره بإدراة حمى الدقيق ، وقد كان
 المكوك (٢) بلغ سنة دراهم ، فجاء الدقيق في شهر ربيع الآخر فصلح السعر .

٤- الحمدانيون وإمارة الأمراء

(أ) عصر إمرة الأمراء

لم يكن الفساهر بالله خيراً من سلفه فقد ورث عيوبه وهي اللهو
 والتبذير وضعف الإرادة وإهمال الإصلاح . وفي عهده ظهر بنو بويه
 وامتد نفوذهم الى فارس والاهواز (٣) . فلما خلع سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م
 وبخلقه الراضى (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) (٩٣٤ - ٩٤٠ م) كانت الدولة التي
 حافظ عليها الخلفاء الأول قد تبددت وتناثرت اشلاء ، فاستقل السامانيون
 بخراسان وما وراء النهر واحتلوا اذربيجان وارمينية ، وانفصل اهل
 كرمان ، وصارت مصر بيد الاخشيديين ، واخذ البيزنطيون يجتاحون
 الثغور واحدا بعد الآخر حتى اضطر الراضى الى مهاذنتهم (٤) . اما في
 الداخل فنجد الخليفة غاية في الجشع وفساد النية ، وخير مثل لذلك تلك
 المعاملة القاسية التي لقنها علي بن عيسى فقد قبض عليه الراضى سنة ٣٢٣

(١) الاورال ٢٢٥-٢٢٦

(٢) المكوك مكبال وموتلات كيلعات والكيلعاتاً وسبة اثمان (القويمى ، المصباح المجلد ٧٩٣)

(٣) القفري في الاداب السلطانية ٣٢٣

(٤) Khan Bahadur, History of the muslim world, P , 133

وارغمه على ان يوقع ورقة بخمسين الف دينار (١) .

ولما بس الخليفة من تحقيق الاصلاح كتب الى محمد بن رائق والي البصرة وواسط واستد اليه امرة الامراء سنة ٣٢٤ هـ أي فوضه جميع شؤون الخلافة . وقد خطا الراضي هذه الخطوة لان وزراءه اثبتوا عجزهم ، وكيف نتوقع الاصلاح من اشخاص مرتشين وصلوا الى المنصب عن طريق المؤامرات وشراء الذمم ؟ وسرعان ما غدا « امير الامراء » ابرل وروس للدولة فقد كان يشرف على الإدارة وقيادة الجيش والشؤون المالية (٢) . وبإعلان امرة الامراء بطلت الوزارة وصارت امور النواحي تحمل الى خزائن الامراء فيأمرون وينهون فيها . وينفقون كما يرون ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون (٣) . وهكذا « امير الامراء رأس الدولة الفعل حتى شارك الخليفة في خطبة الجمعة (٤) » .

اضمحلت السيادة العباسية في عصر امرة الامراء (٣٢٤-٣٣٤ هـ) ، فاعلنت الولايات استقلالها واصبحت البصرة في يد ابن رائق وخوزستان في يد البريدي وفارس في يد عماد الدولة بن بويه ، واستولى ركن الدولة بن بويه على الري وأصبهان والجيل تنازعه في حكمها وشكّر بن زياد آخر مردابنج كما انفصل مغامر آخر يدعى محمد بن الياس بكرمان ، واستقل الحمدانيون بالموصل وديار بكر وديار مضر وديار ربيعة . اما مصر والشام فكانت في يد الاخشيديين ، وظهر في المغرب الفاطميون وكان يجلس على

(١) الصولي الأوراق ٦٦

(٢) ابن الاثير ١٠٣/٨ ابن خلدون ١٠١/٣

(٣) مسكويه . تجارب الامم ٣٠١/١

(٤) mufr , Caliphate , P , 569

عرش خلافتهم القاسم بامر الله السدي تلقب بلقب امير المؤمنين (١) :
 واذا عرفنا ان الامويين في الاندلس اعلنوا خلافة ثالثة في قرطبة سنة ٣١٧هـ
 على عهد عبد الرحمن الناصر وان السامانيين استقلوا بخراسان وما وراء
 النهر ، واستولى الديلم على طبرستان وجرجان واستقل ابو طاهر القرمطي
 بالبحرين والهام (٢) ادركنا انه لم يبق بيد الخليفة غير بغداد وضواحيها
 والامر الفعلي فيها لابن رائق (٣) .

لقد اختلت امور الخلافة وصارت الدولة ما بين « خارجي قد تغلب
 عليها او عامل لا يحمل مالا . وصاروا مثل ملوك الطوائف ولم يبق بيد
 الراضي غير بغداد والسواد » (٤) . بل ان الخليفة الراضي اصبح الى جانب
 ابن رائق « صورة بلامعنى » (٥) . ان الامبراطورية الواسعة التي كانت تتجمع
 بقاعها الشاسعة وشعوبها المختلفة تحت رمز واحد هو الخليفة العباسي لم
 تعد تؤمن بهذا الرمز فانقسمت الى ثلاث خلافات ، العباسية والفاطمية
 والاموية في الاندلس . بل ان مغامرين آخرين لم يعدوا يؤمنون بالدولة
 العربية نفسها ، فآمن مرداويج بن زبار الديلمي بضرورة احياء دولة
 الفرس القديمة واستولى على قزوین والري واصبهان وطبرستان وجرجان
 وهمدان ابتداء من سنة ٣٢٢هـ بل عزم على أخذ بغداد ذاتها لولا ان
 اغتاله غيابه بزعماء بجكم الديلمي (٦) .

-
- (١) الذهبي . تاريخ الاسلام . مخطوط . ١٦ ورقة ٣٩ ب
 (٢) ابن الاثير ١٠٣/٨ . ابو الفدا ٨٤/٢ . القرطبي . اخبار الدول ١٠/١
 (٣) السيويني . تاريخ الخلفاء . ١٥٧
 (٤) المصدر السابق ١٥٧
 (٥) الذهبي . تاريخ الاسلام . مخطوط . ١٦ ورقة ٣٢ ب . ١٣٥
 (٦) الصولي . اخبار الراضي والنجفي ٢٢-٢٣

ونجد في عام ٨٣٢٦ شخصيتين هامتين في تاريخ الدولة العباسية ابان هذه الفترة اولها ابو عبدالله البريدي صاحب الاوز الذي استولى على واسط. وبعد بغداد فقصده الخليفة برفقة ابن رائق (١) ، وثانيهما بجكم الذي سار الى بغداد بالفعل لحرب سيده ابن رائق فدخلها منتصرا سنة ٣٢٧ وألتمذ اليه إمرة الأمراء (٢) . ولم يكن جهد بجكم خيرا من سلفه فقد بدأ بالشغب والغرضى وكثرة الجرائم والسرقات وبندرة الاقوات . وعبر الراضي نفسه عن سوء الاحوال واستبداد الاجانب بقوله (٣) «واكثر ما فيه الذي يسألني كلب من كلابهم فلا املك رده وان رددته غضبوا ونجموا وتكلموا» ٥١٤.

بلغت الاحوال العامة حداً كبيراً من السوء في أيام إمارة بجكم ، بسبب تسلط القواد العسكريين الاتراك ، فن جهة كان القرامطة ذوي نفوذ في سواد العراق، وكانوا يقتحمون الكوفة بسهولة ويسر كما أرادوا ذلك (٤) ، وكان للشيعة الامامية من جهة اخرى نفوذ وانصار ، حتى ان الرباضي نفسه ذكر لمخاضته : ان الامامية كلوا يحملون الاموال الى ابي القاسم الحسين بن روح التوبختي (٥) . - وكالت الاسعار غير مستقرة في بغداد وتلزم العامة على أشده ، وزاد الطين بلة ان الجند الأجانب كانوا يضايقون الباعة ويعتدون عليهم ، بل انهم - بسبب خلاف مع يقال في

(١) ابن كثير - البداية والنهاية ١١ / ١٨٧

(٢) ابن الاثير ٨ / ٣٤٨

(٣) الصولي . الأوراق ٤١

(٤) نفس المصدر ٨٨

(٥) نفس المصدر ١٠٤

بغداد - أحرقوا حوانيت كثيرة « في سوق الثلاثاء الى ناحية المخرم (١) :
 لقد بلغ الاستهتار بان رائق انه أقدم - خلال صراعه مع بجكم -
 سنة ٣٢٦ - على احداث خرق في نهر دبالى ، وفعل افغالا كانت سبباً لبقى
 النهر وان الذي خربت به الدنيا ، وافتقر الناس وغلت الاسعار (٢) :
 يضاف الى كل ذلك ان البريديين ظلوا يهددون جنوب العراق وواسطه ،
 والديلم يخططون للوصول الى بغداد ، والروم يهددون الحدود تهدبداً
 مستمراً ، كل هذه الاخطاسر كانت تحلق بالخليفه ، وهو مكتوف
 اليدين ومشغول بالصراع الداخلي ولا يستطيع ان يفعل شيئاً خاصة
 والخزينة خاوية الوفاض ، والفرق العسكرية دائبة على الشغب في طلب
 الأرزاق :

والحق ان الراضي نفسه شخص الأزممة بقوله لخاصته (٣) :
 « كآني بالناس يقولون أرضي هذا الخليفة بأن يدر أمره عبد تركي ، حتى
 يتحكم في المال وينفرد بالتدبير ؟ ولا يدرون ان هذا الامر أفسد قبلي ،
 وأدخلني فيه قوم بغير شهوتي ، فسلمت الى ساجية وحجرية يتسحبون
 علي ويجلسون في اليوم مرات ويقصدوني ليلاً ، ويريد كل واحد منهم
 ان أخصه دون صاحبه ، وان يكون له بيت مال ... »

سادت علاقة الخلافة بالحمدانيين بسبب تأخير الحسن بن عبد الله المال
 المفروض عليه - مقابل ضمان ديار ربعة - سنة ٣٢٧/٩٣٨ م ، فخرج
 الراضي في الحسرم من هذه السنة نحو سامراء ومعه بجكم أمير الأمراء

(١) نفس المصدر ١٠٤

(٢) نفس المصدر ١٠٦

(٣) نفس المصدر ٤١

متجهين الى الموصل لحرب الحمدانيين ، على الرغم من احتجاج العامة الذين كانوا يكتنون للحسن الود والمحبة بسبب امداده ببغداد وسامراء بالدينور والميرة في اوقات القلاء والمجاعة ، و له ليرة بالأشراف ومسا يتصدق على الضعفي يسر من رأى وبغداد ، ولكفاية اخيه على الناس أمر الثغور والغزو . وعنايته بغزو الصائفة وغيرها (١) . ويقول الصولي (٢) - الذي كان يصحبة للخليفة - انه وبعض المخلصين نصحووا الراضي بالآ - يغادر سامراء ، خاصة وان ابن رائق كان يتأمر لاحتلال بغداد والاستيلاء على السلطة ، وان الحسن بن عبدالله الحمداني (ناصر الدولة) راسل الخليفة ببدي استعدادده بدفع اكثر مما يراد منه من المبالغ . ويعبر الصولي بوضوح عما يدور في اذهان الرأي العام من عطف على الحمدانيين العرب المسلمين ونقمته على جيش المرتزقة الذي يسير به الخليفة الى الموصل و يقول الصولي (٣) انه انفرد بالخليفة بسامراء فنصحه بأن « الناس يتحدثون بأن العسكر الذي قد رحلت لتزيله أشبه بصاكر الاسلام من العسكر الذي تقصده به من قوم لا يرون طاعتك وأشبه بصاكر آبائك » وقد تحدثوا بأن الحسن قد بذل اكثر مما أريد منه ، فإن رأى سيدنا أن يقبل هذا ويرجع الى دار ملكه ويؤول ما يخافه من وثوب ابن رابق فإنه غير مأمون . . . ومع هذا فإن الحسن بن عبدالله قد لظر الى أقرب الناس من قلبك وهو قاضيك فجعله السفير له والضامن عنه وانه يلقاه فيصرف بجميع ما يريده . . . ولما وجد الصولي ان هذا النصح لم يفعل مفعوله في الخليفة استطرد قائلا : « اذا يش الحسن من قبول سيدنا لما بذل لم لأمن

(١) نفس المصدر ١٠٩ .

(٢) نفس المصدر ١٠٩-١١٠ .

(٣) نفس المصدر ١١٠ .

ان يصرف أمره الى غيره ويلقي نفسه عليه ويتقرب اليه ويحظيه ببعض ما يذله فيجعله صنيعة له. ومادة لدهره وعدة لجدته ويكلم من يلقي نفسه عليه سيدنا في أمره ويسأله له ما يريد فيقبل قوله ويهب له أمره فيحفظني بما أردنا ان نحظى به : : : . غير ان هذا المنطق السليم لم يلق اذناً صاغية من الخليفة الذي أصر على التقدم نحو الموصل . بل ان الراضي فكر في هجر بغداد واتخاذ سر من رأى عاصمة للدولة ، وحجته في ذلك ان بغداد كان في بيت المال بها عشرة آلاف الف دينار في أيام المعتضد وضعف لها في أيام المكتفي ، فأما ولا مال بها فهي كسائر البلدان (١) .

ووصل الخليفة وأمر الأمراء الى الموصل في أول صفر ، فجمعت
الاجبا والسنة من بغداد تفيد ان ابن رائق قد احتلها وتولى الأمور فيها :
والطريف في الأمر انه استعان لتنفيذ هذه العملية بألف من القرامطة
كالوا هم . المنصور الفعال في احتلال بغداد (٢) ، التي شهدت فترة
فوضى واضطراب سادها السلب والنهب وانعدام الأمن كما هو مألوف (٣) .

وختلف المؤرخون حول وجود الراضي بالموصل لحرب الحمدانيين ، فالصولي يتحدث عن وجوده مع الخليفة في الموصل حيث يروي تفاصيل هذه الإقامة (٤) . أما ابن الاثير فيقول (٥) ان بعجم سار وحده الى

(١) نفس المصدر ١١٥

(٢) نفس المصدر ١١٧-١٢٠ . ابن الاثير ٣٥٣/٨

(٣) الاوراق ١١٨

(٤) نفس المصدر ١٣١

(٥) الكامل ٣٥٣/٨

الموصل على حين أقام الراضي بتكريت ، واتفق أبو الحسن (١) مع ابن الأثير في هذا الصدد . والواضح ان رواية الصولي - وهو شاهد عيان - هي بالأصح ، خاصة وان ابن الأثير يعود فيقول ان يحكم كتب الى الراضي بعد انتصاره على الحسن بن عبدالله (ناصر الدولة) فصار الخليفة من تكريت الى الموصل عن طريق النهر : ومهما يكن فإن الحسن الحمداني انتهى أول الأمر بحكم بالكحيل - على ستة فراسخ من الموصل - فلما هزم لجأ الى نصيبين (٢) وحين تبعه يحكم سار ابن حمدان الى أمد . ويقول ابن الأثير (٣) ان الحسن ناصر الدولة عاد الى نصيبين بعد رحيل يحكم عنها عائداً الى الموصل للقاء لراضي ، فاستولى عليها وعلى ديار ربيعة . غير ان ناصر الدولة ارتكب خطأ سياسياً وعسكرياً ، فقد استعجل في طلب الصالح دون ان يعلم باخبار ابن رائق وانهيار عزيمة جيش الخلافة ، ففرح يحكم بهذا الحل واخذ بموافقة الخليفة فتم الصلح فعلا وعاد الراضي وجيشه الى بغداد وقيل وصولهما دخل ابن رائق في مفاوضات مع الخلافة حصل بموجبها على ولاية طريق الفرات وديار مضر (حران والرها وجند قنسرين والمواصي) (٤) . وأود أن أشير هنا الى ان ابن رائق وسع دائرة نفوذه في السنة التالية (٣٢٨/٩٣٩ م) فاستولى على حمص ودمشق والرملة حتى بلغ العريش وهدد باحتلال مصر لولا ان تصدى له الاخشيديون (٥) . ويبدو ان أمر الصلح تقرّر أول الامر بين ناصر الدولة ويحكم

(١) التجم الزاهرة ٢/٢٦٤

(٢) ابن الأثير ٨/٣٩٣

(٣) نفس المصدر ٨/٣٥٤

(٤) نفس المصدر ٨/٣٥٤

(٥) نفس المصدر ٨/٣٦٣

وحدّهما دون علم الخليفة ، الذي احتج عليّ بحكم بأنه صرف في هذه الحملة مبلغ مائة ألف دينار وان ابن رائق استولى في بغداد على مبلغ مماثل . الا انّ بحكم فرض رأيه ولم ينل الراضي سوى مبلغ ضئيل لنفقاته في العودة إلى بغداد دفعه الحسن الحمداني (١) . وهكذا ذهب الخليفة ضحية مخادعة يحكم الذي حصل على حصّة الأسد ودمر علاقة الراضي بالحمدانيين ، تلك العلاقة التي كان من الممكن استثمارها في حلف ضد القادة الأتراك امثال يحكم وابن رائق كما نصحه الصولي وغيره من المخلصين له . فقدّ زوج يحكم ابنته للحسن الحمداني ، وهو زواج سياسي كان الغرض منه ان يقوم حلف بين يحكم صاحب النفوذ الكبير وبين الحمدانيين ، كما قدم الحسن الحمداني رشوة ضخمة لبجكم بلغت مليون دينار لم ينل منها الخليفة شيئاً (٢) .

ما هي الدوافع التي جعلت الراضي يرفض حلف الحمدانيين في مثل ظروفه الصعبة العسيرة تلك ؟ يقول الصولي (٣) ان الراضي طمع في الموصل ذات النواحي الزراعية العامرة ، وأكثرها ضياع آل حمدان ، فأقبضها كلها وانفرد بأولئك واجعلها لبجكم واصحابه وهي كفاية وفاضلة عنهم ، ويخلص لي مال ضياعي فأوسع على الناس منه وأعطى من حرمت وأجعل في بيت المال شيئاً يرجع الناس اليه . اي ان دوافع الراضي كانت مالية بحته بسبب افلاس الخزينة وحاجته للصرف على شؤون الخلافة ، وفي ظني ان الصولي كان يحب الحمدانيين ويتعصب

(١) الاورال ١٣١

(٢) نفس المصدر ١٣٢

(٣) نفس المصدر ١٣١

لهم ، فقد رد على الراضي قائلا : « ان هذه الناحية إنما عمرت بعناية ابن حمدان بها ، ونزولهم فيها . ولو قد صارت الى غيرهم لعادت محراباً كما عادت فارس بعد عمرو ابن الليث ، وأصبهان ونواحيها بعد ابي دلف » . وعلى كل حال فقد كانت الامور تجري على غير ما يريد الخليفة ، فالاتفاقات التي جرت بين الحسن بن حمدان وبمحكم احيطت بنحو من السرية ، حتى انه لم يعلم بتزويج محكم ابنته الصغيرة السن للحسن الحمداني ، حتى وقع بين يديه صدفه عقد الزواج . وتحسنت بسبب هذا الزواج غير المتكافئ العلاقات بين ابن حمدان وبمحكم فتبادلا الهدايا النفيسة فأرسل محكم للحسن هدية « فيها خمسون ثوباً من فاخر الفرش والديباج ومثلها من الخز وعشرة مراكب على عشرة افراس ، وجاءت من الحسن هدية الى محكم تزيد على هذا (١) » . اصبح عهد محكم كعهد غيره من امراء الامراء الاجانب عهداً لا يطاق ، فبالاضافة الى كل ما اسلفنا ، انخطت قبعة النقد بسبب الغش في ضرب الدنانير وسوء الاستعمال في دار الضرب ، وكان محكم هو الذي يوعز بضرب دنانير رديئة (٢) .

توفي الراضي بالله سنة ٣٢٩هـ فامر محكم وهو في واسط بعقد مجلس عام يحضره الوزير سليمان بن الحسن وجميع الوزراء السابقين واصحاب الدواوين والقضاة والفقهاء والعلويون والعباسيون والشخصيات البارزة من اهل بغداد . وقرر هؤلاء بناء على رغبة محكم انتخاب ابراهيم بن المتنر خليفة ولقب بالمتقي لله (٣) . ومعنى ذلك ان عقد هذا المجلس لم

(١) نفس المصدر ١٣٣

(٢) نفس المصدر ١٣٦

(٣) مسكويه ٢/٢ ، ابن الاثير ٢٦٨/٨ ، ابن خلدون ، الجزء ٣/٩٠

يكن سوى اجراء صوري لإيهام العامة والمحافظة على المظاهر الشرعية
في انتخاب الخليفة .

قتل بيجك سنة ٣٢٩ وهو في الصيد فانضم غلمان من الديلم الى ابي
عبدالله البريدي الذي اشدد ساعده فترك البصرة الى واسط ثم دخل
بغداد يوم الثلاثاء ٢ رمضان من هذه السنة . ولم يتعظ البريديون
بالتجارب الماضية فلجأوا الى سلاح ذى حدين فاستخدموا الجند للشغب
على الخليفة طالبين الاموال ، وحين نفذت اموال المتقي شغب الجند
على البريديين انفسهم واحرقوا دورهم ونهبوها ففروا الى واسط ،
وامتدعى الخليفة ابن رائق فدخل بغداد في ٢٦ ذى الحجة سنة ٨٣٢٩
وتقلد امرة الامراء (١) .

تم مجيء ابن رائق الى امرة الامراء في ظروف شاذة . ونحن نرى
انباء الفوضى تتكرر على نفس النمط : قوافل التجار تنهب ، البيوت
تسرق ، والجند من اترك وديلم وغيرهم بصطرحون ، والأسعار ترتفع ،
والناس تلقى الأذى والمشقة في حياتهم اليومية . وهنا يجب ان نؤكد
على تحول جديد وجدي وخطير في تاريخ الخلافة العباسية وهو ازدياد
عدد الديلم واستفحال خطرهم . حتى ان المتقي وجه نداء الى العامة
- تحت الحاح وضغط القواد الأتراك - هذا نصه : « يا معاشر العامة
ان امير المؤمنين قد اباحكم دماء الديلم واموالهم » (٢) . ويقول
الصولي (٣) أن الذين تحمسوا لتنفيذ هذا النداء كانوا « شذاذ بغداد

(١) مسكويه ٢٢/٢

(٢) الاوراق ٢٠٧

(٣) نفس المصدر والمكان

بملاحيهم وعياريهم ، بحيث انهم مشوا في المهمة الى حد قطع
 انافهم واذانهم واصابعهم وهم قيام احياء . غير ان الناس الأسوياء
 - وهم الأغلبية الساحقة - استفظعوا هذا الفعل واستعظموه
 وكرهوه (١) . وجاء ابن رائق اميراً للامراء - بدعوة من الخليفة -
 في اواخر سنة ٣٢٩/٩٤٠ م ، وطوق بطوق عظيم مكلل بالجوهر
 وسور بسوارين ، وجعل يشكو ثقل الطوق .. ولزم الشرب ليله ونهاره
 اباماً متوالية (٢) . فأى نفع يرجى من مثل هذا المنقذ !!

ماذا نجد وراء هذه التفاصيل من معاني ؟ اول ما نجده هو ان
 الخلافة فقدت مركزها ، وان الأمر تركز في ايدي اصحاب القوة من
 العسكريين الأتراك الذين جمعوا حولهم بفرقاً من المرتزقة يدفعون لهم
 الأرزاق السفية على حساب الخلافة من جهة وعلى حساب عامة الشعب
 - بالفراجة الاولى - من جهة أخرى . ونحن نجد أيضاً ان فرق المرتزقة
 كانت تتحول بسهولة ويسر من قائد الى آخر اذا وجدوا ان العطاء هناك
 اسخى ولؤلؤ . وقد أدى هذا الصراع بين الطاعين الى السلطة كالبريديين
 والرائق رائق وغيرهم الى تدمير اقتصاديات البلاد ونهب الثروات وافقار
 الريف والمدينة على حد سواء .

ثم انحصر البريديون ودخلوا بغداد وسط الفوضى . كان الغلاء
 يتحول كله للخجوش المتصارعة ، والحيز يرتفع سعره حتى يبلغ الرطل
 بدينارهم ثم يتعادم وجوده (٣) . وفي سبيل النكاية يفتح ابن رائق السجون

(١) نفس المصدر ٢٠٨

(٢) نفس المصدر ٢٠٩

(٣) نفس المصدر ٢٢٣

لشيخ القوضي في العاصمة ويعم لب التجار وأبناء الطبقة المترفة ،
لقد كانت قوى البريدي ضخمة بدليل ان جيش الخلافة وقوة ابن رائق
و « القرامطة » - الذين تحول الآن بعضهم الى جنود محترفين - اخفقوا
في صداهم (١) .

وفي الوقت المناسب نجد الحمدانيين ينهرون لكي يلعبوا دورهم في
تقرير المصير ، فقد كانت هناك فرقة عسكرية حمدانية بقيادة الحسين بن
سميد بن حمدان تنتظر ما تسفر عنه نتائج هذا الصراع ، فلما ظهر واضحاً
ان البريديين قد دخلوا بغداد فعلاً ، وضع الحمدانيون انفسهم في خدمة
الخلافة واقنعوه بالسير معهم الى سامراء باتجاه الموصل ، حيث وصاهما
في رجب (٣٣٠ / ٩٤١ م) (٢) . وتبدو حجة الحمدانيين في السيطرة على
الموقف ان الحسن الحمداني (ناصر الدولة) أرسل اخاه علياً (سيف
الدولة) في جيش كثيف لنجدة الخليفة ضد البريديين ، لكن هذا
الجيش التقى بالخليفة وابن رائق بتكرت وقد انهزم أمام البريديين .
وقد أظهر علي بن عبدالله (سيف الدولة) للمتقي غاية الاحترام وخدمه
بنفسه وقدم له ولصاحبه الثياب والفرش والدرهم وسار في ركابه الى
الموصل (٣) .

هنا تعترضنا مشكلة : كان الخليفة وابن رائق مهزومين لاجئين الى
آل حمدان ، وقد كان علي بن عبدالله (سيف الدولة) قد جاء بهما ،
وكان الحسين بن سميد بن حمدان قد تقدمهما ، اي ان الحمدانيين

(١) نفس المصدر ٢٢٥

(٢) نفس المصدر ٢٢٥

(٣) ابن الاثير ٢٨٢/٨ ، كتاب العيون ورقة ١٩٤ أ

كانوا اصحاب الموقف . فلماذا يغادر الحسن ناصر الدولة الموصل الى
 (معلثايا) على مقربة من الموصل (١) ؟ أغاب الظن ان ناصر الدولة لم
 يبلغه انباء هزيمة الخليفة وابن رائق ودخول البريديين بغداد ، وانه ظن
 عند وصولها قرب الموصل انهما انما قصبا له لحرية او لمطالبته بمبالغ
 الضمان المقررة . ويؤكد الصولي هذا بقوله ان اخباراً وصلت للحسن
 ناصر الدولة ان ابن رائق قد عزم على قتله (٢) . اما الذي حدث فعلاً
 فان ناصر الدولة هو الذي قتل ابن رائق . ان اولى رواية عثرت عليها
 لقصة اغتيال ناصر الدولة لابن رائق هي الرواية التي وردت في كتاب
 العيون (٣) وانا اخصها عنه مع حرصي على المحافظة على هذا النص القيم
 الزاخر بالتفاصيل .

حين وصل المتقي وحاشيته الى الموصل نزل هو في دار ابي فهد
 الموصلي ونزل ابن رائق في دار قريبة . ونزل علي بن عبد الله بن حمدان
 (سيف الدولة) بالدير الأعلى في « خيمة » . أما الحسن ناصر الدولة
 فقد تحصن في إحدى قلاع الحمدانيين بالجزيرة . وقام علي (سيف
 الدولة) بدور السفير بين الخليفة و اخيه الحسن ، ويبدو انه أوضح له
 الموقف ، فنزل من قلعته قاصداً الموصل ، وفي حادث عارض بشخص
 لنا صاحب كتاب العيون (٤) العقدة التي أوغرت صدر « السفير » على
 الحمداني (سيف الدولة) علي ابن رائق حين يقول : « وكان علي بن

(١) باقوت . معجم البلدان ٩٩/٨

(٢) ٢٣٦

(٣) ورقة ١٩٤ - ١٩٥ وما بعدها

(٤) ١٩٤ ب

عبدالله بن حمدان قدوافي ابن رائق ، وكانا يدخلان جميعاً الى المنشي
 فيأمرهما بالجلوس بين يديه ، وكان محمد بن رائق قد دعاه علي بن عبدالله
 مرات كثيرة الى دعوته فكانا اذا جلسا للشرب وعمل الشراب في ابن
 رائق وصف نفسه بالرجولة والشهامة وازرى ببني حمدان ، وقال : أي
 شيء تسوون انتم ؟ وأي يوم كان لكم ؟ وهل انتم إلا أعراب ؟ فكان
 يعظم ذلك على علي بن حمدان ويحقد عليه ويقع له ان هذا الكلام عن
 خبث في نفس محمد بن رائق لهم ، وانما كان جهلا منه وتركاً للحزم .

لا بد ان علياً كان يوافي اخاه بكل هذه التفاصيل ، لذلك ظل
 الحسن على حذره المعهود عنه ، فلم يدخل الموصل بل أقام في قرية فوقها
 بفرسخ تدعى واسط : وهنا يتحدث ذكا الحاجب - الذي يرد ذكره في
 كتاب الأوراق للصولي (١) كثيراً خلال هذه الفترة - فيقول (٢) انه
 كان اول من قابل الحسن من اصحاب الخليفة ، فدخلت اليه وهو في
 خيصة ، فقام الي وسلم علي وجلسنا . واخذ يسألني عن هزيمتنا وعن
 اشياء اخرى من امر الخليفة . وشكرني على قصدي لياه وانصرفت من
 عنده ورجعت الى الموصل ٥٥٥ .

ويبدو ان سوء الظن كان متبادلاً بين الحسن وابن رائق وان كليهما
 كان يحاول الغدر بصاحبه ليخلو له الميدان ويستأثر بالخليفة الشرعي ،
 ومن ثم يعلن نفسه أمام الرأي العام اميراً للامراء وصاحب القدر المعلى
 في الأمر والنهي ، وبالفعل راجت في الموصل الاشاعات ان ابن حمدان

(١) الأوراق ١٠٧ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ... الخ

(٢) كتاب السيون ورقة ١٩٥ أ

يريد القرض على ابن رائق : وتطسوع احد غلمان الحسن بن حمدان
 بالجاسوسية فقصده ابن رائق سرا وقال له (١) : اخلق لي مجلسك فان في
 عنقي نصيحة ٠٠٠ أنا غلام ابي محمد بن حمدان ومعه جث من
 الجزيرة ، والرجل في الجيلة عليك . الله الله في نفسك فكن مستظهما ،
 وان قدرت ان لا تجتمع معه في موضع واحد فافعل ، فان الرجل قد
 طمع فيك لضغفك وخضع رجالك وتفوقه بالمال والسلاح
 عرض ابن رائق على هذا المتطوع بإفضاء سر سيده مالا رفض هذا المال
 واهل انما فعل ذلك نصحا لابن رائق وشفقة عليه ا

يلوح حسب ما ورد في كتاب العيون (٢) ان المتقي وابن رائق حين
 وصلا الموصل انما كانا يريدان ان يحصلوا على اموال للعصر على
 الجيش الذي كان يصحبهم ، ثم سيرا الى الشام حيث يتخذ الخليفة
 دمشق داراً للخلافة باعتبار انها كانت بيد محمد بن يزيد وخليفة ابن
 رائق (٣) وانا اعتقد ان كلا الطرفين - ابن حمدان وابن رائق -
 كانا يخططان لكسب الخليفة الى جانبها بصورة نهائية في الموصل أو
 في دمشق ، وعندها يكون المتفوق فيها هو الذي كسب تأييد السلطة
 الشرعية ذات النفوذ الديني لدى العامة .

وهنا اترك الحديث اصحاب كتاب العيون (٤) : اتفق الخليفة وابن

(١) العيون ورقة ١٩٥ ب

(٢) نفس المصدر ورقة ١٩٥ ب

(٣) ابعاد الانه . ٢٨٣/٨

(٤) ١١٩٦ - ١١٩٩ ب

رائق (عليه السلام) ابن بمضي أبو منصور ابن المتقي (ولي العهد) وابن رائق إلى مضارب الحسن بن حمدان لكسب وده وإزالة ما علق في نفسه من سوء الظن: غير أن الحسن بن عبدالله (ناصر الدولة) كان يكره ابن رائق وكان يحشاه ويشك في نواياه، وقد أدرك المتقي ذلك وعرفه لذلك نصح ابن رائق ألا يعبأ إلى ناصر الدولة وأن يذهب ابنه أبو منصور وحده سفيراً. إلا أن ابن رائق أصر على مقابلة لاهر الدولة: وإذا أردنا أن ننفذ إلى ما وراء النصوص فأننا نستطيع أن نجزم بأن الخليفة كان قد اتفق مع الحمدانيين (سراً) على التخلص من ابن رائق، أو لهـ الحمدانيين أنفسهم قد أقتنعوا الخليفة بأن يوقعوا بأبن رائق على أن يسند إليهم إمرة الأمراء ببغداد وأن يكونوا حلفاء مادياً وأدياً في الخلاص من ورطته. ويدوي كذلك أن عاباً (سيف الدولة) قسام بالدور الحفي في هذا الاتفاق السري، لأنه - وهو الذي قدم مع الخليفة من بغداد - يترك مقامه في الدير الأعلى - بالجانب الغربي - ويلتحق بمسكن أخيه بالجانب الشرقي دون علم من ابن رائق الذي ارتاب بالأمر بعد أن وفف عليه (١)، وروي ذلك (٢) الذي كان يرافق ابن الخليفة وابن رائق: «وسار ابن المتقي ونحن بين يديه» استقبلنا أبو عبدالله ابن أبي العلاء (٣) وجماعة من بني حمدان وجاء علي بن عبدالله وسلموا على ابن المتقي ومسارت

(١) العيون ١٩٦ ب

(٢) نفس المرجع ورقة ١٩٧ أ

(٣) هو الحسن بن سعيد بن حمدان، الذي كان قد سار أمام الخليفة بعد هروبه أمام البريديين «انظر الأصول ٢٢٥»

الجماعة بين يديه حتى وافينا المضرِب وابن رائق ينكر تأخر أبي محمد الحسن عن استقبال ابن المتقي ويقول لأولاد عمه (يعني أولاد عم الحسن ناصر الدولة) : يا قوم يترفع عن أن يستقبل ابن الخليفة . هذا قبيح ! حتى وافينا باب المضرِب ، فنزل سائر القواد إلا القرامطة ، فأنهم أقاموا على دوابهم خارج المضرِب ، ودخلنا المضرِب ، وإذا الحسن بن حمدان قائم في الدليل الذي في المضرِب . فلما دخل ابن الخليفة قبل يده ، واخذ بعنان فرسه عند البساط ونزل وجلس في وسط الدست ، ثم رجع إلى خلف حتى استقبل ابن رائق واخذ بعنان دابته حتى أزاله في الموضع الذي قدم فيه دابة ابن المتقي فنزل وجلس بين يديه . وقام الحسن بن عبدالله وأخوه علي بين أيديهما على سيفيهما . قال ذكا وكنت قائماً خلف ظهر ابن المتقي [فقلت] : سيدي يقول (١) لا بي محمد يجلس فقال : اجلس يا أبا محمد (يعني ناصر الدولة) فقال : لا والله يا سيدي ما أجلس ، قيامي يحضرتك شرفي فقال له بحق رأس سيدي - يعني المتقي - ألا جلست ! فجلس على ركبته بمحمد بن رائق ، ثم أمر علياً فجلس . ثم قال ابن المتقي للحسن بن حمدان : سيدي يقرأ عليك السلام ، ويتعرف اخبارك ويقول لك ما آتيني بقربك وإنما أرجوا أن يكون في اجتماعنا صلاح لنا ولجميع المسلمين فقال له الحسن : تقول له يا مولاي أنا وسائر سلفي عبيدك ونشوء دولتك ودولة آبائك ، ما نعرف نعمة إلا من الله ومنكم والله لأبدلن نفسي ومالي وعشيرتي بين يدي مولاي ولأعاضدن هذا الاخ محمد بن رائق ... على لصرة مولانا وخدمته حتى يردّه باذن الله إلى دار مملكته قال ذكا : فرأيت محمد بن رائق قد صعب عليه قوله « هذا الاخ »

(١) في الأصل : ورقة ١٩٧ ب . يا سيدي

وكانت السماء مغيمة. وابتدأ المطر يرش فقال ابن رائق لابن المتقي: انهض يا مولاي قد جاء المطر! فقاما وقدموا دابته ليركب... وقدموا دابة ابن رائق فلما وضع رجلاه في الركاب قال الحسن: تجلس عندي... (١). فقلد ابن رائق (انه) يربه الله بحسبه فقال له: ليس هذا يوم ذاك ونحن اليوم مشاغليين بالخدمة وبعد هذا نلتقي (٢) فقل له: بيجاتي الا فعلت، فليس من ذلك بك. فجذب ابن رائق نفسه ليركب فجذبه ابن حمدان حتى تحرق كفه فصر دابن رائق وقال: أي شيء هذا! فصر به من خلفه غلام لابن حمدان يلبس مدور على وسط رأسه فزئت العمامة على وجهه. واخذته السيوف (٣). وكانت نوابا ناصر الدولة واضحة فقد اراد ان يزيلي ابن رائق وينفرد بالخليفة، لذلك قصده في اليوم التالي ووضع خدماته تحت تصرفه.

(ب) ناصر الدولة اميراً للأمرأ

اذا كان مثل هذا العمل الذي ارتكبه ناصر الدولة بنطوي على الغدر في نظر المؤرخ المعاصر، فإن مثل هذه الاغتيالات السياسية كانت سمة بارزة من سمات ذلك العصر، ودوافعها معروفة وهي الطموح الشخصي ونشدان المزاكر المرموقة. ولعل الحسن كان على اتفاق مع الخليفة بهذا الشأن، أو على الأقل كان متأكداً من رغبته في التخلص من ابن رائق. ويؤيد هذا القول ان الحسن كتب الى الخليفة يبرر فعلته في انه اكتشف

(١) كلمات غير واضحة في الاصل «ورقة ١٩٨ ب» غير ان ابن الاثير يقول ٢٨٢/٨٠ «انه قال له» فقيم اليوم عندي لتحدث فيما نعلم»

(٢) يقول ابن الاثير «٣٨٢/٨»: «فاخذ ابن رائق بابن المتقي»

(٣) انظر كتاب البيهون اوراق من ١٩٥ - ١٩٩

خيانة ابن رائق وثأمره على الخليفة . كما ان ابن خالويه - في دفاعه الحماسي عن الحمدانيين يقول (١) « لما حصل ابن رائق بالموصل دبر على لناصر الدولة ليقبض عليه فبقي ناصر الدولة بالفتكة ، فضربه ابو عبيد الله بن ابي العلاء ضربة خمر منها ميئاً وقد كان ابن رائق قتل عمارة العقيلي وجباة من بني نمير » وهو يشير بذلك الى ان ناصر الدولة كان في موقف الدفاع عن النفس ، ثم يعترف انه كان يريد ان ينتقم لقتل من بطون تمت بصلته القرى الى الحمدانيين .

« ومهما يكن فإن الخليفة اتى على الحسن الحمداني وخلع عليه وهقده لواء ولقبه تاهر الدولة وكناه وجعله أميراً للامراء وذلك في مستهل شعبان سنة ٣٣٠هـ كما خلع على أخيه علي ولقبه سيف للدولة (٢) . ان هذه الألقاب والكنى كانت علامات تقدير وتشريف يضيفها الخلفاء على ذوي المراكز العسكرية او الادارية العليا ، وهي ذات صفة مدلية أي انها - بتعبير آخر - تشير الى إسناد هؤلاء الأشخاص « للدولة » بصفتها العالمية ، على حين أختص الخلفاء بالألقاب ذات الصفة الدينية للروحانية باعتبارهم حماة الشريعة وتخلقاء رسول الله (ص) (٣) »

« وصل الخليفة الى حاضرة الخلافة بصحبة أمير الامراء الجديد وأخيه علي سيف الدولة « وعملت لهم العامة القباب (٤) وهي معالم الزينة التي ما زال الناس يقيمونها في المناسبات والأعياد : ونزل الاخوان في البستان

(١) ١٣٨/٢ - الدعان »

(٢) ابن خلكان - وفیات الاميان ١٧٥/١ - مسكوبه ٢٨/٢ ، البيهقي ١٩٩ ب

(٣) انظر حول الألقاب الفتحشي ٤٣١/٥ ، ٤٤٠ وما بعدها

(٤) الأودال ٢٢٧

الشفيعي (١) ، وتولى الوزارة القراريطي والشرطة توزون . وخلق الخليفة على اعدائه الجدد وطوق الاخوين الحمدليين وسورها ، والطريف في التطويق والتسوير - الذي اظنه تقليداً ساسالياً يرمز في الاصل الى دخول الشخص الذي تتم له هذه العملية في طاعة الملك او الامير - انه أصبح من علامات التكريم في العصر العباسي المتأخر ، وكلما تضاعف عدد الأطواق والأسورة (وهي من الذهب) كلما كان ذلك دلالة على علو مكانة الشخص الذي يصفى عليه هذا التكريم . ومن ثم فقد نال الاخوان الحمداليان ناصر الدولة وسيف الدولة عدداً متزايداً من الاسورة والأطواق فقد طوقا وسورا بطوقين طوقين وأربعة اسورة ذهباً في حين ان ابا عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان طوق بطوق واحد وسوارين ذهباً (٢) فقط ، وهذه للشارات هي بمثابة النياشين والأوسمة في العصر الحاضر .

وحين بلغت هذه الانباء ابا الحسن البريدي ترك واسط يريد بغداد ، في حين خرج الحمدانيون ميممين واسط . اما الخليفة فقد ترك قصر الخلافة الى الزبيدية (٣) ، مما يدل على انه كان يشك في قدرة اعدائه الجدد على الحيلولة دون وصول البريديين الى بغداد . ومهما يكن فقد للتقى الحمدانيون بالبريديين عند قرية كبل التي تقع على بعد فرسخين أسفل المدائن حيث دارت رحى معركة ضارية استغرقت أربعة أيام متواصلة من ٢٠

(١) البستان الغفيمي يقع على شاطئ دجلة الايمن وهو نسبة الى شفيح اللؤلؤي السدي

صأدوه الخليفة الراضي بالله في سنة ٣٢٢ - انظر مسكويه ١/٢٩٥

(٢) مسكويه ٢/٢٩ ، الصولي ، الأوراق او اخبار الراضي والمتقي ٢٢٨

(٣) الزبيدية على الجانب الشرقي لدجلة ، انظر ٢/٩١٧

ذي القعدة حتى ٣ ذي الحجة انتصر فيها سيف الدولة على البريديين الذين انسحبوا الى البصرة (١) : وقد برهن سيف الدولة الذي كان اذ ذاك في السابعة والعشرين على مهارة حربية بشرت بمستقبله الزاهر . ويرى مسكويه (٢) وصاحب كتاب العيون ان علياً لقب بسيف الدولة هل اثر احرازه هذا النصر ، في حين يرى ابن الاثير والصولي (٣) انه نال هذا اللقب قبل هذا التاريخ حين تولى اخوه امرة الامراء كما أسلفنا . وفي ظني ان رواية مسكويه هي الأرجح لان سيف الدولة لم يكن قد صنع بعد شيئاً يستحق من اجله اللقب الذي استحقه اخوه الذي خلاص الخلافة من خطر ابن رائق . ويجب ان نلاحظ هنا ان الأتراك كانوا في جانب الحمدانيين في معركة « كيل » ، على حين كان الديلم في جانب البريديين (٤) فهل نستطيع ان نخلص من ذلك الى نتيجة ما ؟ يبدو لي ان خطر الديلم الذي كان يقرع ابواب بغداد جعل الخلافة تستعين بحلفائها القدامى الجند الأتراك فتضمهم تحت تصرف قوة جديدة فتتيسر لهم الحمدانيون العرب لصد الخطر الجديد الذي لن يلبث ان يدهم الخلافة ويغزوها في عقر دارها . انه وان كان من الخطأ الفادح ان نفسر تاريخ هذه الفترة على انه نزاع عنصري بين العرب والفرس والترك والديلم لم وغيرهم ، او على انه نزاع بين السنة والشيعة ، لكن هناك حقيقة اساسية تبرز في هذا الميدان هي ان الغزو جاء الى بغداد من الشرق طوال العصور

(١) ابن الاثير . الكامل . ١٤٩/٨

(٢) تجارب الامم ٣٠/٢ كتاب العيون ١٢٠٢

(٣) ابن الاثير ١٤٩/٨ ، الصولي ٢٢٨

(٤) ابن الاثير ١٤٩/٨

العباسية ، وان بداوة هذه الاقوام وفتوتها وجرأة قادتها من جهة وأنحلال
الاقوام التي سبقتها الى الاستقرار في مركز الخلافة حيث الترف والحياة
الوادعة من جهة ثانية، كانا العاملين اللذين دفعا بالترك ثم الديلم ثم المغول
الى غزو بغداد بعد ان ذابت فتوة العنصر الفارسي ، وبعد ان ابعد العرب
عن مراكز القوة في إدارة الدولة وجيشها .

وبعد ان حقق الحمدانيون هذا النصر ، عاد الخليفة مع حرمه الى
بغداد ، كما دخلها ناصر الدولة دخول الظافرين وبين يديه كبار الأسرى
من اعدائه مشهرين على جمال وعلى رؤوسهم رائس (١) وهي من اساليب
النكابة بالأعداء يومذاك . واستقر ناصر الدولة في العاصمة واتخذ يمارس
سلطاته الواسعة أميراً للأمرء فوجه اهتمامه قبل كل شيء الى اصلاح الوضع
الاقتصادي المتردي فالاسعار كانت مرتفعة نتيجة لاختلال الامن وانعدام
الاستقرار وانخفاض القيمة الشرائية للنقد . وبسبب تلاعب الصيارفة
وغشهم في عيار الدنانير (٢) . وقد زاد الطين بلة ان ناصر الدولة في مقاومته
للبربردين اراد ان يحرمهم من موردهم المالي الرئيس وهو الضرائب التي
فرضوها على التمر فأمر التجار الا يحملوا البضائع الى جنوب العراق
« فغلا الثمن وبلغ ما لم يبلغ مثله قط . ونزل الحسن وابوه عند البستان
الشفيعي لينحدروا ، وغلت الاسعار فتشاهم الناس بتلك الأيام وقالوا :
كان الرخص مع البربردي » . ومعنى ذلك ان العبء كله وقع على كاهل
العامة الى حد انهم استقبلوا حكم الحمدانيين بفتور وتحسروا على ايام
البربردين وغيرهم التبعة مع ما نالهم من الضرائب والغلاء والمصاهرة .

(١) مسكويه ٣٠/٢

(٢) الصولي . الاوراق ٢٢٩ . الدوادار ، زبدة الفكر • ورقة ١٤٧

والسبب: كما يقول الصولي: كثرة الضرائب التي فرضها ناصر الدولة (١).
ثم انصرف ناصر الدولة الى تنظيم الاحوال الداخلية وتوطيد الأمن
فغضب بشدة على ايدي الدمار لعبثهم وفسادهم . وأخذ يقوم باصبا
محتاج الشرطة بنفسه فيتنظر في الجنايات ويقيم الحدود من جلد وقطع
بد أو رجل ، ثم تعرض عليه الاعضاء المبتورة فيعدها ليضمن تنفيذ
الشرطة للعقوباته تنفيذاً دقيقاً (٢) . ولما كالت الخزينة فارغة فقد نظم
ناصر الدولة المالية واشتغل في جباية الضرائب يقول الصولي (٣) : حدثني
جماعة من التمارين ان ناصر الدولة خاطبهم فقال ما اعوض للضريبة على
شيء سوى التمر ، وبارك الله لكم في كل شيء غيره يعني ضريبة ما حصل
بيفداد . قالوا فقال للمرجل الى جانبه ونحن نسمع : والدبس فقال والدبس ،
وقال لته والبسر فقال والبسر ، ومعنى ذلك ان ناصر الدولة فرض
الضرائب على التمر ومشتقاته .

ووجه ناصر الدولة اهتماماً الى الادارة ، فعهد على طريقة غيره من
حكام بغداد السابقين واللاحقين الى تغيير الموظفين الكبار ، لذلك عزل
بدراً الخرشني الحاجب وولى ابا بكر احمد بن خاقان الحجة وهي منصب
هام لانه يعني رئيس تشريفات الخليفة . وبعد ان استتب له السلطة
بالقضاء على البربردين عرضهم - كما هي العادة يومذاك - مشهرين في

(١) المصدر السابق ٢٢٨ و ٢٣٥

(٢) مسكويه ، تجارب الامم ٢٨/٢

(٣) الصولي ، الادراك ٢٢٩ و ٢٣٥

الخرخ ذات جمعة ، ثم صلى بجامع المدينة (١) ، ويبدو ان ناصر الدولة
غير العمال والولاة فولى مثلاً عيسى جال مدينة ميفارقين (٢) :

غير ان سلطة ناصر الدولة لم تكن تتعدى بغداد فيما يبدو ، وهو أمر
ينطبق على جميع حكام السلطة المركزية في هذا العصر ، وذلك بسبب
اختلال الأمن وكثرة الطامعين في الحكم . وكان الديلم - بعد البريديين -
قد بدأوا يلعبون دورهم على نطاق محدود بحيث انهم حاولوا اغتيال
سيف الدولة الحمداني حين ارسله اخوه ناصر الدولة في مهمة الى واسط .
وحين أخفقت المؤامرة ارسل المتآمرون الى بغداد بطريق النهر في
زورقين فقتل بعضهم ممن اعترف وحبس اولئك الذين لم يحصل منهم
على اعتراف (٣) .

وتصدى ناصر الدولة لحفظ الامن في سنة ٣٣١ . ولاحق السدعار
والمفسدين والعابثين بالأمن وأوقع بهم اشنع العقوبات التي تراوحت بين
القتل والكحل - أي إتلاف البصر - فهدأت الاحوال وقات الجرائم
في بغداد (٤) . ثم حول اهتمامه في بداية هذه السنة الى اصلاح العملة فضرب
دلائر جديدة ذات عيار جديد . اما من الناحية الشكلية فإنه ادخل تغييراً
على نقش الدينار ، فبينما كان يكتب على أحد جانبيه « لا اله إلا الله »
وعلى الجانب الآخر « محمد رسول الله » ثم يذكر نعت الخليفة ، أضاف

(١) الصولي . الاوراق ٢٢٩

(٢) نفس المصدر والمكان

(٣) الصولي . الاوراق ٢٢٩

(٤) نفس المصدر ٢٣١

لناصر الدولة بعد ذكر الرسول « صلى الله عليه وسلم » (١) . لقد حاول ناصر الدولة إيقاف تلاعب الصيارفة عن طريق ضبط العملة والتدقيق في عيارها ، غير ان ذلك لم يجد شيئاً فقد « بلغه مع ذلك ان الصيارف يربون رياء ظاهراً ، فأحضرهم وحلهم وأحلفهم ، فتحسن قبسح أمرهم قليلاً » (٢) . ولا بد ان نلاحظ هنا ان التغيير السريع للعملة خلق جواً من عدم الاستقرار المالي أدى الى تحسن وقتي نحسب . ذلك ان الداء لم يكن يمكن في نوع العملة وعيارها وشكلها ، بل في مجموع الظروف الشاذة السببة التي نسفت كل محاولة لتحسين الاوضاع الاقتصادية .

وكان المجهود الثاني لناصر الدولة في سبيل تحسين الأوضاع هو محاولة الاقتصاد والتفتير في المصروفات ، غير انه لجأ الى اجراءات سلبية بحثة لا طائيل تحتها . فحين شكوا اليه المسجونون واستغاثوا به من الهجوع والضرب والقسوة (وكان السجن الى جانب داره) ابدى امتعاضاً كبيراً و « جلس لهم جلوس غصبان فأطلق وقتل وقطع وكحل » على حد قول الصولي الذي يمتدحهم الله من الذين يعطفون على الحمدايين . بأن هذا العمل كان لمجرد رد توفير الأقوات التي تصرف على السجناء ، بحيث دفعه هذا التفتير الى اطلاق سراحهم « فأخلى السجون فلم يترك فيها أحداً » (٣) . ومن جهة اخرى عمد ناصر الدولة الى اسقاط ارزاق الجنود المولدين من المرتزقة بحجة توفير المال للحرب البريديين في الوقت الذي كان يرسل الهدايا للفاخرسة الى ابن طنج الأخشيدي عن طريق

(١) نفس المصدر والمكان

(٢) نفس المصدر والمكان

(٣) الاورال ٢٢٢

مكتابه النصراني سهلون^(١)، أي: إنه كان يفضح مصالحه السياسية وعلاقاته الدبلوماسية في المقام الأول .

كان عام ٣٣١ هـ حلفاً بالمشقة لبغداد ، فقد كثر اللصوص وقطاع الطرق وتعرضت الدور للعدوان وفر الناس الى جميع النواحي رغم المخاطر التي تعرضوا لها في الطرق . وغلت الاسعار غلاء فاحشاً حتى مات الفقراء جوعاً ، وزاد الطين بلة انتشار الاوبئة فكان الموتى يبقون على الطريق اياماً لا يدفنون حتى آكلت الكلاب بعضهم^(٢) اما الخليفة المتقي فقد ضيق عليه ناصر الدولة اشد التضييق فقاص لفقاظ ولفقات أهله ومصادر ضياعه^(٣) في سبيل تحقيق مصالحته لاسمياً ورام تحسين الاحوال . ومن الامثلة التي تدل على ما كان يتحمله الفقراء أنهم أخذوا يصطادون الجراد ويأكلونه^(٤) ، وهي عادة كانت شائعة في العراق الى عهد قريب حيث يباع الجراد على العامة في مواسم انتشاره . ومكذا اخفق ناصر الدولة الاخفاقي كله في حل الازمة الاقتصادية التي تعرضت لها بغداد اثناء حكمه ،

غير ان ناصر الدولة - من ناحية أخرى - لا يتردد في نشدان مجده العائلي - وهو ما نسميه اليوم استغلال النفوذ - فبعين ابن عمه ابي عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان (في المحرم سنة ٣٣١) واليساً على أرمينية

١ . نفس المصدر ٢٢٣

٢ . نفس المصدر ٢٣٦

٣ . الصولي ٢٢٥ ، ابر المجاسن ٢٧٨/٣

٤ . الصولي ٢٢٧

والمؤني جان ويعقد لهم اواه (١) . بل انه - في ظل هذه الظروف الثعنة - يزوج ابنته الى ابي منصور بن الخليفة المتقي ١ في ربيع الاول (بصداق بلغ نصف ميلون درهم) وجعل النحلة مائة الف دينار (٢) . ويقول الصولي بهذا الصدد (٣) : ان وكيل الزواج عن ناصر الدواة كان ابا عبد الله بن ابي موسى المياضي . وبعد عقد القهر ان قصد ابن الخليفة دار ناصر الدولة بباب خراسان « فنثرت عليه بذرنا دنانير التفتتها من كان معه واصحاب ناصر الدواة . ونغدي عنده في اليوم الثالث سبعمائة من قواده وتجاره فرأيت الناس كالمجتمعين على اذنه كان طعاماً ناقصاً عن المقدار مقصر الشرط والكمال والآلة » . وهكذا يدلع الصولي ناصر الدولة بتهمة البخل والتفتير في مناسبة هامة بالنسبة له كان يعرف منها الى وضع الخليفة وابنه تحت سطوته على امل ان ينتقل سلطان الخلافة الى الاسرة الحمدانية من طريق المصاهرة .

تصير عهد ناصر الدولة كأمير للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . كان عهداً شديد الوطأة على بغداد . وكانت بحاجة طا صر الدولة الى المال تقوية هذا الركوب من لوكبه وهرق غشنة جمرت عليه وعلى الخلافة ماسواً الثلج ولونعم الحواشي . فقد اضطرر الأئمة الاقتصادية الى كثرة الاقراص حتى حرب الثامن من بغداد بالرغم من تعرضهم لاختطاف الطرق الخارجية (٤) . وينتري هنسا مستغلون من الطراز الاول يريدون ان يثروا على حساب

١٠ . الصولي . الأوراق ٢٢٢

٣٠ . نفس المصدر ٣٢٤

٢٠ . ٢٣١

٤٠ . نفس المصدر ٢٣٤

(الخرب العام ليعرض ابو الحسين علي بن مقله (من الوزراء المحترفين) على ناصر الدولة ان يستوزره وان يطلق يده في جباية الضرائب عن طريق سبعين وكيلا له يجمعين جزاء مبالغ يدفعها لناصر الدولة الذي رحب بهذا الغرض (١).

لقد اتضحت مظاهر الإخفاق في حكم الحمدانيين لبغداد أسوة بغيرهم من أمراء الأمراء لأن الوضع العام كان اكبر وأحسر من ان يعالج بمثل هذه الاجراءات التي اتبعها لناصر الدولة .

أما سيف الدولة فكان بواسط يفكر في احتلال البصرة وطرد البريديين منها ، وقد كلف هذا المشروع ناصر الدولة الكثير من المال اذ كان يرسل اليه نصف مليون دينار في كل شهرين مما افقر الخزينة (٢). وكان جل هذه الأموال يذهب الى جيوب الاتراك الذين تفاقم جيشهم وبلاؤهم حتى ان زعيمهم توزون وخججج أخذوا يستبان معاملة سيف الدولة (٣). وفي نهاية شعبان عام ٨٣٣١ ثار هؤلاء الاتراك عليه ونهبوا معسكره ففر الى بغداد في جنح الظلام (٤). ولما بلغت انباء هذا العصيان ناصر الدولة ساوره الرعب ففر الى الموصل ونهبت داره وتعرضت العاصمة لفوضى الديلم والاتراك لخلوها من سلطة حاكمة حازمة وبذلك انتهت اماره الحمدانيين التي استمرت ثلاثة عشر شهرا تقريبا (٥).

(١) نفس المصدر ٢٢٤

(٢) نفس المصدر ٢٣٨

(٣) الدوادار . زبدة المبكرة (مخطوط) ج ٥ . ورقة ٦٠ أ

(٤) نفس المصدر ٣٩/٢ . ابن الاثير الكامل ١٥٣/٨ . مصر .

(٥) ابن الاثير . الكامل ١٥٣/٨ . الصولي . اخبار الراض ٢٣٨-٢٣٩

وقد حاول سيف الدولة دخول بغداد حين وقع الخلاف بين
توزون وخجج غير ان توزون بادره بجيش ضخم اضطره الى العودة
الى الموصل ودخل توزون بغداد حيث قلده المتقي امرة الامراء في
٢٥ رمضان سنة ٣٣١ (١).

أخفق الحمدانيون في حكم بغداد وتميز عهد امارتهم بنفس العيوب
والمساوي التي اثيرت عن ذلك العصر . ويعمل ميور (٢) هذا الاخفاق
بان العنصر العربي فقد قدرته على الوقوف في وجه العناصر الاجنبية
وانهم لم يعودوا قوة حربية هامة اذا قورنوا بالقوات التركية المنظمة .
غير أنه اذا كان في هذا القول نصيب من الصحة الا أنه ليس السبب الوحيد
في فشل الحمدانيين ، فقد أخفق قبلهم ابن رائق وبجكم والبريديون ، كما
أخفق من بعدهم توزون ايضا في حين كانوا جميعا من الاجانب . كما
كان الازلك الذين اشاد ميور بنظامهم متفرقين مختلفين متناحرين حتى
ان توزون قص على زميله خجج وسمله ليستأثر بالرئاسة (٣) . اما
الاسباب الرئيسة التي ادت الى فشل الحمدانيين وغيرهم في عصر امرة
الامراء فكانت ترجع في رأيي الى ضعف الخلفاء وانعدام الوحدة في
جيوش الخلافة وسخط العامة على السياسة المالية الجائرة التي استنزفت
اموالهم في الوقت الذي لم تعمل الحكومة على انعاش الاحوال
الاقتصادية ونشر الأمن ، هذا فضلا عن الانحلال الذي كان يغلب على
شؤون الادارة والجيش .

(١) ابن الاثير الكامل ١٠٣/٨ . ابن خلدون . المجلد ٣/٤١٠ (مصر) . الصولي اخبار
الرازي ٢٤٢ .

(٢) The Caliphate, p. 573

(٣) ابن الاثير . الكامل ١٠٣/٨

لم ينتج فوزوف في أرضه الخليفة المتقي، فخرج هذا غاضباً من عاصمة ملكه (٣٣٢) ونزل مع أهله وحاشيته بتكريت (١). ويبدو ان السيد كان يرجع الى ميل توزون الى البريديين اعداء الخليفة. ومرت بغداد بساعات عصية تعرضت فيها للسرقات، والظلم والمصادرة والنهب واضطهاد اهل النعمة والتجار في سبيل مصادرة أموالهم مما ادى الى فرار كثير منهم الى الشام (٢). ووصل ناصر الدولة وسيف الدولة وابن عمهما الحسين بن سعيد بن حمدان الى تكريت للقاء الخليفة، فأرسلوه الى الموصل وظلوا هم بتكريت ليعملوا على طرد توزون. غير ان سيف الدولة هزم في الواقعة الدامية التي جرت في اسفل تكريت، ومما ساعد على هزيمته ان الاعراب من قشير ونمير نهبوا معسكره ونصروا توزون عليه (٣)، لا شيء سوى رغبتهم في الحصول على الغنائم. وعاد سيف الدولة الى الموصل حيث سبقه أخوه، ووصلوا جميعاً بصحبة الخليفة الى نصيبين فالرقة فارين في وجه توزون الذي دخل الموصل سنة ٣٣٢ (٤).

ولما ادرك المتقي قوة توزون، توسط في الصلح بينه وبين الحمدانيين فعقد الضمان لتأخير الدولة على ما بيده من البلاد لمدة ثلاث سنوات على ان يدفع في كل سنة ثلاثة ملايين وستائة الف درهم (٥). ويبدو ان

(١) السيوطي. تاريخ الخلفاء. ٢٦٢

(٢) الصولي. الادوار. ٢٥١

(٣) ابن الاثير. الكامل ١٤٤/٨

(٤) الدوادار. زبدة الذكرة (مخطوط) ورقة ٥٣ ب

(٥) مسكويه. تجارب الاسم ٤٩/٢. ابن كثير. البداية والنهاية ٢٠٧/٧

سبب اسراع توزون في عقد الصلح يرجع الى ظهور الخطر البويهى ودخول احمد بن بويه واسط (١) .

لم يلبث الخليفة ان ابدى رغبته في العودة الى بغداد ، حين احس - كما يقول المؤرخون (٢) - بضجر بني حمدان منه ولا ريتابه بنواياهم نحوه . في حين يقول المسعودي (٣) ان الحمدانيين اكرموا المتقي غاية الاكرام وبذلوا في سبيل ارضائه كثيرا من الاموال . ومع ذلك كتب الخليفة الى محمد بن طنج الاخشيد صاحب مصر يستدعيه اليه فوصل الى الرقة في المحرم سنة ٨٣٣ هـ ، وحاول ان يقنع المتقي بالمسير معه الى مصر والشام فابى ثم نصحه ان يقيم مكانه ولا يعود الى توزون فابى كذلك (٤) . وهكذا سعى المتقي الى حثفه لانه بمجرد ان عاد الى بغداد سمله توزون وخطمه وباهع المستكنفى في (صفر سنة ٨٣٣ هـ) (٥) : ويبدو ان جميع هؤلاء الامراء كانوا يحاولون جذب الخليفة الى جانبهم واقتناعه بالعيش في اقاليمهم ليحكموا عن طريقه ويضفوا على حكمهم صفة شرعية .

٥- ناصر الدولة والبويهيون

قلنا ان ناصر الدولة أخفق في امرة الامراء عام ٣٣١ وخرج من

(١) الصولي . الأوزان ٢٥٨

(٢) ابن خلدون . المع ٢٣٤/٤

(٣) مروج الذهب . ٣٢٢/٢

(٤) ابن خلدون . المع ٢٣٤/٤ . سكويه . تجارب الامم ٦٨٤/٢

(٥) ام القدا . المختصر في اخبار البشر ٩١/٢ . المسعودي . مروج الذهب ٥٣١/٢

٥٣٢

بغداد الى الموصل هارباً بعد أن نهبت داره . وقد ساءت احواله في تلك السنة فاستولى عدل حاجب بحكم على نصيبين والرجبة واشميع ان الإخشيد ارسل جيشاً للاستيلاء على الموصل (١) . وما كاد ناصر الدولة يعيد سلطانه على الجزيرة ، حتى فتح توزون الموصل في سنة ٨٣٣٢ و ارغمه على ان يدفع ثلاثة ملايين وستائة الف درهم سنوياً لمدة ثلاث سنوات (٢) . وفي السنة التالية استغل ناصر الدولة سوء الاحوال في بغداد فمد نفوذه على جميع انحاء الجزيرة حتى شملت مملكته الموصل وديار ربيعة وديار بكر وقردي ويزبدى وبهلهرا (٣) وأخذ ينيب عنه في حكم هذه المناطق الشاسعة عمالاً من اقاربه خاصة ، فولى ابن عمه الحسين بن سعيد قنشرين والمواصم (٤) .

لقد بلغت الاحوال في بغداد غاية السوء على يد ابن شيرزاد الذي كان يتولى امرة الامراء سنة ٣٣٤ والذي استرضى الجند من الاتراك والدبلم فزاد في ارزاقهم على حساب الخزينة الحاوية (٥) . وفي شبيل النخيل من نفوذ الاتراك عمد قواد بغداد وبموافقة الخليفة المستنكى الى مراسلة احمد بن بويه فتوجه من الاهواز ودخل العاصمة حيث رحب به الخليفة ولقبه معز الدولة و اخاه علياً عماد الدولة و اخاه الحسن ركن الدولة وضربت الفاهم وكناهم على الدنانير والدراهم (٦) . وهكذا

(١) الصولي . اخبار الرازي ٢٤٠

(٢) مسكويه . تعارب الامم ٤٩/٢ ابن كثير . البداية والنهاية ٢٠٧/١١

(٣) الصولي . اخبار الرازي ٢٨٤

(٤) ابر الحاسن . النجوم الزاهرة ٢٨٠/٢

(٥) مسكويه . تعارب الامم ٨١/٢

(٦) مسكويه . تعارب الامم ٨٥-٨٤/٢

تخلص الخليفة من أسر الأتراك ليقع في أسر الديلم .

كان بنو بويه من الديلم الذين استوطنوا حول بحر الخزر وهم شعب فطرى صلب تميز بالقوة والفتوة والبداوة (١) . وكانوا في أول الأمر وثنيين ثم نشر فيهم الحسن بن علي الأطروش المذهب الشيعي في بداية القرن الرابع (٢) . ويكتنف الغموض تاريخ بني بويه شأنهم شأن المغامرين المجهولين الذين ارتفعوا في ذلك العصر من الخضيض بفضل الجرأة والفوضى الشاملة . لكن المؤرخين أضفوا عليهم نسا عريقا فقال ابن خلكان (٣) في ترجمة معز الدولة انه « ابو الحسين بن ابي شجاع بويه ابن فنا خسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزبل الاصغر بن شيركوه ابن شيرزبل الاكبر بن شيران شاه بن شيرفته بن شستان شاه بن سسن فرو بن شرزويل بن سناد بن بهرام جور الملك بن يزجرد بن هرمز كرامانشاه بن سابور الملك بن سابور ذي الاكتاف » . وكذلك نسبهم ابن الجوزي (٤) الى سابور ذي الاكتاف على حين اصفى عليهم صاحب الفخري (٥) نسا اكثر نبلا فارجمعهم الى ابراهيم الخليل . وبرى الاستاذ زرتشتاين (٦) ، ان نسب بني بويه يرجع الى مهر نرسي كبير وزراء بهرام جور ثم يقول ان هذا النسب ليس سوى محاولة لرفع مجد هذه الاسرة وهو الرأي الصواب .

(١) الحصري . عاصرات تاريخ الاسم الاسلامي ١٦٠

(٢) ابن الاثير . الكامل ١٤٦/٦

(٣) وفيات الاميان ٦٩/١

(٤) المنتظم ٢٧٠/٦

(٥) ابن المقفلي . الفخري في الادب السلطاني ٢٤٩

Enoy. of Islam Vol. I, p. 807

(٦)

والواقع ان بني بويه كانوا اميرة فقيرة من عامة الشعب . وكان ابو
 شجاع بويه صيادا للسمك ، على حين اعترف معز الدولة انه كان حطابا
 يحمل الحطب على رأسه (١) . ويروي لنا المؤرخون (٢) . قصة المنجم
 الذي تنبأ لانيام بويه بالرفعة والمجد ، ومنها لتدل على فقرهم المدقع
 حتى أنهم لم يستطيعوا ان يدفعوا للمنجم سوى شيء يسير . ويحاول بعض
 المؤرخين ان يصل النسب البويهي بالعرب كما فعل المقرئ (٣) . في نسبة
 الديلم الى العرب العدنانية حين تزوج باسل بن ضبة في بلاد الديلم من امرأة
 من العجم انجبت له ديلم ومنه بنو بويه .

اسلم الديلم على يد الحسن الزبيدي الاطروش كما تقدم . ولما توفي سنة
 ٣٠٤ هـ ظلت طبرستان في ايدي العلويين اثني عشرة سنة ثم انتقلت الى
 امراء الديلم فحكمها ما كان بن كالي فمرداويج بن زيار ثم البوسيون (٤) .

بدأ اولاد بويه جنودا مرتزقة في قوات ما كان بن كالي ثم انحازوا
 الى مرداويج الذي ازداد نفوذه سنة ٣٢٠ هـ ، وتولى علي بن بويه بلاد
 الكرج واستولى على اصبهان . وبعد حروب طويلة مع وشكير بن زيار
 استطاع الحسن بن بويه الاستيلاء على اصبهان واهواز وقاشان والكرج
 والري كما استولى احمد على الاهواز واحتل واسط ، ومنها سار الى بغداد

(١) ابن الطقطقي . الفهرست في الادب السلطانية ٢٤٩ . ابن خلكان . وفيات الاعيان
 ٧٠/١

(٢) الذهبي . تاريخ الاسلام ١٦ ورقة ٣٥ ب . الدوادار . زبدة الفكر . عروط .
 هـ ورقة ٢٢٧ ب ٢٢٨ أ

(٣) السلوك ٢٣/١

(٤) المقرئ . السلوك ٢٣-٢٥

يتمسك على طلب الخليفة من سيرا وبذلك أصبح البويهيون السادة الجدد للخلافة العباسية (١).

استبد البويهيون بالسلطة وضيقوا على الخلفاء، وحين حلت سنة ٣٥٤/ ٩٦٣م كالت الذئبة العباسية قد ناثرت اشلاء واصبح حال المسلمين - على سخذ قول المسعودي (٢) - اشبه بحال الفرس بعد قتل داريوس حين فجزأت الامبراطورية الفارسية. واصبح وضع الخلفاء المادي والأدبي خنلال العصر البويهي ٣٣٤-٤٤٧ (٩٤٥-١٠٥٥ م)، في السترك الأسفل ولم يمنع البويهيين من إلغاء الخلافة العباسية إقامة خلافة علوية سوى خوفهم من ثورة العامة (٣)، أو اشفاقهم من فقدان نفوذهم حين يتولى خليفة علوي يضطرون - بحكم مذهبهم - إلى الخضوع له والاعتراف بإمامته.

وبمجرد أن استقر البويهيون في بغداد قامت علاقات عدائية بينهم وبين الحمدانيين. ويبدو أن معز الدولة شعر بنية ناصر الدولة في إعلان استقلاله بالجزيرة، بخارصة وقد اصر على هدم إرسال الأموال المقررة من البلدان التي في يده كما كان يفعل الحمدانيون قبل مجي البويهيين. وهكذا قرر معز الدولة أن يقصد الموصل فأرسل جيشاً نجوفاً في رجب ٣٣٤ بقيادة قائد من هيا نال كوشة وموسى فبادة. وبمجرد أن وصل هذا الجيش إلى عكبرا قرب سامراء باغت نبال معسكر زمياء فنهبه وثلثهق بناصر للدولة السدي كان قد خرج من الموصل في جيش يضم الأتراك

(١) الذمبي، تاريخ الإسلام، مخطوط، ١٦ ورقة ٣٤ ب

(٢) التنبية والاشراف ٣٤٧/٣٤٦

(٣) Mufiz, The Caliphate, P. ٥78

فوصل سامراء في اواخر شعبان . ويمكن ان نستنتج بأن ينال كان من الأتراك الذين كرهوا الديلم الذين احتلوا مركزهم ، ومن يدري فربما كان القائد الآخر ديلمياً . ومهما يكن فقد بدأت الحرب بين الخصمين - ناصر الدولة ومعز الدولة - بعكس قرب سامراء (١) . وبينما كانت الحرب مستعرة انتهاز لناصر الدولة فرصة غياب خصمه عن العاصمة فأرسل اخاه ابا العتاف جابر بن عبدالله بن حمدان لاحتلال بغداد ، بالاتفاق مع ابي جعفر بن شيرزاد الذي دخلها وحكمها بأسم ناصر الدولة واستقبل بحفاوة من البغداديين . ولم يلبث ناصر الدولة نفسه ان دخل بغداد في رمضان ونزل بالجانب الغربي منها مخلفاً ابن اخيه الحسين بن سعيد بن حمدان في حرب البويهيين (٢) . غير ان معز الدولة حين وصلته هذه الانباء عاد سريعاً الى بغداد ، لكنه قبل أن يعود هاجم تكريت . - من أعمال ناصر الدولة - وانتهبها جنده (٣) . وعسكر معز الدولة في الجانب الغربي من بغداد قرب معسكر لناصر للدولة أسفل قطربل ، لما كان من هذا الا ان عبر الى الجانب الشرقي في الشامية وخلع طاعة المطيع لله وحذف اسمه من الخطبة وهو عمل خطير معناه إلغاء الخلافة العباسية ومحاولة حكم بغداد حكماً مستقلاً (٤) .

وقعت الحرب في بغداد وارتفعت الأسعار وبدأت كفة الحمدانيين هي الراجحة في اول الأمر حين اوقع الحسين بن حمدان بعسكر معز الدولة

(١) ابن الاثير ٤٥٣/٨ . مسكويه ٨٩/٢ . تاريخ يحيى بن سعيد ١١٠

(٢) مسكويه ٩٠/٢

(٣) ابن الاثير ٤٥٣/٨ . مسكويه ٩٠/٢

(٤) ابن الاثير ٤٥٣/٨ . بيروت ، ١٧٨/٨ ، القاهرة ، مسكويه ٩٠/٢

وفرض الحمدانيون الحصار على الجيش البويهى ومنعوا عنه الإمدادات. وقاسى اهل بغداد كالمعتاد المجاعة والضيقة فتسلط الجند على غلات الفلاحين وحصدوها ونقلوها الى معسكراتهم (١). ويقول المؤرخون (٢) بهذا الصدد ان الأعراب في جيش ناصر الدولة انتشروا في الجانِب الغربي فنعوا عن الجيش البويهى الميرة والعاف وغلّت الأسعار حتى بلغ سعر الرطل الواحد من الخبز درهماً وربع ، في حين كان السعر في معسكر ناصر الدولة معقولاً ، باعتبار انسه كان يستلم الميرة من الموصل بطريق دجلة « فكان الخبز عنده كل خمسة ارطال بدرهم » . واتخذ ناصر الدولة اجراء آخر في الانتفاض على سيطرة الخليفة والتعبير عن الاستقلال عنها ، فقد منع الناس من تداول الدنانير التي نقش عليها اسم المطيع « وضرب دنانير ودراهم على سكة سنة إحدى والثلاثين وثلاثمائة وعابها اسم المتقي لله » (٣). وهكذا أزال ناصر الدولة كل مظهر من مظاهر الاعتراف بالخلافة العباسية - الخطبة والسكة - وهي خطوة بالغة الجرأة لم يقم بها سوى القلائل من الحكام المستقلين . ويبدو لي ان الظروف هي التي شجعت ناصر الدولة على سلوك هذا المسلك ، فقد كان الناس في بغداد الى جانبه ومعارضين للحكم البويهى ، كما أن سيطرته على اقليم الجزيرة الغني حتى تكريت جنوباً ثم احتلاله بغداد بقوات عربية - تركية (بسل وديلمة وقرامطة كذلك) (٤) واهتد البسارعة في توفير القوات بأسعار رخيصة

(١) سكويه ١١/٢

(٢) ابن الاثير ٤٥٤/٨ . سكويه ١١/٢

(٣) ابن الاثير ٤٥٤/٨ . سكويه ١١/٢

(٤) سكويه ١٠/٤

جيشه وجاعته ، وفرض الحصار الاقتصادي على اعدائه عوامل مشجعة دفنته الى اعلان تمردّه على الخلافة (١) .

غير ان مجهود ناصر الدولة انتهى الى الاخفاق على الرغم من ان العامة والعيّارين (٢) كانوا في صفه ضد البويهيين كذلك ويعترف المؤرخون بأن شجاعة الديلم واسمائتهم كانت عاملاً فعالاً في هذه الحرب بحيث ان رجلاً واحداً (من الديلم) يفي بألف رجل (٣) . لقد اتبعت للحمدانيين فرصة ذهبية لحكم بغداد وقد انتهت الظروف بحيث ان ممر الدولة كاد ييأس من النصر وفكر جدياً في الهرب الى الاهواز (٤) . غير ان حيلة حربية هي التي غيرت ميزان القوى ، فقد استطاع ان يخدع ناصر الدولة وأن يعبر الى الجانب الشرقي من بغداد ليلاً وبوقع الاضطراب في الجيش الحمداني ، مما أدى الى هزيمة ناصر الدولة واستيلاء البويهيين على بغداد . ويروي لنا المؤرخون ما قاساه للعامة من مآسي في الايام التالية على الاحتلال وفي اقوالهم إشارات واضحة الى تأييدهم للحمدانيين ومعارضتهم للحكم البويهي . يقول مسكويه (٥) ان الديلم حين استولوا على الجانب الشرقي احرقوا ولهبوا وقتلوا جماعات من العامة . كما ان كثيراً من الرجال والنساء والصبيان مانوا في الطريق الى عكبر حين فروا من بغداد خوفاً من الديلم باعتبارهم وقفوا ضدّهم ايام الحرب . لقد

(١) يقول مسكويه ان كز دقيق الخنقة « أي ١٧٠٠ دطلا » اشترى ممر الدولة بمشرين الف درهم

(٢) مسكويه ٩١/٢

(٣) نفس المصدر ٩٢/٢

(٤) ابن الاثير ٤٥٤/٨ . مسكويه ٩٢/٢

(٥) ٩٢/٢

فأسسه بفسداد اياها سوداً وهو أمر متكرر ومألوف في ذلك العصر ،
 واث الجند الديلم نهياً وفساداً بحيث بلغ ما انتهوه من اموال التجار
 عشرة ملايين دينار (١) . ولم تقف القوضى عند حسد الا حين تدخل
 معز الدولة واستخدم القسوة في ايقافها (٢) .

ومها يكن من أمر فقد اخفقت آخر محاولة حمدانية للسيطرة على
 بغداد . ذلك ان ناصر الدولة بعد هذه الهزيمة اقام في عكبرا وارسل الى
 معز الدولة طالباً الصلح في بداية سنة ٩٤٦/٣٣٥ م ، قائلاً بحكم الجزيرة
 في ظل الاعتراف الاسمي بالخلافة وبسلطة البويهيين الحكام الفعلين
 جزاء مبالغ يدفعها ضمناً للبلدان التي تحت حكمه . ومن الجدير بالذكر
 انه اتخذ هذا الاجراء دون استشارة حلفائه الاتراك ، فلما علموا قرروا
 اغتياله ، فترك عكبرا على عجل واتجه الى الموصل (٣) . وروي
 مسكويه (٤) حادثة طريفة ملخصها ان البويهيين دبروا لناصر الدولة
 مؤامرة اغتيال ، فقد دخل رجل الى خيمته ليلاً وهو نائم . في خفة عن
 الحجاب والحرام . وتأكد من موضع رأسه على الوسادة على ضوء
 الشمعة التي كانت الى جانب سريره . واطفاً الرجل للشمعة وصاد الى
 خارج الخيمة ينتظر الفرصة المناسبة . وحين عاد كان ناصر الدولة قد
 انقلب من نومه وغير موضع رأسه ففرز الرجل السكينة في الوسادة وهو
 يظن انها في رأس ناصر الدولة . وعاد يبشر معز الدولة بنجاح المؤامرة
 فاذا كان مقصده ؟ لقد قتل معز الدولة ليظل النصر مكتوماً !

(١) ابن الاثير ٨٠٠/٢ . مسكويه ٩٤/٢

(٢) ابن الاثير ٨٠٠/٢ . مسكويه ٩٤/٢

(٣) ابن الاثير ٨٠٠/٢ . مسكويه ٩٤/٢

(٤) ٩٥-٩٤/٢

وعل الرغم من الصلح الذي تم بين ناصر الدولة والبويهيين فإن الصراع ظل قائماً بين الطرفين حتى نهاية حياة ناصر الدولة ، ثم استمر بين ابنه ابي تغلب وبين عضد الدولة . واني لا اعتقد بان الحمدانيين كالت لهم - قبل مجي البويهيين - غايات بعيدة وآمل ال كبيرة فقد طمعوا في حكم بغداد وجعل الخليفة تحت سيطرتهم . وكادوا يحققون هذا الهدف فعلاً لولا عوامل الحيلة التي اصابتهم وادت الى اندحابهم ، وامهما ظهور بني بويه ومن ورائهم العنصر الديلمي المحارب . وكانت اخر محاولة الحمدانيين في هذا المجال ما ذكرناه من دخولهم بغداد بالتهامون مع ابن شيرزاد أي بينهم وبين الأتراك ضد الديلم . كانت فعاليات ناصر الدولة ومطامحه قد تخطت في هذه الفترة - أي قبل هزيمته - كل الحدود . وان مطامحه بلغت خراسان ، بحيث انه عين في خدمته ابراهيم بن احمد الساماني وشجعه على ان يحتل بلاد خراسان التي كانت في يد ابن أخيه نوح بن نصر الساماني ثم وردت كتبه من الري على ناصر الدولة بأنه سائر الى ليسانبور لمحاربة ابن أخيه نوح فأنفذ اليه ناصر الدولة خاتماً سلطانية ولواء ... (١) غير انه فشل في هذا المجهود كذلك .

وحين اخفقت محاولة ناصر الدولة وادرك ان البويهيين ثبتوا اقدامهم في بغداد ووضعوا سيطرتهم الكاملة على الخليفة ، أرسل سفيراً من عكبرا (أي قبل رحيله نزل الموصل) يطلب الصلح . وتوصل الطرفان الى توقيع معاهدة في المحرم ٣٣٥ تنص على :

١- ان يكون في يد ناصر الدولة من تكريت وما يليها شمالاً ويضاف

الى اعراله مصر والشام على ان لا يحمل عن الموصل وديار ربيعة شيئاً من المال .

٢- ان يحمل ناصر الدولة عن مصر الشام مثل ما كان يحمله الاخشيدي محمد بن طغج عنها .

٣- ان يرسل ناصر الدولة الميرة والاقوات الى بغداد لتلاقي الغلاء والمجاعة هل الا يؤخذ عنها ضريبة (١) .

والواقع ان هذا الصلح ادى الى عكس ما كان يريد معز الدولة فقد قوى نفوذ ناصر الدولة ووسع مملكته ، فأصبحت - ولو نظرياً - تشمل جميع مناطق الجزيرة ومصر والشام . وكانت هذه فرصة ذهبية لم يحسن الأمير الحمداني استغلالها ، فلو كان حكماً بعد النظر لاستطاع ان يغدو حاكماً لمناطق شاسعة تشمل العراق والشام ومصر ولتتمكن من ان يحل محل الدولة الاخشيديّة التي بدأت تفقد قوتها . غير أنه برهن في هذا الموقف - كما في غيره - على قصر النظر . ولم يثبت أنه قادر على حكم دولة واسعة منظمة ، وظل يرف بالدرجة الاولى الى جباية الاموال دون ان يقوم بأي اصلاح يرضي رعيته . ومن نتائج هذه السياسة ان الصلح لم يستمر طويلاً ، فرغم ان معز الدولة نصر ناصر الدولة ضد الأتراك الذين تزعمهم تكتين الشيرازي بعد ان كادوا يفتكون به واعاده الى ولايته (٢) ، نجد ناصر الدولة يحاول عدم تنفيذ الصلح وخاصة ما يتعلق منه بمال الضمان مما أدى الى خروج معز الدولة الى الموصل ثانية سنة ٣٣٧ هـ ،

(١) مسكويه ١٠٨/٢ . ابن الاثير ١٦٦/٨

(٢) مسكويه . تجارب الامم ١٠٩/٢ - ١١١ . ابن الاثير . الكامل ١٨٤-١٨٣/٨

حيث حدد خنلع آخر بعد المفاوضات بينهما . وكان هذا الصلح في الحزب .
مصلحة ناصر الدولة لأنه قلص نفوذه وقلم أظافره وينص على :

١- ان يتحمل ناصر الدولة من الموصل وذياب ربيعة وذياب مضر
والرحبة والشام في كل سنة ثمانية ملايين درهم .

٢- ان يقيم الخطبة لعماد الدولة ومعز الدولة ويختار من معز الدولة .

٣- أعاد الفضل والحسين ابني ناصر الدولة رهينة (١) . وبذلك أصبح
مجرد تابع للبويعيين على حين كان يوسعه ان يقف ليداهم لو احسن
التصرف .

وبلاحظ الباحث ان هذه الحوادث تتكرر فكلما آتت لناصر الدولة .
ضعفا لدى الحاكمين ببغداد استقل بولاياته وقطع الأموال فاذا طرق
الخطر بابيه وهدده معز الدولة تهديداً فعلياً عاد يطلب الصلح . وقد ظل
الصلح معقوداً بين ناصر الدولة والبويعيين من ٣٣٧-٣٤٦ هـ فلا نجد
ذكر العلاقات العدائية بينهما . وفي سنة ٣٤٦ قطع ناصر للدولة الأموال
المقررة ثم عاد فوافق على ارسال مليوني درهم فقط في كل سنة (٢) .

نقم معز الدولة على ناصر الدولة تأخير الدائم للأموال ونقصه للعهود
وعندم عرفانه للجميل فخرج لحزبه وأولاده سنة ٣٤٧ وأمر أن تكتب
عنه توبيخات عنيفة شديدة اللهجة تقرأ في كل مكان ، وهي في غاية
الطرافة والأهمية وفيها اتهم معز الدولة خصمه بالعقوق والتغلب وانتهاز

(١) سكرية ٠ نجارب الام ١١٥/٢ .

(٢) ٢٠٦/٨ بين الام ١٠ الكامل ٢٠٦/٨ .

الفرق بين عدم الاخلاق وغيره بأنه أفتقده من تكمن في نوره اليه اعتباراً
وغفر له ذنوبه غير أنه لم يزل قلبه لمع الدولة فظهر المحج (١) ثم
استظهر حجة عليه ثم حصل في يد وزيره الصبغري جهنم المستجيرة
للذليل فوق لك ولو شاء لاسرك واشتمل على بلادك وقلاعك . وظننت
أنك تعرف لي حق هذه النعمة وتطالب نفسك عليها بالمجازاة فاييت الا
غدرأ بي وتقيحاً في معاملتي وليتك لما لم تعمل عمل الاصدقاء الاوفياء
عملت عمل الاعداء الخرماء فكانتني تعرض نفسك علي في النافذة التي
فانبتني ... وتبدل على معاونتك فكنت تنفذ عسكري الى تكريت على أنه
مدد لي فان لاح لك استظهار مني فمضت علي وتوددت الي وان لاح لك
استظهار علي اظهرت ما في نفسك ... (٢) فاجاب ناصر الدولة على
هذا التوبيخ المهين قائلاً : انك قد صدقت في جميع ما هددت واني
معتزف به والله ما كان عن رأي ولا أمرت به ولكني شيخ لي اولاد
احداث بخالفوتي في تدبيرهم فيركبون الهوى في أمورهم ولا رأي لمن
لا يطاق (٣) .

هذه التوبيخات ، تظهر باخلاق ناصر الدولة على حقيقتها فهو
متقلب ميال الى الميول قوة عبده تودد اليه وتخضع له ، وان آسن منه
ضعفه تنكر له وكان حرباً عليه . وقد اعترف ناصر للدولة في جوابه

(١) سكوه . تبارك الأس ١٢٩/٣

(٢) نفس المصدر ١٦٩/٢

(٣) نفس المصدر ٢٤١/٣

بالعرب التي صفها به معز الدولة لكنه برر تصرفاته بتسلط اولاده عليه . والواقع ان ناصر الدولة كان قد جاوز في هذه السنة (٣٤٧) الخمسين من عمره ، وسرى بعدئذ امثلة لاستبداد اولاده وتكرهم له .

غير ان ناصر الدولة اخبر المال رغم كل ذلك فخرج معز الدولة الى الموصل سنة ٣٤٧ وقد أخذ منه الغضب كل مأخذ ففر ناصر الدولة الى نصيبين . وكان من عادته اذا هاجمه عدو ان يترك الموصل ومعه كل كبايه وموظفيه وادلائه ودفعته حساباته ودواوينه الى قلاعه الحصينة وبأمر الاعراب يمنع الميرة عن عدوه (١) . لذلك قاسى معز الدولة صعوبات شديدة في المؤن كما ان ابا المرجى وهبة الله ابنا ناصر الدولة دمرا فرقة كاملة من جيشه في سنجار (٢) . لكن معز الدولة طلب المدد من بغداد ثم سار الى نصيبين للحصول على الأقوات فاصعد ناصر الدولة الى ميفارقين متخفيا عن جيشه بعد ان يش من الصمود ، فلجأ جنوده الى الأمير البويهبي كما لجأ اليه اخو ناصر الدولة ابو زهير . ولما ضاقت بالأمير الحمداني السبل لجأ الى أخيه سيف الدولة بحلب الذي تلقاه بالتجلة والترحاب وخدمه بنفسه حتى زرع خقه بيده (٣) . وتوسط سيف الدولة هذه المرة في الصلح فقبل معز الدولة شفاعته وضمانه وعقدت عليه ولايات أخيه على ان يدفع مليونين وتسعمائة الف درهم سنويا يدفع مليوناً منها مقدماً ،

(١) ابن الاثير . الكامل ٢٠٦/٨ - مسكويه تجارب الامم ١٧١/٢

(٢) مسكويه . تجارب الامم ١٧١/٢

(٣) ابن الاثير . الكامل ٢٠٧/٨ - مسكويه . تجارب الامم ١٧١/٢

وهكذا عاد ناصر الدولة الى مملكته بضمهان أخيه سنة ٣٤٨ هـ (١) :

ظل الصلح قائما حتى سنة ٣٥٢ ثم نقضه ناصر الدولة على عادته وتكرر القصة نفسها حيث سار مع الدولة الى الموصل عام ٣٥٣ وفر ناصر الدولة امامه على عادته في تجنبه له دونه مستغلا وعورة الجزيرة وصعوبة التموين وبذلك يتعب مطارده ويوفر على نفسه مشقة الحرب (٢). وبالرغم من ان ناصر الدولة واولاده نالوا انتصارات محلية ، فإن النصر النهائي كان لمع الدولة الذي رفض هذه المرة باصرار اسناد الولاية الى ناصر الدولة (٣) فضمن ابنه ابو تغلب اعمال ابيه على ان يدفع مائة الف درهم عن بقية سنة ٣٥٣ وستة ملايين ومائتي الف درهم عن كل سنة من ٣٥٤-٣٥٧ (٤)

وهنا ينتهي عصر ناصر الدولة عمليا ويختفي من ميدان السياسة تقريبا فيحل محله ابنه ابو تغلب فضل الله الذي يحاول اثبات حسن نيته

(١) ابن الاثير - الكامل ٢٠٨/٨

(٢) مسكويه - تجارب الامم ٢٠٤/٢

(٣) لامي فراس الحمداني قصيدة مدح فيها سيف الدولة وعرض ناصر الدولة لفراره امام معز الدولة - وقد ذكر فيها خصال ناصر الدولة واخذ اخيه له وسنّها

ولم يفضل حقيلا في ولادته	مل علي اخيه السن والقدم
وكيف يفضل من ادرى به بطل	وقعدة اليد والرجلين والسم
كادت محاربه ترديه فانقذه	منها بحسن دفاعه محكم

الديوان ٣٦٨-٣٦٦/٢

(٤) ابن الاثير - الكامل ٢١٧/٢

بارساله أموال طائلة الى بغداد سنة ٣٥٤ (١) . وقد بلغ ناصر الدولة حين
 للشيخوخة فسات احواله وضيق على أولاده ففقد احترامهم سنة ٣٥٦
 حتى أجبلوا يعرضون عن مشورته (٢) . ومن أمثلة ذلك ان ابا تغلب
 واخوته فكروا في الاستيلاء على بغداد واسقاط بختيار الذي خلف اياه معز
 الدولة عام ٣٥٦ فنصحبهم والدمهم بالثريث والتدبر حتى تنفذ اموال بختيار
 وتغلو يده نتيجة انشغاله باللعب والسكر (٣) . ويبدو ان ابا تغلب واخوته
 ضاقوا ذرعا بتدخل ابيهم ووقره في وجه اغراضهم السياسية فقبضوا
 عليه مستغلين ضعفه وشيخوخته ، واعتقله ابو تغلب في احدى الفلاع
 ليلة السبت ٢٤ جمادي الاولى سنة ٣٥٦ ، وضمن من بختيار اعمال ابيه
 بمليون ومائتي الف درهم سنويا (٤) . ويقول المؤرخون ان قوى ناصر
 للدولة العقلية اختلت بسبب حزنه على أخيه سيف الدولة الذي توفي
 سنة ٣٥٦ كما انه اصابه بالصمم (٥) مما ساعد اولاده على التخلص منه
 بهذه الطريقة التي تدل على العقوق وظل ناصر الدولة معتقلا حتى توفي في
 عصر يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول سنة ٣٥٨ وله من العمر ستون سنة على
 الأقل (٦) . ودفن بالموصل في جبل التوبة شرقي هذه المدينة (٧) .

(١) سكويه ١٠٠/٤١٥

(٢) ابن الاثير ٢٢٨/٨

(٣) سكويه ٢٢٨/٢

(٤) ابن الاثير ٢٢٨/٨ - تسكويه لغارب الاسم ٢٢٨/٣

(٥) ابن خلكان ١٧٦/١ - وفيات الاميان ١٧٦/١ - ديوان ابي فراس ٢/٣٦٦-١٨

(٦) ابن الاثير ٢٢٨/٨ - الكامل ٢٣٤-٢٣٥

(٧) ابن خلكان ١٧٦/١ - وفيات الاميان ١٧٦/١

ولا يسع الباحث وهو ينتج حياة ناصر الدولة الا ان يحكم عليه حكما قاسيا، فنحن اذا استثنينا المقدرة الحربية وقوة العزيمة وهما صفتان ميزتا جميع الحكام المستقلين في القرن الرابع وجدنا ان خصال هذا الامير وأعماله تدمغه بتهمة الفشل السياسي . فهو علاوة على قسوته ونقصه للعهود لم يقدم لشعبه لخدمات كثيرة يذكرها له التاريخ . وكانت سياسته الداخلية تقوم على استنزاف موارد البلاد وسياسته الخارجية على صراع حربي غير منظم ادى الى اضعافه وإشاعة للفوضى في مملكته ، بل انه اخفق حتى في ايجاد الوحدة والوفاق بين ابنائه مما ادى الى طغيانهم عليه في أواخر حياته واختلافهم فيما بينهم بعد وفاته .



الفصل الثالث

خلفاء ناصر الدولة

- ١- الصراع بين الأخوة ٢- التدخل البويهى ٣- الأميرة جميلة -
- ٤- نهاية الحمدانيين في الموصل ٥- اللجوء الى الفاطميين .

١- الصراع بين الأخوة

خلف ناصر الدولة أبناء عديدين ذكوراً وإناثاً هم ابو المرجى جابر (أو ابو المرجا الذي توفي قبل ٩٦١/٣٥١) (١) وابو القاسم هبة الله وابو البركات لطف الله (ت ٩٦٩/٣٥٩) وابو الفوارس محمد وابو طاهر ابراهيم (ت ٩٩١/٣٨١) وابو المظفر حمدان وابو عبدالله الحسين (ت ٩٩٠/٣٨٠) وابو المطاع ذو القرنين ، والغضنفر فضل الله ابو تغلب عدة الدولة (ت ٩٧٩/٣٦٩) وهو أهمهم من وجهة نظر المؤرخ . واشتهرت من بنات ناصر الدولة جميلة ، كما وردت اشارات عابرة الى ابنة اخرى هي علوية (٢) .

كان ابو تغلب أبرز اخوته ، وهو من زوجة كردية لناصر الدولة كانت أثيرة لديه مسموعة الكلمة عنده (٣) ، يبدو انه تزوجها لمصلحة سياسية هدف من ورائها الى جذب الأكراد الى صفوفه . وقد مارس

(١) ابو المرجى «أو المرجاء» بتشديد الجيم . ويرد «ابو الرجال» خطأ في السورلابن خلدون (٢) ورد ذكر هؤلاء في ديوان ابي فراس « شرح ابن خالويه » م ٩١٠/٤ - ديوان (٣) التوشحي ، انوار المعاصرة ٤٣٠ « مجلة المجمع العلمي بدمشق » .

أبو تغلب شؤن الحكم والادارة في حياة ابيه ثم اعتقله سنة ٣٥٦/٩٦٦م واستأثر بالسلطة . وقد أطاع أبا تغلب جميع اخوته عدا ابي المظفر حمدان ، فقد نعم على اخيه معاملته المأقة لأبيه ناصر الدولة ، وكان هذا بنوره يؤثر حمدان على سائر أولاده حتى انه ولاء الرقة ونصيبين والرحبة بعد وفاة سيف الدولة (سنة ٣٥٦) واطلق يده في تلك النواحي ومواردها (١) .

ومن الجدير بالذكر ان ناصر الدولة في اواخر ايامه لم يتمتع باحترام أولاده وطاعتهم ، بل انهم كانوا يرفضون مشورته ويتمردون عليها ، وكان اكثر الاخوة تمرداً هو ابو تغلب . ويعمل المؤرخون تمرد ابي تغلب على ابيه واعتقاله بسبيين ارجحاً ان ناصر الدولة حين بلغ من الشيخوخة أخذ يفرط في سوء الظن بأولاده والتفتير عليهم ، وعلى حاشيته . ويقول مسكويه (٢) بهذا الصدد : ان ابا تغلب قبض على ابيه ناصر الدولة لما رآه قد كبر ولم يبق فيه بقية غير سوء الظن والتفتير على أولاده وعلى حاشيته ... ، ويؤكد ابن الاثير ذلك بقوله (٣) : ان سبب القبض على ناصر الدولة ، انه كان قد كبر وساءت اخلاقه ، وضيق على أولاده وأصحابه ، وخالفهم في اغراضهم للمصلحة فغضبوا منه . غير ان السبب الثاني كان هو الأهم وهو الحامم ، فقد عارض ناصر الدولة قرار أولاده (الذين تزعمهم ابو تغلب) باحتلال بغداد والاطاحة بالبويعيين والوثوب الى السلطة . وكان رأي ناصر الدولة

(١) ابن ظافر . اختار الدولة المنتظمة . منوط . ورقة ١١١ .

(٢) تعريب الاسم ٢/٢٣٨

(٣) ٥٧٩/٨ (٥٥٥)

الاستمعة لـ: لبقائه تنفيذ هذا المشروع وان ينتظروا ريثما يريد اختيار
 بين معز الدولة أمواله الفضيلة. ثم يتصلون على شراء المؤمنين بالمال الذي
 استملك منه الحمدانيون الشيء الكثير... غير ان ابا تغلب لم ترق هذه
 النصيحة للتي تحذ من طموحه ومن ثم قام باعتقال ابيه كما أسلفنا (١) :

نشأ النزاع بين الأخوة بسبب الاجراء القاسي الذي اتخذه ابو
 تغلب بحق الأب الشيخ ، وفي هذا الصدد يقول مسكويه (٢) ان ابا
 تغلب حين قبض على ابيه وأصعده الى قلعته ووكّل به من يحمله ويزرع
 . علته في حاجاته . فامتنع بعض اخوته وانتشر النظام الذي كان يجمعهم
 . فشغلهم حفظ ما في ايديهم عن طلب ما ليس لهم . أي ان المشروع
 . الذي طمح اليه ابو تغلب . وهو القضاء على سلطة البويهيين . حال
 . دون تنفيذ الصراع بين الاخوة الذي قاد الى أبشع النتائج ومزق وحدة
 " الأسرة الحمدانية . ومن الطريف ان المؤرخين تشاءوا من هذه السنة
 (٣٥٦) واعتبروها سنة جنائزية تلاحق فيها مشايخ الملوك بالموت ،
 . فقد مات سيف الدولة ومعز الدولة ونقفوز ملك السروم وكافور
 - الاخشيدي وشمكير بن زيار ومجد بن الياس (صاحب كرمات) (٣) .
 وقد اساء ابو تغلب في الحق لمصلحة الحمدانيين انفسهم فانه في سبيل
 . الاستئثار بالسلطة لجأ الى مداراة البويهيين الذين ادعى انه كان يريد
 الاطاحة بهم ، وانبرى يطلب تجديد عقد الصلح لينتفك عن اخوته

(١) مسكويه ٢٣٨-٢٣٩ / ٢ ابن الاثير ٥٧٩/٨ .

(٢) ٢٣٨-٢٣٩ / ٢ . كذلك ابن الاثير ٨٠/٨ .

(٣) مسكويه ٢٣٩/٢ . ابن الاثير ٨٠/٨ .

و فضمنه - أي يختص - البلاد بالف الف ومائتي الف درهم كل سنة (١) . وذلك نتيجة لنجاح كاتبه أبي الحسن علي بن عمرو بن ميمون في تدليل الصعوبات في بغداد (٢) واقتناع بختيار بتوقيع العقد مستغلا سوء الأحوال المالية وافتلاس الخزينة المركزية .

حقاً لقد مزق أبو تغلب وحلة الأسرة الحمدانية التي انفتحت عبيديها ناصر الدولة وسيف الدولة ، وظهر الصراع بين الأخوة مكشوفاً ومبتذلاً حتى « انخرقت الحشمة » بين الأخوة على حد تعبير مسكويه (٣) . وقد انقسم الأخوة الى فريقين فريق أبي تغلب وشقيقه أبي البركات وشقيقته جميلة (وكلهم من فاطمة بنت أحمد الكردية) وفريق حمدان الذي اسلفنا انه كان اثيراً لدى أبيه حتى اقطعه الرحبة وماردين وغيرها ما أوغر صدور اخوته الآخرين . ويصرح المؤرخون بأن فاطمة هي التي حرضت ابنها الأكبر ابا تغلب على الخروج على أبيه خوفاً من أن تؤول السلطة الى حمدان الذي يعتبر اشجع الأخوة وأكثرهم شهامة والتزاماً بالقيم الخلقية (٤) . ويبدو ان ناصر الدولة أحس بالمؤامرة التي تجري من حوله فراسل ابنه حمدان يستدعيه ليشد أزره ، فيعبر ان الرسالة وقعت في ايدي حزب أبي تغلب فأثقلوها ، ومن ثم قصدي أبو تغلب وجماعته الى القبض على أبيهم ليلاً - وأرسل الى

(١) ابن الأثير ٥٨٠/٨ - مسكويه ٢٣٩/٢

(٢) مسكويه ٢٣٩/٢

(٣) ٢٥٦/٢

(٤) ابن الأثير ٥٩٣/٨ - مسكويه ٢٥٥/٢

قلعة كواشي ، حيث توفي في ربيع الاول ٢٥٨/٩٦٨م (١) .

تنازع الاخوة على السلطة فوقف حمدان في وجه ابي تغلب واخوته
الاخرين وكتب اليهم يأمرهم بالافراج عن ابيه ، غير ان ابا تغلب سار
لحربه فتحصن حمدان بالرقعة ثم سار الى الرافقة حيث دارت بين
الاخوين مناوشات انتهت بالصلح على دخن (٢) . وظل حمدان يناوئ
اخاه حتى أنه هدده بالاستعانة بالبويهيين فاذا لم يجد ذلك فبالقراطة
واذا اعوزه الأمر فبملك الروم ، وكان رد ابي تغلب أنه استولى على
قلاع اخيه وطرده نوابه وموظفيه (٣) . وأظهر الاخوان عداوتها
الصريحة للسافرة فارسل ابو تغلب اخاه ابا البركات في جيش كبير ما أن
ابصر به اصحاب حمدان حتى استسلموا . فلم يملك هو الا الفرار لاجئا
الى بختيار بن معز الدولة مع أهله وحاشيته فاستقبله احسن الاستقبال
واسكنه دارا مريحة مؤثثة بأفخر الرياش واغدق عليه المال والثياب
والطيب والدواب ، بمراكب ذهب وفضة (٤) . ثم توسط بختيار
بين الاخوين فنصالحا وعاد حمدان الى الرحبة سنة ٣٥٨هـ (٥) .

غير أن النزاع قام بينها من جديد سنة ٣٦٠ فارسل ابو تغلب اخاه
ابا البركات الذي طرد حمدان من الرحبة والجاه الى الفرار الى دمشق .
غير أن العطش أصاب حمدان وصحبه في الصحراء فاضطر الى العودة

(١) ٥٩٣/٨

(٢) مسكويه ٢٥٥/٢

(٣) نفس المصدر والمكان .

(٤) المصدر السابق ٢٥٦/٢

(٥) ابن الاثير . الكامل ٢٣٤-٢٣٥/٨

الى الرحبة على جنح الليل ودخلها من ثلثة أحدثها في السور و اباد الحامية التي تركها بها ابو البركات واستولى على أمواله واسلحته ثم اصعد الى قرقيسيا . ولما علم ابو البركات بذلك عاد مسرعا وجرت بين الاخوان مناوشة في ماكسين على نهر الخابور وعلى مقربة من رحبة مالك بن طوق (١) فأمر حمدان ابا البركات وحمله الى قرقيسيا حيث توفي من جرح خطير اصابه فأرسله في تابوت الى الموصل (٢) .

انقسم اولاد ناصر الدولة الى حزبين فانحاز محمد ابو الفوارس الى حمدان وكان يتولى نصيبين غير ان ابا تغلب اعتقل محمدا في قلعة اردمشت وكانت من اقوى قلاع الحمدانيين في الجزيرة . وكبله بالحديد فظل محبوسا حتى اطلقه عضد الدولة كما سئرى (٣) . وقد أثار هذا العمل الوحشي اخوة ابي تغلب وخاصة الحسين و ابراهيم اللذين انحازا الى حمدان (٤) . ولجأ ابو طاهر ابراهيم الى عز الدولة بختيار ثم تبعه اخوه ابو القاسم هبة الله فرحب بهما الأمير البويهى عند وصولهما الى واسط سنة ٣٦١ و اغدق عليهما الهدايا من الثياب والطيب والدواب وانزلها في دارين فخمتين (٥) . وكان رد ابي تغلب على ذلك أنه استولى على قلعة ماردين التابعة لحمدان وصادر أمواله وممتلكاته من الفرسر والثياب

(١) معجم البلدان ٢٦٦/٧

(٢) مسكويه . تجارب الامم ٢٩١/٢

(٣) التتوغى . نشوار المعاصرة ٢٣٥/١

(٤) نفس المرجع ٢٣٥/١

(٥) مسكويه . تجارب الامم ٢٩٢/٢

والجوهر (١) . والحق أن ابا تغلب يذكرنا في تصرفاته هذه بأبيه فقد كان مثله قاسيا واقعيا يقدم مصالحه على كل اعتبار اخر ولا يقيم وزنا لاية عاطفة .

٢- التخلل البويعي

استطاع حمدان واخوته الذين لجأوا الى البويهيين وهم ابراهيم وذو القرنين ابو المطاع (٢) وهبة الله ان يكونوا حزبا قويا ضد ابي تغلب غير انه استطاع ان يفرق بينهم فجذب الى صفه ابراهيم وذو القرنين . ومع ذلك ظل حمدان مصرا على موقفه العدائي من أخيه واستطاع ان يفرى بختيار بمساعدته فاقنعه بالمسير الى الموصل سنة ٣٦٣ (٣) . فما كان من ابي تغلب الا أن مثل دور ابيه مع معز الدولة فهجر حاضرتة بعد ان اخلاها من جميع المؤن والكتاب واللواوين وقام بمناورة جريئة فقصده ببغداد بجيشه منتهزا غياب بختيار عنها ونزل قرية القادسية على نهر الدجيل على بعد نحو ثلاثة فراسخ من بغداد وعامل أهلها معاملة حسنة فجذبهم الى صفه (٤) . وقد اسلفنا القول أنه كان يفكر في احتلال بغداد والقبضه على بختيار منذ ايام ناصر الدولة .

كان نائب بختيار في بغداد سيكتكين ويبدو أنه لم يكن مخلصا

(١) ابن ظافر . اخبار الدول المنقطعة ، مخطوط ، ورقة ١٢

(٢) كان ذو القرنين ابو المطاع وجه الدولة رعية لدى معز الدولة ثم بختيار منذ عهد ناصر الدولة كما مر بنا .

(٣) ابن الأثير . الكامل ٢٤٩/٨ - ٢٥٠

(٤) مسكويه . تجارب الأمم ٣١٧/٢

لسيده فقد تأمر مع ابي تغلب ضده وقسم العمل بينها فكان على سبكتكين ان يقبض على الخليفة المطيع ووالدة بختيار وحرمه ويعلمن للعصيان في بغداد . اما ابو تغلب فكان عليه ان يعود الى الموصل للقضاء على بختيار . ويظهر ان سبكتكين خاف العاقبة فتهرب من وعده ولحق ببختيار مما فت في عصب ابي تغلب وجعله يتخلى عن مشروعه الخطير ، فغادر بغداد الى حاضرتة حيث وجد بختيار في الدير الاعلى خارج الموصل وهناك جرت مفاوضات الصلح التي قطعها وصول سبكتكين وحمدان ومحمد بن بقة الوزير الذين اقمعوا بختيار بحرب ابي تغلب ، لكنه كان قد مل الحرب والبعد عن بغداد حيث ملاهيه ومجالى انسه ، فقبل شروط ابي تغلب وهي ان يلقب لقباً سلطانياً وان تزف اليه بنت بختيار (١) . وفي رجب سنة ٣٦٣ عقد الصلح فعلاً واصدر المطيع عهداً بتلقيب ابي تغلب عدة الدولة وانفذت اليه خلع سلطانية ونقلت اليه زوجته وذلك يوم الخميس ٢٠ ذى الحجة من تلك السنة (٢) . واذا قرأنا عهد المطيع الى ابي تغلب نستطيع ان نستنتج توسع سلطانه وقوة نفوذه فقه اسند اليه الخليفة جميع السلطات في اقليم الجزيرة وخاطبه بلهجة تدل على التقدير (٣) ، ولا غرابة في ذلك فقد كانت السلطة الحاكمة ببغداد في غاية الخور وكان بختيار يؤثر السلامة ليعكف على ملوه وانسه ولم يكن الخليفة اقل ضعفاً منه .

(١) ابن الاثير . الكامل ٢٤٩/٨ - ٢٥٠

(٢) مسكويه . تعارب الاسم ٣٢١/٢ . ابن طاهر . اخبار الدول المنقطعة ورقة ١٣ ب

(٣) الصاي . رسائل الصاي ١٧٤ - ١٧٧

ظل حمدان يعمل بكل وسيلة على الانتقام من أخيه غير ان ابا تغلب استطاع ان يحالف عضد الدولة البويهى الذي استولى على السلطة في بغداد واخرج ابن عمه بختيار الى الشام سنة ٣٦٧ وشرط عليه الا يتعرض لابي تغلب بسوء . واستغل حمدان نفقة بختيار فقابله في عكبرا واغراه ان يستولى على الموصل ، واوحى اليه انما خير له واجدى عليه من الشام . لكن ابا تغلب ابطل تدبير اخيه حين ارسل مع كاتبه علي بن عمر هدايا ثمينة الى بختيار وهو بتكريت (١) . وكان علي بن عمر يحمل مع الهدايا رسالة طلب فيها ابو تغلب من بختيار ان يقبض على حمدان ويسلمه اليه ومنه ان يعينه . مقابل ذلك . على حرب عضد الدولة . ووقع بختيار في مأزق حرج لأنه كان قد حاف لحمدان ان يكون معه غير ان المصالح المادية قضت على رده فهبأ السبيل للقبض على حمدان دون ان يشترك هو شخصيا في هذا العمل وبذلك اقنع نفسه أنه حقق مصلحته دون ان يحنث بيمينه . ولما قبض ابو تغلب على أخيه حبسه في احدى القلاع ثم قتله بمساعدة اخته جميلة (٢) . وهكذا كانت أواصر الاخوة والعهود والايمان والمعاهدات في هذا العصر أمورا لا قيمة لها مجالب الاطماع والمصالح الشخصية . ولما فتح عضد الدولة الموصل وجد جثة حمدان ملقاة في بعض القلاع في حين فر أبنته ابو السرايا الى بغداد ملتجئة الى عضد الدولة (٣) .

بر ابو تغلب بوعده فخرج مع بختيار من الموصل في خمسة وعشرين

(١) ابن طاهر . اخبار الدول المنقطعة . مطرط . ورقة ١٤

(٢) ابن الاثير . الكامل ٢٧٥/٨

(٣) ابن طاهر . الدول المنقطعة . مطرط . ورقة ١٤

الف رجل (١) او عشرين الفا (٢) في رواية اخرى ، وترك عضد الدولة بغداد فالتقى باعدائه يوم الاربعاء ١٨ شوال ٣٦٧ في قصر الجص (٣) ، وهزمهم شر هزيمة فقداسر بختيار وحز رأسه (٤) وتغلب ابا تغلب الذي فر الى الموصل وأغلاها من جميع المؤن والأموال والدواوين (٥) . غير ان عضد الدولة كان قد اتعظ بالتجارب فحمل معه المسيرة والاقوات والكتاب ودخل الموصل منتصرا واحتل أعمالها وظل بها يدبر أموره ويستجم . واقام ابو تغلب مع جميلة اخته وشريكته في الحكم في ميافاوقين واخذ يرأس عضد الدولة مستغفرا نادما ، غير ان هذا صرح بان الموصل احب اليه من بغداد ، ولعله يشير بذلك الى انها اشبه بطبيعة بلاد الديلم الجبلية . ولما اصترح عضد الدولة سار للقضاء على غريمه الذي نقل أهله الى حصن بدليس وذهب هو الى الحسنية من نواحي الجزيرة حاملا معه كل ما لديه من مال وجوهر ودر ومناج ، ففر ابو تغلب على وجهه سالكا طريقا ملتويا ليصل الى بدليس فلما ادركته عساكر عضد الدولة دخل بلاد الروم ولجأ الى الملك بردس السقلاروس Bardas Sclerus الذي دعاه العرب ورد الرومي (٦) .

ولما كان بردس مشغولا بمشاكله الداخلية فقد ترك ابو تغلب بلاد

(١) مسكويه - تجارب الامم ٢٨٠/٢

(٢) ابن الاثير - الكامل ٢٧٥/٨

(٣) قصر الجص - قصر عظيم قرب سامراء . بناء المنصم للترعة . يائرت . معجم البلدان ١٠٠/٧

(٤) مسكويه - تجارب الامم ٢٨١/٢

(٥) نفس المصدر ٢٨٢/٢

(٦) نفس المصدر ٢٨٦/٢

الزوم ونزل بأمد حيث قضى شهرين ينتظر مصيره ، على حين أخذ ابو الوفاء طاهر بن محمد قائد عضد الدولة يفتح المسدن والحصون واحدا اثر الآخر حتى بلغ ميفارقين التي كانت من أحصن مدة الجزيرة فحاصرها . ولما مل أهلها الحصار سلموا مدبنتهم الى قائد عضد الدولة سنة ٣٦٨ (١) . وسارت فرقة من الجيش البويهى لفتح آمد ففر ابو تغلب الى الرحبة مع شقيقته جميلة في حين ارسل أهله واخوانه الاخريات لاجلت الى ابي الوفاء . وهكذا استسلمت آمد وبقية مدن ديار بكر وعاد ابو الوفاء الى الموصل يحمل في ركابه الاسرى والغنائم بعد ان نظم الادارة والشؤون المالية هناك وترك موظفين اكفاء في الحصون والمدن المفتوحة (٢) .

بعث ابو تغلب من الرحبة وقد يتكون من أخيه ابي عبدالله الحسين وسلامة البرقعدي وهومن كبار الغلمان الحمدانيين الى عضد الدولة وكان الوفد يحمل رسالة تفيض استعطافا وتوسلا ، وظل هو ينتظر الرد على احر من الجمر غير ان عضد الدولة استطاع ان يستميل اليه الحسين ممنا اياه بالوهود المعسولة فخلل هذا أخاه وانضم الى حاشية عضد الدولة (٣) . ومما ساعد على خذلان ابي تغلب ان ابن عمه سعد الدولة حالف عضد الدولة ضده وكوفي* ببعض مدن ديار مضر (٤) ، وبذلك فقد ابو تغلب كل امل في النصر او الصلح . ويجدر بنا ان نلاحظ هنا بان عضد للدولة كان أحزم من معز الدولة فلم يفعل ما فعله هذا مع ناصر الدولة من العفو

(١) سكويه . تجارب الأمم ٢/٣٩٠

(٢) ابن الاثير . الكامل ٨/٢٧٥ . سكويه . تجارب الأمم ٢/٣٩١

(٣) سكويه . تجارب الأمم ٢/٣٩٢

(٤) ابن الاثير . الكامل ٨/٢٧٥

المحكر بل أراد ان يحطم قوة الحمدانيين في الجزيرة نهائيا ، تلك القوة التي رعت امن الخلافة واقدتها سيادتها من ذلك ، خاصة وان تلك الاقاليم كانت مشهورة بانخى ووفرة الحاصلات ووجودها تحت سلطة الخلافة المباشرة يجعل تحت تصرفها موردها ماليا كبيرا المخزينة المركزية يمكن الانتفاع منه في المشاريع الكثيرة التي كان عضد الدولة ينوي القيام بها .

وأخذ عضد الدولة يفتح قلاع الجزيرة الغنية الممتدة على ضفة دجلة الشرقية . كاردمش التي كانت تزخر بالامنة والموال والجواهر والحلي ، وعند وصف لنا مسكويه (١) الذي كان شاهد عيان لهذه الحوادث وكان ضمن حاشية عضد الدولة كيفية استيلاء الأمير البويهى على هذه القلاع وما كلفت تحويه من الثروة حتى انه اردمش وحدها جوت أكثر من عشرين مليون درهم ، ووجد ابو الفوارس بن ناصر الدولة محبوبا في هذه القلعة فاطلق عضد الدولة سراحه (٢) ولما نظم الأمير البويهى أمور تلك الاقاليم عاد الى بغداد في اخر ذي القعدة سنة ٣٦٨هـ (٣) .

توجه ابوتغلب بعد ان ضاقت به السبل الى دمشق موغلا في الصحراء فلم يسمح له بدخولها قدام العيار ، وهو مغامر من ادنى الطبقات الاجتماعية كما يدل على ذلك اسمه كان قد استولى على تلك المدينة . فكتب ابوتغلب الى الخليفة الفاطمي العزيز يطلب توليته الشام فاطله وطلب اليه الشخص

(١) نجارب الاسم ٣٩٤-٣٩٣/٢

(٢) ابن ظر . الدول المقتطعة . مخطوط . ورقة ١٤ ب

(٣) مسكويه نجارب الاسم ٣٩٥/٢

الى مصر (١) . لكنه رفض ورحل الى طبرية بفلسطين ، بعد ان تخلى عنه جيشه وصحبه وحتى أخوته فقد استأمن أخوه ابو طاهر وابن عمه ابو الغطريف الى عضد الدولة . ثم ارسل العزيز الفاطمي أحد غلمائه وهو الفضل لفتح دمشق وحاول هذا ان يفتق مع ابي تغلب على اخراج قسام من تلك المدينة غير ان ابا تغلب رفض الاتفاق لأنه فيما يبدو لم يكن يرغب في أن يكون تابعاً للفاطميين ، فرحل في مستهل سنة ٣٦٩ الى الرملة في جمع كبير من حلفائه بني عقيل محاولاً الاستيلاء عليها من رجل بدوي يشايخ الفاطميين هو دغفل المقرج بن الجراح ، الا ان هذه المحاولة الاخيرة البائسة كلفته حياته ، فقد اسره دغفل وقتله وقطع بعض الاعراب يديه ورجليه وانفذ الفضل رأسه الى العزيز (صقر سنة ٣٦٩) (٢) ثم صلبت جثته واحرقت وكان في الحادية والاربعين من عمره (٣) . وقد خلف ابو تغلب واديين هما ابو الهيجاء احمد وابو النصر نصر الله (٤) .

٣- الأميرة جميلة

يجدر بنا ان نتحدث قليلا عن جميلة بنت ناصر الدولة فقد كانت شخصية قوية من المسح بني حمدان وخبر مثل للنساء العربيات في القرن الرابع الهجري قن بدور كبير في السياسة والادارة . كانت جميلة شقيقة ابي تغلب ففضل الله من زوجة ناصر الدولة الكردية فاطمة بنت احمد (٥) .

(١) ابن طاهر . الدول المنتظمة . خطوط . ١٠

(٢) ابو الحسن . النجوم الزاهرة ٥١٩/٢

(٣) ابن خلكان . وفيات الاعيان ١٢٦/١

(٤) ابن طاهر . الدول المنتظمة ورقة ١٠

(٥) مسكويه . تعارب الأمم ٢٠٠/٢

ذلك ان ناصر الدولة تزوج عدة لساء وكان اولاده الذين اسلفنا ذكرهم ليسوا اشقاء وهذا من اسباب تنافرهم واختلافهم . وكانت جنينة من اقرب اولاد ناصر الدولة اليه في اغريبات ايامه وهي المدبرة لجميع اموزه ، كما كانت غالبية على أخيها ابي تغلب حتى انه لم يكن يقرر امرا دون الرجوع الى مشورتها (١) . وتدل سيرة هذه السيدة اللامعة على الذكاء والشجاعة وروح المغامرة فقد وقعت الى جانب ابي تغلب في حربة وصله وضربت معه في الاماق حتى لقي مصيره . وكانت فوق ذلك كلسه كريمة سخية محسنة الى الفقراء حتى ضرب المثل بحجها عام ٣٦٦ فقد نثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار وقرت المال على الفقراء والمجاورين وخلعت على كبار الناس خمسين الف ثوب (٢) .

كان ابو تغلب قد خاف أخته جميلة وزوجه وهي بنت عمه سيف الدولة في احياء بني عقيل ، فلما قتل ارسلت مع غيرها من حريم ابي تغلب الى حلب فأخذ سعد السدولة أخته وارسل جميلة الى الرقة فعانة فالموصل حيث سلمت الى ابي الوفاء ثم عضد الدولة باعتبارها سبيا . وهذا مثل من امثلة عدم التعاون بين افراد الاسرة الحمدانية وانعدام روح المحبة بين افرادها . ولما عاد ابو الوفاء الى بغداد أخذها معه فقصت الى جوارى عضد الدولة ونسائه بعد ان سلبها البويهيون جميع أموالها وحصولها . وختمت حياة جميلة ختاما مؤثرا مؤسسا ذلك ان عضد السدولة خطبها لنفسه فامتنعت تركها عليه فحقد عليها وهتكها وأخذ يذيقها مر العذاب وقاست وهي المدللة الفقيرة والمدللة الحرمان والعنار وشهر بها على جمل والمنادي ينادي « هذه قبيحة أخت ابي ملول »

(١) التنوخي . تكملة المعاصرة ٩٧/١

(٢) ابر المعاصر . النجم الزاهرة ٥٠٩/٢

ألفت بنفسها أول القيت في مجلة (١). وهكذا تكشف جميلة لنا من شخصية فذة في عزها وذمها ومثلت عزة النفس والاباء احسن تمثيل وفضلت ذلك المصير البشع الاليم على الزواج من عضد الدولة وهو الأمير الحاكم بأمره آسناك لا لأمره الا لكونه أعجيبا ، وهذه خصلة تذكرنا بالعرب في صدر الاسلام الا أنها بدت غريبة على القرن الرابع الذي شهد امتزاج للعرب بالاعاجم الى حد كبير .

اما اولاد ناصر الدولة الآخرون فلم تكن لهم من الاهمية ما كان لابي تغلب وجميلة عدا حمدان الذي كان بدوره شخصية جاذبة قوية وقد اسلفنا الحديث عن وقوفه في وجه أخيه ومصيره المؤلم على يديه . على أننا حين نتصفح كتب التاريخ نجد بعض الاشارات العابرة الى أولاد ناصر الدولة الآخرين فنجد ابا الفوارس مجد يخرج في سرية لحرب الروم و ابا البركات يحاول الاستيلاء على ميفارقين سنة ٣٥٨ من زوجة سيف الدولة فيحقق ويهزم ثم يموت متأثرا بجراحه في سنة ٣٦٠ في اسر اخيه حمدان (٢) :

وترى الحمدانيين يبذلون آخر محاولة لاستعادة نفوذهم في الجزيرة سنة ٣٧٩ حين تولى الموصل ابو طاهر ابراهيم وابو عبدالله الحسين . وتفصيل الامر ان هـ لمين الأخوين كانا في خدمة شرف الدولة البويهبي ببغداد فلما توفي وجاء بهاء الدولة اذن لهما بالمسير الى الموصل غير انه ندم فكتب الى عواشاذة حامل تلك المدينة ان يمنعهما من دخولها . لكنهما

(١) مسكويه . تجارب الامم ٢/ ٤٠٤

(٢) نفس المصدر ٢/ ٢٩١

اغذا السبر حتى اقتربا من الموصل . وبما بلغت النظر ان اهل تلك المدينة انما تزوا اليها واطهروا العداء نحو الديلم والأتراك وهزمهم ودخل ابننا حمدان الموصل بغضل نصرة المرصيين لها (١) . وهذه الحادثة تريت كراهية العرب للاعاجم في الجزيرة حيث الروح للعربية ما زالت قوية آنسلك خاصة بين القبائل التي لم تستغ بحال من الاحوال الخفوع للعناصر الأجنبية . غير ان ثورة اهل الموصل على الديلم والأتراك ومصادرة اموالهم ونهب ممتلكاتهم تدلل من ناحية اخرى . وهذا هو الأهم - على تأييد اهل المدينة للمحمدانيين . ويقول ابو شجاع في هذا الصدد (٢) : «ثار اهل الموصل على الديلم والأتراك فنهبوا ارحالهم واخذوا اموالهم وخرجوا الى بني حمدان واطهروا المباينة والعصين » . وقد برهن العامة على جدية في للمضي بمهمة اعلان الاستقلال وقتل الديلم ، فـ اذا كان موقف الاخوين الحمدانيين ؟ لقد خافا مغبة هذا الأمر وخشوا عواقبه فخذلا العامة واجريا مراسلات مع ممثلي السلطة المركزية قالوا فيها انها « خدم السلطان ، وقد جرت الأقدار بغير الاختيار ولا قدرة لنا الآن على ضبط العلة لما في نفوسهم من اللديلم وهم في غد يحرقون السدار ويسفكون الدماء ... » وطلبوا من ممثلي السلطة المركزية التدخل ، وانتهى الأمر بتسوية غربية هي ان « تنهب اموال الجند (الديلم) وتحقق دماؤهم . وعاد الديلم بأسوأ حال بالزواريق الى دار السلام » (٤) . وهكذا بدت الظروف

(١) ابن الاثير . الكامل ٢٧/٩ . مصر . ابر القدا المختصر ١٢٦/٢

(٢) ذيل تبارب الامم ١٧٥

(٣) نفس المصدر والمكان

(٤) ابر شجاع . ذيل تبارب الامم ١٢٦

مواتية لابراهيم والحسين ابني ناصر الدولة ، فقد انتشال عليهما من بني عقيل عدد كبير من الأنصار والمؤيدين وكان الهامة مؤيدين لهم تأييداً كاملاً ، فغلبوا عن جيشهم الذي بلغ ثلاثين ألف جندي من العلمان الحمدانية (١) .

٤- نهاية الحمدانيين في الموصل

إلا ان قسوة كبيرة ظهرت الآن في الميسدان فقلبت كل تقديرات الاخوين الحمدانيين ، وهي التي وضعت النهاية لغزو الحمدانيين في الجزيرة . كان الأكراد يمثلون قوة كبيرة في الجزيرة ، وقد دخلوا في هذه الفترة (٣٨٠/٩٩٠) تحت زعامة باذ الكردي صاحب ديار بكر ، الذي ادرك عوامل الوهن في موقف الحمدانيين فسار لاحتلال الموصل في جيش من ستة آلاف ، من أصناف الأكراد ، ونزل في الجانب الشرقي (٢) . واستنجد ابراهيم والحسين بامير بني عقيل محمد بن المسيب الذي اشترط انصرتها للحصول على جزيرة ابن عمر ونصيبين وبلد بضعه مواضع اخرى في الجزيرة ، فأجاباه الى طلبه (٣) . وكانت الخطة التي وضعها الحمدانيون والعقيليون بأربعة ، فقد سار الحسين الحمداني وبني عقيل الى بلد وعبروا دجلة فأصبحوا مع باذ في ساحة واحدة ، وكانت هذه مائة الف . إذ من الخلف لأنه كان مشغولاً بحرب أبي طاهر ابراهيم واهل الموصل ، فأوعز الى اصحابه باللجوء الى قمم الجبال . وبينما كان باذ يريد الانتقال من فرس الى أخرى سقط على الارض واذقت ريقه وقتله أحد بني عقيل ، وحمل رأسه الى ابني حمدان . كما حملت جثته الى

(٢) نفس المصدر والمكان

(٣) نفس المصدر ١٧٧

(٤) ابن الاثير ٢٩/١ - مصر ١٠٠٠ - ابي شعاع ١٧٧

الموصل وقطعت يده وزجله وحملنا الى بغداد ، اما جثته فصالت على باب دار الامارة بالموصل . ومن الطريف ان العامة ثاروا على هذا العمل وقالوا : هذا رجل غاز فلا تحل المثاة به . فحط وكفن وصلي عليه ودفن . وظهر من محبة العامة له بعد هلاكه ما كان طريقاً ... (١) .

غير ان زعامة الاكراد آلت بعد مقتل باذ الى ابن اخته ابي علي الحسن بن مروان ، الذي كان في الاصل صاحب طاحونة يشغلها في قرية كرماص بين اسمرد (أو سمريت) والمعدن (٢) . قصد ابو علي مروان قلعة كيفا على دجلة وهي قلعة حصينة جداً في ديار بكر (وتسمى حصن كيفا) وبها زوجة باذ الديلمية فتزوجها وامتلك القلعة . ثم تصدى للحصون والقلاع الحربية في تلك المنطقة فنظم شؤون الدفاع عنها . ويبدو ان الاخوين الحمدانيين - بأستاد من العقيلين - طمحا الى الاطاحة بابن مروان فقصداه الى ديار بكر يحملان معها رأس باذ لاضعاف الروح المعنوية لدى الاكراد . غير ان وعورة المنطقة ومناعة قلاعها حالتا دون تحقيق هدفها ، خاصة وان ابن مروان استطاع أن يتحصن داخل قلاعه المنيع (٣) . وفي ميافارقين جرت بين ابن مروان وابي عبدالله الحمداني معركة حامية رجحت فيها كفة ابن مروان فاننصر على خصمه وأسره ، غير انه اكرمه وافرغ عنه فالتحق بأخيه ابي طاهر الذي كان يحاصر آمد ، ونصحه أن يعقد الصلح مع ابن مروان

(١) ابو شعاع ١٧٨ - ابن الاثير ٢٩/٩

(٢) اسمرد أو سمريت على جبل بالقرب من دجلة وهي من ميادانيين . تقويم البلدان

(باريس) ٢٨٩ هـ . حيدان والمدن من مدن أرمينية ويقول ياقوت ان هذه المنطقة

ذات شجر وبساتين وهي قرب اسمرت من ديار بكر ٣٨٠/٢

(٣) ابو شعاع . ذيل معارب الامم ١٧٨

ويُلسحب من ديار بكر . غير ان ابا طاهر أصر على الدخول في حرب جديدة ، واضطر اخوه الى إطاعته (١) . وسارا الى ابن مروان وهاجماه ، غير انه اوقع بها هزيمة جديدة وأسر ابا عبدالله ثانية ، وفي هذه المرة أساء اليه وضيق عليه حتى راسله الفاطميون وشفعوا له فأطلقه ، ومضى الى مصر وتقلد منها ولاية حلب حيث اقام هناك حتى توفي (٢) . اما ابو طاهر السذي أفلت من ابن مروان فقد قصد نصيبين ، لكن ابا الذواد محمد بن المسيب زعيم بني عقيل تصدى له واسره وابنه علياً والمزعر امير بني نمير فقتلهم (٣) . ومعنى ذلك ان بني عقيل تخلوا عن حلفهم وتأييدهم للحمدانيين ، وانبروا هم أنفسهم لاقامة سلطة عقيلية وسط الصراع الدامي الذي شهدته تلك المنطقة في تلك الحقبة .

وهكذا انتهى حكم الحمدانيين القلق في الجزيرة ، وآلت السلطة الى ابن مروان في ديار بكر ، وبلغت مطامحه حداً انه خطب (ست الناس) بنت سعد الدولة الحمداني ودفع لها مهوراً بلغ مائتي الف درهم في محاولة منه لغضم الحمدانيين وانصارهم العرب تحت جناحه . واشترط ابن مروان ان تزف اليه العروس في آمد التي اتخذها عاصمة له . والطريف في موضوع هذه الزيجة - التي لم تتم - ان العروس كانت غير راغبة قلبياً في مثل هذا الارتباط ، غير ان خاطبتها - وهي بنت ابن نبانة خطيب سيف الدولة - (٤) نصحتها ان لا تجزع ، فألكت قد ملكت بلاد ابيك

(١) ابن الاثير ٧٢/٩

(٢) نفس المصدر ٧٢/٩ ، بيروت ، ٣١/٩ ، مصر .

(٣) نفس المصدر والمكان

(٤) عبد الرحمن بن نبانة الفارسي خطيب سيف الدولة ، ص ٣٧٤ ، النجوم الزاهرة ١٤٦/٤

وجلبك ، وتكونين ملكة ديار بكر وكانت الاميرة الحمدانية قد تملكها الجزع حين سمعت صيوتا بخارج الخيمة ينذر بان هذا الزواج لن يتم ، وان العروس سوف ترمى (١) . ومهما يكن فقد اغتيل ابن مروان بجلى يد احمد شيوخ الاعراب وهو عبدالبر ، الذي استولى على آمل (٢) .

وخلف ابا علي ابن مروان اخوه ابو منصور الذي تلقب بممهد الدولة في حكم ميفارقين (٣) وخطب (ست الناس) بنفس المهر الذي دفعه لها اخوه وتزوجها فعلا (٤) . وفي عهد ابي نصر بن مروان الذي خلف اخاه ممهد الدولة توسع ملك المروانيين فشمّل ميفارقين وأرزن ومناطق اخرى من ديار بكر وحفل بلاطهم بالشعراء والأدباء (٥)

والواقع ان حكم الحمدانيين في الموصل والجزيرة عموماً انتهى بمقتل ابي تغلب ، لأن افراد هذه الاسرة تفرقوا واختلقوا - كما رأينا - فدخل بعضهم في طاعة بني بويه ودخل بعضهم الآخر في طاعة العزيز الفاطمي ، على حين التحق فريق منهم بعمهم ابي المعالي شريف سعد الدولة في حلب (٦) ؛

(١) تاريخ الفارق ٧٢-٧١

(٢) ابن الأثير ٩٠/٣٢٢ - مصر

(٣) نفس المصدر والمكان .

(٤) الفارق ٨٠

(٥) ابن الأثير ٩٠/٣٠ - مصر

(٦) ابن طاهر - الدولة النقطية ٣٥ ب

يرى الباحث في تاريخ الحمدانيين بالموصل أنهم أخفقوا في إقامة دولة ثابتة الأركان مستقرة الدعائم فكان عهدهم من بدايته حتى منتهاه سلسلة من الصراع مع عدة أطراف : مع العباسيين والبويهيين والاكراذ والقبائل الضاربة في الجزيرة . وسوف نرى فيما بعد ان فرع الاسرة الحمدانية في حلب تمتع بالاستقرار الداخلي أكثر من هؤلاء ، فاتبع لسيف الدولة بوجه خاص ان يلتفت الى حروب الروم والى العناية بالفنون والثقافة . ولعل أهم ما يلاحظ الباحث في هذا الصدد ان الاتفاق كان معدوما بين ابناء ناصر الدولة انفسهم وكان اختلافهم ومنازعاتهم المستمرة التي عرضنا لها سببا في ضعف سلطانهم مما سهل على اعدائهم ان يقضوا عليهم ويستأصلوا شأفتهم :

ويمكن أن نجمل العوامل التي أدت الى سقوط الحمدانيين في الجزيرة فيما يلي :-

١- قوة البويهيين وبخاصة عضد الدولة الذي اعتبر جنده من احسن الجنود وأكثرهم نظاما وطاعة على حين كان هو محاربا صلبا قاسي القلب :

٢- صعوبة اخضاع القبائل العربية الضاربة في الجزيرة وأهمها في هذه الفترة بنو عقيل :

٣- قوة العناصر الكردية التي تجمعت تحت زعامة المروانيين :

٤- اختلاف الحمدانيين فيما بينهم مما أفقدهم وحدتهم :

٥- ظهور الفاطميين وسعيهم للسيطرة على بلاد الحمدانيين :

٥- اللجوء الى الفاطميين

مازال نسب الفاطميين يكتنفه الغموض ، فقد ذكر بعض المؤرخين انهم من نسل اسماعيل بن جعفر الصادق (ع) ، على حين نسبهم البعض الاخر الى عبدالله ابن ميمون القداح الاهوازي الفارسي (١) . ومهما يكن من أمر فقد نشط دعاة الاسماعيلية في نشر دعوتهم . ولما وجدوا ان سلمية من أعمال حماة غير صالحة كركز للدعوة انتقلوا الى شمال افريقية البعيدة عن قبضة العباسيين ، وحيث قبائل البربر ذات الاستعداد لتقبل اية دعوة ضد الخلافة (٢) . وكان ابو عبدالله الشيعي الذي يدعى له الفاطميون بتثبيت سلطانهم في افريقية قد ارسل يدعو عبيد الله المهدي الى تلك البلاد ، فلما قبض عليه أمير سجلماسة أخذ ابو عبدالله يعمل بمحاربة ومثارة حتى اطلقه من سجنه سنة ٢٩٩/٩٠٨م ، وهياً له ان يكون أول خلفاء الفاطميين في القيروان (٣) وظل الخلفاء الفاطميون يسعون الى فتح مصر حتى ثم لهم ذلك سنة ٣٥٨ على يد قائدهم جوهر الصقل (٤) .

يبدو ان الحمدانيين حاولوا أول الأمر ان يجذبوا الفاطميين الى جانبهم ، وقد بذلوا لهم الطاعة وأظهروا استعدادهم لمعاونة جوهر في

(١) حسن ابراهيم حسن . الفاطميون في مصر ٦٣

(٢) نفس المصدر ٥١

(٣) القريري . المخطوط ٢٥٠/١

(٤) ابو الحسن . النجم الزاهرة ٢٨/٤ . القريري المخطوط ٢٥٠/١

فتح مصر ومخالفته (١) ، وقد كتب القائد الفاطمي الى المعز يعرض عليه هذا الطلب ، غير ان هذا حذر جوهرًا من ان يحالف بني حمدان او يرأسهم ، كما حذرهم من ان يفسح لهم مجال قيادة الجيش الفاطمي ، او امتلاك اعمال الفاطميين . وختم الخليفة كتابه قائلا ان بني حمدان « يتظاهرون بثلاثة اشياء عليها مدار العالم وليس لهم فيها نصيب : يتظاهرون بالدين وليس لهم فيه نصيب ، ويتظاهرون بالكرم وليس لواحد منهم كرم في الله ، ويتظاهرون بالشجاعة وشجاعتهم للدنيا لا للآخرة ، فاحذر كل الحذر من الاستناد الى احد منهم (٢) » . وهكذا بدأت العلاقات بين الطرفين عدائية ، ولم يقبل الفاطميون اليد التي مدها اليهم الحمدانيون رغم ان الاسرتين كانتا من الشيعة . ذلك ان الفاطميين ادركوا ان الحمدانيين لن يقنموا بالتبعية لهم بل يطمحون الى السيادة والاستقلال . والحقيقة ان وحدة المذهب لم تكن عاملا في القرب بين القوي المطلحة اذ ذاك ، وانما كانت المصالح هي التي تملئ الاتجاه السياسي . وقد مر بنا كيف اضطرع البويهيون والحمدانيون مع انهم من الشيعة ، خاصة وان الحمدانيين لم يكونوا متطرفين مغالين في تشيعهم كالفاطميين .

كان الفاطميون قد امتلكوا دمشق وطبرية سنة ٩٦٩/٣٥٩م ومعنى ذلك ان مصالحيهم اضطلمت بمصالح الحمدانيين في حلب والجزيرة ، وبذلك قامت بين الدولتين علاقات عدائية منذ البداية . ونفي عهد ابي تغلب بن ناصر الدولة زادت علاقة الحمدانيين بالفاطميين سوء حتى انه تظاهر

(١) المقرئ . المخطوط ٣٥٢/١

(٢) نفس المصدر ٣٥٢/١

مع الحسين الأعصم القرمطي ضدهم فلنعم له اربعمائة ألف درهم وزوده بالميرة لبيعتين به في دفع خطر الفاطميين عن سورية والجزيرة .
غير ان كفة الفاطميين ما لبثت ان رجحت سنة ٣٦٨ حتى ان ابا عبدالله الحسين بن ناصر الدولة دخل في حمايتهم كلاجيء سياسي عند فراره الى دمشق لاثناء نزاع الحمدانيين مع عضد الدولة (١) : بل ان ابا تغلب نفسه توجه الى دمشق حينئذ من النصر ، حيث راسل الخليفة الفاطمي يطلب التجدة على ناثر يدعى قسام انشق على الفاطميين وتغلب بتلك المدينة فدعاه الخليفة الى مصر ليعيش في كنفه غير أنه رفض هذه الدعوة (٢) :

ارسل الخليفة الفاطمي أحد غلمانه وهو الفضل الى دمشق للقضاء على قسام . وحاول الفضل ان يتحالف مع ابي تغلب ووعد به بان يكون نائباً عن الفاطميين في الشام ، غير ان الحلف لم يتم لان ابا تغلب كان على حراسة موقفه يرفض ان يغدو مجرد تابع يأتمر باوامر الفاطميين . بل انه اصطلم مع دغقل بن الجسراح الطائي وهو بدوي اظهر الطاعة للفاطميين في الرملة وانضم الفضل بطبيعة الحال الى دغقل فهزم ابو تغلب ثم هزيمة على باب الرملة سنة ٣٦٩ وقتل فانفذ الفضل رأسه الى مصر (٣) .

ومن الطريف ان ابا عبيد الله الحسين بن ناصر الدولة واخاه ابا المطاع

(١) سكو ٣٩١/٢

(٢) نفس المصدر ٤٠١/٢

(٣) نفس المصدر ٤٠٣/٢

التجئاً إلى مصر بعد الهيار سلطة الحمدانيين في الجزيرة ، وولد هناك لابني عبدالله الحسين ولد هو ابو محمد الحسن الذي لقب ناصر الدولة (١) . اما ابو المطاع ذو القرنين فكان شاعراً حسن السبك جميل المقاصد لقب وجيه الدولة وعاش في مصر أيام الظاهر بن الحاكم الفاطمي ، وقد قلده الاسكندرية واعمالها فاقام بها سنة ثم رجع إلى دمشق ، غير أنه عاد إلى مصر ثانية وتوفي بها في صفر سنة ٤٢٨/١٠٣٦م (٢) . ونجد هناك خلطاً في اخبار هذين الاميرين الحمدانيين فقد قال ابن خلكان (٣) خطأ أن أباً المطاع هو ابن أبي المظفر حمدان بن ناصر الدولة ، كما خلط المؤرخون فيما يتعلق بابي محمد ناصر الدولة وسوف نناقش هذه المسألة فيما بعد .

قام ناصر الدولة الحسن بدور سياسي كبير في خلافة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) فقد تولى دمشق سنة ٤٣٣ ، وتلقب بـ بلدي المجدين ناصر الدولة وسبقها ، وظل في ولايتها سبع سنوات حيث خلفه بهاء الدولة طارت المستنصري (٤) . ثم أعيد ناصر الدولة هذا إلى ولاية دمشق في سنة ٤٥٠ وحاول بناء على أمر المستنصر أن يفتح حلب فتوجه إليها في ١٦ ربيع الأول سنة ٤٥٢ وهناك جرت بينه وبين الكلايين موقعة الفنديق يوم الاثنين ١ شعبان فحلت به الهزيمة وعاد جريحاً إلى مصر (٥) . استطاع ناصر الدولة أن يستولي على مصر في عهد المستنصر وأن يصبح هو الحاكم الحقيقي إلى حد أن الخليفة غلبه إلى جانبه لا يملك

(١) ابن خلكان . وفیات الاميان ٢٢٧/١

(٢) نفس المصدر ٢٢٧/١

(٣) نفس المصدر ٢٢٧/١

(٤) ابن الفلاني . ذیل التاريخ دمشق ٨٤

(٥) نفس المصدر ٨٦

سوى الاسم (١). وقد جذب ناصر الدولة الى صفه الجند فزاد في هطائهم حتى افلست الحزينة ، كما جذب الى صفه الشريف ابا طاهر حيدرة بن الحسن الحسيني وحازم وحيد ابني جراح وهما من امراء عرب الشام وكانا في السجن مدة عشرين سنة فاطلقهما ناصر الدولة سنة ٤٥٩ هـ ، ودبر هؤلاء ، مؤامرة لقتل بدر الجمالي وخلع المستنصر وتنصيب الشريف ابي طاهر الحسلافة لنسبه الهاشمي الصحيح (٢) . وبعلى فريتاخ على هذا بقوله (٣) ، ان ناصر الدولة كان يحاول اعادة سلطة العباسيين الى مصر ليحكم باسمهم غير اني لم اهر على اي دليل على اتصال بينه وبين العباسيين في هذا الصدد ، وارجح انه كان يسمى للاستئثار بالسلطة لمصلحته هو الا اذا كان فريتاخ يشير الى الشريف ابي طاهر باعتباره هاشميا .

انقسم الجيش الفاطمي الى حزبين يؤيد احدهما ابن حمدان ويقف الاخر ضده . ولجأ ناصر الدولة الى الصرف على نطاق واسع حتى باع سنة ٤٦٠ جميع ما في قصر المستنصر من ثياب واثاث بثمان بخس (٤) ، كما حالف الانراك سرا ، لكن الخليفة علم بهذه المؤامرة فدعاب ابن حمدان بقواه ، انك قدمت علينا زائرا وجئتنا ضيفا فقابلناك بالاحسان وأكرمناك فقابلناك ابسا لا نستحقه منك ونحن عليك صابرون وعناك مفضون . وقد انتهت بك الحال الى مخالفة العسكر علينا والسعى في تلافنا وما ذلك مما يهلك ، وتحب ان تنصرف عنا موتورا في نفسك ومالك

(١) Freytag , Z D M G , Vol. , X1 , P . , 498

(٢) ابر المحاسن . النجوم الزاهرة ١٧٢/٢

(٣) Freytag , Z D M G vol .X1 P 498

(٤) ابر المحاسن . النجوم الزاهرة ١٧٢/٢

والا قابلناك على فبيع افعالك» (١). لكن ابن حمدان سحر من رسول الحايقة الذي نقل اليه هذه الرسالة واغلق له في القول فالجأ المستنصر الى الدكر اسد الدولة شيخ الاتراك وكان من الد اعداء ابن حمدان ، كما الب عليه المغاربة والكتاميين خاصة فاعلنت الحرب صريحة ، وخروج ابن حمدان وعسكره عند بركة الحبش وضرب المستنصر خيمته الحمراء المسماة «خيمة الدم» بين القصرين من القاهرة ، وحين وافاه جنده سار الى حرب ناصر الدولة فالتقيا بانياب الحديد ، فهزم هذا بعد ان تخطى عنه انصاره وهرب الى الاسكندرية ونهت دورته وامواله ودور اصحابه ، فرضى الى حي من احياء العرب فحالفهم وتزوج منهم وأخذ يشن الغارات على اعمال مصر ، ثم جمع جيشا كبيرا وزل الصالحية فخرج اليه انصاره حتى «امتدت عسكره لحو عشرة فراسخ» (٢). وضرب على مصر حصارا عجز المستنصر عن رفعه وغالت الاسعار واختفت الاقوات من القاهرة حتى ضج العامة (٣).

ولما ساءت احوال المستنصر وخاف من قيام ثورة داخلية صالح ناصر الدولة وفق شروط املاها هذا ، وهي ابعاد الدكر ومن يعادى ناصر الدولة ، وان يفرد هو بحكم مصر وتدير الامور والجنش ، وبذلك انتصر الامير الحمداني ودخل القاهرة حيث حجز على المستنصر في قصره فاصبح لا يملك من امره شيئا (٤).

ساءت احوال مصر في هذه الفترة فاشتد الغلاء الذي بدأ سنة ١٠٦٤م

(١) نفس المصدر ١٧٢/٢

(٢) نفس المصدر . التجوم الزاهرة ١٧٤/٢

(٣) نفس المصدر ١٧٤/٢

(٤) نفس المصدر ١٧٤/٢

وذلك سبع حموات بسبب ضعف الخليفة وكثرة الفتن وعبث الطيلى (١) .
وقد هجر البلاد كثيرون من اهلها ومات كثيرون ايضا وقيل ان الناس
اكل بعضهم بعضا وظهروا على بعض الطبايعين أنه ذبح عدة من
الصبيان والنساء وأكل لحومهم وباعها بحد ان طبخها واكثت الدواب
باسرها وبيع الكلب بخمسة دنانير والسنور بثلاثة دنانير (٢) . ومما زاد
الظلم بلق ان الدواب اعقب الغلاء ورافقه تعطيل الاراضي من الزراعة ،
واختل الامن وبلغ الخليفة كل مسا في قصره من اثاث وذخائر وثياب
وسلاح وحلى وجزاهر وصار يجلس على حصير وتعطلت دواوينه
وذهب وقاره (٣) . ولعل هذه الشدة العظمى اخرج فقرا مرمت بها
مصر في تاريخها .

خالف ناصر الدولة الذكر وزوجه ابنته غير ان هذا لم يكن مخلصا
في نواياه فاوجالى غلام له يدعى كشتكين يقتل ناصر الدولة سنة ٤٦٥ ،
قاتلا له . علمت ما فعل ابن حمدان بالمسلمين من سلك الدماء والغلاء
والجلاء وقد عرمت على قتله فهل فيك موافقة ومشاركة واربح الاعلام
منه ؟ فاجابه « نعم ولكن اخاف ان يقات فتبرأ مني » قال « لا » (٤) .
وقابل المتآمرون صحتهم على اثر وصوله من الاسكندرية فضربه الذكر
وهو يمشيه في صحن داره بسكين وأعقبه كشتكين وحزأ رأسه (٥) . ثم
قتل اخاه الامير تاج المعالي ، ومثل الذكر بناصر الدولة شر تمثيل فقطع

(١) القريري . اغانى الالة بكلف النسخة ٢٤

(٢) ابر الحاسن . النجوم الزاهرة ١/٢٧٤ . القريري . اغانى الالة ٢٤

(٣) القريري . اغانى الالة ٢٥

(٤) ابر الحاسن . النجوم الزاهرة ١/٢٧٩

(٥) نفس المصدر ١/٢٧٩

بمحمه الى قطع صديرة وانفذ كل قطعة الى بلد وجاء برؤوس القتلى الى المستنصر طالبا المال فقال له : اما المال فا ترك ابن حمدان عندي مالا واما ابن حمدان فا كان عدوي وانما كانت الشحنة بينك وبينه بالذكر فهلكت الدنيا بينكما واني ما اخترت ما فعلت من قتله ولا رضيته وستعلم غيب الغدر ونقض العهد (١) وهذا النص ينطوي على حقيقة هامة هي ان الخليفة الفاطمي لم يكن العداء لناصر الدولة ، ولم يكن راضيا عن قتله واما كان العداء في الواقع بين الذكر وناصر الدولة وهو عداء امته المصالح والمنافسة في سبيل الاستئثار بالسلطة . وقد أكد المستنصر كرمه لألذكر حين استدعى بدر الجمالي امير الجيوش فسار من عكا سنة ٤٦٦ وقتل الدكر فتحسنت احوال مصر (٢) ، مما يدل على الدور الذي قام به فيها وصلت اليه تلك البلاد من الاحوال السيئة خلال هذه الفترة .

وفي ختام هذا الفصل يجب ان نجلو بعض الغموض الذي يكتنف الحمداليين في مصر ذلك ان هناك خلطا كثيرا في هذا الصدد ، وفيما يلي بعض اقوال المؤرخين نعرضها علنا نصل الى الحقائق التاريخية التي نهمنا هنا .

١- يقول ابن القلانسي (٣) : ان ابا عبدالله الحسين بن ناصر الدولة الذي لجأ الى مصر عند هزيمة اخيه ابي تغل - سنة ٣٦٨ تولى صور من قبل الفاطميين سنة ٢٨٧ . ويقول ابن الاثير (٤) . ان الفاطميين انقلوه

(١) نفس المصدر ٢/٦٨٠

(٢) نفس المصدر ٢/٦٨١

(٣) ذيل تاريخ دمشق ٥٠

(٤) الكا ل ٩/٩٦-٩٧

لقتال أبي علوان ثمال بن صالح بن مرداس سنة ٤٤٠. وهذا خطأ من ابن الاثير لان ابا عبدالله يكون في هذه السنة قد مضى عليه منذ بلأ الى مصر اثنتان وسبعون سنة ومعنى ذلك أنه كان اذ ذاك شيخا طاعنا ان لم يكن قد مات. لذلك اعتقد ان ابن الاثير خلط بين ابي عبدالله الحسين وبين ابنه الحسين الذي يؤكد لنا ابن الاثير نفسه (١) ، انه اوفد الى حلب سنة ٤٥٢ لقتال مكن الدولة الحسين بن ملهم لكنه فشل وعاد الى مصر.

٢- ويقول ابو المعاسن (٢) ، ان ناصر الدولة ابا محمد الحسن بن الحسين بن حمدان ولي دمشق من قبل الفاطميين سنة ٤٥٠ وارسله المستنصر سنة ٤٥٢ لقتال بني مرداس بحلب فهزم وعاد جريحا الى مصر. ويؤكد ابن الفلانسى (٣) هذه الوقائع فيذكر ان ابا محمد الحسن تولى دمشق مرتين سنة ٤٣٣ وسنة ٤٥٠ وهو الذي جرح في وقعة الفنديق كما مر بنا.

٣- اما ابن طاسفر ليقوعنا في مشكلة تاريخية حين يقول (٤) ، ان ابا عبدالله الحسين ابن ناصر الدولة ولد له بمصر ولد هو ناصر الدولة ابو محمد الحسن الذي سبقت الاشارة اليه ولأزق هذا بولد هو الحسن بن الحسن ناصر الدولة. ويقول أنه هو الذي شلت يده في وقعة الفنديق في حربه مع تاج الملوك نصر بن صالح الكلابي ثم ولاء المستنصر بعد ذلك دمشق سنة ٤٤٣. فالمشكلة التي أمامنا الان هي ان جميع المؤرخين يعزون

(١) المصدر السابق ٩٦-٩٧.

(٢) التجوم الزاهرة ٥٠ وما بعدها

(٣) ذيل تاريخ دمشق ٥٠ وما بعدها

(٤) الدول المتقطعة ورقة ٢٥ ب

الموادح الثالثة المذكورة التي وثقت في عهد المستنصر إلى أبي محمد الحسن بن الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان ، على حين يشك ابن ظافر فيقول (٢) ، أنها تنزى إلى ابنه الذي يدعى الحسن الذي لقب بناصر الدولة كذلك . واني أميل إلى مخالفة ابن ظافر لاجتماع المؤرخين الآخرين أولا ، ولأن التسلسل التاريخي يؤيد الزاوية الأولى . أي ان الذي تسقط على مصر ايام المستنصر هو ابو محمد الحسن بن الحسين وهو اخر شخص مهم من افراد الاسرة الحمدانية قام بدور تاريخي معروف ، ويمتلكه نسخة ١٦٥/١٠٧٢م تخفي الاسرة من بطون كتب التاريخ .



الباب الثالث

حصارة الحمدانيين
في الموصل والجزيرة



الفصل الاول

النظم الادارية والمالية

١- طبيعة الدولة الحمدانية ٢- النظام الإداري ٣- النظام المالي

١- طبيعة الدولة الحمدانية

اود ان اشير قبل كل شيء الى ان الدويلات المستقلة عن الخلافة ومنها الدولة الحمدانية - لم تكن ذات تقاليد ادارية ثابتة واضحة المعالم، وإن نظمها تكاد تكون صدورة مصغرة مطابقة لنظم الخلافة العباسية التي انفصلت عنها وتفرعت منها . وما تجدر الاشارة اليه ان الامراء حاولوا جهودهم ان يقدوا الخلفاء ويحذوا حذوهم في كل شيء : في حياتهم الخاصة وتقاليد بلاطهم واساليب حكمهم ونظم دولتهم ، حتى انه يمكن القول ان الدولة المستقلة خلافة مصغرة يحكمها امير . وثمة حقيقة هامة هي ان اعمار الدويلات المستقلة كانت قصيرة في الغالب ، وان حكامها انشغلوا في توطيد ساطاتهم وتثبيت استقلالهم فلم يتبحر لهم ان يشرعوا نظماً ثابتة مستقرة ، وكانت سياستهم متقلبة توحى بها الظروف الطارئة . يضاف الى كل ذلك حقيقة جوهرية هي ان حتى الامراء الاقوياء الذين تمتعوا باستقلال فعلي لم يتجرؤوا على الانفصال عن الخلافة فظلوا يعترفون بسيادتها الاسمية .

ويقفز الى الذهن سؤال في هذا الصدد هو : هل كون الحمدانيون دولة تتوافر فيها مقومات الدول ؟ ام انهم كانوا مجرد دولا تابعين للخلافة العباسية ؟
لولى الحمدانيون الموصل منذ سنة ٢٩٢ ، فحكمها ابو الليجاه عبد الله

ابن حمدان كُتِبَ للخليفة المكني لذلك تعتبر هذه السنة بداية قيام الدولة الحمدانية (١) . وحين قتل ابو الهيجاء بسبب تأمره على المقتدر سنة ٣١٧ استندت ولاية الموصل لولده الحسن ناصر الدولة (٢) . غير اننا لانستطيع اعتبار الحمدانيين في هذه الفترة دولة مستقلة ، فقد كانوا مجرد دولة اذنواب للخليفة العباسي . وقد اسلفنا القول عن تولي الحمدانيين امراء الامراء سنة ٣٣٠ حيث اصبحوا اصحاب الشأن في بغداد ، ووقفوا الى جانب الخليفة المتقي ضد البريدي حتى انه لجأ اليهم واحتمى بهم ، وأمر لناصر الدولة وسيف الدولة « مع التكنية والتلقب ان تكتب اسميهما على الدنانير والدرهم وهذه فضيلة لم يسبقهما احد اليها » (٣) . واذا امعنا النظر في الرسالة التي ارسلها المتقي الى سيف الدولة عند خروجه الى حرب البريدي ، نجدها تنطوي على أعظم الود واشد الاحترام فقد قال له « بسم الله الرحمن الرحيم . عرفت لا اخلاقي الله منك ما تقرر عليه العزم في رواحك قرنه الله بالخير الزامة والمعونة الشاملة والكفاية الجامعة ووصله بالنصر والفلسح والظفر والفتيح فتعجبات الاستبحاش لبعذك والنجس لما يفهم من قربك لا خلوت منك . وكنت احب ان الفاك واسر برؤيتك قبل فخر ذلك . ولما تعلم ذلك دعوت الله لك بجميل الصجابة ولي عليك بجيش الخلافة وان سعدنا جميعا بذلك سعادة محمودة البدي والعاية انهم جميع الدعاء لطيف لما يشاء . ولا يزال قلبي متطلعا لمعرفة خبرك الى ان يرد علي من مستقرك بما تراه وتمضيه وتسديره وتمشييه فتعمل

(١) ابن خلكان . وفيات الاميان ١٧٥/١

(٢) ابن الاثير . التكميل ٦٧/٨

(٣) ابن خلكان . القول المنقطة . خطوط . ورقة ٤ ب

لا أنزلهم الله منكم على ملاحقتي من ذلك في كل وقت ومساء بما تعلم.
حسن موقعه مني والسلام (١) ..

غير أن الحمدانيين اخفقوا - كما اسلفنا - في حكم بلاد فسادوا الى
الموصل ليعرضوا عن اخفاقهم بإنشاء دولة مستقلة في الجزيرة . وكانت
الخطوة الأولى ان لاصر الدولة بدأ بضمان هذه الأقاليم سنة ٣٣٢ مدي
ثلاث سنوات (٢) .

تميز القرن الرابع بالحلال للخلافة العباسية ، فقد انتهز الامويون الحكم
في الأقاليم خضع للخليفة . انشغاله بالخصومات الداخلية فقطعوا كل صلة
بينهم وبين بغداد مع ان البعض منهم ظل يقيم الخطبة للخليفة العباسي
وينقش لعمته على المسكة . وهذا الحملات يولد حذو غيرهم . فاقطعوا اجزاء
واسعة من أملاك الخلافة فاستقلوا بها استقلالاً فعلياً وان ظلوا - وخاصة في
الجزيرة - يقيمون للخليفة بالجزيرة ، ويعترفون به - شأنهم شأن امثالهم من
امراء الموصل المستقلة - اعترافاً اسمياً لقبولهم بامير المؤمنين وذكروا
اسمهم في خطبة الجمعة (٣) .

وما كاد الثلث الأول من القرن الرابع ينتهي حتى كانت الدولة
الحمدانية تشمل سورية الشمالية وديار ربيعة وديار مفسر وديار بكر
والثغور (٤) ، اي ان رقعتهم امتدت من حدود الموصل الى آخر بلاد

(١) المصدر السابق - ورقة ٤ ب ه ١

(٢) سكويه تجارب الامم ٩/٢

(٣) المسعودي - التنبيه والاشراف ٣٤٦

(٤) تنس المصدر ١٤٨

حمص والى جوانب جبعان(١). وحاول الحمداليون تثبيت استقلالهم والاحتفاظ به بكل وسيلة بالحرب والسياسة ، بل لجأوا الى مصاهرة الخلفاء والامراء والحكام المتنفذين في بغداد ليوسعوا سلطانهم ويقروا نفوذهم . ففي سنة ٣٢٧ تزوج ناصر الدولة من ابنة بجكم وكان آنذاك أمير الامراء في عهد الخليفة الراضي(٢) ، وزوج ابنته للأمير ابي منصور اسحاق بن الخليفة المتقي سنة ٣٣١ على صداق ضخم بلسخ مائتي الف دينار(٣) ، وتزوج ابو تغلب بن ناصر الدولة كذلك من ابنة بختيار(٤) ، كما تزوج سيف الدولة من ابنة اخي الاخشيد(٥) . كل ذلك لاستطيع ان تسلكه في عداد الزبجوت السياسية التي فرضتها المصالح الشخصية للحمدانيين . وهذا شبيه بالمصاهرات السياسية التي تمت بين الاسر الحاكمة في اووبا في العصور الحديثة بحيث اجتمعت كثير من البلدان تحت لاج واحد . كذلك حاول الحمداليون جذب الخلفاء الى صفوفهم بما قدموا اليهم من الأموال فالفقروا على المتقي مثلا أموالا طائلة طوال مقامه عندهم(٦) . وجذبوا اليهم العامة بارسال المؤن والاقوات كما تعرضت بغداد وصامراء للغلاء او المجاعة . وهي سياسة حكيمة اكسبتهم سمعة طيبة في هاتين الحاضرتين(٧) .

(١) القرمانلي - الأوراق ٢٦٤

(٢) الصولي - اخبار الراضي ١٣٣

(٣) القمي - تاريخ الاسلام ، عطرط ، ١٦ ورقة ٣٥٣ أ . ابر المحاسن الحرم الزاهرة ٢٧٨/٣

(٤) مسكويه - تجارب الامم ٣١٩/٢

(٥) ابن الدديم - ديدة الخلب ١١٥/١

(٦) المسودي - مروج الذهب ٥٣٢/٢

(٧) الصولي - الأوراق ١٠٨

وبهذه الاساليب استطاع الحمدانيون ان يحكموا اقاليم شاسعة .
وانتشر المراد هذه الاسرة الكثيرون في اقاليم الدولة العباسية ، فلكوها
متعاونين او منفردين . فاذا استثنينا املاك ناصر الدولة وسيف الدولة في
الجزيرة والشام لجند سعيد ابن حمدان بحكم نهاوند سنة ٣١٢ ، ويتولى ابو
الحجاء طريق خراسان والدينور (١) . ونال الحمدانيون القابا سلطانية
وخلعا ، فلقب الحسن ناصر الدولة واخوه علي سيف الدولة وابو تغلب
عدة الدولة شأنهم شأن الامراء والحكام في ذلك العصر . ويجب ان علم
ان التلقب كان امرا ذا اهمية لانه اثبات لسلطة الملقب ونفوذه . والاصل
في الالقاب ان الخلفاء العباسيين اول من اتخذها ثم تعدت القاب الخلافة
الى كثير من الامراء وتلا الخلفاء في الالقاب الوزراء . كذلك العم
بالالقاب على ارباب السيوف وقراد الجيش (٢) . وفي عهد المكتفي وقع
التلقب بالاضافة الى الدولة كما نجد لدى الحمدانيين الذين كانوا اول من
اتخذ الالقاب بالاضافة الى الدولة من امراء المشرق . وحذا حذوهم
سائر الامراء في العصر البويهي حتى عهد القادر بالله (٣) . ومن الادلة على
اهتمام الحمدانيين بالالقاب ان ابا تغلب اشترط لصلحه مع اختيار سنة ٣٦٣
ان يلقب لقباً سلطانياً فاجيب الى ذلك ولقب عدة الدولة (٤) .

ان الباحث في تاريخ الحمدانيين يلاحظ ان علاقاتهم بالعباسيين
كانت مضطربة متناقضة حسب الاحوال في بغداد ، وحسب ما أملىته

(١) ابن الاثير . الكامل ٣٩٨ / ٨

(٢) القفندي . صبح الامم ٨٦٠ / ٥

(٣) نفس المصدر ٨٦٠ / ٥

(٤) سكويه . تجارب الامم ٣٢٠ / ٢

مصالحتهم ، فبينما كانت علاقاتهم بالدولة العباسية ودية للغاية في أواخر القرن الثالث حتى لهابة الثلث الأول من القرن الرابع ، الى حد أنهم تولوا امرة الافراء ، نجد ان العلاقات لغدو عدائية في العصر البويهي وبخاصة بين ناصر الدولة ومعز الدولة بن بويه وبين ابي تغلب وعضد الدولة ، وطابعها تلك المعارك المتلاحقة المستمرة بين الطرفين . غير انه يجب ان نلاحظ ان الخلفاء لم يكن لهم ضلع في هذا الموقف العدائي بل كانوا مرغمين على قبول السياسة التي يرميها البويهيون اصحاب السلطة الفعلية . وبينما تفيض كتب التاريخ بذكر العداء بين الحمدانيين في الموصل والعباسيين في العصر البويهي ، نجدها تغفل ذكر اي اصطدام بين سيف الدولة وبغداد ، بل على العكس فالحال كما سنرى تظهر لنا حسن العلاقات بين الطرفين . هذا من ناحية ومن ناحية ثالثة نرى سيف الدولة اكثر استقلالا من اخيه ناصر الدولة حتى انه لم يكن يرسل الى الخلفاء اي جزية او ضريبة تدل على الخضوع ، بل انه وقف صديقا لدا لخلفاء بغداد وكانت شفاعته مقبولة عندهم ، ولا نجد اي دليل على الخصومة بينه وبينهم (١) ، وان اعلن الطاعة للخلفاء اسميا فذكر اسماءهم في الخطبة (٢) .

وكانت التقاليد المرعية في تولية الولاة الحمدانيين ان يوجه اليهم للخلفاء عهدا يحددون فيه واجباتهم والتزاماتهم واختصاصاتهم لكي يثبت الخلفاء تبعيتهم لهم . ولم نجد مثل هذه العهد الا في ايام ابي تغلب الذي دخل تحت حكم العباسيين المباشر فوجه اليه الخليفة المطيع لله عهدا .

(١) . 121 . P . Saifuddulah . Badruddin

(٢) ابن سيد . المغرب في حل المغرب ٤١ - ٤٢

أورده أبو اسحاق الصبائي (١) . وفيه قادة الصلاة وأعمال الحرب والمعاون
والاحداث والخراج والاعشار والضياع والجهلة والصدقات والجيش
والمظالم والاشراف على العيار في دور الضرب والطراز والحسبة في مناطق
الجزيرة كلها وهي الموصل وقردي وبزدي وبهدرا والرحبة وديار ربيعة
وديار مضر والثغور الجزرية والشامية وجند قنسرين والعواصم (٢) .
وأوصاه في هذا العهد بتقوى الله ومراعاة اصول السنين وحماية الامن
والتشدد في مراقبة الاخلاق الغامسة ومنع المنكرات والعادل بين الرعية
والتلطف في الجباية (٣) . ومما يؤكد تبعية الدولة الحمدانية للعباسيين ايام
ابي تغلب ان الخليفة اوصاه في هذا العهد بالرجوع الى ركن الدولة وعز
الدولة ابني بويه واحترام ارادتهما (٤) .

ومما هو جدير بالذكر ان الخلفاء العباسيين اذا ارادوا اظهار رضاهم
على الحمدانيين حملوا اليهم لواء وخلعا كاملا وبداية بما عليها: من للزينة
وطوقا وسوارا من الذهب الخالص مرصعين بالندى (٥) ، وذلك لان
العباسيين ادركوا حق الادراك ان وجود الحمدانيين في هذه المنطقة امر
ضروري لسلامة الحدود من غارات الروم ولحماية الامن عما تثيره القبائل
العربية والكردية القارية في تلك الاقاليم . ومن هنا اعتبر الخلفاء واجب

(١) الصابي - رسائل الصابي ١٢٦/١ - ١٤٣

(٢) نفس المصدر ١٢٧/١

(٣) نفس المصدر ١٣٦/١ - ١٤٠

(٤) نفس المصدر ١٢٧/١

(٥) نفس المصدر ١٧٤/١ - ١٧٧

الجهاد ودفع الروم عن الثغور من اولى واجبات الحمدانيين وقد اكدها
في كتب التولية (١) .

ظلت الدولة الحمدانية في الجزيرة مستقلة فعليا حتى اختلف الحمدانيون
فما بينهم بعد وفاة ناصر الدولة ، مما هيا للقوقى المختلفة ان تسلبهم
استقلالهم

واذا اردنا ان نصل الى جواب قاطع عن السؤال السالف ، وجب
علينا ان نعرف ما هو معنى السدولة ثم نطبق هذا المعنى على السدولة
الحمدانية . فالسدولة جماعة تعيش على ارض محددة ، تحكمهم سلطة
واحدة منظمة تدافع عنهم وتحمي استقلالهم ، اي انه يجب ان تتوافر
شروط معينة لقيام اية دولة هي الشعب والوطن والحكومة والاستقلال ،
فهل توافرت هذه الشروط في السدولة الحمدانية ؟ اما الشعب الحمداني
فكان قائما حقا يمثل في مجموعة المواطنين المستقرين في الجزيرة وسورية
الشامية واغلبهم من العرب الذين تتوافر فيهم خصائص الشعب كروابط
اللغة والدين والتقاليد والمصالح المادية المشتركة ، ولا يقلل من هذه الحقيقة
وجود قبائل بدوية متنقلة لان الغالبية العظمى كانوا مستقرين . واما الوطن
فانه يمثل في تلك البقعة الشاسعة التي دخلت تحت حكم الحمدانيين وهي
الجزيرة وشمال سورية والثغور ، مع ان حدودها لم تكن ثابتة نتيجة
الحروب البيزنطية من ناحية ، والمنازعات مع العباسيين من ناحية ثانية .
واما الحكومة او الهيئة التي اشرفت على حكم الشعب فتتمثل في الامراء
الحمدانيين والموظفين الذين استعانوا بهم . واذا تذكرنا ما قلناه عن مدى

(١) نفس المصدر ١٧٤/٢ - ١٧٧

(٢) Sadruddin, Sayfuddaula and his Time. P. 121

استقلال الحمدانيين ، استطعنا ان نصل الى هذه النتيجة وهي : ان عناصر الدولة - أو على الأقل الدولة - توافرت واقعا الى حد كبير في الدولة الحمدانية وان تعرض استقلالها في كثير من الحالات الى التهديد كما حصل في الموصل بعد عهد ناصر الدولة، وفي حلب بعد سيف الدولة (١) .

وثمة سؤال آخر لا يقل أهمية عن السؤال السابق هو . هل كون الحمدانيون دولة واحدة ام دوائتين احدهما في الموصل والاخرى في حلب؟ وللحق اننا نجد في هذا الصدد عدة حقائق تجعلنا لتردد كثيرا قبل ان نجيب على هذا السؤال لأن بعضها ينقص البعض الآخر . وفيما يلي تعرض الحقائق التي تؤيد انفصال الحمدانيين في الموصل عن افراد اسرهم في حلب ، علنا نصل منها الى الرأي القاطع في هذا الموضوع .

١- اتخذ الحمدانيون حاضرتين احدهما هي الموصل والاخرى هي حلب ، ونحن نعلم ان الدولة يجب ان تكون لها حاضرة واحدة تركز فيها الادارة المركزية .

٢- كان للحمدانيين في الموصل أمير وللحمدانيين في حلب أمير ومما متكافئان لا يخضع احدهما للآخر .

٣- كانت سياسة الحمدانيين نحو العباسيين غير موحدة فبينما ساد العداء بين فرع الموصل والعباسيين ساد السلام بين هؤلاء وبين الحمدانيين في حلب .

(١) اطلق الاستاذ غريناخ لفظة **Dynasty** على الدول الحمدانية وهو ترجمة

لفظة **dynasty** التي اطلقها لين بول عليها ومعناها « دولة » .

٤- للمس في كثير من الحالات حسنة تعاون بين فرعي الاسرة الحمدانية، وبرز الامثلة من ذكرته المراجع من تحالف سعد الدولة مع عضد الدولة البويهي ضد ابي تغلب حتى ان الامير البويهي كافأ سعد الدولة ببعض مدن ديار مصر سنة ٣٦٧هـ (١). ولعل هذا الموقف العدائي الذي وقفه سعد الدولة من ابن عمه كان نتيجة لموقف ابي تغلب العدائي منه حين طرده قرغويه كما سنرى.

هذه الحقائق تؤيد انفصال فرعي الاسرة عن بعضها، غير ان هناك حقائق اخرى تعارض مع هذا الرأي. وارجح وجدة للدولة الحمدانية وهي كما يلي :-

١- كان سيف الدولة تابعا لاختيه ناصر الدولة وهذا هو الذي احدثه بالرجال والمال لفتح حلب، وقد ظلل التعاون قائما بين الاخوين الى النهاية سياسيا وماليا.

٢- كانت سياسة الحمدانيين موحدة تجاه البيزنطيين، وقد تعاونوا في امرة على صد عدوانهم وغزو اراضيهم.

٣- لم تكن هناك ايسة حواجز بين اراضي الحمدانيين في الجزيرة واوراضيهم في سورية حتى ان الشعراء والادباء كانوا ينتقلون بين الموصل وحلب، وكذلك التجار والقبائل.

٤- ونرى كذلك ان التقود التي ضربها الحمدانيون كانت تجمل في كثير من الحالات اسماء فرعي الاسرة فقد ضربوا دنانير تحمل اسماء

١- المهر بالدولة وسيف الدولة والاملاطمة (١).

٥- عمل الحمدانيون على ربط الولد ١٠٠ رتقم بالمصلح لانه يتزوج
بغاية الدولة، ابنته ايا المكارم وابا النعماني من ابنتي لعميد ناصر الدولة،
وزوج ناصر الدولة ابنة ابنته من سيد النعماني ابنة سيف الدولة (٢).

والنتيجة التي نستطيع ان نصل اليها بعد الموازنة بين الحقائق السابقة
لذكر الحمدانيين كقولنا: امارتين لكنهم احتفظوا بوحدةهم وتعاونهم
في الفترة الاولى اي في حياة ناصر الدولة وسيف الدولة، فلما توفي هذان
انقضت الأسرة ومطقتها وانقضت حري العمارة بين المزارعة حتى عام
١٠٠٠ هـ من المار وذلك نتيجة تضارب المصالح، ولما اطماع المصلح
وان دخل القوى الخارجية الثلاث وهي النعمانيون والفاطميون والبيزنطيون.
على القوى كعادته في حلف من البيعة الى البيعة على جلاء المصلح اليه
لنقله عن استقلالهم في النهاية. وثمة علاقة متينة في علاقة الموصلي
هي لانه الحمدانيون في الموصل فقدوا استقلالهم سنة ١٠٠٠ هـ على حين
بطلت العلاقة بينهم وبين حبيب حتى سنة ١٠٠٠ هـ بمعنى ذلك ان الموصلي
حبيب كان اقل من عمره من الموصلي، كما ان الميراث الاسرة في الموصل
المضمون بعد مقتل ابني تغلب الى ابن عمهم سعد الدولة، وبذلك انحل
الحمدانيون بمكون في حاضرة واحدة هي حلب.

٢- النظام الاداري

لما اتسعت الدولة الاسلامية على اثر الفتوحات في عهد الخلفاء

(١) ابن خلدون، الدول المظلمة، ص ١٠٠ و ١٠١

(٢) نفس المصدر ورق ١٠٠

الراشدين ، اثناب الخلفاء عنهم عمالا يارسون سلطنة الخليفة بانقشهم او يعهدون بها الى اشخاص يقيمون في هذه الولايات . ووزعت السلطات في الولاية بين الامير او العامل الذي يتولى الجيش والادارة والقاضي الذي يقوم على بسط العدل بين الناس ، ثم توسعت سلطات الولاة في القرن الرابع ، فاصبحت لهم حرية واسعة في انجاز اعمالهم. ذلك ان الاقاليم بعدت عن العاصمة ، فالت حرية الحكم التي منحت للولاة الى الاستقلال شيئا فشيئا ، واصبح امراء الولايات الواحد بعد الاخر ملكا او سلطانا مستقلا يحكم جانباً من العالم الاسلامي ، وان ذكر هؤلاء اسم الخليفة في الخطبة مع اسمائهم (١) . ومما ساعد على انفصال الولاة ان الدولة الاسلامية كانت اشبه باتحاد بين الولايات ولم تكن هناك رابطة قوية تربط حاضرة الدولة بالاطراف من الناحية الادارية (٢) . ويقسم الماوردي (٣) الامارة على البلدان الى نوعين خاصة وعامة وهذه نوعان امارة استكفاء بعقد عن اختيار وامارة استيلاء بعقد عن اضطرار ، وامارة الاستيلاء ان يستولي الامير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة امارتها فيستبد بها ويجباية اموالها . ومع استقلال هذا النوع من الامراء فانهم كانوا يدينون بالطاعة الدينية وتوحيد كلمة المسلمين وتنفيذ الاحكام واستيفاء الاموال الشرعية واقامة الحدود وغيرها من الواجبات (٤) :

(١) دهرابين . النظم الاسلامية ١٤٩-١٥٠

(٢) ادم متر - المصادر: الاسلامية ٩٨/١

(٣) الاحكام السلطانية ٤٧-٥٥

(٤) نفس المصدر ٤٧-٥٥

وقد أوجد العباسيون طريقة لتسهيل جباية أموال الولايات هي
تضمين الخراج للعمال . فادت هذه الطريقة الى استقلال الولايات كلما
ضعفت الخلافة ، ولم يعد يربط الخليفة بهذه الدويلات المستقلة سوى
دفع مبلغ معلوم من المال كل سنة ، والحفاظ على المظاهر التي اعتر بها
الخلفاء وهي اقامة الخطبة لهم وضرب النقود باسمائهم في الولايات وحتى
هذه المظاهر لم يراعها الحكام المستقلون ما داموا اقرباء . ومن هنا
قامت الدولة الحمدانية التي شملت ديار مصر وديار ربيعة وديار بكر .

لما استقل الحمدانيون بهذه المناطق الشاسعة اخذو يحكمونها بحسابهم
متشبهين بالخلفاء فاتخذوا الوزراء والكتاب والدواوين والعمال ، ورغم
قلة المعلومات التي بين ايدينا نلاحظ ان الحمدانيين قسموا مملكتهم الى
اعمال فجعلوا عاملاً يتولى عنهم في كل صقع . وكان ناصر الدولة اول
من اتبع هذه الخطة فولى ابنه حمدان الرحبة ، وولى ابنه هبة الله
ميفارقين ، وابا القوارس نصيبين (١) . ونجد غلاماً لعبدالله بن حمدان
يدعى هزارمرد يتولى آمد ثم ميفارقين في الايام الاخيرة من حكم ابي
تغلب ، فلما توفي نصب مكانه غلاماً حمدانياً اخر يدعى مونس (٢) ، كما
كان الغلام سبك يتولى ميفارقين (٣) .

وعلى الرغم من ان الامراء الحمدانيين اتبعوا اسلوب تولية افراد

(١) مسكويه . تجارب الامم ٢/٢٥٤ و ٢٩١ و ٣٠٥

(٢) مسكويه . تجارب الامم ٢/٣٠٥

(٣) ابن طاهر . الذول المنقطعة ورقة ١٢ ب

اسرهم والمقرين اليهم من غلاتهم على الاعمال لكي يضمّنوا اخلاصهم
وولاءهم وليكونوا عيوناً لهم على اعدائهم ، فقد قام في وجههم كثير
من حركات العصيان والتمرد في اطراف مملكتهم .

كان الامير الحمداني يضطلع بكثير من الاعمال ومن اهمها ضبط
المنفوس وجباية الاموال وتوطيد الامن واخضاع للقبائل المتعددة ، لذلك
ماستخدموا عمالاً محووظين لمعاونتهم في ادله هذه الواجبات... ونجد
هناك اشارات الى وجود عمال الخسراج والاعشار وسعاة الصدقات
والجزية ودواوين الجند التي كانت تحوي سجلات خاصة لحفظ اسماء
الجند ورزاقهم ، كما نسمع عن دار الطراز التي تعد الخلع والملابس التي
يحتاجها الامراء ، وكانت مهنة صاحب هذه الدار الاشرف على
الصناع والانسجة والاعلام (١) . ومعنى ذلك ان الادارة الحمدانية
كانت صوورة مصفورة للادارة في بغداد فنجد دواوين وهيئات للاشراف
على مختلف نواحي الدولة . وكان الامير هو الحاكم الفعلي ويده جميع
السلطات غير انه كان يمنح الادارة المحلية المدنية والبلدية الى
شيوخ (٢) .

ونستطيع ان نطلق على نمط الحكم الحمداني لفظة النظام
المطلبي Despotism ذلك ان جميع السلطات كانت مركزة
في يد الامير ، وهو المرجع الاعلى في كل شيء . فكان هو الذي

(١) السامي - وسائل السامي ١٤٠-١٤١

(٢) Freytag, Z. D. M. G, Vol. XI, P. 224

بشترط على الإدارة والمالية والحرب ، وهو السلطي يولي الموظفين ، ويمزقهم . ولم يكن الوزراء والكتاب والتقضاة سوى أدوات مسخرة لحكمة رغبات الأمير - وتنفيذ أوامره . ومعنى ذلك ان الحكومة الحمدانية كانت مركزية ، ولم يترك بأيدي الموظفين والعلماء سوى الامور الثانوية . ولم يكن حكم الحمدانيين شبيها بما يسمى به - الاستبداد المستنير *Enlightened Despotism* ، بمعنى ان يسمى الحاكم الى خلعة مواطنيه ، اذن لوجدنا لهم علما عما اهتمهم به المؤرخون . لكنهم نظفوا الى البلاد التي كانت بأيديهم على انها ملك شخصي ، بما تضم من مواطنين وما تحوي من زرع وضرع وثروة . ويقول آدم منز (١) في شيء من المبالغة والقسوة ان بني حدان الذين ظلوا يحكمون الجزيرة في القرن الرابع ، جاروا على الرعية جورا عظيما وهو ما يفعله اهل البادية الذين لا يستطيعون ان يرعوا اي شيء يتفق والمصلحة العامة ، وكانوا اسوأ جميع حكام القرن الرابع ، حتى ان الترك والفرس الذين حكموا في هذا القرن كانوا كالأبناء لرعيتهن اذا قورنوا بالحمدانيين . ومما دفع منز الى هذا القول اغتصاب الحمدانيين للأراضي واقتلاعهم للشجر وهي امور سوف

تناقشها عند الكلام عن السياسة الاقتصادية . وانه وان كان في قول متر نصيب من الصحة فاني اخالفه في قوله انهم كانوا اسوأ حكام القرن الرابع جميعا ، ويبدو أنه نسي ما كان يفعله الأتراك والبويهيون في بغداد من مصادرة الأموال واقطاع الضياع وقبول الرشى والشفاعات وإهمال العمارة والرعي ، والغناء ديوان المظالم (١) وغيرها من مظاهر الديمقراطية في ذلك العصر .

نستطيع أن نقدم كثيرا من الأمثلة التي تقوم دليلا على الاتجاهات المطلقة التي طبعت سياسة الحمدانيين ، مع ان هذه الاتجاهات كانت متفشية بين اغلب حكام العصور الوسطى في الشرق والغرب . بل انها واضحة في تاريخ اوربا الحديث ، حيث اعتبر ملوك القرنين السابع عشر والثامن عشر انفسهم ظل الله في الارض حتى قال لويس الرابع عشر ملك فرنسا « انا الدولة » . ويسوق المؤرخون بعض الشواهد على طبيعة الحكم الحمداني .

١- استولى ناصر الدولة على الموصل واكثر اعمالها واجبر ملاك الاراضي على بيع املاكهم وعقارهم بانحس الاثمان حتى « استولى على الناحية ملكا وملكاً » (٢) .

٢- كان ابو تغلب يستولي على اكثر غلة الارض ثم يشتري حصص المزارع بثمن بنحس بقلره هو :

(١) سكويه - تصارب الامم ٩٩٠٩٧/٢

(٢) نفس المصدر ٣٨٤/٢

٣- اضطهد الحمدانيون قبيلة بني حبيب اضطهادا اقتصاديا حتى ارغموها على الهجرة الى بلاد الروم والتحول الى النصرانية (١) .

غير أنه يجب ان نلاحظ بان واجب الحمدانيين في حكم الجزيرة كان واجبا شاقا بسبب وجود عدة قرى يصعب خضوعها لهطة مركزية . واهم هذه كانت القبائل العربية التي - وان كان بعضها مستقرا يمارس الزراعة - فالها كانت في الغالب تعيش حياتها البدوية متقلة من صقع الى آخر ، وقد سببت للحمدانيين كثيرا من المتاعب والقتل ، وهناك الاكراد الذين عاشوا في الجزيرة وبخاصة في المناطق الجبلية التي ما زالت موطنهم الى اليوم ، وهم وان دخلوا تحت طاعة الحمدانيين وتصامروا معهم ، فقد ظلوا عنصرا خطيرا محاربا يحسب له الف حساب . هذا فضلا عن القرامطة الذين لسمع عنهم كثيرا وال تاريخ الدولة الحمدانية . واذا اضفنا الى مسا تقدم تهديد البويهيين والفاطميين والبيزنطيين ، ادر كنا السبب في عدم استطاعة الحمدانيين اقامة سلم دائم في ربوع بلادهم .

ومن ثم فقد اعتمد الحمدانيون على جيش ضخم كان عدتهم وادانهم في المحافظة على سلطتهم في الجزيرة التي صعب على جميع الحكام توطيد لفوذهم بها . ولما كان الامراء الحمدانيون رجالا كروفر قبل ان يكونوا رجال دهاء وسياسة ، فقد بنوا ملكهم وبنوا نفوذهم بفضل براعتهم الحربية وقوة جيوشهم وخوفهم الكثير من المعامع والحروب . ويمكن للقول ان صفات العرب الخالص ثمات فيهم من هذه الناحية ، فهم جميعا دون استثناء فرسان اشداء وقواد ممتازون ، لم يتخلف احد منهم

(١) غير المصدر ١١٠ - ١١٣

من الغروب حتى في ايام ضعفهم . وكان تاريخهم منذ مبدأ مسحق نهايته
سلسلة من المواقع والغزوات .

لقد تطلبت إقامة الدولة الحمدانية جيشاً قوياً مدنياً مبرزاً وبخبر
المعدي وكان أول من أدرك هذه الحقيقة الأمير الدولة الذي اعتمد على
القبائل العربية والمماليك الأتراك في تكوين جيشه^(١) واستطاع أن يخوض
المعارك التي أسفلت ذكرها ضد البريديين والبيوسيين . غير أن ناصر الدولة
اغترق في جعله جنوده اليه ، لأن الروح المعنوية لم تكن سائلة في قلوب
الجنود . وكان اهتمامهم مقصوراً على الأرزاق والغنائم ، حتى إذا عاشع
عليهم الأمير عمدوا إلى إثارة الشغب والفتن كما فعلوا في الموصل وفي واسط
حين كان الحمدانيون يقولون امرأة الأمراء . وكان العرب أهم عنصر في
الجيوش الحمدانية فاستعان أبو تغلب بعقيل التي لاصرت حتى هزيمته^(٢) .
وكثر ما ضم جيش الحمدانيين المتطوعة الذين دفعهم إلى جهاد إلى حرب
الروم . غير أن ناصر الدولة كون جيشه أول الأمر من الأتراك ، لأنهم
اشتهروا في ذلك العصر بالروح العسكرية وصحة الأبدان ، غير أنهم
سيروا له كثيراً من المتاعب فتآمروا ضدّه سنة ٣٣٥ وكادوا يقتلونه لولا
أنه فر إلى - نجار - المدينة فالتقى بهم يتعقبونه بقيادة تكين الشرزادي^(٣) .
وكان ناصر الدولة شديد البقعة بالغ القسوة فنكل بفلانته وأكثر من قتلهم
حين تمردوا عليه سنة ٣٤٧ (٤) . وإلى جانب هؤلاء الأتراك استعان

(١)

(٢) ابن الدليم - زبدة الحب ١٧٠/١

(٣) مسكويه - تجارب الأمم ٤٠٣/٢

(٤) قس الممدود ١٦٨/٢

للصمد السيد دولة يعرف الجزيرة حتى انه كان يوعز اليهم بقطع الميرة من
 عدوه ، ويبدو أنه اعتمد على الإكراه أيضا فقد كانوا عنصرًا عسكريًا
 ممتازًا . ومن القوي المؤثرة في تاريخ الجزيرة ، ومن هنا خالفهم ناصر
 الدولة . وتزوج منهم زوجته فاطمة بنت احمد (١) وبذلك أصبحوا حلفاء
 له . ولا ينبغي إغني تغليب (٢) .

وكان للامراء الحمدانيين خطط حربية اكتسبوا بالخبرة والتجربة ،
 وبرز ما يميز حروب ناصر الدولة انه كان يتعد عن موطن الخطر ما
 استطاع الى ذلك ميلا ، ويتحاشى له . اعدوه يوفر امامه في مسالك
 الجزيرة الوعرة اذا انس فيه القوة ، ويقطع عنه المؤن والميرة ، فيضطر
 هذا العدو الى التراجع ، وبذلك يوفر ناصر الدولة على نفسه مشقة الحرب
 والهدام .

يعطينا العياشي (٣) صورة واضحة للادارة العسكرية عند الحمدانيين
 في الموصل فقد كان الجنود يسجلون في دواوين خاصة مع ارزاقهم وعدتهم
 ونحيلهم ، وكانوا يعرضون بين الحين والحين ، فتصرف لهم الاموال
 حسب رتبهم . اصحاب المخلون بواجباتهم العسكرية او المتخلفون فتسقط
 ارزاقهم . وكان الجنود يطالبون باحضار الخيل الاصيله والاسلحة الكاملة
 حسب ارزاقهم واعطياتهم ، فاذا همسوا في ذلك تعرضوا للفرامة
 والقصاص .

وفي المجال المدني اتخذ الحمدانيون لانفسهم وزراء متشبهين

(١) مسكويه : معارب الامم ٢/٣٩٢

(٢) نفس المصدر ٢/٣٩٢

(٣) رسائل السامي ١/١٤٠-١٤٨

بالخلفاء ، لكي يعاونوهم في ادارة دفة شؤون الدولة في الجزيرة ، خاصة وقد شغل الامراء الحمدانيون انفسهم بالحروب ولم يكن لديهم الوقت الكافي للنظر في الاعمال الادارية . وللاحظ ان المؤرخين اطلقوا على هؤلاء الوزراء لقب الكتاب ايضاً ، والواقع ان الوظيفتين متلازمتان وقد اختير الوزراء - حتى في الخلافة العباسية - من بين الكتاب الحاذقين .
واله وان كانت معلوماتنا في هذا الموضوع قليلة الى حد الندرة ، فالتا لستطيع ان نجد بضعة وزراء تولوا مهام الوزارة للامراء الحمدانيين في الجزيرة منهم الحسين بن علي المغربي وهو من اسرة فارسية تدعي ان لسبها ينتهي الى بهرام جور ، ونسبوا الى المغرب لتوليتهم ديوان المغرب وقبيل لإقامتهم فيه . ويقول المقرئ (١) ان اصل هذه الاسرة من البصرة ، ثم انتقلت الى بغداد حيث ولد الحسين ، الذي تولى مناصب كثيرة ايام ابن رائق ثم استوزره 'اصر الدولة . واستوزر ابو تغلب ابا موسى النصراني وكان من اهل الذمة وقرة بن دنحما وهو نصراني كذلك وابا الحسن علي بن عمر بن ميمون بن علي بن عمر (٢) .

وهناك اشارات الى نظام القضاء لدى الحمدانيين في الجزيرة ، ونحن لسمع عن احد قضائهم في الموصل وهو ابن ابي ادريس وقد تولى القضاء لابني تغلب بن ناصر الدولة الذي يتضح من سيرته انه كان اقرب من ابيه الى الحياة المدنية فقد حاول بناء سلطة ذات طابع مدني بعكس ابيه الذي صرف جل وقته وجهده وماله في الصراع الحربي كما رأينا . ونجد لهذا القاضي - ابن ابي ادريس - ضلعاً في الاحداث السياسية سنة ٣٦٨ ،

(١) المخطوط ١٥٧/٢

(٢) ابن ظاهر ورقة ٢٥ أ

فقد استغل ضعف مؤلّس والي ميفارقين فجمع كلمة اهلها للدفاع عنها ضد البويعيين ، غير ان هؤلاء قبضوا عليه وقتلوه . وقد وصم مسكويه هذا القاضي بالجهل (١) .

٣- النظام المالي

عمد الامراء الحمدانيون الى توفير المال اللازم للاتفاق على مشاريعهم العمرانية وحياتهم الخاصة وحروبهم الداخلية والخارجية . ولما كانت الدولة الحمدانية دولة اسلامية ، فقد سارت على نفس الاسس الاسلامية في الضرائب اي فرض الزكاة على المسلمين وفق الشروط المذكورة - رعية ، والجزية على اهل الذمة من اهل الكتاب من الرجال القادرين ، والحراج على الارض المزروعة التي استولى عليها المسلمون من المشرّكين عنوة او صلحا (٢) .

ان التشريع الاسلامي في الضرائب متشعب معقد ، فإنه فضلا عن الاختلاف الذي وجدته المسلمون - عند الفتح - بين بلاد الفرس والروم ، كانت هناك نظم محلية تختلف من اقليم الى آخر من الاقاليم التابعة لكل من هاتين الدولتين (٣) . ولم يظل التشريع المالي الاسلامي كما كان في صدر الاسلام ، بل انه تطور على مر الزمن تبعاً لحاجات الدولة من ناحية واجتهاد للفقهاء من ناحية اخرى حتى اذا جاء العباسيون وجدنا ضرائب

(١) تجارب الامم ٢/ ٣٨٨

(٢) الماوردي . الاحكام السلطانية ٢١٥-٢٥٥

(٣) ادم متر . الحضارة الاسلامية ١/ ١٤١

اخرى متفرقة غير شرعية ابتدعها الحكام للحصول على الاموال التي تسد حاجاتهم الكثيرة .

وبين ايدينا اخبار تدل على ان الحمدانيين كانوا اغنى امراء المسلمين في القرن الرابع، ذلك ان عضد الدولة البويهى لما فتح قلاعهم في الجزيرة وجد قلعة اردمشت زاهرة بالامتنعة والثياب والفرش والجواهر والحلى، وكان فيها نحو عشرين مليون درهم (١) ، عدا ما حمله ابو تغلب مع محيين فر امام عضد الدولة من الصناديق المملأ بالاسدر والجواهر والامتنعة والنقد (٢) . كما كان لدى حمدان بن لاضر الدولة في قلعة ماردين مائتا الف درهم ومن الفرش والجواهر والثياب ما حمل في ثياب وسبعين بغلا، وحوث قلعة اردمشت من قسلاص اني تغلب اكثر من عشرين مليون درهم (٣) . ومن الامثلة الطريفة على ثراء الحمدانيين ان جميلة بنت ناصر الدولة نثرت على الكعبة حين حجت سنة ٩٧٦/٣٦٦ م عشرة الاف دينار وفرت كثيرا من المال على الفقراء وخلعت على الناس خمسين الف ثوب (٤) .

فمن اين جاء الحمدانيون بكل هذه الثروة الضخمة ؟ ان شرح سياسة الحمدانيين المالية لغير جواب على هذا السؤال .

ولكي يستطيع الحمدانيون الانفاق على الحرب والادارة وحياة البلاط وارزاق الجنود والموظفين ، اتبعوا سياسة عالية قاسية . فوجد

(١) مسكويه . تجارب الامم ٢/٣٩٢-٣٩٣

(٢) نفس المصدر ٢/٣٨٦

(٣) نفس المصدر ورقة ١٣ ب و ١٤

(٤) ابو الحسن . التجرم الزاهرة ٢/٥٠٩

لأصغر الدولة يلجأ، كلما طالبه معز الدولة بأملاك الضعفاء إلى أهل الموصل فيستزف أموالهم وبطالبتهم « بمال التعجيل » (١) وهي ضريبة غير ثابتة تجمع من الأهلين في حالات اضطرابية . وقد أدت سياسة الحمدانيين هذه في جباية الخراج إلى خراب بعض المدن وترك أهلها لحساد حتى عنت رسومها (٢) . لذلك حمل ابن حوقل (٣) عليهم حملة لاهوادة فيها ووجف سياستهم المالية بالجلور . بحيث أن مدينة نصيبين العامرة انهارت تحت وطأة قنوتهم في جباية الضرائب ، وذهب أهلها بددا بعد أن انتزع الحمدانيون أملاكهم واستولوا على ضياعهم . ولا نريد هنا أن نورد جميع الأمثلة على تطرف الحمدانيين واشتطاطهم في جباية الأموال على أن الأمثلة السالفة تكفي للدليل على ما نريد ، من أن الحمدانيين في الموصل هدفوا إلى تعبئة جميع الموارد الممكنة لخدمة بلاطهم وتوفير حاجاتهم الحربية والمدنية .

جاء الحمدانيون الخراج أي ضريبة الأرض بطريقتين ، الخامسة والمقاسمة وقد وصلت نسبة الخراج في بعض الحالات إلى خمسين في المائة أي نصف الغلة ، كما فعل الحمدانيون مع قبيلة بني حبيب الساكنة قرب نصيبين . وغيرهما بين أن تدفع هذه الضريبة عيناً أو نقداً أو مقاسمة أو محاسبة (٤) . وقد استطاع الحمدانيون في الموصل أن يرفعوا وأرد هذه المدينة من خراج الحنطة والشعير حتى بلغ في أوائل القرن الرابع خمسة

(١) ابن مسكويه . تجارب الأمم ١١٥/٢

(٢) آدم مثر . الحضارة الإسلامية ٣٤٠/٢

(٣) سورة الأرض ٢/٢١٦

(٤) آدم مثر . الحضارة الإسلامية ٢١٣/١

ملايين درهم على حين كان في القرن الثالث اربعة ملايين (١) ، وعهد ناصر الدولة الى اتباع نظام المقاسمة في جباية الخراج لوقف هجرة القبائل كما فعل مع بني حبيب . ولدينا بعض الارقام التي تعطينا فكرة عن الخراج في مختلف نواحي الدولة الحمدانية ، ومنها نرى مبالغ غنى هذه الدولة المربى و ثرائها الواسع ، فقد بلغ خراج ديار مصر خمسة ملايين وسبعمائة الف درهم او ستة ملايين (٢) . وبلغ خراج ديار ربيعة سبعة ملايين وسبعمائة الف درهم (٣) وخراج اعمال الفرات وهي تكريت والطيرهان والسن والبوازيج تسعمائة الف درهم والموصل واعمال ا اي شهرزور والصامغان ودارياذ مليونين وسبعمائة الف وخمسين الف درهم ؛ اما نينوى والمرج وبعثرا والحديثة وبعثرا وغيرها من نواحي الموصل الشرقية والغربية فبلغ ستة ملايين وثلاثمائة الف درهم (٤) . اما اعمال هذه المدينة الشمالية وهي قردي وبزي وجزيرة بن عمر وباسورين فبلغ ارتفاعها ثلاثة ملايين ومائتي الف درهم (٥) . وبلغ ارتفاع ديار ربيعة وكورها اربعة ملايين وسبعمائة الف وخمسة وثلاثين الف درهم . هذا عدا اعمالها الشمالية التي كانت تؤدي اربعة ملايين ومائة الف درهم (٦) . وكان ارتفاع هبت وعانة وقرقيسيا مليونين وتسعمائة الف درهم (٧) . وفيما يلي ثبت يبين خراج اقاليم الجزيرة حسب قائمة قديمة :-

(١) ابن خرداذبة . المسالك والممالك ٩١

(٢) قدامة ٤٦٠

(٣) نفس المصدر ٧٣ و ٩٥

(٤) قدامة . كتاب الخراج وصفة الكتابة ٢٤٠

(٥) نفس المصدر ٢٤٠

(٦) نفس المصدر ٢٤٦

(٧) نفس المصدر ٢٤٦

شكريت والطيرهان والسن والبوالبيخ	٩٠٠٠٠٠٠٠٠	درهم
شهرزور والصامغان	٢٠٧٥٠٠٠٠٠	٤
الموصل	٦٠٣٠٠٠٠٠٠	٤
قردي وبزدي	٣٠٢٠٠٠٠٠٠	٤
ديار ربيعة	٩٠٦٣٥٠٠٠٠	٤
ارزن ومياقارقين	٤٠٢٠٠٠٠٠٠	٤
آمد	٢٠٠٠٠٠٠٠٠	٤
ديار مضر	٦٠٠٠٠٠٠٠٠	٤

وكان خراج نصبيين وحدهما ايام ابي تغلب من الحنطة والشعير والارز خمسة ملايين درهم، ومن الجزية والجوالي ابي الضريبة اهل الذمة خمسة الاف دينار، ومن العشور وضرائب الحمرة خمسة الاف دينار ايضا، ومن الغنم والبقر والدواب والبقول مثل هذا المبالغ، ومن ضريبة المستغلات كالدور والحمامات والدكاكين سبعة عشر الف دينار، وبلغ وارد رستاق ابنين من اعمال دارا مليون درهم من الحبوب وثلاثين الف دينار من العرصات والطواحين وضريبة الرؤوس (١). ونجد المطيع في هذا الصدد بحث ابا تغلب على ان يوعز الى «عمال الجوالي بأخذ الجزية حسب احتمال أهل الذمة».

وعلى كل حال فقد جبي الحمداليون في الجزيرة أرباحاً طائلة من ضريبة الخراج التي فرضت على الغلال، وكانت في الحق اهم مورد

(١) ابن حوقل ١٤٠-١٣٠

لخزبتهم . ولعمل القائمة التالية - التي أوردتها الاصطخري (١) - نعطي
 القاري* فكرة واضحة عن مقادير الأموال التي جبيت من ضريبة الخراج
 في بعض مناطق الجزيرة .

<u>الاقليم</u>	<u>درهم</u>
كور الجزيرة	٩٧١٥٨٠٠
حران	٧٤٠٠٠٠
الرها	١٨٣٠٠٠٠
سميساط	١٨٠٠٠٠٠
سروج	٦٠٠٠٠٠
قربات الفرات	٦٠٠٠٠٠
رأس كيفا	٣٥٠٠٠٠
ارض البيضاء	١٥٠٠٠٠٠
الرقنة	١٦٠٠٠٠٠
الرافقة والروابي	٥٧٠٠٠٠
المازحين والمذيب	٢٨٥٠٠٠٠
ارزن	١٠٠٤٥٠٠٠
آمش	١٨١٥٠٠٠٠
ميتافازقين	٨٥٦٠٠٠٠

(١) مسالك المالك ١٢٥-١٢٦ .

وبردنا ابن حوقل (١) - الذي حدد هذه الأرقام أيام المهتمدالين -
بمعلومات قيمة عن واردات اقليم الجزيرة من الحراج والأخشاش والجزية
وغيرها . وهو يقول انه حضر بنفسه في سنة ٣٥٨ تقدير ضياله نصيبين
في عهد ابي تغلب الغضنفر وهو بالموصل ، فكان التقدير على النحو التالي :

الحنطة والأرز والشعير وحبوب

اخرى (١٠ / ١٠٠ كسر) (٢) ٥٠٠٠ درهم (٣)

ضريبة طراش (الجوالي) ٥٠٠٠ دينار

ضرائب اللطف (للشراب) ٥٠٠٠ دينار

عن الغنم ولبقر والبقر والقواكه ٥٠٠٠ دينار

عن الطواحين والصباع المقبوضة

والمشترأة وغللات العقار المسقف

من الخانات والحمامات والحنوانيت

والدور ١٦٠٠٠ دينار

تقدير ارتفاع رستاق ابنين المجاور

لطور عابدين (تابع لنصيبين)

(٣٠٠٠ - ٣٠٠ كز) من الخبوب ١٠٠٠٠٠ درهم

(١) صورة الارض • بيروت • ١٩٣ - ١٩٤

(٢) الكر من مكابيل العراق وهو سترن قتيلاً ولقبح غسلة وهقرون وعلا • الحاراذمي

مفاتيح العلوم ٤٤٥

(٣) الدينار كان يتألف ١٥ درهماً

المصير والأسقاء والجهاجم والعراض

٣٠٠٠٠ دينار

والطواحين

وفيما يتعلق بالموصل بدرج ابن حوقل (١) هذه الأرقام التي حصل عليها في سنة ٢٥٨ (في عهد أبي تغلب بن ناصر الدولة) بناء على تقدير رسمي لمبالغ الضمان التي تحتم على أبي تغلب دفعها وفق تقدير الموارد .

١- الارتفاع من الحاصل (٢) دون قسمة المزارعين ببنوى والمرج وكورة حزة ٦٠٠٠ كر حنطة وشعيراً قيمتها ٣٠٠٠ درهم .

٢- من الحبوب الأخرى كالحقاني ٣٠٠ كر قيمتها ١٠٠٠٠ دينار (أي ١٥٠ ألف درهم) .

٣- الجوالي والضمانات ومرافق أخرى ١٠٠٠٠ دينار .

٤- ضياع خاصة بالأخوة الحمدانيين في بنوى والمرج وحزة كالث قدر أربعة آلاف كر حنطة وشعيراً قيمتها مليوناً درهم ، بالإضافة إلى ثلاثين ألف درهم (ألفي دينار) عن توابع هذه الضياع الملحقه ببيت مال السلطان .

٥- وقدر الرفع (أي المالي الرسمي المسؤول) أموال نواحي الموصل عن العراض والجزائر والبساتين والمستغلات المصادرة من أصحابها

(١) صورة الأرض ١٩٧

(٢) يقول المؤرخون : مغايير العلوم ٤٠ . ان الحاصل هو ما يكون في بيت المال او على العامل . اما الارتفاع فينتي معدل الربح وفق الأسعار السائدة

والمشتراة ومال اللطف (أي الضرائب عن الخمرة) والجوالي (١) (أي الجزية) بمبلغ مليوني درهم.

٦- وقدر نصيب الحمدانيين بموجب نظام المقاسمة (٢) الذي اتبعوه في الجزيرة عن منطقة باعربايا (أي المبلغ الصافي بعد دفع نصيب العمال الزراعيين - الأكرسة - (٣) والمزارعين بمائتي ألف كرو من الحنطة والشعير وقيمتها أربعة ملايين درهم.

٧- برقعيد : ألفا دينار أي ثلاثون ألف درهم.

٨- عن دخل بازبدى من الحنطة والشعير الذي بلغ حاصله - ما بقي كرو مليون درهم.

٩- باهرا : الصافي بعد مقاسمة المزارعين من الحنطة والشعير ثلاثة آلاف كرو وقيمتها مائة ألف دينار أي مليون ونصف مليون درهم ، بالإضافة الى ثلاثين ألف دينار عن الرسوم المدفوعة عن استخدام مياه الري وتسهيلات السقي.

١٠- قردى : والصافي بعد مقاسمة المزارعين ثلاثة آلاف كرو وقيمتها مائة ألف دينار (أي مليون ونصف مليون درهم). ويضاف الى ذلك ما يجبي عن الطواحين وضريبة الجزية ومقداره ثلاثون ألف دينار.

ويختتم ابن حوقل تقديراته - وهي تقديرات شاهد عيان - عن المبالغ

(١) جمع جالية والتعبير يشير الى اهل الدما وال الجزية التي تؤخذ منهم

(٢) نظام المقاسمة يعني اخذ جزء من المحصول - الماوردي ١٤٤-١٤٥ .

(٣) الذين يقومون باصال المراثة

التي تدفع مقابل ضمان الموحل وأعمالها في سنة ٢٥٨ بمبلغ ستة عشر مليوناً ومائتي ألف وتسعين ألف درهم (أي ٨٦٠٠٠-١٠٠ دينار) ، وهو حكم يبدو - مبلغ ضخم حتى بمقاييس هذا العصر . فإذا أضفنا إلى ذلك تقدير موارد المناطق الأخرى وجدنا أن الحمدانيين كالدوا من أغنى الأعيان ، لأنهم حين ضمنوا من الخلافة هذه الأقاليم الشاسعة الغنية الممتدة من تكريت إلى ديار بكر لدفع هذه المبالغ على أحسن تقدير ، فإنهم كانوا يلجأون إلى أسلوبين لزيادة دخلهم ، أولهما : الاشتراط في جباية الضرائب ، وثانيهما : التقاعس عن دفع المبالغ التي يتحتم عليهم دفعها للسلطة المركزية مقابل ضمانهم لتلك الأقاليم . هذان الأساويان هما اللذان حدا نمط للسلطة الحمدالية بل وقررا مصيرها . فم جهة كانت الرعية في الجزيرة غير مستريحة للسياسة الزراعية والمسالية التي اتبعها الحمدانيون ، مما أدى إلى عدم الاستقرار ، ومن جهة أخرى عمد الأمراء التمهدينون ، كلنا وافنهم الفرصة إلى التمرد على السلطة المركزية والامتناع عن دفع المبالغ التي بلدتهم .



الفصل الثاني

الحالة الاقتصادية

١٠- سياسة الحمدانيين الزراعية

٣- التجارة وطرق المواصلات

٣- الصناعة

١- سياسة الحمدانيين الزراعية

لقيت سياسة الحمدانيين الزراعية حملة شديدة من المؤرخين . فقد اتهموا بانهم بلبو مخربون قطعوا الاشجار وقصوا على العمران ، وكان في مقعدة الذين هاجموهم ابن حوقل . وقد تميزت حملته هذه بالحساس العاطفي الذي امتلاه حنقه وغضبه وهو يشهد موطنه نصيبين وقد اصبح قاب قوسين او ادنى من الحراب ومواطنيه من خيرة القبائل يهيمون صلبى وجوههم . في الاصقاع فرارا من قبوة الحمدانيين وضغطهم الاقتصادي.

يقول ابن حوقل (١) ان الحمدانيين حين استولوا على الموصل اشترؤا الاراضي والاملاك بائض الاسعار . بل بعشر سعرها . ويقول عن نصيبين (٢) ان اهلها الذين كانوا من وجوه العرب كبني فهد وبني

(١) سورة الارض ١/ ٢١٥

(٢) نفس المصدر ١/ ٢١٦

همران من خيرة الازد واشراف اليمن وبني شخاج واود وزيد
 والجارود وبني ابي حنذاش والصداميين والعمرين وبني هاشم فرقههم
 هـ جور بني حمدان وبددهم في كل صقع ومكان بعد انتزاع املاكهم
 وقبض ضياعهم واحواج اكثرهم الى قصد الاطراف هـ . كذلك هاجم
 مسكويه سياسة الحمدانيين الاقتصادية فقال (١) ان اكثر اعمال الموصل
 اصبحت ملكا لناصر الدولة الذي كان يضايق اصحاب الاراضي
 ويحبرهم على بيعها بانخفاض الاسعار : وكان بالموصل في وسط دجلة
 ويبلد التي تبعد عنها قليلا مطاحن تعرف بالمروب تزود العراق بالدقيق
 هـ فلم يبق منها شئم ابن حمدان ولا من اهلها باقية (٢) هـ . وكذلك هاجم
 ابن حوقل (٣) سياسة ناصر الدولة الحمداني في الحديثة وتكرت وعكبرا
 والبردان وبلد التي كانت كثيرة الغلات والاموال ومشهورة بغنى اهلها
 وراثتهم ، حتى هـ وضع الملقب بناصر الدولة عليهم يده واستفرغ فيهم
 جهده فلم يبق لهم باقية وبددهم في كل فتر وزاوية ولم يبق لهم ثاغية ولا
 راغية حتى اكلتهم الشدائد وصبت عليهم بشؤمه المصائب هـ .

على ان من ابرز الامثلة على سياسة الحمدانيين الزراعية هو ذلك
 الضغط الاقتصادي الشديد الذي لقيه بنو حبيب وهم من تغلب وابناء
 عم الحمدانيين في برقييد . فقد اشتط بنو حمدان في جمع الخراج منهم
 (سنة ٣٦٠) حتى انهم هجروا ديارهم بنزارهم ومواسيهم وساروا

(٥) تعارب الاسم ٢٨٤/٢

(١) ابن حوقل . صورة الارض ٢٢٩/١

(٢) نفس المصدر ٢٢٠/١

في اثني عشر الف فارس الى بلاد الروم حيث احسن اليهم الامبراطور
ومنحهم اجود الضياع فتحولوا الى النصرانية ، وعادوا يشنون الغارات
على بلاد الاسلام انتقاما لما لقوه من اضطهاد (١) .

وما يميز سياسة الحمدانيين الاقتصادية وبخاصة في عهد ناصر
الدولة انهم قلعوا اشجار الفاكهة وغابات الصنوبر والسرو والغار
وزرعوا مكانها الغلات والحبوب كالقطن والسمسم والارز ، وبذلك
ارتفع خراجها وزادت غلتها . وقد اتبع ناصر الدولة هذه السياسة في
نصيبين حيث فرض على اصحاب الارض خراجا بلغ نصف غلتها .
واذا علمنا انه هو الذي كان يقدر الغلة بنفسه فلا تعجب مما يقوله ابن
حوقل (٢) من أن اصحاب الارض بلغت حصصهم الخمس فحسب ،
لذلك عجزوا عن الزراعة وهاجروا الى بلاد الروم كما اسلفنا . ولما جاء
ابو تغلب استولى على اكثر الغلات كما استولى على حصة المزارع بشمن
كان هو السذي يقدره وبذلك تحمل جميع الغلة الى مخازنه . ومن
هذا يظهر ان الحمدانيين هلكوا الى اناة الغلال والحبوب على حساب
الاشجار غير المثمرة ، وهذه السياسة بلا شك قد ادت من الناحية العملية
الى كثرة الانتاج وزيادة الخسراج للحصول على اكبر مورد يسد
حاجاتهم ، وان ابدى آدم متر (٣) اسفه على ضياع جمال هذه الاشجار
التي كانت تزين تلك الاقاليم .

(١) ابن حوقل . صورة الارض ١ / ٢٢٠

(٢) نفس المصدر ١٤٠ - ١٤٣

(٣) الحضارة الاسلانية ١ / ٣١٢

والغريب ان ابن حوقل نفسه امتدح سياسة الحمدانيين الزراعية في موصلح آخبر فقال (١) : « لما تملك بنو حمدان ورجالهم غرسوا فيها اي في الموصل - الاشجار وكثرت الكروم وغرزت الفواكه وغرست النخيل والخفسر ... ولها اقاليم ورسانيق ومدن كثيرة مضافة اليها وارتفاع وجبايات زادت على ما كانت عليه في سالف الزمان » . ولكن يجب ان نذكر ان ما فعله الحمدانيون كان لمصلحتهم الشخصية ، وان الهدف الذي كانت ترمي اليه سياستهم الزراعية انها كان يقوم على لئراء انفسهم وافقار مواطنيهم ، حتى ان « بلد » التي كانت من اغنى الاقاليم بوفرة غلاتها ، اصبح اصحاب الاراضي - بعد ان استولى الحمدانيون عليها - فقراء معدمين انصبت عليهم الشدائد والمصائب (٢) .

ويبرر الامستاذ صدر الدين (٣) سياسة الحمدانيين الاقتصادية المتشددة بحاجتهم للنقود لحرب الروم وارضاء جنودهم من القبائل العربية الطامعين في الغنائم ، والذين اذا لم تدر عليهم الاموال انسحبوا من المعركة وفترو حماسهم ، كما يبرر معاملتهم لاهل الرقة والرافقة التي تميزت بفداحة الضرائب ومصادرة اموال الاهلين وارضيتهم (٤) ، بان اهل هاتين المدينتين كانوا ذوي ميول اموية ولعلمهم خلقوا المصاعب والقتال لبي حمدان المتشيعين . لكن الذي يقلل من قيمة هذا الرأي ان هذه السياسة لم تقتصر على هاتين المدينتين بل شملت المدن الأخرى وبخاصة الموصل ونصيبين وبلد .

(١) ابن حوقل . صورة الارض ٢١٥/١

(٢) نفس المصدر ٢٢٠/١

(٣)

Sayfuddaulah, P, 123

(٤) ابن حوقل . صورة الارض ٢٢٥/١

٢- التجارة وطرق المواصلات

كان الشرق في العصور الوسطى المركز الرئيس للتجارة الأوروبية ، فقد استوردت أوروبا القطن وقصب السكر من سورية وآسية الصغرى والحريير والتوابل من الشرق الأقصى . وبعد انقسام الامبراطورية الرومانية ، أصبحت الدولة البيزنطية وارثة تجارة الشرق ، وظلت تقوم بدور الوسيط بين أوروبا وبلدان الشرق (١) . وبما هو جدير بالذكر ان العرب اشتغلوا بالتجارة منذ القدم ، فقد اشتهرت مكة قبل الاسلام بتجاريتها النشيطة مع اليمن والشام ، واقامت الاسواق في ايام معينة في مختلف انحاء بلاد العرب وبخاصة في الحجاز (٢) . وبعد ان هدأت حركة الفتوحات واتصل العرب بالعناصر الاجنبية نشطت التجارة في العالم الاسلامي ، وذلك بسبب توسع الدولة وتشجيع الخلفاء والاغنياء وحاجة القصور الى ادوات الزينة ووسائل الترف وبناء الاساطيل وتقديم العلوم الجغرافية التي وجهت اذهان التجار الى بلدان واقاليم جديدة ، وكذلك لمسرعة انتقال العرب ونظام الحج الذي هيا فرصة لالتقاء القوافل من مختلف الانحاء . وحين انتشرت الرفاهية بين المسلمين بدأت تظهر الحاجة لتبادل المنتجات مع الدول الاجنبية .

ارتبطت مدن اقليم الجزيرة ببعضها وبالخارج بطرق برية داخلية وخارجية كثيرة نذكر اهمها فيما يلي :

(١) Heyd, Histoire Du Commerce Du Levant, Vol. 1, P. 2

(٢) ديموبين ، النظم الاسلامية ٢٤٩

١- طريق البريد الذي يصل بغداد بالجزيرة محاذيا ضفة دجلة الشرقية
فيدخل الجزيرة في تكريت ويظل يحاذي ضفة النهر اليسرى حتى الموصل
مارا بالمدن والقرى الآتية :

بغداد - البردان - عكبرا - باحشا - القادسية - الكرخ - جبلتا -
السودقانية - بارما - السن - الحديثة - طهوان - الموصل - بلد - باعينا -
برقعيد - اذمة - تل فراشة - نصيبين . ومن نصيبين يتفرع طريقان
يذهب أحدهما وهو الأيمن الى الشمال مارا بهذه المواضع : دارا -
كفرتوثا - قصر بني نازع - آمد - ميافارقين - ارزن - ثم يتفرع هذا
الطريق بدوره فيذهب فرع من آمد الى الرقة - شمشاط - تل جوفر
جرنان - بامقدار - جلاب - الرها - حران - تل محرا - باجروان - الرقة -
والآخر من نصيبين الى الرقة - دارا - كفرتوثا - العرادة - راس عين -
الجارود - حصن مسلمة - باجروان - الرقة (١) - اما الفرع الايسر
لطريق البريد الرئيس فيمر بهذه المواضع : بلد - قرقيسيا - منجار (٢) .
٢- وهناك طريق يصل بين الرقة والثغور بكل الطريق السابق ويمر
بعين الرومية (عين زربة) تل عبدا - سروج - المسزينة - سميساط -

(١) قدامة . كتاب المراج ومنه الكتابة ٢١٥ . ابن خردادبه . المسالك

والمالك ٩٣-٩٤

(٢) قدامة ٢١٦

حصن منصور - ملطية - كرخ - زبطرة - الحدث - مرعش (١) :

٣- وتتصل الموصل بنصيبين بطريق يمر بهذه المواضع : الموصل - بلد - باعيناثا - برقميد - اذرمة - تل فراشة - نصيبين (٢) .

٤- ونجد على الفرات طريق البريد الذي يحاذي الضفة اليمنى او الغربية من هذا النهر ويصل الى آلوس فعانة ثم يتفرع الى فرعين يذهب اولهما الى الرقة محاذيا الفرات ، ويتفرق ثانيها وهو الايسر الصحراء الى الرقة ايضا مارا برصافة هشام ثم الى مسروج وسميساط (٣) .

٥- وهناك ايضا طريق هام يصل مدن الجزيرة بحدن الشام ويبدأ من سر من رأى ويمر بهذه المدن : بالس - الحديثة - الموصل - بلد - نصيبين - راس عين - الرقة - منيج - حلب - قنسرين - حماة - حمص - جوسية - بعلبك - دمشق (٤) .

٦- طريق الفرات : بلد - تل أعفر - سنجار - عين الجبال - سكير العباس - القدين - ماكسين - قرقيسيا (٥) 2

من هذا يتضح ان الطرق كانت كثيرة وعامرة، وكانت تصل بغداد بحدن الجزيرة من جهة ، ومدن الجزيرة ببعضها من جهة ثانية ، واقليم

(١) ابن خرداذبه . المسالك والممالك ٩٦ . قدامة ٢١٦

(٢) ابن خرداذبه ٩٥

(٣) Lestrangle 124

(٤) ابن خرداذبه ٢١٦-٢١٧

(٥) قدامة ٢١٦

الجزيرة بالشام وبلاد الروم وأرمينية من جهة أخرى . وبين إبدينا نص قيم يقف دليلاً واضحاً على العناية الفائقة التي بذلها الحمدانيون بالتعاون مع السلطة المركزية في بغداد من أجل صيانة الطرق وتسهيل مرور التجارة وحماية الأمن الذي كان ضرورة أساسية لأزدهار التجارة . فقد اشترط الخليفة المطيع على أبي تغلب بن ناصر الدولة في عهد له أصدره في سنة ٩٧٦/٣٦٦ م « أن يוכל بالطرقات من الخيل والرجال من يتقصاها ليلاً ونهاراً ، ويستقر بها سهلاً وجبلاً ، ويسير في برها وبحرها ، ويقلد عليهم أهل النجدة والبالة ، وذوي الشهامة والجزالة . ويوعز الى من يوليه بأن يتبعوا مظلان أهل الريب فيشرودهم عنها ... وأن يسيروا مع السابلة ويصحروا من يسلك الطررق من المارة وبعموا النفوس والأموال ، ويحوطوا النراري والتجارات ، ويقفوا على من تخلف ويسيروا بمسير من ضعف ، حتى لا يلحق احداً من السالكين عيب ولا يغوله دون مقصده غول . ولا يلزموا احداً من المجتازين مؤونة ولا يحملوه ثقلاً ولا كلفة ، لتؤمن السبل وتحمي المسالك وتلتر للرعية المتاجر وتستقيم لها أسباب العيش ، وتكون الطررق مضبوطة والامال محوطة » (١) :

ولما كان من مصلحة الحمدانيين استتباب الامن في ربوع مملكتهم فإنهم جعلوا في الطررق والمسالك الوعرة خيالة ومشاة لحفظ الامن والقضاء على العابثين ، وولوا الاحداث وهي اعمال الشرطة لاشخاص يجب ان تتوافر فيهم صفات العقل والعفة والشدة ليراقبوا الاحوال

(١) رسائل أبي اسحاق العامي ١٣٤-١٣٥ هـ . دوت . .

العامّة ويتمتعوا الجنة الذين يحنلون الى السجون وتقام عليهم الحدود (١).

امنازت الموصل بموقع جغرافي على جانب كبير من الاهمية ، فهي تطل على دجلة وكانت محط الركبان ومنها يقصد الى جميع البلدان ، فهي « باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد الى اذربيجان » . لذلك اصبحت من المدن التجارية الممتازة في العصور الوسطى ، واشبه بهمة الوصل بين الدولتين الاسلامية والبيزنطية . وكانت الموصل في القرن الرابع الهجري ذات تجارة رائجة فامنازت باسواقها الواسعة الكثيرة بحيث كان لكل صنف من اصناف البضاعة سوقان او ثلاثة او اربعة خاصة بها . وكل سوق منها ينتظم مائة حانوت او اكثر (٢) ، ومن هذه الاسواق سوق الطعام والاساكفة والغنم . وكان يقام في كل يوم اربعاء سوق عرف « بسوق الاربعاء » وذلك في الساحة الفسيحة بداخل القلعة حيث يفد الفلاحون من القرى والبلدان المجاورة (٣) . ويذكر الازدي (٤) من اسواق الموصل الاربعاء والحشيش والسقائين والقنابيين والدواب والبرازين والسرارجين ، مما يدل على أن هناك أسواقا لكل صنف من اصناف البضاعة . وكانت هذه المدينة تصدر الى الخارج منتجاتها الزراعية والحيوانية والصناعية من القمح والعسل والفحم والجبن والفواكه واللحوم المملحة والسمن والحديد والسكاكين والسهام والسلاسل (٥) . وما زال أهلها الى اليوم يقومون بتربية الاغنام

(١) نفس المصدر ١٣٩/١

(٢) ابن حوقل . صورة الارض ٢١٥/١

(٣) المقدسي . احسن التقاسيم ١٣٨-١٣٩

(٤) تاريخ الموصل (مخطوط) ورقة ١٧ و ٢٤ الخ

(٥) المقدسي ١٣٨-١٣٩

و تصديرها الى البلدان المجاورة ، كما كانت هذه المدينة ثمنون بشداد
بالدقيق والسكر والعسل والسمن والجبن ونعال الخسب (١) ، وكانت
القنادق التي خصصت لاقامة التجار كثيرة بالموصل بحيث كان وعلى
كل ركن فندق (٢) .

وكانت الرقة - قسبة ديار مضر - مشهورة باسواقها المظلمة الجميلة
التي تزخر بالسلع ، وقد استمدت اهميتها من موقعها بين العراق - راق
والشام (٣) ، كما اشتهرت سنجار بتصدير الفواكه المجففة وقصب السكر .
على حين انتجت نصيبين القمح والشعير والارز والجوز (٤) وصدرت
الرقة زيت الزيتون والصابون وقصب الاقلام كما صدرت آمد الحجارة
الأرجية النادرة بحيث كان يساوي الحجر الواحد خمسين دينارا او
اكثر (٥) . كما صدرت ثياب الصوف والكتان والرومية على عمل
المصقلي . وصدرت بلد البأ في القدور عن طريق النهر بحيث يبيع القدر
الذي يزن خمسة امانان بخمسة دوانيق . واشتهرت حران بتصدير العسل
والموازين والانسجة القطنية . وجزيرة ابن عمر بالجوز والزبد
والخيول (٦) .

ادت المعاملات التجارية الى قيام محيط تجاري راق في بلاد

(١) المنتظم . ابن الجوزي ١٧٠ / ١٠

(٢) المقدسي . احسن التقاسيم ١٢٨

(٣) نفس المصدر ١٤١

(٤) ابن حوقل . صورة الأرض ١٩١ . ١٩٩

(٥) نفس المصدر ٢٠١

(٦) المقدسي ١٤٥

الحمدانيين وقد افاد الامراء من العشور والضرائب المختلفة التي فرضوها على التجار، فنشأت الاسواق والخانات لسكنى التجار وخزن بضائعهم، وتمدت الطرق البرية التي عين فيها شرطة خيالة ورجالة لحماية القوافل. وقام الصيارفة - وهم الذين مثلوا المصارف في ذلك العصر - بمهمة الابداع والصيرفة والتحويل. وترتب على ذلك ان يصدر الحمدانيون عملة خاصة بدولتهم مادامت السكة مظهرا من مظاهر السيادة والاستقلال، وعاملا هاما في قيام التجارة والتبادل.

استعمل المسلمون نقودا ثنائية القاعدة اي من الذهب والفضة، فكان الدينار ذهباً والدرهم فضة. وكانت النقود في الجاهلية هي الرومية والفارسية، وافر الرسول (ص) النقود على ما كانت عليه، كذلك لم يغير ابو بكر شيئا، وفي زمن عمر ادخلت على الدراهم الكسروية عبارات والحمد لله او محمد رسول الله او ولا اله الا الله (١). لكن عبد الملك عرب النقود سنة ٨٧٦ هـ فجعل وزن الدينار اثنين وعشرين قبرا طاول الدرهم خمسة عشر وبها صورة وآيات وبذلك يعتبر أول من وضع السكة الاسلامية (٢). ثم جاء العباسيون فتولوا النظر في العيار. الا الرشيد فانه اناب عن البرامكة. وفي عهد نفوذ الاثراك والبولهييين حيث انفصلت الاقاليم تعرضت النقود للفوضى في عيارها ومعدنها (٣).

والسكة - حسب المفهوم الاسلامي - النظر في النقود المتعامل بها

(١) المقريري . النقود الاسلامية . مطبعة ورقة ١٢٠

(٢) نفس المصدر ورقة ١٢١ - ٣٠ ب

(٣) نفس المصدر ورقة ١٢٢ - ١٢٣

بين الناس وحفظها من الغش أو النقص ، وختمها بخاتم السلطان
الحديدي الذي يحمل صورة او كلمات مقلوبة تضرب على الدينار او
الدرهم فتخرج مستقيمة بعد ان يضبط عيار القطعة النقدية ويسبك
معدنها (١) .

اصدر ناصر الدولة نقودا خاصة به منذ سنة ٣٣٠ هـ فهناك بضعة
قطع محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تشير الى ان الحمدانيين بدأوا
بسك نقودهم منذ هذه السنة . واقدم قطعة نقدية حمدانية ضربت في
نصيبين سنة ٣٣٠ هـ (٢) . ولما تولى ناصر الدولة امرة الاحراء سنة ٣٣١
ضرب نقودا في مدينة السلام تحمل اسمه واسم اخيه سيف الدولة منها
قطعتان في دار الكتب المصرية (٣) وفي سنة ٣٣٢ اي حين رجع ناصر
الدولة الى الموصل بعد ان اخفق في حكم بغداد ضرب نقوداً منها قطعتان
في المكينة المذكورة تحمل احدهما تاريخ سنة ٣٣٢ والاخرى سنة ٣٤٤ (٤) .

كما ان الظروف السياسية دفعت الحمدانيين الى ضرب عملات
مختلفة مثال ذلك انهم ذكروا اسم الخليفة العباسي على بعض المذاخير
اشارة الى اعترافهم بسيادته ، كما ذكروا اسم الخليفة الفاطمي على البعض
الاخر حين خضعوا لسلطان الفاطميين . واخيرا فان الامراء عمدوا الى
ضرب نقود خاصة للاتصالات واخرى يصدرونها في المناسبات كما فعل
سيف الدولة حين زوج ابنه من ابنة اخيه ناصر الدولة (٥) .

(١) ابن خلدون . المقدمة ٢٢٦

(٢) lane Poole , Catalogue , P . 3361

ibid , P , 336

ibid . P . 386

(٥) ابن طاهر ١٠

ويذكر كسودر لجئون ان الحمدلين فهووا كثيراً من النخسود
في الجزيرة والرحبة والوصل (١) . لقد ضاعت الأسفنة كثير من هذه
القطع النقدية ، غير ان بعضها ما زال - لحسن الحظ - محفوظاً في دور
الآثار (٢) .

وثمة اشارات متفرقة في الكتب على ان ناصر الدولة وسيف الدولة
ضربا دنانير ذات اوزان مختلفة ، منها دنانير في كل دينار ثلاثون دينارا
وعشرة دنانير في كل منها عشرة ضربت سنة ٣٥٤ وقد كتب عليها :

الوجه : لا اله الا الله محمد رسول الله أمير المؤمنين

علي ابن ابي طالب فاطمة الزهراء

الحسن الحسين جبريل عليم السلام

الظهر : أمير المؤمنين المطيع لله الاميران

الفاصلان ناصر الدولة وسيف الدولة

الامير ابو تغلب وابو المكارم (٣) .

والظاهرة البارزة في نقود الحمدانيين انها كانت كثيرة سريعة التغير
ولعلهم كانوا يهدفون من وراء ذلك الى القضاء على لاعب الصرافين
بعباء النقود كما ان نقودهم تغيرت بتغير الاحوال السياسية .

٣- الصناعة

بما ساعد على ارتفاع الصناعة وازدهارها في العصر الحمداني تشجيع

(١) 191 - 62 . p

(٢) هناك بعض القطع النقدية الحمدانية محفوظة في المتحف العراقي

(٣) ابن خلدون ورواه ١٠

الأمراء والأهنياء واهتمامهم بكل ما له علاقة بالترف من جهة كالمسابح
والسجاد والعمود والزجاج والصبغات ، وبما له علاقة بعمارة القصور
والمساجد والمشاهد والحصون وصناعة الأسلحة من جهة أخرى .

وقد اقتصرت كل مدينة بصناعة محلية برع فيها أهلها واشتهروا .
فقد اشتهرت الموصل بالموصليين السدي ذاعت شهرته عالياً خلال
العصور الوسطى وحظي بالتقدير في أسواق الشرق والغرب (١) .

ومما هو جدير بالذكر ان الفضل في نشر زراعة القطن في الجزيرة
يعود الى الحمدانيين مما شجع صناعة الاقشة القطنية (٢) .

لقد حفلت مدن الجزيرة بالمطاحن والأرحاء الضخمة في تكريت
والحدثة وحكبرا والبردان ، فضلا عن الأرحاء الشهيرة بالموصل .
وكانت طواحين بلد لها فصل تدور فيه ، وهو المدة التي تحمل فيها
الحنطة في السفن الى العراق . وكانت مطاحن الموصل تسمى العربات او
العروب وهي مصنوعة من الخشب والحديد الذي لا يمازجه شئ من
الحجر والجص ، وتقوم في وسط الماء بسلاسل حديد ، كل عربة فيها
حجران ، يطحن كل حجر منها خمسين قرأ في كل يوم (٣) . وقد خلف
لنا الشاعر السري الرفاء وصفا جميلا للعربات : يدل على كثرتها في
مدينة الموصل (٤) . كذلك ذكر ابن حوقل (٥) ان الموصل وبلد والحدثة

(١) ديموجين ، النظم الاسلامية ٢٥٣

(٢) ادم منر ٢٦٢/٢ الحضارة الاسلامية

(٣) نفس المصدر . ٢٦٧/٢

(٤) انظر - ديوان السري الرفاء

(٥) سورة الارض ١٩٨

والمكرية وعكبرا والبردان حوت كثيرا من العروب التي اقيمت في وسط
النهر لنزود مناطق العراق المختلفة بالدقيق .

واشتهرت مدينة حران في الجزيرة بصنع الآلات الهندسية ، فصنعت
فيها الاسطرلابات وغيرها من الآلات الرياضية الدقيقة . ومما هو جدير
 بالذكر ان هذه الصناعة نشأت متأثرة بالدين ، لان حران كانت مركز
 الصائبة الذين عبدوا الكواكب فاهتموا برصد حركاتها ومعرفة بروجها .
 وكذلك اشتهرت تلك المدينة بموازبها الدقيقة حتى غدت مضرب
 الامثال (١) .

على ان اعظم صناعة قامت في الموصل هي صناعة الموصلين الذي
 عرف في اوربا بهذا الاسم ونسبوه الى هذه المدينة . وهو نسيج قطني
 خفيف يدعى الشاش ، وبرع اهل هذه المدينة بصناعة المسوح وهو نسيج
 مخطط تصنع منه الملابس او الابطسة كما صنع اهل هذه المدينة الخبز
 ايضا ، في حين اشتهرت آمد بالوشى والمناديل والطبلسانات (٢) .

وقد زدونا المقدسي (٣) بعلومات قيمة عن أبرز المنتجات الصناعية
 التي اشتهرت بها مدن الجزيرة ، وهي :

١- الموصل : اشتهرت في صنع النمسود (وهو اللحم المجفف)
 والعسل والجبن والمن وهو نوع من الحلواء . وبرع اهلها في صناعات
 الحديد كالاسطال والسكاكين والنشاب والسلاسل . هذا بالإضافة الى
 استخراجهم القير من العيون المعدنية لاستعماله في البناء والقحم للوقود .

(١) المقدسي ١٤٥

(٢) البكري - تاريخ العراق الانصاري ٩١

(٣) أسن التسليم ١٤٥-١٤٦

٢١- لصبيبي : اشتهرت بصناعة الموازين والمحابر والقواكم المقددة .

٢٢- الرقة : وكانت تنتج الصابون والزيت واقلام الكتابة .

٢٣- حران : اشتهرت بصناعة الموازين الدقيقة والاسطرلابات ،
فضلا عن صناعات القطن والسكر والعسل .

٢٤- معلنايا : امتازت بصناعة القنب والنمكسود ونتاج الفحم .

٢٥- آمد : برع اهل هذه المدينة في صنع ثياب الصوف والكتان
الرومية .



الفصل الثالث

الحياة الثقافية والاجتماعية

١- العمارة ٢- الاديرة ٣- الثقافة ٤- المجتمع

١- العمارة

كانت أغلب مدن الجزيرة - وهي البلاد التي دخلت في حكم الحمدانيين - مراكز هامة كإربل واذات راث حضاري وزينه من المدينتان الأجنبية التي سادت هناك قبل الفتح الإسلامي . ومن ثم فقد حفلت هذه المدن بالعناصر والأبنية والأصواق والفنادق والمطاعم ، خاصة وقد كان كثير منها مديناً تجارية تقع على طرق المواصلات التي تربط مدن الجزيرة بعضها ببعض الآخر من جهة ، أو تربط الجزيرة بالخارج من جهة أخرى .

ازدهرت الموصل بالعمارة بالعراق منذ الفتح الإسلامي ، وقد اسلفنا القول ان الحمدانيين بسجود لث دخلوها شيدوا بها مسجداً جامعاً على عادتهم في البلدان المفتوحة . ودرعان ما غدت هذه المدينة مصراً عظيماً في العصر الأموي فقد أنعم بها الأمر له الأمويون وبنوا بها المساجد والقصور ، مثال ذلك القصر الذي شيده هشام بن عبد الملك في موضع قطائع بني وائل (١) وقصر المنقوشة الذي ابتناه الحر بن يوسف وأخذ دار إمارته ، ومسمى بهذا الاسم لأنه كان منقوشاً بالروان النقش والساج والقشاقش (٢) .

(١) الآدي . تاريخ الموصل . مطرط . ورقة ١٧

(٢) قصر المصدر . ورقة ١٨

وقد غني العباسيون بالموصل فاصاح اسمعيل بن علي عاملها في عهد المنصور جامعها وهدم الاسواق التي تحيط به وضمها اليه ونقل الاسواق الى مقبرة المدينة ، ونقل المقبرة خارج العمران ، وشيد مسجدا يعرف « بابي حاضر » . وفي عهد المهدي وسع المسجد الجامع ، فقد كانت هناك اسواق للبزازين والسراجين ملاصقة للجامع فهدمها وضمها للمسجد ، وتم ذلك الاصلاح على يد عامله موسى بن مصعب (١) .

حين اتخذ الحمدانيون الموصل حاضرة لهم بنوا فيها كثيرا من القصور المنيفة المشرفة التي وصفها السري السرفاء وهو من شعراء هذا العصر بقوله :

قصور حلفت في الجسو حتى لقصرت الكواكب عن مداها
مشرفة كأن بنات نعش تناجيها اذا خففت شفاها (٢)

ومن اجمل قصور الحمدانيين بالموصل القصر الذي بناه ابو تغلب بن ناصر الدولة على ضفة دجلة ، وتحيط به الحدائق والبساتين التي تخترقها السواقي والغدران ، وعليها الدواليب التي استعمت للرّي ، وقد زرعت في هذه الحدائق اشجار النخيل والكروم ، وتوسطتها برك ملئت بالمياه التي تشف عما تحتها وتسبح فيها اسراب الاوز والبط ، والفوارات التي تبعث المياه عالية من افواهها . ويبدو من شعر السري الرفاء الذي زودنا بوصف جميل مسهب لهذا القصر (٣) ، انه كان شامخا مرتقا

(١) نفس المصدر والمكان والصفحات التالية .

(٢) ديوان السري الرفاء . ٢٨٠

(٣) ديوان السري الرفاء . ٣٩-٣٤

في اجواز الغشاء ، واسعا ذا اجنحة متعددة ، حوى من الزخرفة وجمال
النقش فنونا والسوانا وفيها يلي بعض الابيات من قصيدة الرفاء السالفة
الذكر :

الشأنه منزلا في قلب دجلة لا تحتاج جنته الغدران والقلبا
وبركة ليس يخفي موج لجنتها من القذى ما طفا فيها وما رسبا
بيت اعلاه بالجوزاء منتطقاً ويغتدي برداء الغيم محتجبا
حصبؤه لؤلؤ نشر وترته ، مسك ذكي فلو لم تحمه انهبها
وكل لاحية منه زبرجسدة اجري المجلين عليها جدولا سربا

ووصف لنا الرفاء قصرا آخر في الموصل بناء ابو الحسن ياروخ بن
عبدالله ويبدو انه قصر ضخم شامخ ذو شرفاته تطل على ما حواه ، وهو
بدوره مطل على دجلة محاط بالحدائق الغناء ذات البرك والسواقي (١) .

كانت الموصل مدينة كبيرة عامرة ذات اعمال ورساتيق كثيرة وصفها
ياقوت فقال (٢) انها كانت حسنة الابنية ، وبيوتها تبني بالرخام والنورة
ولا يكاد اهلها يستعماون الخشب في السقوف ، وقد استغل الناس جمال
دجلة فشيدوا على ضفافه قصورا انيقة جميلة (٣) . ولما زارها ابن جبير
في القرن السادس اعجب بابراجها العالية وقلاعها الحصينة ومساجدها
وحماماتها وخالقاتها واسواقها واشاد ببيوتها ذات الزخرفة التي لا مثيل
لها ومدارسها التي تلوح على دجلة كانها القصور المشرفة (٤) .

(١) ديوان السرى الرفاء ٤٩ - ٥٠

(٢) مسم البلدان ١٩٦/٨

(٣) التذويبي - اثار البلاد ٣٠٩

(٤) رحلة ابن جبير ١٨٨ - ١٨٩

ولما كان للحمدانيون قد اتخذوا الموصل حاضرة لهم ، ومنها حكموا مناطق الجزيرة الأخرى ، فأنهم اهتموا ببناء دار الإمارة ، وهي المقر الرسمي للأمراء . ويعتقد الأستاذ سعيد دوي (١) ان الحمدانيين سكنوا على ضفة دجلة الغربية قرب (قره سراي) اليوم ، خاصة وانهم اهتموا بعمارة هذه الناحية من الموصل فبنوا لهم مسجدا في الدبر الأعلى ، كما بنوا مشهدا لعمر بن المحق الخزاعي هناك . ويبدو ان العقبين الذين حلوا محلهم في حكم الموصل سكنوا قصورهم - أي قصور الحمدانيين - التي كانت تقع على دجلة . وفي احداث النزاع بين الحمدانيين والعقبين من جهة واليوهين من جهة ثانية يشير ابن الاثير (في حوادث ٣٩٣هـ الى ان بختيار نزل بالدبر الأعلى ، في حين نزل ابو تغلب بالحصاء تحت الموصل وبينهما عرض البلد (٢) . ويستنتج الأستاذ سعيد الدبوجي من ذلك (٣) ان موقع الدبر الأعلى كان قرب قلعة الموصل (شمالها) وهي التي تسمى الآن (باش طابية) ، اما الحصاء فلم نزل تعرف بشط الحصاء او شط العرب وهي على ضفة دجلة . ونحن لا ندري متى شيدت هذه القاعة ، لكن هناك ما يشير الى وجودها في منتصف القرن الخامس الهجري (٤) ، ولعلها كانت موجودة ايام الحمدانيين واستخدمت من قبلهم .

وفي عصر كان للدين والتفوق فيه شأن أي شأن ، عمد الأمراء والخاصة الى تشييد المساجد والمباني والمدارقد الخاصة بالأولياء وذوي

(١) سور المدد م ١٠٠ / ١٩٩

(٢) الكامل ٨ / ٤٦٥

(٣) سور م ١٠٠ - ١٠١ / ١

(٤) نفس المصدر والمجلد ١٠٠

الفضل . ونستطيع ان نستنتج بأن الحمدانيين الشيعة عنوا اكبر عناية
 باحسباء ذكر الائمة العلويين وآل البيت عموماً . ولا بد ان المراقصد
 والمثلهد الكثرية التي حفلت بها الموصل في ذلك العصر يرجع بعضها
 على الاقل الى هذه الفترة التي حكم فيها الحمدانيون في الجزيرة . فهناك
 مرقد نسب للعباس بن علي كتب على جدرانہ « هذا قبر العباس بن علي ...
 عمره الحاج . كاظم في سنة خمس واربعمائة » (١) . فاذا صح هذا التاريخ
 - وجو . عرضة للشك - فإنه يرقى الى عصر الحمدانيين . والعباس هذا هو
 بن مرداس السلمي كما يقول الباحثون (٢) . وهناك ضريح لزيد بن علي
 وآخر ، لعون بن الحسن وثالث لابراهيم بن الامام جعفر الصادق (ع) ..
 ومشاهد اخرى كثيرة كمرقد بنات الحسن وعلي الهادي وغيرهما . وواضح
 ان هذه ليست اضرحة او مرقد حقيقية دفن فيها هؤلاء الائمة والأولياء ،
 بل هي مشاهد للتبرك تتصل أشد الاتصال بالتراث الديني الشعبي وجاء ،
 بناؤها في عديد من المدن الاسلامية نتيجة تعلق العامة بهؤلاء الائمة .
 وهناك الى جانب دير الأعلى مشهد . عمرو بن الحمتق الخزاعي الصحابي
 الذي بقي على جبه للامام علي بن ابي طالب (ع) ، وجبن طلبه معاوية
 فر الى الموصل . ويقال ان رأسه حمل الى معاوية ودفنت جثته في هذه
 المدينة . وقد بنى على قبره سعيد بن حمدان مشهداً في سنة ٣٣٦ ، مما أثار
 يومئذ فتنة بين الشيعة والسنة هناك (٣) .

.. بنى الحمدانيون في الموصل مساجد عدة أهمها المسجد الذي شيده

(١) السري ، مئة الادباء ، ١٠٠

(٢) نفس المصدر والمكان

(٣) تبيين المصدر (البراهين) ، ١٤٦

الاميرة جميلة بنت ناصر الدولة ، وكان على تل توبة شرقي الموصل ، تحيط به دور للمجاورين . وقد اوقفت جميلة على هذا البناء كثيرا من الاوقاف (١) . وفي تل توبة بناء عظيم هو رباط يشتمل على بيوت كثيرة ومقاصر ومظاهر وسقايات (٢) ثم تحول البناء الى جامع النبي يونس الذي ما زال قائما في الموصل الى الان . كما بنى ناصر الدولة قبة على مشهد علي بن ابي طالب . ولما زار ابن جبير هذه المدينة شاهد بها جامعين احدهما جديد والاخر من عهد بني امية ، والجامع الاموي بالموصل الذي يقع في محلة الكوازين اسس على اثر فتح المسلمين لها ، ثم جددته الامويون والعباسيون فضمت اليه الاسواق المجاورة ، وكانت تعقد فيه حلقات الدرس والتعليم وفيه تخرج كثير من العلماء (٣) .

٢- الأديرة :

واذا أردنا ان نقدم صورة صحيحة صادقة لهذا العصر وجب علينا ان نتحدث عن الأديرة التي كونت في الجزيرة - وبخاصة في الموصل وما حولها - مظهراً بارزاً من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية ، بالإضافة الى كونها مراكز دينية للمسيحية ونموذجاً للعماير التي قامت في هذا الاقليم قبل ان يفتحه المسلمون .

اشتهرت الموصل ونواحيها بكثرة الأديرة ، لانها مدينة سكنها النصراني مدة طويلة ، وما زالت حتى اليوم تزرع باثار المسيحية فهناك

(١) المفدسي . احسن التقاسيم ١٤٦

(٢) ابن جبير . رحلة ابن جبير ١٨٩

(٣) سبب ديروهي . الجامع الاموي في الموصل ، ص ٢١٦ - ٢١٤

اثار لدير الحنافس على هضبة قريبة من قرية شرقي هذه المدينة وكذلك
 اثار دير برعيتا . ومن اشهر الاديرة « دير الكلب » باقرب معلثايا بين
 الموصل وبلد في سفح جبل ينحدر الماء عليه ووصفه الخالدي بان له
 « خاصية في براه غضة الكلب ، وله عيد في وقت من السنة ، يخرج اليه
 خلق من النصارى نساء ورجال للاقامة عندهم » (١) . وكان بالقرب
 من معلثايا ايضا « دير الزعفران » ويقع عند سفح جبل تطل عليه قلعة
 اردمشت الحمدانية (٢) . غير ان الشابشتي (٣) يقول ان هذا الدير يقع
 على الجانب الشرقي من نصيبين على قمة جبل يشرف على المدينة وهو
 كثير العيون والقلايات وحوله الشجر والكروم ويقع الى جانبه ديرا
 مرواوجي ومريوحنا . وامتاز دير العذارى عند تكريت بموقعه
 الجميل على دجلة ، ويحسن عذاراه ورهبانه ، وكثرة حاناته ومنتزهاته ،
 وقد وصف الخالدي اعياده وحاناته وقال فيه الصنوبري شعرا (٤) .
 ومن الاديرة الشهيرة في الادب العربي دير الشباطين غربي دجلة من اعمال
 بلد ويقع بين جبلين ويمتاز بجمال طبيعته وكثرة اشجاره ورياضه (٥) .
 وكان يقوم بقرب الموصل « دير باقوقا » وهو ذو رهبان كثيرين تحيط
 به المزارع والبساتين (٦) وفي الجانب الغربي من الموصل ايضا يقع

(١) العمري . مسالك الابحار ٢٥٤/١

(٢) نفس المصدر ٢٥٥/١

(٣) الديارات ١٢١

(٤) النابيتي . الديارات ٦٩ . العمري . مسالك الابحار ٢٥٩/١

(٥) نفس المصدر ١١٧

(٦) العمري . مسالك الابحار ٢٨٩/١

« دير سعيد » وكان حسن البناء مطلا على دجلة حوله قلال كثيرة حسنة
 العمارة ظاهرة النظارة في كل قلاية منها جنيئات لرهبانه فيها طرائف
 الرياحين وغرائب الشجر . كثير النرجس وهو يقارب تل باذع وتراه
 في الربيع كالوشى الملمع والحلى المرصع وهو منسوب الى سعيد بن
 عبد الملك ابن مروان ، (١) . وقد وصف الخالدي هذا الدير بقوله (٢) .

سعدت صحبتي بدير سعيد يوم عيد في حسنه الف عيد
 كم فتاة مثل المهابة سلبناها صليبا من بين نحر وجيد

وكان « الدير الاعلى » الذي ورد ذكره في اخبار الحمدانيين بطل
 على دجلة في الموصل حيث تقوم طواحين الماء « العروب » ويشتهر
 بعلونة هوائه وبعيونه الكبريتية وهو كبير عامر يزخر بانثار المسيحية
 كالاناجيل والايقونات وفيه كثير من قلايات الرهبان وله سلم منقور
 في الجسبل يؤدي الى دجلة . ويروى ان المأمون مر به في عيد الشعانين
 « فزين الدير باحسن الزينة وخرج رهبانه وقسمه الى المذبح وحولهم
 فتيانهم بأيديهم المجامر قد تقلدوا الصلبان وتوشحوا بالمناديل المنقوشة .
 وخرجت وصائفه المزرات عشرون وصيفة كأنهن البلور عليهن
 الديباج وفي اعناقهن صلبان الذهب بأيديهن الخميص والزيتون (٣) .
 والى جانب الدير الاعلى يقوم مشهد عمر (ويرد عمرو) بن الحلق الخزاعي
 من اصحاب علي لذلك اهتم به الحمدانيون واقاموا الى جانبه مسجدا يتصل

(١) نفس المصدر ٢٨٩/١ - ٢٩٠

(٢) نفس المصدر ٢٩٠/١

(٣) العياشي . الديارات ١١٢ - ١١٣

بالقبر (١) . اما دير مارمخايل فيقع على بعد ميل واحد من هذه المدينة
مطلًا على النهر وتكثر فيه الكروم والاشجار واه عيد يقام قبل الشعانين
باسبوع ، فيخرج اليه النصارى نسائهم وصبيالهم ويرتل الراهبان
الصلوات وتنجاب فيه الالحان ووصفه الحسايدى بقوله « كان في هذا
الدير خمار يقال له الحارث ، ويكنى ابا الاسد معروف بجودة الشراب ،
وكان المجان من اهل الموصل يقصدونه ، وكان له ابن حسن الوجه ::
يسقينا ومعلمنا مغني مليح الغناء غنانا في شعر حسان بن ثابت (٢) . وهناك
« دير منى » بالجانب الشرقي من الموصل على جبل شامخ يعرف بنفس
الاسم ، وهو يشرف على ليدوى ويمتاز بان بيوته متفورة في الصخر .
واشتهر دير يولس بن منى هذا بان ارضه كانت تكسوها الشقائق
والنوار وله في ايام الربيع جمال طبيعي خللاب ، وقد قصده الاهالي
للاستشفاء والاختسال بعينه الملهلية (٣) . وعلى مقربة منه « دير الحنافس »
وهو دير صغير يطل على ضياع نينوى (٤) . غير ان اشهر اديرة الموصل
في اخبار الحمويين « دير باعربا » بينها وبين حديثة على ضفة دجلة
الغربية ، وقد نزله سيف الدولة مرة وضرب مضره على الشاطئ ،
وتغدى ونام ولما كان وقت العصر دخل الدير ، وجعل الى سجاد فشهد
منظرا خلابا ، دفعه الى نصب مائدة الشراب واستبداء مقارة العواد
فغناه . وكان بصحبته من التمدان ابو اسحق اليسري والشيطمي الذي
نظم ابيانا غناها مقارة وهي :-

(١) المصدر السابق ١١٤

(٢) السري . مسالك الاخبار ٢٩٦/١

(٣) الشافعي . الديارات ١١٥

(٤) السري . مسالك الاخبار ١٩٩-٢٠٠

شرفا يا دير هرباء ونجدا
 بهما تعنى مدى الدهر ونعمر
 اذ على سطحك سيف الدولة القـ
 رم الذي فات الورى عزا ومفخر(١)
 وهناك اديرة اخرى كدير الخوات بعكبرا وقد اشتهر بليلة الماشوش
 وهو عيد يكون في يوم الاحد الاول من الصوم فيجتمع فيه المسلمون
 والبصاري ، فيتعبد هؤلاء وينزه اولئك(٢) :

ونمة اديرة اخرى اشتهرت كدور للضيافة كدير الاسكون ودير
 باريشا في الموصل ودير مريخنا ودير المندورد ، ودير القيارة على شاطئ
 دجلة الغربي وهو اليوم حمام العابل على مسافة اربع ساعات من الموصل ،
 وكان يسمى دير مارزنايا(٣) ، ويعتبر حتى اليوم من اماكن الاستشفاء
 الهامة في العراق ويقصده العامة من جميع الانحاء للاستشفاء في عيونه
 المعدية . وقد ضمت هذه الدبارات جميعا كنائس عظيمة واسعة فيها
 الكتب الدينية النفيسة والمؤلفات القيمة كما كانت انموذجا جميلا للفن
 العمارة . وقد امتدح كشاجم ما امتاز به الرهبان من خفة الروح وسعة
 الاطلاع فقال(٤) .

قد عدلوا ثقل ابدان بمعرفة
 منهم خفة ابدان وارواح

-
- (١) نفس المصدر ٣٠١
 (٢) العايشي . الدبارات ٦٠
 (٣) العايشي . الدبارات ٢٦٣
 (٤) ديران كشاجم ٣٦

ورشحوا ضرر الآداب فلسفة
وحكمة بعلوم ذات اوضحاح
في طب بقراط لحن الموصلى وفي
نحو المبرد اشعار الطرماح

وكان الامراء يقصدون هذه الاديرة لما تمتاز به من فن العبارة
وجمال الابنية والآنزه وجودة التنبيل وحسن الطليعة (١) . كما كان يقصدها
ابناء الطبقة المترفة والشعراء والأدباء الذين لقوا في رحابها كل ترحاب
ووجدوا فيها حولها مصدراً للإلهام .

٣- الثقافة

تميز القرن الرابع الهجري بنمو الحركة الثقافية وانتشارها ، فأن
تفتت وحدة الدولة وقيام الدويلات المستقلة ادبا الى ظهور عدة بيئات
ثقافية بسبب تنافس الأمراء في جذب الأدباء والمفكرين اليهم كوسيلة
من وسائل الدعاية والمباهاة من جهة وولوعاً بالثقافة ذاتها من جانب
بعض الأمراء من جهة اخرى . وفي هذا العصر نضج الفكر الاسلامي
بما جد فيه من ثقافات نقلت الى العربية . وقد تعددت مراكز الثقافة في
الدولة الاموية ، ففي أصبهان غدا الصاحب بن عباد وزير بني بويه
راعياً للأدب ورجاله ، وغدت بخاري حيث اقام السامانيون بلاطهم

(١) النابضي . الديارات ١٣٩

(٢) التنبيه والاشراف ١٥٣

مثابة الأديباء والعلماء ، ولم يكن بلاط خوارزم وبلاط الغزنويين اقل ازدهاراً . ومن الناحية الثالثة كان الحمدانيون في الموصل وحلب والاششيديون ثم الفاطميون في مصر والامويون في الاندلس خير حمة ورعاة للعلم والادب .

لقد كان الحمدانيون في مقدمة المهتمين بالثقافة في هذا العصر ، ولا غرابة فقد كان بينهم هم الفسهم شعراء وأدباء ينظمون الشعر ويندوقونه . واذا استثنينا سيف الدولة الذي يقف في المقدمة في هذا الميدان ، نجد أمراء حمدانيين كثراً حفظت لهم كتب التاريخ والادب ذكراً عطرا في روضة الشعر والادب . صحيح ان ناصر الدولة وأولاده واحفاده شغلوا انفسهم بالحروب والمانازعات الداخلية والخارجية بالدرجة الاولى ، فلم ينح لهم الوقت والجهود لاشادة نهضة فكرية ثقافية كما سنرى في حلب على عهد سيف الدولة ، وصحيح ان الامراء الحمدانيين في الموصل والجزيرة كانوا اقرب الى البساطة فلم يقيموا بلاطاً فخماً ولم يحيطوا انفسهم بحاشية ادبية كبيرة ، غير اننا مع ذلك نجد بينهم شعراء وأدباء . فقد كان ابو زهير مهلهل بن نصر بن حمدان وابو العشائر (الذي قصده المتنبي قبل أن يتصل بسيف الدولة) وابو وائل تغلب بن داود بن حمدان وابو المطاع شعراء .

وكان ابو تغلب بن ناصر الدولة اديباً شاعراً ومحباً للثقافة ، فقد وجدت له ابيات شعرية منقوشة على حائط قصر العباس بن عمرو بن سنجار ونصيبين بخطه (١) . وذكر له الثعالبي (٢) ايضاً مقطوعة منها قوله

(١) ابن شاعر ، غوات الويات ١٥٣/٢

(٢) بنية الدر ٦٣/١

في الغزل:

لا والسدي جعل الموا لي في الموى خديم العبيد
واصار في ايدي الغنابا ع قياد اعناق الأسود
وأقام السوية المنية بسين امنيسة الالهسدود
ما الورد أحسن منظراً من حسن توريد الحدود

ويروى التنوخي قصة لطيفة حول أبي تغلب ذات طابع أدبي ثقافي ، وهي تأتي - في الوقت نفسه - ضوء على علاقته باخته جميلة صاحبة الأمر والنهي في أموره وشؤونه . يقول التنوخي (١) ، « حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد قال رأيت أبا الحسن علي بن عمرو الموصل يكتب الى أبي تغلب بن ناصر الدولة ، وكتب في موضع « أمور حميدة » فقلت له : هذا الموضع يصلح ان يكون فيه « أمور جميلة » ، فأما حميدة فهي لفظة مستكرهة . فقال : صدقت ولكنني كتبت وانما وصل رقعة الى أبي تغلب فيها « أمور جميلة » وصات اليه وهو عند اخته وهي غالبية عليه محتوية على أمره لا يقطع شيئاً دونها ولا يفصل رأياً الا على مشورتها . وكانت الرقعة بما احتاج الى مطالعتها بما فيها جميلة لانه اسمها [فأنكرها] انكاراً شديداً احتجت معه الى اعتذار فما كتبت بعدها الى الان جميلة في شيء من مكاتباتي الى احد وصارت لي طبعاً » .

كان أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة شاعراً ظريفاً حسن السبك

(١) نزار المعاصرة ، مخطوط ، ٦٤ ب - ١٦٥

جھیل المقاصد - علی حد قول ابن خلکان (۱) ومن شعره قوله :

إني لأحسد « لا » في اسطر الصحف
إذا رأيت اعتناق اللام للآلف
وما اظنهما طال اعتناقهما
إلا لما لقيسا من شدة الشغف
وقوله :

أفدي الذي زرته بالسيف مشتلا
ولحظ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجادي في العناق إليه
حتى لبست نجاداً من ذوائبه
فكأن أسعدنا في نيل بغية
من كان في الحب أشدنا بصاحبه
وقوله :

لما التقينا معاذ الليل يسترنا من جتحة ظلم في طيها لعم
بتنا أعف مبيت بانه بشر ولا مراقب إلا الطرف والكرم
فلامشي من وشى عند العدو بنا ولا سمعت بالذي يسعى بنا قدم (۲)

(۱) وفیات الامیان ۱/ ۲۲۷ . و ۲/ ۴۴-۴۵ . طبعة النهضة المصرية . واهو المطابع
هر الذي لما ال العاطلين وتوفي في سنة ۲۸ هـ كما أسلفنا . نفس المصدر ۲/ ۴۴-۴۵
« النهضة »

(۲) البنية ۱/ ۷۱-۷۴

وإذا رجعنا الى الثعلابي الذي أسهب في تأريخ الحياة الأدبية في عصر
الحمدالبيين نجده يضم الى الشعراء من أمراء بني حمدان كذلك ، حمدان
والحسين ابني ناصر الدولة ، وقد أورد لهما مقطوعات جيدة من الشعر
تدل على البراعة ، غير ان اغراضها - كأغراض شعر ابي المطامع
وابي تغلب - لا تخرج عن الطابع التقليدي .

وبرز من شعراء هذا العصر ابو الحسن السري بن احمد بن السري
الكندي الرفاء الموصلى الشاعر المشهور . وكان في صباه يرفو ويطرز في
دكان بالموصل وينظم الشعر حتى برع فيه . « وكان بينه وبين ابي بكر محمد
وابي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدين الموصليين الشاعرين المشهورين
معاداة فادعى عليها سرقة شعره وشعر غيره » (١) حتى انه عمد الى دس
أحسن شعر الخالدين في ديوان كشاجم حين قام بنسخه « ليزيد في حجم
ما ينسخه وينفق سوقه ، ويغلي شعره ، ويشنع بذلك عليها ويغض منها
ويظهر مصداق قوله في سرقتها » (٢) . وقد ترك السري ديوان شعر جيد
وله كتاب «الحب والمحبوب ، والمشموم والمشروب» وكتاب «الدرة» (٣) .
ومن شعره اللطيف في وصف مهنته قوله :

وكانت الابرة فيما مضى صائنة وجهي واشعاري
فأصبح الرزق بها ضيقاً كأنه من ثقبها جاري (٤)

(١) ابن خلكان . وفيات الاعيان ١٠٤ / ٢ « طبعة النهضة المصرية »

(٢) نفس المصدر والمكان

(٣) نفس المصدر ١٠٥

(٤) نفس المصدر والمكان . يقول ابن خلكان « ١٠٦ / ٢ » ان وفاة السري كانت ببغداد في

سنة ٣٦٦ على الأرجح

ولأبداً لن نشير إلى شاعر ظريف برز من الحضيض كذلك وارتقى إلى مصاف الشعراء المشهورين وهو أبو بكر بن أحمد بن حمدان الحجاز البلدي (نسبة إلى بلد قرب الموصل). وقد حفظ الحجاز البلدي القرآن الكريم وضمن أشعاره كثيراً من الآيات، وبخاصة في اظهار تشيعه الذي يدل عليه شعره. وكان هذا الشاعر ملازماً للأديرة القريبة من الموصل وبخاصة دير الشياطين ببلد غربي دجلة (١).

وفي الميدان الثقافي اللغوي برز أبو الفتح عثمان بن جني الموصلية النحوي، ويصفه ابن خلكان (٢) بأنه «كان اماماً في علم العربية، قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي... وقعد للاقراء بالموصل». وابن جني كان ممولاً رومياً لسلطان بن فهد الأزدي، لكن أصله لم يحل دون ظهوره وبروزه إلى القمة أسوة بكثيرين غيره من العبيد الذين اتاحت لهم فرص التعلم. وقد شرح ابن جني ديوان المتنبي وخلف عدة مصنفات في النحو منها كتاب «الخصائص» و«سر الصناعة» و«المصنف» و«التلخيص في النحو» و«التعاقب» و«الكافي في شرح القوافي» و«المذكر والمؤنث» و«المقصود والممدود» و«التمام في شرح شعر المهلبين» وغيرها كثير عددها ابن خلكان (٣). لقد ولد ابن جني بالموصل قبل سنة ٣٠٠ أي في عصر الحمدانيين وتوفي ببغداد في سنة ٣٩٢ (٤). وذكر الثعالبي (٥) عبيد الله بن أحمد البلدي باعتباره أحد النحاة في الموصل.

(١) المأبغتي الديارات ١١٧

(٢) وفيات الأعيان ٣٩١/٠ و ٤١٠/٢ • مطبعة النهضة المصرية •

(٣) نفس المصدر ٣٩٥/١ و ٤١١/٢-٤١٢ • النهضة •

(٤) نفس المصدر والمكان

(٥) بيته الدهر ٢١٤/٢

توكان ابو الحسن علي بن محمد الشمشاطي الارمني الأصل معلماً لأبي تغلب بن خاصر الدولة وأخيه ثم أصبح نديبها . وبالإضافة الى مصنفاته الأدبية مثل « النزّه والابتهاج » و « الديارات » و « اخبار أبي تمام » (١) فإنه كان شاعراً مجيداً . وواسع الرواية ترك لنا بضع مقطوعات عذبة في وصف البنفسج والجلندار والتغني بالطبيعة (٢) وكان التشيع يغلب على الشمشاطي (٣) شأن كثيرين ممن عاشوا في بلاط الحمدانيين .

وانه وإن كانت الموصل اقل ازدهاراً من حلب في ميدان الثقافة الا انها أنتجت في عصر الحمدانيين أدباء وعلماء مشهورين . فنجد السري الرفاء الذي تغنى بحمال هذه المدينة وترك لنا صوراً اجتماعية رائعة وصف فيها الحلاقين والأطباء والسفن وصيادي السمك والحمامات فضلاً عن وصفه مشاهد الطبيعة وازهارها واشجارها وغدرانها والسحب والتاج والمطر ، كما افتن في وصف مجالس الشرب واللهو والخمر بالإضافة الى شعره في المديح والتهنئة والهجاء والفلسف والاحواليات والرثاء (٤) . وكذلك برز الخالديان الاخوان الموصليان ابو بكر وابو عثمان محمد وسعيد ابنا هاشم من قرية الخالدية بالموصل (٥) وكانا شاعرين اديبين حافظين غير انها انها بالسرفه الشعرية (٦) . وقد جمع ابو عثمان شعره وشعر اخيه ، كما تركا مصانيف منها « كتاب حماسه شعر المحدثين » و « اخبار أبي تمام ومحاسن

(١) - يافوع . معجم الأدباء ، ١٤ / ٢٤٠-٢٤٢

(٢) - اشعالي ، بتيمة الدهر ١ / ٨٩

(٣) - معجم الأدباء ١٤ / ٢٤٠-٢٤٢

(٤) - دبران السري الرفاء ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٩٤

(٥) - ابن النديم ، الفهرست ١٦٩

(٦) - نفس المصدر والمكان

شعره ، و « اخبار الموصل » وغيرها (١) . وفي الموصل نجد بالإضافة الى الذين اسلفنا الاشارة اليهم البيغاء والتلعفري . ويجدر بالذكر ان الموصل كانت عاصمة الحمدانيين الأولى وفي ربوعها تفتحت ازاهير الثقافة . ولعل من خير الامثلة على اهتمام الحمدانيين في الموصل بالانتاج الفكري ان ابا تغلب اقتنى نسخة من كتاب الأغاني لابن الفرج الاصفهاني بعشرة آلاف درهم وعكف على دراسته ، فاعجب بما حواه من طرائف الأدب حتى أمر ان تنسخ له نسخة اخرى وتجلد ويكتب عليها اسمه (٢) . وعبر عن نفاسة هذا الكتاب بقوله : « لقد ظلم وراقه المسكين واذ ليساوي عندي عشرة آلاف دينار ، ولو فقدنا قدرت عليه الملوك الا بالارغائب . وهو قول ينطوي على تقدير فائق لقيمة هذا المؤلف الذي ما زال يعتبر كنزاً لا يقدر بثمن في ميدان التراث العربي .

ويبدو لي ان عصر ابي تغلب عدة الدولة شهد نوعاً من الاستقرار والهدوء النسبيين اذا قيس بعصر ابيه ناصر الدولة الحافل بالانصراف الذي لا هوادة فيه . ويبدو كذلك ان الأدباء والشعراء اخذوا يتطعمون الى بلاطه . وبخاصة بعد وفاة عمه سيف الدولة بحيث كتب الشاعر عبد الواحد البيغاء اليه رسالة يذكر فيها رغبته في ان يعيش في ظله وينقطع اليه (٣) . ولعل من الطريف ان نقبس هنا بعض فقرات هذه الرسالة التي يستطيع القاري ان يلمس منها اهتمام ابي تغلب بالأدب من جهة ، ومحوى الأدب النثري الذي ساد يومذاك من جهة اخرى . يقول البيغاء مخاطباً عدة الدولة ابا تغلب :

(١) نفس المصدر والمكان

(٢) باقوت ، مسهم الأدباء ، ١٢٦/١٢٥

(٣) رسالة الدهر ٢١٩/١ ، مطبعة حجازي بالقاهرة .

» .. ومن أبرز لسيّدنا صفحة رجائه ووفق للانقطاع الى سعة نعمائه ، فقد استظهر لما بقي من عمره ، وحكم لنفسه بالفوز على دهره .

فدا يقدح الفقر في حاله ولا يطمح الدهر في قصده
وكيف وقد صار ضيف الغما م وهو قريب على بعده ؟
ومن علقست بأبي تغلب يداه احتلدى البدر من سعده
هيام قضى الله من عرشه له بالإمارة في مهده
فطسود السيادة في دسته وشمس الرياسة في برده

وقد استجاب عدة الدولة ابو تغلب لهذا الرجاء ، فأرسل الى الشاعر المستجير به جواباً رقيقاً يرحب به في الموصل دون ان يغفل دفع تكايف السفر وما يحتاج اليه الشاعر من نفقات اخرى » تزيع حلت » (١) . وقد لقي ابو تغلب بذلك اجزل الشكر واوفر الثناء واسخى المديح من البيهق حين استلم هذا ما اعزته على السفر الى الموصل . فاستمع الى ما قاله في ابي تغلب :

تحقق الدهر ان الملك منذ لسا
له ابو تغلب اسم غير مشترك
واستخاف الفلك الدوار همة
فلو وني اغنت الدنيا عن الفلك

» موفر الحسنات ، مأمون المفوات ، متناصر الصفات ، ربيعي
النفاسة ، حمداني السياسة ، ناصري الرياسة عطاردي الدكاء ، موفق
الآراء ، شمسي التأثير ، فلكي التقدير ، قمرني التصوير ، للصدق كلامه ،

(١) التالي . نبذة العمر ٢٥٠/١

وللعدل احكامه، وللوفاء ذمامه، وللحسام غنؤه، وللقدر مضاهؤه وللحجاب
عطاؤه :

إذا دعتهُ ملوك الأرض - سيدها
طراً دعتهُ المعالي سيد العرب

وقد احتضن ابو تغلب حقاً هذا الشاعر النادر الذي ظل ينتقل بين الموصل
بمَدح ابا تغلب وينال عطاؤه - وبين بغداد دار السلام حيث الطموح
والشهرة . وقد نال البيغاء فعلاً ما يرتجى في الموصل وبغداد معاً واستطاع
ابن يتعرف في العاصمة على الأوا - اط الأدبية العالية بحيث زار ابا اسحاق
الصباي - كاتب الرسائل الفد في سجنه (١) وعقد معه صداقة حميمة ظلت
قائمة عن طريق المراسلات الأدبية التي كانت سمة من سمات الحياة
الثقافية في ذلك العصر .

كان ابو اسحاق الصباي يومذاك شيخ البغاء ، بحيث ان عز الدولة
يختار البويهبي حين زوج ابنته لعدة الدولة ابي تغلب كلفه بتدبير رسالة
على لسانه يزف بها عروسه الغالية الى عريستها . ويقول الثعالبي (٢) ، ان
هذه الرسالة نالت اعجاب الناس يومذاك حتى حفظوها عن ظهر قلب
ووصفوها بالبرعة والبلاغة . والذي يهمنا هنا ان البيغاء يتصدى للسرد
على هذه الرسالة من بلاط ابي تغلب محاولاً ان يرقى الى اسلوب الصباي
ويقف الى صفه . ان المهم هنا هو اهتمام الأمراء يومذاك بالمراسلات ذات
الصيغة الأدبية العالية . وفي هذا الصدد يقول الثعالبي (٣) انه لما قرئ

(١) بنية الدر ٢٥١/١

(٢) نفس المصدر ٢٥٦/١

(٣) البنية ٢٥٦/١ - ٢٥٧

انشاء الصابي بحضرة ابي تغلب اعتمد في الجواب عنه على ابي الفرج
البيضاء ... » - ونحن لا نريد ان نورد هذه النصوص الفصيحة البليغة التي
يستطيع القاري* ان يرجع اليها بسهولة في التبعة الثعالي ، لكننا لذي
بهمنا هنا ان الفكرة وراء هذه النصوص العالية الاسلوب لا قيمة لمسا ،
فهو تدور حول حصوله كمال لامروس الاميرة وامريتها الامير ولا يبرها
وعهله وافراده لمرتها لبويهيبن الذين كانوا يقبضون على أزمة الحكم بومذاك .
ويكفي ان اقتبس فقرة واحدة من رسالة الصابي والاخرى من جواب
البيضاء . يقول الصابي (على لسان بختیار) : «قد توجه ابو النجم الحرمي...
نحرك باسيدي ومولاي - ادام الله عزك ا - بالوديعة . وانما نقلت من
وطن الى سكن ومن مفرس الى معرس ، ومن مأوى بر وانعطاف الى
مئوى كرامة والاطاف ... وهي بضعة مني انفصلت اليك . وثمرة من
جني قلبي حصلت لديك ... » ويقول البيضاء « واما ابو النجم بدر الحرمي
- ايده الله ا - ... فقد أدى الأمانة الى متحملها ، وسلم الذخيرة الجليلة
الى متقبلها ، فحلت من محل العز في وطنها ... وان سبياً قرن باحماد امير
المؤمنين - اطال الله بقاءه - ذكرى . ووصل بحبل السيد العم ركن الدولة
- ادام الله تأييده حبل . ومنح عز الدولة - ادام الله تأييده - مكنون ودي ،
واختص ولد ابيه السعيد رضي الله عنه وايده بوثق عهدي ... » وهكذا
نستطيع ان نستنتج بان الأدب كان يعيش على موائد الأمراء والأغنياء
ويجهد في خدمتهم ، اللهم إلا اولئك الذين لم يستطيعوا ان يصلوا الى
أوساط البلاط ، أو الذين نشأوا فقيرة امثال السري الرفاء . ومع
ذلك فنحن نجد شكوى الأدباء من جور الدهر ، وهي نفمة مألوفة لدى
أدباء ذلك العصر حتى يتاح لهم أن يصلوا الى أمانهم ويحققوا غاياتهم

في عيشة أكثر رخاء (١) .

٤- المجتمع

كان امراء بني حمدان اغنى الاغنياء في بلادهم ، لانهم اعتبروا
الفسهم اصحاب الارض بما تضمه من زرع وضرع ومواطنين . وقد
اسلفنا القول عن غناهم وامتلاكهم أجود الاراضي واسلوهم في جمع
الضرائب . وزيد هنا ان نضرب بعض الامثلة على ثرائهم العريض .

١- بنى ابو اسحق ابراهيم بن حمدان قصرا افق عليه خمسين الف دينار
ولم ينزله (٢) .

٢- حوت قلعة ماردين التي امتلكها حمدان بن ناصر الدولة اموالا
طائلة ومن الفرسش والجهر والثياب ما حمل في نيف وسبعين بغلا .
وكان في قلعة اردمشت - من قلاع ابي تغلب - اكثر من عشرين مليون
درهم (٣) .

حين حجت جميلة سنة ٣٦٦ لثرت على الكعبة عشرة الاف دينار
وسقت جميع الحبيج السويق بالسكر والثلج وامتقت ثمانية عبد ومائتي
جارية وفرقت المال على المجاورين « حتى اغنتهم » وخلعت على الناس

(١) يقول احد الشعراء يومذاك :

دمر يعود على العسكرام

وتنعم النفلات من

ح على الكرام من اللام

والدمر قد حصل اللام

بنية الدهر ٢٨١

(٢) الماعلي . اعيان الشيعة ١٨٣/٥

(٣) ابن ظاهر . الدول المنقطعة ورقة ١٤ ١

خمسین الف ثوب (١) .

٤- حين ولى المكنتي ابا جعفر محمد بن العمر بن حملون الصعيد الأعلى انصرف اليها ومعه الف بغل وجمل تحمل انقاله (٢) مما يدل بوضوح على غناه الواسع .

٥- دفع ناصر الدولة مبلغ مليون دينار الى بحكم في سنة ٣٢٨ بمثابة رشوة لضمان بقاءه في الموصل وديار ربيعة (٣) .

٦- كان ناصر الدولة يرسل الى أخيه سيف الدولة مبلغ نصف مليون دينار في كل شهرين لتوزيعها على الجند المرتزقة الأتراك بغية احتلال البصرة وتثبيت نفوذه في واسط ومن ثم في بغداد بعد طرد البريديين وذلك في سنة ٣٣١ (٤) . ويقول مسكويه (٥) ان ناصر الدولة انفلد كاتباً له من الموصل الى أخيه سيف الدولة بواسطة (في سنة ٣٣١) ومعه مليوناً درهم وخمسون ألف دينار .

كانت حياة الأمراء والأغنياء والخاصة رافهة ناعمة ، فإذا علمنا ان مبلغ خمسمائة دينار كان يعد في القرن الرابع الهجري ثروة غير ضئيلة (٦) ، أدركنا مقدار النعيم الذي تقلب فيه الأمراء والخاصة يومذاك . ونحن

(١) ابو الحسن . التاج الزمرداني ٥٠٦/٢ . الثمالي ثمار القلوب ٢٠٥

(٢) ابن خالويه . شرح ديوان أبي فراس ١٣٠/٢

(٣) الصولي . الأوراق ١٢٢

(٤) زقاق المحضد - ٢٣٨

(٥) مختارها الأمير ٣٩/٢

(٦) آدم منتر . المعنارة الإسلامية ١٥١/١

رُئى ان قصور الامراء والكبراء كانت فسيحة فخمة تحتوي على كثير من القاعات والغرف ، تحيط بها حدائق غناء حافلة بالورد والرجس والياسمين والبوسن والبنفسج والاقجوان وغيرها من الأزهار التي أكثر من وصفها الشعراء . وكان الاغنياء يصنعون بيوتاً من الخيش المبلل بالماء أو المغطس بالثلج المذاب ، حيث تعقد مجالس الشراب والطرب على نحو ما وصفه السري الرفاء (١) . وكان الأمراء والوجهاء يقطعون اوقات فراغهم بمختلف وسائل التسلية التي كثرت وتعددت في ذلك العصر كالصيد وحفلات الشرب والالمام بالأديرة والمسامرة وتطارح الشعر وسماع الغناء ولعب الشطرنج والرد وغير ذلك . وكان ناصر الدولة يعرف الكرة والصولجان (٢) وهي لعبة الخاصة يومذاك . وكان ابنه عدة الدولة ابو تغلب مولعاً بالرد ، فكان يجمع جوله في الليل طائفة من النعمان والأدباء والحاشية ليتسل بهذه اللعبة (٣) .

وقد اطنب شعراء الحمدانيين في وصف الحمرة ومجالسها وكؤوسها وحياتها والنعمان والغلمان ، مما يدل على انتشار عادة الشرب في هذه الأوساط . وكان ثمة حانات يديرها اهل اللمة يشاها الماجون والظرفاء وبعض الشعراء ليلاً حيث يخلعون البدار . وقد ردد البيري الرفاء في شعره ذكر « حانة أترجة الحمار » بالموصل - وتديرها امرأة كما هو واضح - فقال يصفها وصفاً ماجناً (٤) .

(١) ديوان السري الرفاء . ٢٢٠

(٢) التنوخي . نهار المحاضر .

(٣) كصاح . أدب الندماء .

(٤) الديوان ٧٠

الملك في حالة الرجعة

وحبذا حانتها من مشايخ

ثم اطرحتا الذين في بيتهما

حتى انسلخنا منه أي انسلخ

حتى اذا التتمن بها أدت

خيأشها الصقر يحلل الأواخ

ولم تكن مرابع الحمدانين في الموصل وما حولها تخلو من حفلات
الغناء والموسيقى شأنهم في ذلك شأن الأمراء والخاصة . فقد احيا
و سقارة السواد ، مجلس غناء لامراء بني حمدان في دير بأعربا قرب
الموصل (١) .

غير ان امراء بني حمدان وجهوا اهتماماً خاصاً - شأنهم شأن غيرهم
من الحكام المسلمين - للشؤون الدينية ولأعمال البر والاحسان . فقد
اهتموا ببناء المساجد والمشهد واضرحة الأولياء وصرفوا عليها مبالغ
طائلة . فقد بنت جميلة بنت ناصر الدولة - كما أشرنا - على تل توبة
بنيوى مسجداً ودوراً للمجاورين ، و اوقفت عليها اوقافاً جليلة (٢) .
كما شيد سعيد بن حمدان في سنة ٣٣٦ مشهداً على ضريح الصحابي عمرو
بن الحمق الخزاعي الذي اشتهر بحبه لآل علي وقتل ايام معاوية فلغنت
جثته في الموصل الى جانب الدير الأعلى (٣) .

(١) . السويدي : مسالك الانصار ٢٠١/٣

(٢) . الفيدري : احسن التناعيم ١٢٩

(٣) . اسد النابة في مرة الصباة ١٠١/٤

وقد أظن المورخون في وصف حج جميلة بليت ناصر الدولة حتى ضرب به المثل . ويقول الثعالبي في هذا الصدد (١) : « يضر بون المثل في زماننا هذا (القرن الخامس) بعام جميلة وهي الموصلية بنت ناصر الدولة ... اخت أبي تغلب ، فأنها حجت في سنة ست وستين وثلاثمائة ، وأبانت من المروءة ، وفرقت من الأموال واظهرت من المحاسن ونثرت من المكارم ، ما لا يوصف بعضه عن زبيدة وعن غيرها ممن حجت من بنات الخلفاء والملوك . واخبرني الثقات (كذا) انها سقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر الطبرزد والتلج . وكانت استصحبت البقول المزروعة في مراكن الحزف على الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمتقطعين من رجالة الحج ، ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ، ولم تستصبح فيها الا بشموع العنبر ، وأعتقت ثلاثمائة عبد ومائتي جارية ، واغنت الفقراء والمجاورين بالصلوات الجزيلة ، فصارت حجتها تاريخاً مذكوراً وصارت مثلاً مشهوراً . ومن قصتها انها لما رجعت الى بلدها وضرب الدهر ضرباته وكان ما كان من استيلاء عضد الدولة على أموالها وحصونها وممالك أهلها ، افضت بها الحال الى كل قلة وذلة ، وتكشفت عن فقر مدقع . وكان عضد الدولة خطبها لنفسه ، فامتنعت وترفعت عنه واحتقدها عليها . فحين وقعت في يده تشفى منها ، وما زال يعنف بها في المطالبة بالأموال حتى عراها وهتكها ثم الزمها أحد امرين : إما ان تؤدي بقية ما وقعت عليه من المال ، واما أن تختلف الى دور العمل فتكتسب فيها ما تؤديه في بقية مصادرها . فانتهزت يوماً فرصة من غفلة

الموكلين بها ، وغرقت نفسها في دجلة ، رضي الله عنها وأرضاها وجعل
الجنة مأواها .

وليس لدينا معلومات ذات غناء عن حياة العامة ، لكننا نستطيع
ان نستنتج من الاشارات العابرة ، واقوال الشعراء والكتاب ، انهم
كانوا يعيشون في ضنك من العيش . فقد كانت هناك حياة اخرى عابسة
باكية هي حياة الطبقات العامة التي لم تنل للأسف كثيرا من اهتمام
الشعراء الذين عاشوا على موائد الامراء . وقد صور لنا السري الرفاء
وهو عامل بسيط قضى صباه في اسواق الموصل يرفو ويطرز ، حياة
السوق والمهن البسيطة ، التي تقف منها على لمحات من حياة الشعب
الحمداي . ويبدو ان السري خالط صيادى السمك الفقراء فوصف
سفنهم وشباكهم ، كما وصف الحلاقين واشاد ببراعة و المزين
عبدالكريم (١) والاطباء المتواضعين الذين ينجلون في السوق بحثا
عن المرضى (٢) وهو - كشاعر فقير في بدء حياته - مبر عن آلام العامة
والديون المتراكمة عليهم ، وذكر لنا مثلا طريفا عن الرشوة المتفشية بين
الموظفين ، ولم ينس ان يصور مسرات العامة والطبقة الوسطى في الموصل ،
فترك لنا صورة حية عن ليالي الانس والحانات والعبيد والحمامات التي
كانت تمتلئ ماثبة للهو والشرب والقصف (٣) .

يبدو ان العامة كانوا يعيشون عيشة ضنكة بالنسبة لانخفاض

(١) ديوان السري الرفاء . ١٣٤

(٢) نفس المصدر ١٧٤

(٣) انظر ديوان السري الرفاء . مواضع مختلفة .

الاجور ، وقد وصف لنا المسمى الرفاء حالة ابنائه مهنته وعم الرفالون في
الموصل ، فقال (١) ان الرزق ضيق كانه يجري من ثقب الابرة . غير ان
هذه الظروف العسيرة لم تحل دون بروز ذوي المواهب والكفاءة حتى
من بين العبيد . فقد كان رشاً مثلاً عبداً مملوكاً تعلم الكتابة وأولع بالشعر
حتى كان « يضرب به المثل في الكياسة والشهامة والفاذ في حسن الخدمة
وجمع محاسن الممالك ومناقب العبيد وهو غلام ابني عثمان الخالدي ... » (٢)



(١) ابن خلكان ، وفیات الأعيان ٢٥٢/١ ، البنية ١١٧/٢

(٢) التذلي ، ثمار القلوب ٢٢٩

خاتمة الجزء الاول

وتصدير الجزء الثاني

أود ان اعترف للقاري الكريم بأن هذا للكتاب كان يجب ان يصدر في مجلد واحد يشمل تاريخ الحمدانيين في الموصل وحلب . غير ان اصداره في مجلدين مستقلين لا يعني ان هناك انفصاماً وانفصالاً بين تاريخ الحمدانيين في الجزيرة والشام ، بل بالمعكس ، فقد وجد القاري في هذا المجلد ، وسيجد في المجلد الثاني - الذي أرجو أن يصدر في أقرب وقت مستطاع - ان المؤنوع وحده كاملة متكاملة ، وان تتجزأ لأعلى هذا النحو كانت لمجرد ضرورات مادية فنية .

ان مسودات الجزء الثاني جاهزة تنتظر ان تنتقل الى المطبعة ، وانا بدوري أعد القاري الكريم بأنني سأبذل قصارى جهدي في اخراجه في وقت قريب عاجل ان شاء الله .

وأود كذلك أن أبدي بعض الملاحظات التي قد تكون ذات أهمية بالنسبة للقاري وهي :

١- انني اضطررت الى الرجوع الى طبعات مختلفة لبعض المصادر بعد الشقة الزمنية بين وضع البحث بصورته الأولية وبين تاريخ تقديمه الى المطبعة .

٢- اضطررت الى تجزئة قائمة المصادر ، فقصرت ما اثبتته في هذا المجلد على ما كان ذا أهمية مباشرة بالنسبة لتاريخ الحمدانيين في الموصل

والجزيرة . وأرجو ان تكون قائمة المصادر الخاصة بالجزء الثاني (وهو تاريخ الحمدانيين في حلب) مكملة لهذه القائمة .

٣- سيكون الجزء الثاني من هذا الكتاب مشتملا على ثلاثة ابواب هي التاريخ السياسي للحمدانيين في حلب ، والعلاقات مع الروم ، والحضارة والثقافة .

٤- على الرغم من المجهود الذي بذلته في تصحيح مسودات هذا المجلد فقد وقعت للأسف بعض الأخطاء التي افردت لها جدولا خاصا .

هذا وأرجو - في الختام - ان اكون قد وفقت الى ايفاء هذا الموضوع بعض حقه - على الاقل - وان يكون ذا فائدة في احياء جانب هام من تاريخنا والله ولي التوفيق .



• مصادر البحث •

(. الجزء الأول .)

١- المخطوطات :

الأزدي (٣٣٤ - ٩٤٥ م) (١) أبو زكرياء بن محمد ابن إياس بن القاسم الأزدي (٢)

« تاريخ الموصل » الجزء الثاني مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٢٤٧٥ .

التنوخى (٣٨٤ - ٩٩٤ م) ابو علي المحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم « كتاب جامع التواريخ المسمى نثار المحاضرة وأخبار المذاكرة » مكتبة الدراسات العليا (كلية الآداب - بغداد) تحت رقم ١٥٦٣ .

الدوادار بيبيرس المصوري

« كتاب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٧ .

الذهبي (٥٧٤٨ - ١٣٤٧ م) شمس الدين محمد بن احمد

« تاريخ الاسلام » مخطوط مقنن عن نسخة المكتبة الاحمدية بحلب ومحفوظ بمعهد احياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية رقم ٥٨٠/٦٥ .

ابن ظاهر (٦٢٣ هـ - ١٢٢٥ م) جمال الدين ابو الحسن علي بن

(١) السنة المثبتة امام اسم كل مؤلف هي سنة وفاته .

(٢) لمر الكتاب في القاهرة عام ١٩٦٧ بتحقيق د . علي حية

جمال الدين أبو منصور ظالم بن حسين الأزدي الألباني الحزرجي
المصري .

« كتاب أخبار الزمان في تاريخ بني العباس أو كتاب الدول المنقطعة »
مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ .

المقري (٨٤٥ - ١٤٤١ م) تقي الدين أحمد بن علي

كتاب النور الإسلامية « مخطوط مصورة بمكتبة جامعة القاهرة
رقم ٢٦٢٤٧ .

« كتاب العيون والحداث » لمؤلف مجهول مخطوط في برلين تحت رقم
٩٤٩١ . (توجد نسخة مصورة منه في مكتبة الدراسات العليا بكلية
الآداب بغداد تحت رقم ١٥١٣) .



المصادر المنشورة

باللغة العربية

١. ابن الأثير: (٦٣٢هـ - ٦٨٨هـ م) أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الكرم الملقب عز الدين .

٢. المكامل في التاريخ: (للطبعة الأزهرية ١٣٠١هـ وطبعة ليدن ١٨٩٧ م) (وطبعة دار الطبعة المنيرية سنة ١٣٥٤هـ) وطبعة دار صادر بيروت سنة ١٩٦٥) .

الاصطخري (القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارس
« مسالك الممالك » (ليدن ١٩٢٧ م)

الاصفهاني (٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م) أبو القبرح علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان .

« كتاب الاغانى » (دار الكتب المصرية ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م) .

البكري ، أبو عبيد الله عبدالله .

ومعجم ما استعجم - تحقيق مصطفى السقا المغرب ١٩٤٥

البلاذري (٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م) أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر
« فتوح البلدان » (ليدن ١٨٦٦ م) .

« انساب الاشراف » (بيت المقدس ١٩٢٦) تحقيق جويقن .

ابن بطوطة (٧٧٩ هـ - ١٣٧٧ م) شرف الدين أبو عبدالله محمد بن
عبدالله بن محمد الطنجي .

« رحلة ابن بطوطة - إلهة تحفة النظائر في غرائب الامصار وعجائب
الاسفار » (مطبعة التقدم مصر ١٣٢٢ هـ) .

ترتون . أ . س « اهل الدمة في الاسلام » ترجمة حسن حبشي (مطبعة
الاتحاد مصر ١٩٤٩)

التنوخى (٢٨٤ هـ - ٩٩٤ م) أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم
« كتاب جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة واختيار المذاكرة »
مطبعة امين هندية - مصر ١٩٢١ م) .

الثعالبي (٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م) أبو منصور عبد الملك النيسابوري

« بتيمة الدهر » (مطبعة الصاوي - مصر ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م)

« ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » (مصر ١٣٨٤ - ١٩٦٥ م)
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

ابن الجوزي (٤٩٧ هـ) أبو الفرح عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن
محمد بن علي القرشي التميمي البكري البغدادي .

« المنتظم في اخبار الامم » (حيدرآباد ١٣٥٧) .

- ابن جبير (٥٦١٤) ابو الحسين محمد بن احمد الكنتاني الاندلسي
 « رحلة ابن جبير » (المكتبة العربية - بغداد ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م)
 ابن حزم ، ابو محمد علي بن أحمد الاندلسي
 « جمرة انساب العرب » (مصر ١٣٨٢ = ١٩٦٢)
 حسن ابراهيم حسن (دكتور)
 « الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص »
 (المطبعة الاميرية مصر ١٩٣٢)
 الحموي (٥٦٢٦ = ١٢٢٩ م) شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت
 الحموي الرومي
 « معجم البلدان » ١٠ اجزاء (القاهرة ١٣٢٥ - ١٩٠٧ م) (طبعة
 ومسنفلة . ليزج ١٨٦٦)
 « معجم الادباء » عشرون جزء (دار المأمون . مصر)
 ابن حوقل (القرن الرابع) ابو القاسم محمد بن علي البغدادى الموصلى النصبى
 « كتاب صورة الارض » (لندن ١٩٣٨ م) و (طبعة بيروت .
 مكتبة دار الحياة)
 ابن خرداذبه (٥٣٠٠) ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن احمد الخراساني
 « المسالك والممالك » (لندن ١٨٨٩ م) و (لندن ١٩٢٧)
 الحصري . الشيخ محمد
 « تاريخ الامم الاسلامية » (المطبعة الجهادية القاهرة ١٩١٦ م)
 ابن خللكان (٥٦٨١ = ١٢٨١ م) شمس الدين ابو العباس احمد بن
 ابراهيم ابن ابي بكر الشافعي البرمكي .
 « توفيات الاعيان » جزآن (بولاق - مصر ١٢٩٩ هـ) (النهضة
 المصرية القاهرة ١٣٦٧ = ١٩٤٨)

ابن خلدون (١٣٨٨-١٤٠٥ م) عبدالرحمن بن محمد - ومقدمة ابن
خلدون (بيروت ١٨٨٦هـ)

و كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر
ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (مصر ١٢٨٤هـ) و(بيروت -
دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦)

الخوارزمي (٣٨٣ = ٩٩٣)

ابو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف ومفاتيح العلوم القاهرة ١٣٤٢هـ
وليدن ١٨٩٥

ديمومين - موريس جودفروا
و النظم الاسلامية - ترجمة فيصل السامر بالاشتراك مع الدكتور
صالح الشماع (مطبعة الزهراء بغداد ١٩٥٢ م)

الذهبي (٥٧٤٨ = ١٣٤٧ م) الحافظ شمس الدين ابو عبدالله محمد بن
احمد بن عثمان
و دول الاسلام (مطبعة دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد
١٣٣٧هـ)

ابن رسته (القرن الثالث هـ) ابو علي احمد بن عمر
وكتاب الاعلاق النفيسة (ايدن ١٨٩٢ م)

السري الرفاء (٥٣٦٢)

و ديوان السري الرفاء (مصر ١٣٥٥) سعيد الديوهجي
و جامع النبي يونس : مجلة سومر - مديرية الاثار العامة (مجلد ١٠
الجزء ٢ ، قلعة الموصل ، في مختلف العصور) (مجلة سومر مجلد ١٠
الجزء الاول ١٩٥٤)

« رسائل الصابي » - المختار من رسائله - (المطبعة الميمنية - لبنان ١٨٩٨ م)
ابن سعيد : نور الدين ابو الحسن علي بن موسى بن محمد بن سعيد
المغربى - الإدلسي .

« المغرب في حلي المغرب » (لندن ١٨٩٨)

سليمان صانع الموصل .

« تاريخ الموصل » (المطبعة السلفية - مصر ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٣)

السمعاني (٥٦٢ هـ = ١١٦٦ م) ابو سعيد عبد الكويم بن ابي بكر
محمد بن ابي المظفر المنصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي .

« الساب للعرب » (لندن ١٩١٢ م) . .

السيوطي (٩١١ هـ = ١٥٠٥ م) جلال الدين عبد الرحمن الشافعي

« تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين » (المطبعة الميمنية - مصر ١٣٠٥)

الشاشقي (٣٨٨ هـ = ٩٩٨ م) ابو الحسن علي بن محمد

« الديارات » لشره كزركيش عواد (بغداد ١٩٥١ م)

ابن شاذي كوز (٧٦٤ هـ = ١٣٦٢ م) محمد بن شاكر بن احمد الكيني

« فوات الوفيات » (بولاق ١٢٨٣ م)

ابو شجاع محمد بن الحسين الملقب بظهير الدين البروذراوري

« ذيل كتاب تجارب الامم » (باعثناء امدرود مصر ١٣٣٤ = ١٩١٦ م)

الشهبستاني (٥٤٨ = ١١٥٣ م) ابو الفتح محمد بن عبد الكريم .

« الملل والنحل » (القاهرة ١٣١٧ هـ)

الصابي (٤٨٠ هـ) ابو اسحق ابراهيم بن هلال بن زهرون

- تحفة الأمراء بتاريخ الوزراء (بيروت ١٩٠٤)
- للصولي (١٣٣٥ هـ = ٩٤٦ م) أبو بكر محمد بن يحيى
- « اخبار الراضي بالله والمتقي لله او تاريخ الدولة العباسية من ٣٢٢ - ٣٣٣ هـ من كتاب الاوراق » (نشره هيورت دن القاهرة ١٩٣٥)
- الطبري (٣١٠ هـ = ٩٢٢ م) أبو جعفر محمد بن جرير
- « تاريخ الامم والملوك » ٨ اجزاء (مطبعة الاستقامة ، مصر) ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ (وليدن ١٩٠١)
- ابن الطاطلي (٧٠٩ هـ) محمد بن علي بن طباطبا
- « الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية » (طبعة مرسو ١٨٩٤ م) و (طبعة غريغزولد ١٨٥٨ م)
- العاملي السيد محسن الامين .
- « اعيان الشيعة » (دمشق ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٦ م)
- ابن عبدالحق (٧٣٩ هـ) صفى الدين البغدادي
- « مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع » (نشره جوليول)
- و (عيسى البابي - مصر طبعة ١٩٥٤)
- عبدالعزیز الدوري (دكتور)
- « تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري » (بغداد ١٩٤٨ م)
- ابن العبري (١٢٨٦ م) غريغوريوس أبو الفرج بن هرون الطيب الماطلي
- « مختصر تاريخ الدول » (بيروت ١٣٠٨ = ١٨٩٠ م)
- ابن المعديم كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله

« زبدة الحلب من تاريخ حلب » (نشره د. سامي الدهان دمشق
١٣٧٠ = ١٩٥١ م)

عريب (٣٦٦ = ٩٧٦ م) ابن سعد القرطبي

« صلة تاريخ الطبري » (مطبعة الاستقامة - مصر ١٣٥٨ = ١٩٣٩)

العمرى (٧٤٢ = ١٣٤١ م) ابن فضل الله شهاب الدين أحمد

« مسالك الابصار في ممالك الامصار » (دار الكتب المصرية ١٣٤٢ =

١٩٢٤ م)

العمرى بن خير الله الخطيب

« منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء » الموصل ١٩٥٥ حققه

سعيد الديوبهجي

الفارقي أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق

« تاريخ الفساري » (القاهرة ١٣٧٩ = ١٩٥٩) تحقيق د. بدوي

عبد اللطيف عوض

ابو الفدا (٧٣٢ = ١٣٣١ / ٣٧ م) الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل .

« كتاب المختصر في اخبار البشر » (مصر ١٣٢٥ هـ) وطبعة دار

الكتاب اللبناني - بيروت)

« كتاب تقويم البلدان » (باريس ١٨٤٠)

ابو فراس (٣٥٧ هـ) الحارث بن سعيد بن حمدان

« ديوان ابي فراس » تحقيق د. سامي الدهان (دمشق)

(بيروت ١٣٦٣ = ١٩٤٤)

ابن الفقيه (القرن الثالث) ابو بكر أحمد بن محمد الحمداني

« مختصر كتاب البلدان » (لندن ١٣٠٢ هـ)

فيصل الحامر (دكتور)

« ثورة الزنج » (بغداد ١٩٥٤)

الفيومي احمد بن محمد بن علي

« المصباح المنير » في غريب الشرح الكبير للرازي (يولاق ١٩٣٩)

لقدامة (٣٢٠) ابن جعفر للكاتب البغدادي .

« كتاب الحراج وصناعة الكتابة » (لندن ١٨٨٩ م) و (لندن ١٩٦٥)

القرماني . ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي

« اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ » (بغداد ١٢٨٢ هـ)

القزويني (٦٨٢ هـ) زكرياء بن محمد بن محمود

« آثار البلاد واخبار العباد » (جوتنجن ١٨٤٨ م)

ابن القفطي جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف

« تاريخ الحكماء » (ليبنج ١٣٢٠ هـ)

ابن القلاسي (٥٥٥ هـ = ١١٦٠ م)

« ذيل تاريخ دمشق » (بيروت ١٩٠٨ م)

القلقشندي (٨٢١ هـ) ابو العباس الشيخ شهاب الدين احمد بن عبدالله

بن سليمان بن اسمعيل الشهير بابن غدة

« صبح الاحشى في صناعة الاشيا » (مصر ١٣٣٣ هـ)

ابن كثير (٧٧٤ هـ = ١٣٧٢) عماد الدين ابو القدا اسماعيل بن حمير

بن كثير القرشي

« البداية والنهاية » (مصر)

محمالة همر رها

١ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، (دمشق ١٣٦٨ = ١٩٤٩م)

كشاجم (٣٥٠ او ٣٦٠ هـ = ٩٦١ م او ٩٧٠ م)

« ديوان كشاجم » (بيروت ١٣١٣ هـ)

« ادب التذليل » (بولاقي ١٣٩٨ م) او « ادب التلقاء وانحدر الطرفاء

(الاسكندرية ١٣٢٩)

لسترانج جي

« بلدان الخلافة الشرقية » ترجمة كوركيس حواد

(بغداد ١٩٥٤)

المسوردي (٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م) ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب

البصري البغدادي.

« الاحكام السلطانية والولايات الدينية » بن (١٢٩٩ هـ = ١٨٥٣م)

و (الحلبي بمصر ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠)

متر . ادم

« الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » ترجمة الدكتور محمد

عبدالمادي ابي ريدة (مصر ١٩٤٠ هـ = ١٩٤٦ م)

ابو الحسان (٨٧٤ هـ = ١٤٦٩ م) جمال الدين يوسف بن تغري بردي

الانابكي.

« النجوم الزاهرة في ملوك مصر والسلاطنة » كاليغورنيا ١٩٠٩) و

(مصر ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م)

محمد أمين زكي

« خلاصة تاريخ الكرد وكردستان » (مصر ١٩٣٩ م)

المسعودي (٢٤٦ هـ = ٩٥٦ م) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي

« التنبيه والاشراف » (مصر ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م) و (لیدن ١٨٩١)

« مروج الذهب ومعادن الجواهر » (مصر ١٣٤٦ م) و (باريس ١٨٦١-٧٧)

مسكويه (٤٢١ هـ) أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب

« تجارب الأمم وتعاقب المم » نشره ه. ن. آسند روز (مصر

١٣٢٢ هـ ١٩١٤ م)

المقدسي (٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م) شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد

بن أبي البتاء الشامي البشاري

« احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » (لیدن ١٩٠٦ م)

المقريزي (٨٤٥ هـ = ١٤٤١ م) نقي السدين أحمد بن علي بن عبد

القادر بن محمد .

« المواعظ والاهتبار بذكر الخطط والآثار » (بولاق ١٢٧٠ هـ)

« السلوك لمعرفة دول الملوك » (مصر ١٩٣٤ م)

« اغاثة الامة بكشف الغمة » (مصر ١٩٤٠ م)

ابن النديم (٣٨٣ = ٩٩٣) محمد بن اسحق

« كتاب الفهرست » نشره جوستاف فلوجيل (لينزج ١٨٧١)

التويرى شهاب الدين أحمد (٧٢٣)

« نهاب الأرب » (للقاهرة ١٢٤٧)

الهمداني (اواخر القرن ٣ هـ) ابو بكر احمد بن محمد بن الفقيه

« مختصر كتاب البلدان » (ليدن ١٣٠٢ هـ)

الهمداني (٣٣٤) ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن

يوسف بن داود

« صفة جزيرة العرب » (ليدن ١٨٨٤ م) و (مطبعة السعادة بمصر

١٩٥٣)

الهمداني ابو الفضل احمد بن الحسين بديع الزمان

« مقامات الهمداني » (مطبعة الجوائب القسطنطينية ١٢٩٨ م)



المصادر الافرنجية

Absaniullah , Khan Bahadur

" *Histoty of the Muslim World* ,, (Calcutta
1930)

Ameer Ali , Sayeed .

" *A short History of the Saracens* " (London
1921)

Bowen , Harold ,

" *The Life and times of Ali Ibn Isa ' The
Good Vizier* " (Cambridge 1927)

Codrington , O .

" *A manual of Musulman Numismatics* "
(London 1904)

Freytag , Dr. G. W.

" *Geschichte der dynastien der Hamdaniden
in Mosul und Aleppo* " (*Z D M G X* ,
XI 1856 - 1857)

Heyd , W .

" *Histoire du commerce du Levant* " (Leipzig
1923)

Hitti , Philip . K

" *History of Syria* " (London 1951)

Lane - Poole , Stanley

"Catalogue of the Collection of Arabic coins Preserved in the Khedivial Library in Cairo." (London 1897).

" The Mohammedan Dynasties " (Paris 1925)

Lavoiz , M . Henry .

" Catalogue des monnaies Muslamanes de la bibiotheque nationale (Paris 1887).

Moret . A .

" Histoire du L'orient "

Muir , William

" The Caliphate , Its Rise , Decline and fall (Edinbeurgh 1926)

Oppenheim .

" Der tel halaf " (Leipzig 1931)

Ramsay , W .

" The Historical geography of Asia Minor (London 1890)

Le Strange Guy .

" The Londs of the Eastern Caliphate " (Cambridge 1931)

Sauvairé, H.

" *Deux derhams Hamdanits inédites* "

(*annuaire de la société Française de Numismatique et d'archéologies* tome 9 année 1885)

Sadrudin, Muhammad.

" *Saifunddawll and his times* (Lahore 1930)

The Encyclopaedia Britannica (U. S. A. 1965)

The Encyclopaedia of Islam (Leyden, London) (Paris)



فهرس الأعلام

(أ)

أرطيان الثالث ١٥٧	ابراهيم بن احمد الساماني ٢٦٢
اساتكين ٧٢	ابراهيم بن جعفر الصادق ٣٥٣
اسحاق بن أيوب ٧٢ ٧٣ ٧٨	ابراهيم بن حمدان ٤٤ ١٠٥ ٣٧٠
اسحاق بن كنداج ٧٢ ٧٣ ٨٤	ابراهيم الخليلي ١٠٠
ابو اسحاق اليسري ٣٥٧	احمد بن اسماعيل الساماني ١٠٨
الأسبكتي الكبير ١٨٨	احمد بن حمدون ٣٨ ٣٩
اسماعيل بن جعفر الصيادق ٩٥	احمد بن خاقان ٢٤٥
اسماعيل بن علي ١٦٣ ٣٥٠	احمد بن طولون ٩٨-٩٩
أطوران (الملك) ١٥٧	احمد بن الطيب السرخسي ١٤٧
الأخضر بن مطر التغلبي ٢١٠	الأخطل (الشاعر) ٥٧
الدكتر (الفاطمي) ٢٩٧ ٢٩٨	ابن أبي ادريس ٣٢٢
الأنباط (قائد الروم) ١٥٩	اذكوتكين بن اساتكين ٧٢ ٨٢
انوشروان (كسرى) ١٥٦	٨٣

(ب)

بدر (التركي) ٨٦ ٨٨	باذ الكردي ٢٨٦-٢٨٧
بدر (غلام عبدالله بن سليمان) ٨٩	بالدوا (غلام ابن أبي ٢١٦
بدر الجمالي ٢٩٥ ٢٩٨	الساج)
بدر الحرشي ٢١٦	بحكم ١٢ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦
	٢٢٨-٢٣٢ ٣٠٦

ابو بكر الصديق ١٧١	بودس السقلاروس ٢٧٩
بكر بن عبدالعزيز (السدقي)	ابو البركات لطف الله (الحمداني)
٩٠-٨٩	٢٨٤ ٢٧٥-٢٧٣
بهاء الدولة طارت ٢٩٤	بشرى النصراني ٢١٤
بهرام جور ٢٥٥ ٢٢٢ ٣٤٣	ابو بكر الحجاز البلدي (الشاعر)
	٣٦٤

(ت)

٣٢٨ ٣٢٧ ٣٢٤ ٣٢٢ ٣٢١=	تاج المعالي (الحمداني) ٢٩٧
٣٦١ ٣٥٢ ٣٤٥ ٣٤٠ ٣٣٥	تجلات بلاصر الاول ١٨٧
٣٧٢ ٣٦٨-٣٦٥	ثعلب بن غنداه (ابووائل) ٤٢
٣٢٠ ٣٦٣	ابو ثعلب (عمدة الدولة الحمداني)
٢٥٤ ٣٦٦ (الشاعر)	٢٨٣-٢٧٠ ٢٦٨-٢٦٧ ١٩٩
٢٥٣-٢٥٠ ٢٤٢	٢٠٦ ٢٩٨ ٢٩٣-٢٩٢ ٢٨٩
	٣١٨ ٣١٣ ٣١٢ ٣٠٨ ٣٠٧

(ث)

ثيو دوسوبوس ١٣٢	ثمان بن صالح بن مرداس ٢٩٩
-----------------	---------------------------

(ج)

جلهمة الكلبي ٩٧ ٩٨	جابر بن عبد الله الحمداني ٢٥٨
جماع بن أحمد السليحي ١٧٨	(ابو العطف)

جوبلة (الجمندانية) ١٦١ ٢٧٠	ابن جني (عثمان) ٣٦٤
٢٧٢ ٢٧٩ ٢٨٢ ٢٨٤ ٢٢٤	جوهر الصقلي ٢٩١-٢٩٢
٣٥٤ ٣٦١ ٣٧٠ ٣٧٣ ٣٧٤	

[ح]

حازم بن الجراح ٢٩٥	أبو الحسن علي بن محمد بن ميمون
الحاكم الفاطمي ٢٩٤	٢٧٣ ٣٢٢
حامد بن العباس ٣٤٤	الحسن بن القرائنة ١١١ ١١٣
حبيب بن محمد ٣٨	١١٤ ١١٥
حبيب بن مسلمة الفهري ١٨٥	الحسن بن مروان (أبو علي)
الحرمي بن يوسف ١٦٣ ٣٤٩	٢٨٧-٢٨٩
الحسن الأعصم ٢٩٣	حسين بن بكير ٦٨
الحسن بن بويه ٢٥٦	الحسين بن حمدان ٤٤ ٧٨ ٨٠
الحسن بن أيوب (المدوي) ٦٧	٨١ ٨٤ ٨٦-٩٠ ٩٥-١٠٥
٧١	١١٠ ١١٤-١٢٠ ٢٠٤ ٢١٠
الحسن بن الحسن بن تاجهر الدولة	الحسين بن سعيد بن حمدان (أبو)
٢٩٩-٣٠٠	عبدالله ٢١٢-٢١٤ ٢٣٤ ٢٣٨
الحسن بن روح البويهقي ٢٢٥	٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٨ ٢٥٢ ٢٥٤
أبو الحسن الشاذلي ٣٦٥	٢٥٨
الحسن بن علي الأطروش ٢٥٥	الحسين بن زكرويه (صاحب)
٢٥٦	الشامة ٩٥-٩٧ ١٠٠
الحسن بن علي بن أبي طالب ٣٤٥	الحسين بن علي (الامام) ١١٢
الحسن بن علي ٧٩	٣٤٥

الحسين بن علي المغربي ٣٢٢
 حمدان بن حمدون (ابو العباس) ٣٢٢
 ١٧٥ ١٥٣ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥
 ٢١٩ ٢١٣ ١٨٦
 ٦٧ ٦٢ ٤٧ ٤٤ ٤٠ ٣٨

(خ)

خالد بن الوليد ١٥٨ ٥٣ ٥٢
 خارويه بن طولون ١٧١
 خوخاظة ٢٨٤
 نخعجيج ٢٥١-٢٥٠

(د)

داريوس (الملك) ٢٥٧
 داود بن حمدان (ابو سليمان) ٤٢
 ٢٩٣
 ٢١٥ ٢١٤ ٢١٣ ٢١١ ٩٩ ٤٤

(ذ)

ذكا الحاجب ٢٣٦ ٢٣٩
 ذو نواس ٤٨

(ر)

راشد بن المنفى ٣٨
 الراضي (بالله) ١٦ ٢١٩ ٢٢٠
 الرشيد (هرون) ٦٦ ٦٧ ١٣٥
 ٣٤٣
 راوند الأزد هاق ١٥٧ ٣٠٦
 ربيعة بن بجير ٥٢
 ركن الدولة (بن بويه) ٢٢٣ ٣٠٩
 ٣٦٩

(ز)

زكرويه بن مهرابه ٩٤ ١٠١
ابو زهير بن عبدالله الحمداني ٢٦٦
ابو زهير مهلهل الحمداني ٢٦٠
زيد بن علي ٢٥٢

(س)

سابور بن أردشير ١٦٧-١٦٨ ٢٥٥
ابو سالم ديسم ٩٨٦
سبك (الغلام الحمداني) ٣١٥
سبكتكين ٢٧٦-٢٧٧
سبكري (الصفار) ١٠٨ ١٠٩
ست الناس (الحمدانية) ٢٨٨-
٢٨٩ ٣١٣
سجاح (التميمية) ٥١
ابو الشرايا بن حمدان بن ناصر
الدولة (الحمداني) ٢٧٨
السري الرفاء ١٩ ٢٦٩ ٢٧٢
٣٧٥
سعد بن ابي وقاص ١٥٩
سعد الدولة ابو المعالي شريف
(الحمداني) ٢٨٠ ٨ ٦ ٥
٢٨٨ ٢٨٩ ٢١٢ ٣١٣
٢٤٨
٢٤٨ ٢١٨ ٢٠٤ ٩٩ ٤٤
سانان بن وهب ١٠٣
سانطروق ١٦٦
سهلون ٢٤٨

٢٥٠-٢٥٧	٢٦٦-٢٦٨	٢٧١	سيف الدولة (علي الحمداني) ٤
٢٧٢	٢٨٣	٢٨٤	٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٢ ١٣ ١٦
٣٠٦	٣٠٧	٣٠٨	١٧ ٢٠ ٤٤ ١٠٢ ١٨٦ ٢٠٤
٢٤٤	٣٤٥	٣٦٠	٢٠٧-٢٠٨ ٢٢٧ ٢٣٤-٢٣٦
			٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤١-٢٤٣ ٢٤٦

[ش]

شيبان بن عبد العزيز (أبو الذلقت	٢٥٦	أبو شجاع بويه
اليشكري) ٦٥	٢٨٤	شرف الدولة البوبهي
ابن شيرزاد ٢٥٤	١١٢ ١١٤	شغب (أم المقتدر)
الشيظمي ٣٥٧	٦٣	شوذب (بسطام)

[ص]

الصالح (الخارجي) ٦٠	٣٦٩	الصالح (أبو اسحاق)
الصنوبري ١٩	٣٥٩	الصاحب بن عباد
الصيمري (وزير معز الدولة) ٢٦٥	٢١٠	صالح بن محمود (الخارجي)
	٦٣ ٦٥	الصحاري بن شيب

[ض]

الضحاك بن قيس ٦٤ ٦٥	
الضيزن بن جلهممة (الساطرون) ١٦٧-١٦٨	

(ط)

ابو طاهر ابراهيم (الحمداني)	٢٧٠ ٢٧٥ ٢٨٢ ٢٨٨-٢٨٤
ابو طاهر الجنابي ١١١ ٢٢٤	طريف البكري ٢١٦
طاهر (الصفار)	١٠٨
ابو طاهر حيدرة الحسيني	(الشريف) ٢٩٥

(ظ)

الظاهر بن الحاكم (الفاطمي) ٢٩٤

(ع)

عبدالله بن سعيد (ابو غسان)	١١٠ ١٠٣
٩٨-٩٧	العباس بن علي ٣٥٣
عبدالله بن سليمان ٦٩ ٨٣ ٨٩	ابو عبدالله الحسين بن ناصر الدولة
ابو عبدالله الشيعي ٢٩١	(الحمداني) ٢٧٠ ٢٧٥ ٢٨٠
عبدالله بن المعتم ١٥٩	٢٨٨-٢٨٤ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٨
ابو عبدالله بن ابي موسى ٢٤٩	٢٩٩ ٣٦٣
عبدالله بن ميمون ٢٩٠	عبدالله بن حمدان (ابو الهيجاء)
عبدالرحمن الناصر ٢٢٤	٢٠ ٤٤ ٤٥ ١٠٢ ١٠٥ ١١٠
عبدالملك بن مروان ٥٥ ٣٤٣	١١١ ١١٥ ١١٦ ٢٠٣-٢١٠
عبدالوهاب بن حمدان ١١٧	٢١٩ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣١٥
عبيدالله المهدي ٢٩١	عبدالله ربيعي بن الأكل ١٥٩

علي بن محمد (البريدي) ٣٤	هبة بن فرقد السلمي ١٥٩
علي بن مقله ٢٢١ ٢٥٠	عثمان بن صفان ١٧٢ ١٧٧
علي الهادي ٢٥٣	عبد (حاجب يحكم) ٢٥٤
عماد الدولة (بن بويه) ٢٢٣	ابو العشائر الجمدي ٣٦٠
٢٦٤	عز الدولة بختيار ٢٦٤ ٢٦٨
عمارة القبلي ٢٤١	٢٧٠ ٢٥٢ ٢٧١ ٢٧٣-٢٧٩
عمر بن الحباب ٥٥ ١٥٨-١٥٩	٣٠٩ ٣٦٩
عمر بن الخطاب ٤٠ ٥٣ ٥٤	العزير الفاطمي ٢٨١-٢٨٢ ٢٨٩
٢٤٣ ١٨٥ ١٧١	عضد الدولة (البويهي) ١٥
عمرو بن الحقيق الخزاعي ٢٥٢	٢٦٢ ٢٧٥ ٢٧٨-٢٨٤ ٢٩٠
٢٧٢ ٣٥٦ ٢٥٢	٢٩٣ ٣٠٨ ٣١٢ ٣٢٤ ٣٧٤
عون بن علي ٣٥٣	العلاء التغلبي ٤٢
عياض بن جشم ١٧١-١٧٢	هقة بن ابي هقة ٥٢
عيسى بن مريم المسيح (ع)	عقنان (الخارجي) ٦٣
١٣٦ ١٣٢	علوية بنت ناصر الدولة ٢٧٠
عمر بن عبدالعزيز ٦٢ ٦٣	علي ابن ابي طالب ٥٤ ١٠٥
عمر بن عبدالعزيز (ابن ابي دلف)	٢٤٥ ٢٥٣
٩٠-٨٩	علي بن بويه ٢٥٦
عمرو بن بسطام ٥٩	علي بن خلف بن طياب ٢٢١
عمرو بن الليث (الصفار) ١٠٥	علي بن عيسى ٣٤ ١١٣ ١١٤
١٠٨-١٠٧	١١٦ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٢٢
عمرو بن هند ٥٠ ١٧٣	علي بن عمر ٢٧٨
عمر بن سعد ٥٣	ابو علي الفارسي ٣٦٤
	علي بن الفرات ٣٤ ١٠٨

(غ)

ابو الغطريف (الحمداني) ٢٨٢

(ف)

الفارابي ٧	الفصل (الفاطمي) ٢٨٢ ٢٩٣
فاطمة بنت احمد (الكردية) ١٨٦	الفصل بن ناصر الدولة (الحمداني) ٢٦٤
٢٧٣ ٢٨٢ ٣٢١	
فاطمة الزهراء ٣٤٥	الفصل بن يحيى (البرمكي) ٣٥
ابو فراس (الحارث الحمداني)	ابو فهد الموصلبي ٢٣٥
٢١٩	ابو الفوارس محمد (الحمداني) ٢٧٠
الفرج بن عثمان (القاشاني) ٩٥	٢٧٥ ٢٨١ ٢٨٤
ابو الفرج المالكي ٢٢٢	

(ق)

القائم بامر الله (الفاطمي) ٢٢٤	القتال ١٠٩
القاسم بن سينا ١٠٥	القراريطي ٢٤٢
ابو القاسم هبة الله (الحمداني)	قوله بن دنح ٣٢٢
٢٦٦ ٢٧٠ ٢٧٦	قسام العيار ٢٨١-٢٨٢ ٢٩٣
القاهر (بالله) ٢١٧ ٢٢٢ ٣٠٧	

(ك)

كافور الاخشبي ٢٧٢	كشاجم ١٩
كسرى ابرويز ١٧٢	كشتكين (الفاطمي) ٢٩٧
كسرى الثاني ١٥٦ ١٥٧	

[ل]

لقمان بن راشد ٣٨	الليث بن علي (الصفار) ١٠٨
ليكابينوس (الامبراطور) ١٩	١٠٩
لويس الرابع عشر ٣١٨	

[م]

ماكان بن كالي ٢٥٦	٢٩٤ - ٣٠٠
ماكرد الديلمي ٢٢١	محمد الحاقاني ٣٤
مالك بن طوق ١٣٧	محمد بن خرزاد ٧١ ٧٠
المأمون ٩٨	محمد بن رائق ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥
المتقي لله ١٣ ١٦ ١٩ ٢٢٢	٢٢٦ - ٢٣٠ ٢٣٢ - ٢٤١ ٢٤٣
٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٨	٣٢٢
٢٤٩ ٢٥١ - ٢٥٣ ٢٥٩ ٣٠٤	محمد بن سليمان ٩٥ ٩٦ ٩٩
٣٠٦	محمد بن صالح (الخارجي) ٢١٠
المنبي ٧ ٢٠	محمد بن طغج الاخشيدي ٢٤٧ ٢٥٣
المتوكل ٢٣	٢٥٤ ٢٦٢ ٣٠٦
المنفى بن حارثة الشيباني ١٧٠	محمد بن عبادة (ابو جوزة) ٧٦
المنفى بن عمران العائدي ٦٥	محمد بن علي (الصفار) ١٠٨
محمد بن اسحاق ٧٥ ٧٦	محمد بن المسيب ٢٨٦ ٢٨٨
محمد بن الياس ٢٢٣ ٢٧٢	محمد بن يزداد ٢٣٧
محمد بن جعفر ١٠٨	ابو المرجي جابر ٢٦٦ ٢٧٠
ابو محمد الحسن ذو المجددين (الحمداني)	مرداويج بن زيار ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٥٦

٢٢٠، ٢٢٨	مروان بن الحكم ٥٤
المعتد ٧٦ ٨٣	مروان بن محمد ٦٤ ٦٥ ١٦٢
بمعز الدولة (البوسني) ٣٥٠، ٤	١٧٣
٢٥٣ ٢٥٦ ٢٥٨ ٢٦٠ ٢٦١	مساور البجلي ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠
٢٦٧ ٢٧٢ ٣٠٨	٧٢ ٨٥
المعز الفاطمي ٢٩٢	المستعين ٦٨
مفلح ٢١٢	مسلمة بن عبد الملك ١٣٧
المقتدر ١٠٢-١٠٥ ١٠٨ ١١٠	المستكني بالله ٢٥٣ ٢٥٤
١٢٠ ٢٠٣ ٢٠٩ ٢١١ ٢١٢	المستنصر بالله الفاطمي ٢٩٤-٢٩٦
٢١٧-٢٢٠	٢٩٨-٣٠٠
أبو المكارم (الحمداني) ٣١٣	مسيلمة (الكلاب) ٥١
٣٤٥	مصعب بن محمد الوالي ٦٣
المكتفي بالله ٩٤ ٩٥ ٩٧ ٩٩	أبو المطاع ذو القرنين (الحمداني)
١٠١-١٠٣ ١٠٧ ١١٤ ٢٢٨	٢٧٠ ٢٧٦
٣٠٤ ٣٠٧ ٣٧١	المنصور بالله ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٧٧ ٢٩٣
مكين الدولة (أحمد بن ملهم)	٢٩٤ ٣٠٨ ٣٤٠ ٣٦١ ٣٦٣
٢٩٩	أبو المظفر حمدان (الحمداني) ٣٧٠
ملكون السرياني ١٩١	٢٧١ ٢٧٢-٢٧٦ ٢٧٨ ٢٨٤
محمد الدولة بن مروان ٢٨٩	٢٩٤ ٢١٥ ٣٢٤ ٣٦٣ ٣٧٠
المهتدي بالله ٦٩	معاوية (بن أبي سفيان) ١٧٢
أبو موسى النصراني ١٩١ ٣٢٢	٣٥٣ ٣٧٣
المهدي (بن المنصور) ٦٦ ٣٥٠	المعتضد بالله ٣٩ ٧٥ ٧٧ ٧٨
أبو منصور بن المتقي ٢٣٨-٢٣٩	٧٩ ٨٠ ٨٣ ٨٦-٩٠ ٩٤ ١٠١
٢٤٩ ٣٠٦	١٠٢ ١٠٧ ١١٤ ١١٧ ١٤٧

المنصور (ابو جعفر) ١٣٥ ١٩٢	١٠٨ ١١٤ ١١٧ ٢٠٩ ٢١١ -
٢٥٠ ١٦٢	٢٢٠ ٢١٨
موسى بن مصعب ١٦٢ ٣٥٠	مؤنس (الغلام الحمداني) ٣١٥
موسى قيادة ٢٥٧	٣٢٣
مؤنس الخادم (الكبير) ١٠٤ ١٠٥	مهر لوسي ٢٥٥

[ن]

ناصر الدولة الحسن (الحمداني)	نصر بن صالح الكلابي ٢٩٩
٤ ٧ ٩ ١٥ ٢٠ ٤٤ ١٥٣	نصر القشوري ٧٩
١٦١ ١٨٦ ٢٠٢ - ٢٢٢ ٢٢٦ -	نصر بن حمدان (ابو السرايا) ٢٠٩ -
٢٣١ ٢٣٤ - ٢٥٤ ٢٥٧ - ٢٧٣	٢١١ ٢١٤ ٢١٦
٢٨٠ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٩٠ ٢٩٢	ابو نصر بن مروان ٢٨٩
٣٠٤ - ٣٠٨ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٥	نصر (ملك العرب) ١٦٦
٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٨	ابو النصر نصر الله الحمداني ٢٨٢
٣٣٤ ٣٣٥ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٧١	النعمان بن زرعة ٥٤
٣٧٢ ٣٧٤	نعيم (الخارجي) ٧٤
نازوك ١١٢	نقفور فوكاس ١٩ ٢٧٢
ابن نباتة الخطيب ٢٨٨	نوح الساماني ٢٦٢
نحير الصخير ١١٥ ٢٠٣	نوح (النبلي) - ع - ١٥٠

[هـ]

الهذيل بن عمران ٥٢	هرقل ٥٠
هرثمة بن عرفة ١٥٩	هرون بن الحال ٢١٢

هشام بن عبد الملك ٦٣ ١٣٨	هرون بن خمارويه ٩٩
٣٤٩ ١٦٢	هرون المغنر ٤٠
ابو الهيجاء أحمد (الحمداي) ٢٨٢	هرون بن عبدالله (البجلي) ٧٠-
الحيثم بن عبدالله ٧٢	٧٦ ٨٠-٧٨ ٨٢ ٨٤ ٨٩-٨٦
	هزار مرد (الحمداي) ٣١٥

(و)

ابو الرشاء طاهر بن محمد ٢٨٠	ابو وائل تغلب الحمداي ٣٦٠
٢٨٣	وائل بن الشخاج الأزدي ١٧٨
الوليد بن طريف ٦٦ ٦٧	الوآواء (اللمشقي) ١٩
الوليد بن يزيد (بن عبد الملك)	وشمكير بن زينار ٢٢٣ ٢٥٦
٦٤	٢٧٢
	وصيف كاهن ١٠٩
	وصيف موشكير ٧٨ ٨٦ ٨٧
	٨٨

[ي]

يشو عياب (الراغب) ١٥٦	ياقوت الحاجب ٢١٢
يعقوب بن الليث (الصفار)	يحيى بن زكرويه ٩٥
١٠٨ ١٠٧-١٠٥	يحيى بن سليمان ٧٢
يليق (غلام مؤنس) ٣٣ ٢١٢	يزيد بن همر بن هيرة ٦٥
٢١٦	يزيد بن مزيد الشيباني ٦٧
يمن (الطولوني) ١١٥	يزيد بن معاوية ٥٤ ٦٣

يونس (النبي) -ع- ١٦٢ ٣٥٤

ينال كوشه ٢٥٧

يوسف بن أبي الساج ٢١٦

فهرس الاماكن

- ١ -

ارض المصلى ١٣٦	آذربيجان ٤٨ ٦٧ ٧٩ ١٥٢
ارضروم ١٢٨	١٢٩ ١٦٣ ١٨٥ ١٨٦ ٢٢٢
أرمينية ١٥ ١٦ ١٠٧ ١٢٤	٣٤١
١٨٥ ١٢٧-١٢٩ ١٣٤ ١٤٩	آرام ١٨٧
١٥٢ ١٦٤ ١٧٦ ١٨١ ١٧٢	آمد ٦٦ ٧٢ ٧٧ ١٣٠ ٣١
٢٢٢ ٢٤٨	١٤٢ ١٥٠ ١٥٨ ٢٠٠ ٢٠١
الأزغب ٤٨	٢٢١ ٢٨٠ ٢٨٧ ٢٨٩ ٣٢٦
الأسكندرية ٢٩٦	٣٢٨ ٣٤٢ ٣٤٨
أسية الصغرى ٣٢٧	أبين ٣٢٩
اصبهان ٩٠ ١٠٧ ٢٢٣ ٢٢٤	الأحفار ٤٨
٢٣١ ٢٥٦ ٣٥٩	الأحدي (ضبعة) ١٥١
افريقية ١١٦ ٢٩١	أذمة ١٤٠ ١٤٦ ٢٣٨ ٣٣٩
أقور ١٢٦	اربيل ٦٨ ١٤٠ ١٥٣-١٥٥
العرس ٣٣٩	١٦١ ١٨٤
الأندلس ١١ ٢٢٤ ٣٥٩	اردمشت ٨١ ١٥٢ ١٥٣
انطاكية ١٩٠	٢٨١
الأهواز ٩ ٩٢ ٩٤ ١٠٦	ارزن ٦٦ ١٢٨ ١٣٢ ١٣٣
١٠٧ ٢٢٢ ٢٥٦	١٥٠ ١٧١ ٢٠٩ ٢٢٧ ٢٢٨

اوکسفورد ۱۴

اویسالا ۱۴

أورفا ۱۳۷

اورمية (بحيرة) ۱۲۹ ۱۸۶

۱۸۸

(ب)

بافکی ۱۶۱

بایغیش ۱۶۱

باقوسا ۱۵۱

باجرمی (باجرمق) ۱۶۱ ۱۶۷

بامردنی ۱۶۱

باجروان ۱۳۷ ۳۳۶

بانقلی ۱۶۱

بارما (جبل) ۱۷۵ ۳۳۸

باهلرا (باهلرا) ۱۵۰ ۱۵۱

باریس ۱۲

۱۵۹ ۱۶۱ ۲۲۴ ۳۰۹ ۳۲۶

بازبدی (بازبدی) ۱۲۹ ۱۵۰

۳۱

۱۶۰ ۱۶۱ ۲۰۳ ۲۵۴

البحر الأسود ۱۲۷

۳۰۹ ۳۲۶ ۳۲۷ ۳۳۱

البحرین ۴۵ ۵۸ ۹۴ ۱۷۰

باسورین ۷۸ ۱۲۹ ۱۵۰

بحوانا ۱۷۹

۱۵۱ ۱۶۱

بخاری ۳۵۹

باعلرا (بیت علری) ۱۶۰

البردان ۲۳۸ ۳۴۷

۱۶۱ ۱۶۳

برطلی ۱۶۱

باعربایا ۱۴۶ ۱۶۰ ۱۶۱

برقمید ۸۱ ۱۴۰ ۱۴۷ ۱۴۸

۱۹۵ ۱۹۷ ۳۳۱

۱۷۵ ۱۹۵ ۲۳۸ ۲۳۹

باعشقا ۱۲۶ ۱۶۱ ۱۹۵

البسفرجان ۴۹ ۵۲ ۵۶

باعینانا ۱۵۱ ۱۶۰ ۳۳۹

البشر ۴۹ ۵۲ ۵۶

دافخاری ۱۶۱

بلح ١٠٧	البصرة ٣٣ ٣٥ ٦٥ ٦٩
بلد ٥٦ ١٤٠ ١٩٣ ١٩٦	١٥٧ ١٦٩ ١٧١ ١٧٧ ١٧٩
٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٢	٢٢٣ ٢٤٣ ٢٧١
البليخ ٥٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٣٤	بطن ذات عرق ٤٥
١٣٥ ١٣٧ ١٦١	بغداد ٢٢ ٣٥ ٩٥ ١٠٠
بم ١٠٨	١٠١ ١٠٤-١١٠ ١١٤-١١٦
البي ٤٩	١١٨-١٢٠ ١٢٨ ١٦١ ٢٠٩
البوازيح ٦٨ ٦٩ ١٧٢ ٢١٠	٢٠٨ ٢١٠ ٢١١ ٢١٣ ٢١٥
٢٢٦ ٢٢٧	٢٢٤-٢٢٧ ٢٣١ ٢٢٩ ٢٣٢
بوشنج ١٠٦	٢٣٨ ٢٤٢ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٤-
بلاد الديلم ٢٧٩	٥٦ ٢٦٤ ٢٦٨-٢٧١ ٢٧٩-
بيت المقدس ٣ ٦ ٩	٢٨٣ ٣٠٥-٣٢٢ ٣٣٨ ٣٤٠
بيروت ١٨	٣٦٤ ٣٦٨
اليضاء ١٠٨ ١٥١ ٢٢٨	البقعاء ١٤٨
	بكك ٦٧

(ت)

٢٦٢ ٢٧٨ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٣٤	تركستان ٥٩
٣٤٧	تركية ١٢٤
تل أعفر ٣٢٩	تكريت ٤٨ ٥٦ ٦٩ ١٠٥
تل توبة (جبل) ١٦١ ٢٦٨	١٢٤ ١٢٧-١٢٩ ١٣٤ ١٣٩
٣٥٤ ٣٧٣	١٥٩ ١٦١ ١٦٣ ١٦٦ ١٩٠
تل جوفر ٢٢٨	٢٠١ ٢٢١ ٢٢٨ ٢٥٢ ٢٥٧

تل ملانا ١٣٥	تل نحوسا ١٦١
تل موزن (فيرالشهر) ١٤٥	تل نحوم ١٢٥ ١٣٨
تئينير ١٤٦ ١٩٧	تل حفراء ١٣٥
التنين (تنين داغ - جبل) ١٥٢	تل قاقان ١١٧ ١٢٥ ١٢٧ ١٣٠
تهامة ٤٥ ٤٨ ١٦٩٠	١٣٤ ١٣٩
	تل قليبغات ١٥٥

[ث]

ثمانين (قرية) ١٥٠ ١٥٢	للثوار ٤٩ ٥٦ ١٣٩ ١٤٠
التي ٤٩ ٥٢	١٤٥ ١٧٩
الثوير ٤٩	الثغور ٥ ٦ ٨ ١٩ ١٥٠
	٢٢٦ ٣٠٥ ٣٠٩

[ج]

١٩ ٤٨-٥٠ ٥٣ ٥٥ ٥٨ ٦٢	الجادور ٣٣٨
٨٣ ٨١ ٧٩-٧٦ ٧٤ ٦٧-٦٤	الجيلال (الجيل) ١١ ٨٩ ١١٠
١٣٦ ١٢٧-١٢٣ ١١٦ ٩٤ ٨٥	٢٢٣
١٥٨ ١٥٢ ١٤٣ ١٤٢ ١٣٨	جبل ابراهيم ١٢٥
١٨٥ ٨١ ١٨٠ ١٧٠-١٦٤	جبلة ٣٣٨
١٩٥ ١٩٢ ١٩١ ١٨٩ ١٨٨	الجحشية ١٩٧
٢١٠ ٢٠٢-٢٠٠ ١٩٨ ١٩٧	جرجان ١٠٦ ٢٢٤
٢١٧ ٢٣٥ ٢٥٥	جورنان ٣٣٨
جزيرة ابن عمر ١١٧ ١٤٠ ١٤٩	الجزيرة ٣ ٤ ٧-٩ ١٣ ١٥

جلاّب ٣٣٨	١٥٣-١٥٠ ١٩٦ ١٩٩ ٣٤٢
جند يسابور ١٠٦ ١٠٧	جزيرة العرب (شبه) ٤٧ ٥٠
الجودي (جبل) ٨١ ١٥٠ -	١٦٠ ١٦٥ ١٦٨
١٥٣ ١٦١ ١٧٩ ١٨٢	١٦٩
جيحان ٢٠٦	جسر منج ١٧٦

[ح]

حاذية ١٣٤	حسين أغا (قرية) ١٥٠
حيتوني ١٦٠ ١٦١	الحسنية ١٤٠ ١٥٠ ٢٧٩
حبل ٦٣	الحشاك ٥٠ ٥٦
الحجاز ٤٥ ٤٨ ١٧٠ ٢٣٨	حصن بدليس ٢٧٩
الحديث ١٢٥ ٢٣٩	حصن برقي ١٥٣
حدياب ١٥٥	حصن زياد ١٢٥
الحديثة ٦٨ ٦٩ ١٢٤ ١٢٨	حصن الشعباني ١٥٣
١٤٠ ١٦٠ ١٦١ ١٦٣ ١٩٥	الحصن العبوري ١٥٣ ١٥٦-١٥٨
٣٣٤ ٣٣٩ ٣٤٦	حصن كيفا ١٢٥ ١٩٠ ٢٨٧
حران ١٢٧ ١٣٤ ١٣٥ ١٢٧	حصن مساحة ١٣٤ ١٣٧ ٣٣٨
١٥٨ ١٧١ ١٧٤ ١٧٦ ١٩٧	حصن منصور ١٢٥ ٢٣٩
١٩٨ ٢٢٨ ٢٢٦ ٢٢٨ ٣٣٨	الحصن اليافاني ٢٥
٣٤٢ ٢٤٧ ٣٤٨	الحصيد ٥٠
الحريم ٤٩	الحضر ٣٩ ١٦٦-١٦٨
حزة ٤٩ ٥٦ ٦٨ ٧٩ ١٥٥	حكاري (جبال) ١٨٦
١٦٠ ١٦١ ١٧٦ ١٨٢ ١٩٤	حلب ٣ ٥ ٨ ٩ ١١-١٤

۱۷ ۱۹-۲۱ ۴۴ ۵۰ ۱۰۱	حمرین (جبال) ۱۲۵
۲۶۶ ۲۸۸ ۲۸۹ ۲۹۲ ۲۹۹	حصص ۲۲۸ ۳۰۶ ۳۲۹
۳۱۲ ۳۱۳ ۳۵۹	الحناطه ۱۶۱
۱۸۱ ۱۵۴	تخوران ۴۹۰
۲۹۱	الحنجره ۵۰ ۵۴ ۱۷۱

(خ)

۴۸ ۵۰ ۵۶ ۶۹ ۷۳	خوامان ۱۰۶-۱۰۸ ۱۷۲ ۲۰۵
۱۲۵ ۱۲۷ ۱۳۸	۲۲۴ ۲۶۲ ۳۰۷ ۳۴۱
۱۳۹-۱۴۲ ۱۴۵ ۱۴۶ ۱۵۰	الحزور (بحر) ۲۵۵
۱۵۲ ۱۷۴ ۱۷۶ ۱۸۷ ۱۹۴	خفان ۴۸
۲۰۹ ۲۷۵	خلاط ۶۹ ۱۲۸
خابوراس ۱۴۰	خوارزم ۳۵۹
خانجار ۱۶۳	خوزستان ۱۰۶ ۷۲۳
الخانوقه ۱۷۶	خولان ۱۵۸

(د)

۸۱ ۱۲۴-۱۳۱ ۱۳۲ ۱۳۴ ۱۳۸	دارا ۶۶- ۱۴۳ ۱۶۹ ۲۳۸
۱۳۹ ۱۴۲ ۱۴۵ ۱۴۶ ۱۵۰	داسان ۱۶۰
۱۵۲ ۱۵۳ ۱۵۵-۱۵۷ ۱۶۰	داسن ۱۶۱
۱۶۱ ۱۶۴ ۱۸۷ ۱۹۰ ۱۹۲	الدالية ۹۶ ۱۳۴ ۱۳۸
۱۹۳ ۳۰۵-۳۰۸ ۳۶۴	داقوقا ۱۶۳ ۱۹۱
۷۹ ۷۸ ۷۱ ۵۵ ۴۸	داله ۴۸

دير الزعفران (دير عمرو) ١٤٥	دجيل ١٣٨ ١٩٥ ٢٧٦
دهوك ١٥٩	دواباذ ١٦٠
دير الاسكلون ٢٥٨	دوين ٦٦
الدير الاعلى ٢٣٨ ٢٧٧ ٢٥٦	دمشق ١٦ ١٩ ٢٢٨ ٢٣٧
٣٧٣	٢٧٤ ٢٩٢-٢٩٤ ٢٩٩ ٣٣٩
دير باريشا ٢٥٨	دنيسر (سوق دنيسر) ١٣٩
دير باعربا ٣٧٣	١٤٣
دير برعشا ٣٥٥	دوشا (نهر) ١٥١
دير الخنافس ٣٥٥ ٢٥٦	ديار بكر ٤٩ ٥٠
دير الذندورد ٢٥٨	ديار ربيعة ٤٩ ٥٠ ٦٦ ٧٢
دير الزعفران ٣٥٥	٧٣ ١٠٠ ١٠٥ ١١٠ ١١٥
دير سعيد ٣٥٦	١١٦ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٦ ١٢٧
دير الشياطين ٣٥٥ ٣٦٤	١٣٩-١٥٥ ١٧٥ ١٨٨ ١٩٢
دير العاقول ٣٠٦	١٩٤ ٢١١ ٢٢١-٢٢٩ ٢٥٤
دير العذارى ٣٥٥	٢٦٣ ٣٠٥ ٣٠٩ ٣١٥ ٣٢٦ ٣٧١
دير القيارة ٢٥٨	ديار بكر ١٢٣ ١٢٤-١٢٧ ١٢٩
دير الكلب ٣٥٥	١٣٤ ١٤٢ ١٥٢ ١٩٢ ١٩٦
دير مارنيا ٣٥٨	٢٠٩ ٢٥٤ ٣٠٥ ٣١٥
دير مار مخايل ٢٥٦ ٢٥٧	ديار مفسر ١٢٣ ١٢٤ ١٢٦
دير متى ٣٥٦	١٢٧ ١٣٤-١٣٩ ١٤٠ ١٤٥
الدينور ٣٠٧	١٨٨ ١٩٢ ١٩٣ ٢٢٩ ٢٨٠
	٣٠٥ ٣٠٩ ٣١٥ ٣٢٦ ٣٤٢

(ذ) الديبور ١٦١ ١٧٩

ذي بهذا ٤٩

ر

الرافقة ١٣٤ ١٣٥ ٣٢٨ ٣٣٦	الرضاب ٤٩
الرافقة ٩٧	الرقعة ٦٤ ٩٦ ٩٧ ١٣٤ ١٣٥
رأس العين ١٢٧ ١٣٩-١٤٣	١٢٧ ١٤١ ١٧١ ١٩٣ ١٩٩
١٧٤ ١٩٣ ٢٠٩ ٢١٠ ٢٣٩	٢١٣ ٢٧١ ٢٧٤ ٢٣٦ ٣٣٨
الرحبة ٩٦ ١٠٥ ١٣٤ ١٣٧	٣٢٩-٣٤٢
١٧٦ ١٩٧ ٢٦٤ ٢٧٤ ٢٨٠	الرملة ١٩٣ ٢٢٨ ٢٨٢ ٢٩٣
٣٠٩	٣٤٨
الرزق (نهر) ١٣٤	الرها ١٣٤ ١٣٦ ١٣٧ ١٧١
الرصافة ٤٨ ٤٩ ١٣٤ ١٣٨	١٧٤ ٢٢٨ ٣٢٨ ٣٣٨
٣٣٩	الري ١٠٦ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٥٦

ز

الزباب ٦٦ ٧٤ ٧٥ ٧٩	زبطرة ٣٢٩
١٢٦-١٢٩ ١٣٩ ١٥٠ ١٥٥	الزعفران (قلعة) ١٥٣
١٧٩ ١٩٢	الزوزان ١٥٢ ٢٢١
زاجروس (جبال) ١٨١ ١٨٣	الزيار ١٦٠
زاخو ١٥٠ ١٥٩ ١٨٤	الزيتونة ١٢٨

س

سابا (نهر جرجيب) ١٤٠	سجستان ١٠٥-١٠٨
سامراء (سرمن رأى) ٢٢٦	سجلامة ٢٩١
٢٣٤ ٢٥٨ ٢٢٩	سروج ٢٢٨ ٢٣٩

١٧٢ ١٦٣ ١٥٨ ١٤٨ ١٤٦	سريط (نهر) ١٣٢ ١٢٨
١٩٩ ١٩٥ ١٧٩ ١٧٨ ١٧٥	سريا (نهر) ١٦٠
٣٦٠ ٣٣٨	سمرت (أسمرت) ٢٨٧ ١٣٤
السند ٥٩ ١٠٧	سقطا ١٧٩
آلن ٧٧ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨	السكير (مكير العباس) ٥٦
النواد ٦٧	١٤٠ ١٤٥ ٣٣٩
السودانية ٣٢٨	سلمية ٢٩١
سورية ٥ ٦ ٨ ٩٩ ١٢٤	الساوة ٩٧
٣٠٥ ٢٩٣ ١٨٨ ١٨٧ ١٦٥	سمياط ٣٢٨ ٢١١ ١٣٤
٣٣٧	٣٢٩
سوق الأحد ١٦٠	السن ٢٨ ١٦٣ ١٧٢ ٣٢٩
سوية ٤٩	سجار ٤٨ ٦٩ ٧٦ ٨١
	٢٠٩ ١٢٥ ١٤٠ ١٤٢ ١٤٥

(ش)

شرقا ط ١٥٥	شاعا ١٤٦
الشمانية ١٤٦ ٢٥٨	الشام ٣ ٦ ١٣ ١٥ ١٩ ٥٢
شمياط ٣٣٨	٥٣ ٦٤ ٨١ ٩٤ ٩٧ ٩٩
شهرزور ٦٤ ٧٠ ١٢٨ ١٦٠	١٠١ ١١٦ ١٥٨ ١٦٧ ١٨٧
٣٢٧ ١٨٣ ١٦٣	١٩١ ٢١٥ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٧٨
شيراز ١٠٨	٢٨١ ٢٩٣ ٣٠٧ ٣٢٩

ص

الصامغان ١٦٠ ٣٢٧	صيفين ٥٤
الصعاب ٤٦	الصوارة (قلعة) ١٥٣
الصعيد ١٠٠	الصور ١٤٦

ض

ط

طبرستان ١٠٦ ٢٢٤ ٢٥٦	طور عابدين ٨١ ٤٠ ١٤١
طبرية ٢٩٢	١٤٦ ١٧٥ ١٨٨ ٣٢٩
طرسوس ١١٥	طوروس ١٨٣
طلبان ١٩٧	الطيرهان ١٦١ ١٦٣ ٣٢٦
طهمان ٣٣٨	٣٢٧

ظ

ع

عائز ٤٨	العراق ١٥ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٦٤
عانة (عانات) ٤٨ ٥٣ ١٢٤	٦٥ ٩٤ ١٢٤ ١٥٨ ١٦٤
١٣٩ ١٣٤	٢٠١ ١٦٥
العبيدية ١٩٧	عربان ١٤٠ ١٤٥ ١٤٦ ١٧٦
العذيب ٤٨	١٩٦ ١٩٨
العراة ٣٢٧	عركة (حصن) ١٢٥

العروبة ١٧٩	حنارة ٤٨
العريش ٢٢٨	حنبة ٤٨
المقر ١٦٠	العواصم • ٦ ١٩ ٢٢٨
عكبرا ٢٦٠ ٢٧٨ ٢٣٤ ٢٢٨	٢٥٤ ٣٠٩
٢٤٧	عين الجبال ٣٣٩
المعادية ١٥٠	عين النمر ٤٨ ٥٢ ١٧١

غ

الغدير ١٤٦	الغور (من تهامة) ٤٥
غمر ذي كنتة ٤٥	عين اللهبانة (الدسمانة) ٢٣٧

ف

الفار ٢٣٤	١٥٨ ١٦٤ ١٧٢ ١٨٧
فارص ١٥ ١٠٦ - ١٠٨	١٩٣ ١٩٦ ٢٢٦ ٢٣٩
١١٦ ٢٢٢ ٢٢٣ ١٣١	(واينا ورد)
الفدين ٥٦	الفراخس ٥٢ ٥٣
الفرات ٤٨ - ٥٠ ٥٣ ٥٥	الفلوجة ٩٧
٩٧ ٩٨ ١٢٤ ١٢٦ - ١٢٨	فيشابور (فيروزسابور) ١٥٠
١٣٣ - ١٣٥ ١٣٧ - ١٤٠	١٥١

ق

القادسية ٢٧٦ ٣٣٨	قالقلا ١٢٨
قاشان ١٠٥ ١١٠ ٢٥٦	القاهرة ١٤ ١٧ ٢٩٦

قزلباغ ٤٩	قزل صو (لهر) ١٥٢
قبراتا ٧٧ ٧٦	قزوین ٢٢٤
قرضة ٤٦	قضة ٤٦
قردي (بالقردي) ١٢٩ ١٥٠	قطريل ٢٥٨
١٥١ ١٦٠ ١٦١ ٢٠٣ ٢٥٤	القلت ٤٩
٣٢١ ٣٢٧ ٣٢١	قلعة جعفر ١١٣
قرطبة ٢٢٤	القلعة الشهباء (ماردين) ١٤١-
قرقيسيا ٤٨ ٦٥ ١٠٥ ١٢٧	١٤٢
١٣٤ ١٣٧ ١٣٨ ١٤٠ ١٤٢	قم ١٠٥ ١٠٨ ١١٠ ٢٥٦
١٤٥ ١٧٦ ٣٣٨ ٣٣٩	قنسرین ٢٢٨ ٢٥٤ ٣٠٩ ٣٣٩
قره داغ (جبل) ٦٤٠	القوقاس ١٨٦
قره صو (لهر) ١٣٨ ٣٣٩	القبروان ٩٤ ٢٩١

[ك]

کائره ٤٨	کرمليس ١٦١
کامبرج ١٨	کفرتوتا ٦٤ ١٤٠ ١٤٢ ١٧٥
کبات ٤٨ ٤٩	١٩٦ ٢١٠ ٣٣٨
الکجیل ٥٦ ٦٣ ٢٢٨	کفر عزی ١٦١ ١٧٦ ١٨٣
الکرج ٢٥٦	کخ ٣٣٩
الکرخ ١٦٣ ٣٣٨	کواشي (قلعة) ١٥٣
کردستان ١٢٤ ١٨٤	الکوة ٦٥ ٩٢ ٩٤ ١٥٧
کرکیش ١٨٧	١٦٩ ٢٢٥
کرمان ١٠٦ ١٠٧ ٢٢٣	کیل ٢٤٣

[ل]

لبي (دير) ٥٦ ٤٩ لنيتراد ١٢

[م]

٣٥٩	ما بين النهرين ١٦٨ ١٢٦ ١٢٤
المصيخ ٥٢ ٤٩	١٨٤
المطرية ١٤٦	ماردين ٨٨ ٨١ ٧٨ ٦٤
المعارك ٥٦	١٣٩ ١٤٣ ١٥٣ ١٨٧ ١٩٦
معلثايا ٢٣٥ ٢١٦ ١٥١ ٧٦	٣٧٠
٣٤٨	الملازحين ٣٢٨
المغرب ١١ ٢٢٣ ٢٢٢	ماكسين ٥٦ ١٤٠ ١٤٥ ١٤٦
المغلة ١٦١	١٩٨ ٢٧٠ ٣٢٩
المغيثة ١٥١	ماوراء النهر ٥٩ ١٠٧ ٢٢٤
المقبلة ١٥١	المحلبية ١٦٣
مقلوب (جبل) ١٢٦	المخرم ١٠٣
مكحول (جبل) ١٢٥	المدبر ٣٢٨
ملطية ٣٣٩	المدينة (المتورة) ٥١
منج ٤٨ ١٢٥	المرج ١٥٥ ١٦٠ ١٩٠
الموئج ٤٨	مرج جهينة ١٦١ ١٦٣ ٢١٤
ميافارقين ١٤ ١٢٨ ١٣١ ١٣٢	مرج راهط ٥٤ ٥٧
١٤٢ ١٥٠ ١٩٠ ٢٠٩ ٢٤٦	مرج عبدالواحد ١٢٦
٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨٧ ٢٨٩ ٣١٥	مرعش ١٥٠ ٣٣٩
٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٨	مصر ٦ ١٧ ٩٩ ١٠٠ ٢١٥
	٢٢٨ ٢٦٣ ٢٨٨ ٢٩١-٣٠٠

(ن)

لنهي ٤٨	لجد ٤٥ ٤٨ ١٧٥
النهر وان (ضبعة) ٢٠٦	نصيبين ٤٨ ٦٤ ٦٦ ٦٩ ٧٣
نوارثشير (بوذارثشير) ١٥٦	٨١ ١٣٩ - ١٤٧ ١٧١ ١٧٥
١٥٧	١٨٧ ١٩٣ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٩
نيسابور ٧٣ ١٠٦ ١٠٧	٢٠٧ ٢٠٩ ٢١٠ ٢٢٨ ٢٧١
نينوى ٧٥ ١٥٥ - ١٥٧ ١٥٩ - ١٦١	٢٧٥ ٣١٥ ٣٢٧ - ٣٢٩ ٣٣٣
١٩٤ ٢٣٦ ٢٧٣	٣٢٨ ٣٣٩ ٣٤٨
	نهاروند ٣٠٧

(هـ)

١٤٣ ١٤٥ ١٤٦	هجر ١٧٠
همدان ٢٢٤ ٢٥٦	هراة ١٠٦
هيت ٩٨ ١٣٤ ١٣٨	المرماس ٨١ ١٢٧ ١٣٩ ١٤٠

(و)

٢٣٢ ٣٧١	واردات ٤٦
وان (بحيرة) ١٢٧ ١٢٩	واسط ٦٥ ١٠٦ ٢٢٥ ٢٣١

(ي)

اليمن ٤٥ ٩٤ ١٦٨	اليامة ٤٦ ٤٨
-----------------	--------------



جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
شأنهما	شأنها	٧	٤
أردوا	أرجو	١٠	٤
مقابلتهما	مقابلتها	١٢	٨
خردابه	خرداذبة	١٩	١٦
التخابات	منتخبات	٢٠	٢٠
الفلقشيدى	الفلقشندى	٢١	١٠
قصور	وقصور	٣١	١٠
بن القنوت	بن القنات	٣٤	١١
الإهة	الاهة	٤٨	٢٣
التنوير	التوير	٤٩	٣ ما حن ٤
فتوح البلدان	معجم البلدان	٥٢	١٥
زمام بني	زمام بن	٥٧	١٤ الماعثن *
طريف	ابن طريف	٦٧	٨١٥
الحسين	الحسن	٧١	١٧
فيما بعد مما أدى	فيما بعد أديا	٧٦	٩
أمد	آمد	٧٣	٦
أخذ	أخذت	٧٨	٨
أردمته	أردمشت	٨١	١٨
التأنيذة	التأنيذة	٨٦	٣

السطر	الصفحة	المصواب	الخطأ
١٣	٩٦	فانقلوا	فانقلوا
٦	١٠٧	السند	السند
١١	١٠٨	حمل بين يديه على	حمل بين على
٥	١٢٠	ثيف وعشرون	ثيف وعشرين
٢١	١٥٤	معجم البلدان	معجم البلدان
هامش ٤		١٨٧-١٨٦/١	ص ١٨٧-١٨٦
١٢	١٦٦	الفرثيين	الفرثيين
١٢	١٧٦	برقميد	برقميد
١٢	١٨٨	الأرامية	الأرمينية
١٥	٢٢٣	زيار	زياد
١٩ هامش ١	٣٢٥	الشيرزادي	الشيرازي
١٧	٢٦٣	مسكويه	ابن مسكويه
٣	٢٨٢	الدولة	الدولة
٨	٢٨٤	جذابة	جذبة
١٤	٣٠٧	القاهر	للقادر
٧	٣٧٠	ابراهيم	ابراهيم
٢	٣٧١	ربيعة	ربيعة
٦	٣٧١	للأمر	للأمر
١٣	٣٧٣	الأولياء	الأولياء

وهناك اختفاء طفيفة يستطيع القاري* الكريم ادراك صوابها لم أجسد
داعيا لإبرادها في هذا الجدول هـ

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
لطاق البحث	٢ - ١٠
في المصادر	١١ - ٢١
الباب الأول - ظهور الحمدانيين	٢٣ - ١٢٠
الفصل الأول - روح العصر	٢٤ - ٣٧
الفصل الثاني - نسب الحمدانيين	٣٨ - ٦١
الفصل الثالث - الحمدانيون والخوارج	٦٢ - ٨٥
١- الخوارج في الجزيرة	٦٢ - ٦٧
٢- تحالف حمدان مع الخوارج	٦٧ - ٨٥
الفصل الرابع - الحسين بن حمدان في خدمة الخلافة	٨٦ - ١٢٠
١ ضد الخوارج	٨٦ - ٨٩
٢- في بلاد الجبل	٨٩ - ٩٠
٣- ضد النعمانية	٩١ - ٩٨
٤- ضد الطولونيين	٩٨ - ١٠٢
٥- الحسين ومؤامرات البلاط	١٠٢ - ١٠٥
٦- ضد الصفارين	١٠٥ - ١٠٩
٧- خاتمة الحسين	١١٠ - ١٢٠
الباب الثاني - الحمدانيون في الموصل	١٢١ - ٣٠٠

الموضوع

للصفحة

١٢٣ - ٢٠١	الفصل الأول - إقليم الجزيرة
١٢٣ - ١٦٤	اولا : الجغرافية
١٢٣ - ١٢٩	١ - وصف عام
١٢٩ - ١٣٤	٢ - ديار بكر
١٣٩ - ١٣٤	٣ - ديار مصر
١٣٩ - ١٥٥	٤ - ديار ربيعة
١٦٤ - ١٥٥	٥ - الموصل وأعمالها
١٦٤ - ١٩٢	ثانياً : السكان
١٦٤ - ١٨٠	١ - العرب
١٨١ - ١٨٦	٢ - الأكراد
١٨٧ - ١٩٢	٣ - الأراميون
١٩٢ - ٢٠١	ثالثاً : الموارد الاقتصادية
٢٠٢ - ٢٦٩	الفصل الثاني - عهد ناصر الدولة
٢٠٢ - ٢٠٣	١ - تمهيد
٢٠٣ - ٢١١	٢ - شخصية ناصر الدولة
٢١١ - ٢٢٢	٣ - الصراع مع مؤنس
٢٢٢ - ٢٦٩	٤ - الحمدانيون وإمرة الأمراء
٢٢٢ - ٢٤٠	(أ) عصر إمرة الأمراء
٢٤٠ - ٢٥٣	(ب) ناصر الدولة أمير للأمراء
٢٥٣ - ٢٦٩	٥ - ناصر الدولة والبويهيون
٢٧٠ - ٣٠٠	الفصل الثالث - خلفاء ناصر الدولة

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
١- الصراع بين الاخوة	٢٧٠ - ٢٧٦
٢- التدخل البويهي	٢٧٦ - ٢٨٢
٣- الأميرة جميلة	٢٨٢ - ٢٨٦
٤- نهاية الحمدانيين في الموصل	٢٨٦ - ٢٩٠
فد اللجوء الى الفاطميين	٢٩١ - ٣٠٠
الباب الثالث - حضارة الحمدانيين	٣٠١ - ٣٧٦
في الموصل والجزيرة	
الفصل الأول النظم الادارية والمالية	٣٠٣ - ٣٣٢
١- طبعة الدولة الحمدانية	٣٠٣ - ٣١٣
٢- النظم الإداري	٣١٣ - ٣٢٣
٣- النظم المالي	٣٢٣ - ٣٣٢
الفصل الثاني - الحالة الاقتصادية	٣٣٣ - ٣٤٨
١- سياسة الحمدانيين الزراعية	٣٣٣ - ٣٣٦
٢- التجارة وطرق المواصلات	٣٣٧ - ٣٤٥
٣- الصناعة	٣٤٥ - ٣٤٨
الفصل الثالث - الحياة الثقافية والاجتماعية	٣٤٩ - ٣٧٦
١- العمارة	٣٤٩ - ٣٥٤
٢- الأدب	٣٥٤ - ٣٥٩
٣- الثقافة	٣٥٩ - ٣٧٠
٤- المجتمع	٣٧٠ - ٣٧٦

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
مخاتمة الجزء الاول	
وتصدير الجزء الثاني	٣٧٧ - ٣٧٨
مبدا ر البحث	٣٧٩ - ٣٩٤
فهرس الاعلام	٣٩٥ - ٤٠٨
فهرس الاءاكن	٤٠٨ - ٤٢١
جدول الخطأ والصواب	٤٢٣ - ٤٢٤
محتويات الكتاب	٤٢٥ - ٤٢٨





حمدو

الفر بن حنون

ابو جعفر محمد

ابو الهيجاء عبد الله		ابو اسحاق ابراهيم	ابو سليمان داود	ابو الوليد سليمان	ابو السرايا نصر
٩٢٩/٢١٧		(ديار ربيعة)			
ابو الحسن علي		ابو العطاء جابر	خسولة	فاطمة	ابو محمد الحسن
٩٦٦/٣٥٦			٩٦٤/٣٥٣	٩٥٥/٣٤٤	ناصر الدولة
لحالي		ابو البركات	ابو الفضائل	ابو الكارم	ست الناس
٩٩٩/٢٣٨		٥٦٥/٣٥٤		٩٦٥/٣٥٤	
بضائل		ابو الهيجاء	ابو المرجي جابر	ابو عبد الله الحسين	جميلة
٩٩٩/٢٣٨		عبد الله	(قبل ٩٦١/٣٥١)	٩٩٠/٣٨٠	علوية
حسن		ابو المعالي			
شريف					

ب

أبو العباس
جليل بن جملون

علی

ابو علي الحسين
٩١٨/٣٠٧

ابو سليمان داود ابو العلاء سعيد
٩٣٣/٢٢٣

•

ابو العثائر الحسين
٩٦٥/٣٥٥

عبد
لوهاب

أبو	أبو وائل
القطان	تغلب
عمارة	٩٤٩/٢٢٨

أبو
الحجاج
حرب

الافرى
حد
حد

و أبو فراس أبو
الله الحارث الفضائل
بن ٩٦٨/٣٥٧

ابو القاسم
هبة الله

ابو البركات لطف
الله ١٦٩/٣٥٩

١٠٠

ابو ظاهر ابراہیم
۹۹۱/۳۸۱

أبو تغلب علة
الدولة ٩٦٩/٣٦٩

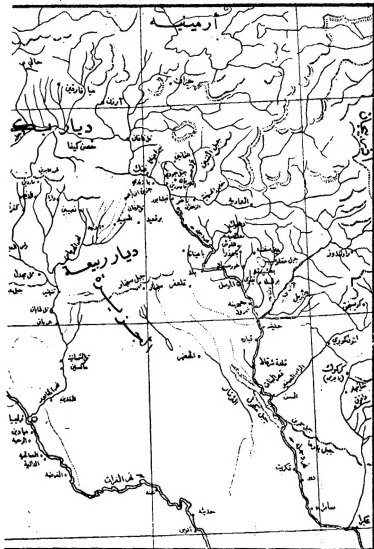
ابو المظفر
حمدان

ابو المطاع ذو القرنين وجه الدولة
١٠٣٨/٤٢٨

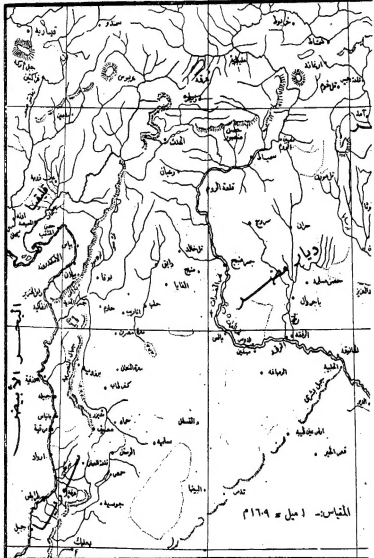
ابو محمد الحسن ناصر الدولة



خارطة الجزيرة والشام و اقلية



م العواصم والثغور (أيام الحمدانيين)



المقياس: ١ ميل = ١٦.٩ م